

١٧١

لجواهر

في تفسير الفلز الكبر

اسم على عجائب دني لا ترونها وغرائب لا يراها

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ طنطاوى جوهري  
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متع الله المسلمين بجزائه آمين

الجزء الثاني عشر

طبع بطبعة

مصطفى السباني الحلبى وأولاده بمصر

و حقوق الطبع محفوظة

بمباشرة - محمد امين عمارة

جاءى الثانية - ١٣٤٧ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية ﴾

( وهي ثلاثة أقسام )

﴿ القسم الأول ﴾ في أحكام القذف والزنا وبراءة أم المؤمنين وما يتبع ذلك من المواضع من أول السورة الى قوله - لهم مغفرة ورزق كريم -

﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا - الى قوله - وموعظة للتيقن - وذلك في آداب للعاشرة وآداب الرجال والنساء

﴿ القسم الثالث ﴾ في عجائب السموات والأرض وأحوال الكفار والمؤمنين وما يتبع ذلك من الآداب الواجبة العامة من قوله - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة

( القسم الأول )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ لَهَا كَرُونَ \* الزَّانِيَةُ  
وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا  
زَانِيَةً أَوْ مَشْرُكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ \* وَالَّذِينَ  
يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَزْوَاجٍ مُشَاهِدَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ نَحْنَيْنِ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \*  
وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ  
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ \* وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَيَدْرُوا  
عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ  
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ \*  
إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ  
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* لَوْلَا إِذْ  
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ \* لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ  
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ  
بِالْسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بَأْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \*  
وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ \*  
يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَهُوفٌ  
رَحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ  
فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا  
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ  
يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ  
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ  
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* يَوْمَئِذٍ يُوفَّقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ \*

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ  
بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \*

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) وأوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها وكذلك من بعدكم  
الى يوم القيامة (وأنزلنا فيها آيات يبينات) واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا بالأمر والنهي فلا تعطلوا  
الحدود ﴿ حكم الزنا ﴾

(الزانية والزاني) فيها فرضنا أوفيا أنزلنا حكم الزانية والزاني ويصح جعل الزانية والزاني مبتدأ خبره (فاجلدوا  
كل واحد منهما مئة جلدة) الجلد ضرب الجلد فلا ينبغي أن يصل الى اللحم وهذا فرض على الأمة كلها يقوم  
مقامهم الامام لتعذراجتماعهم وهذا الحكم لمن استوفى الشروط في وجوب الحد وهي البلوغ والعقل ويجب أن  
يفترّب عاما عند الشافعي لثبوته في السنة . ووكّل أبو حنيفة أمر التغريب لرأى الامام ويجب على العبد والأمة  
نصف الحد ولارجم عليهما وهذا حكم غير المحسن . أما المحسن فيزيد على ما تقدم أن يكون حرا مسلما متزوجا  
بنكاح صحيح وقد دخل بها والاسلام ليس بشرط عند الشافعي محتجا برجه عليه الصلاة والسلام بهوديين وحكم  
المحسن الرجم . ويرى مالك في غير المحسن كما يرى الشافعي ولكن المرأة لا تغرب . ويرى الحنفية أن التغريب  
المروى في الحديث منسوخ كما نسخ الحبس والأذى في قوله - فامسكوهن في البيوت - وقوله - فاذوهما -  
بهذه الآية (ولاناخذكم بهما راقعة) رقة ورقة فتعطلوا الحدود أو تخففوا الضرب بل يكون في الزنا أشد من  
الفرية وفي الفرية أشد من حد الشرب أو يخفف في الأخير ويشدد في الأولين على الخلاف في المذاهب وقوله  
(في دين الله) أى في حكم الله \* روى انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ﴾  
\* وروى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولاناخذكم  
بهما راقعة في دين الله فقال يا بنى إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ، ومعنى قوله (إن كنتم  
تؤمنون بالله واليوم الآخر) أن المؤمن لا تأخذه الراقة اذا جاء أمر الله أى اذا كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة  
الحدود (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وذلك ليزيد التنكيل والطائفة أقلها ثلاثة وقيل رجل أو اثنان  
والمراد حصول التشهير فقد يكون التفضيح أكثر تعذيبا من التعذيب . ولما كانت الاشكال تحق الى أشكالها  
وكان ضعة المهاجرين قد هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة  
الجاهلية نزل قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) لتقارب الأشكال واتلاف الأخلاق (والزانية  
لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهو مكروه كراهة تنزيه لما يلزم فيه من التشبه بالفساق  
والتعرض للثمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك ويجوز أن يراد بالتحريم انصراف النفس  
عن ذلك فان الزناة يأتلفون والصلحاء كذلك . فهذا تحريم يرجع للطبع والعادة والشرع لا يمنع زواجهن  
\* وقيل ان نسكاحهن كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - ولذلك قال ﷺ لما  
سئل في نكاح المسافات ﴿ أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال ﴾

﴿ فصل في حكم القذف العام وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة ﴾

اعلم أن من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يازاني أو يازانية أوزنت فعليه جلد ثمانين جلدة ان كان  
القاذف حرا وكان المقذوف محصنا أى مسلما بالغا عاقلا حرا عفيفا من الزنا ولا فرق بين الذكر والأنثى ويكون  
الضرب هنا أخف من ضرب الزنا ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لأبي حنيفة ثم اذا كان القاذف عبدا

يجلد أربعين وإن كان المذنب غير محصن فعلى القاذف التعزير وهو يكون برأى القاضى . ومن زنى وتاب وحسنت توبته وقذف لا يجب فى قذفه إلا التعزير وهكذا القذف بغير الزنا مثل يافاسق وياشارب الخ وهذا قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) اللاتى استوفين الشروط الخمسة المتقدمة وكذلك الرجال بهذه الشروط وخص النساء بالذكر لشناعة أمرهن إذا قذفن وقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلده) أخف من جلد الزانى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم فالقذف إذن من الكبائر فلذلك سمي مرتكبه فاسقا (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) من بعد القذف (وأصلحو) أحوالهم وهذا استثناء من الفاسقين وسيأتى إيضاحه والخلاف فيه (فإن الله غفور رحيم) يفر ذنوبهم ويرحمهم (والذين يرمون أزواجهن) يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به الخ (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (و) الشهادة (الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (ويدروا عنها العذاب) ويدفع عنها الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) أن الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) بالرفع والنصب (أن غضب الله عليها إن كنت من الصادقين) فى ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحته وأن الله تواب حكيم) لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد بالعان

### ﴿ فصل فى قصة الإفك ﴾

ولما ذكر حكم القذف العام وقذف الرجل زوجته أتبعه سبحانه بالكلام على الإفك فى أمر عائشة أم المؤمنين والافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ﴿ وحصل القصة ﴾ ما ذكرته رضى الله عنها قالت ﴿ فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلواها هودج لخفتى فلما ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك فى من هلك فاعتلت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت تعس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوى لا يرقأ لى دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالق كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام أبشرى يا حبيراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك ﴾ اه وهذا قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالافك) وهو الصرف لأنه قول مافوك مصروف عن وجهه (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الأربعين وكذلك العصبة منهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان ابن ثابت ومسطح بن أثانة وجة بنت جحش . ثم استأنف سبحانه الكلام مخاطبا رسول الله ﷺ وأبا بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم قائلا (لا تحسبوه) أى الافك (شرا لكم بل هو خير لكم) لكم فيه ثواب وارتقاء الأتفس وظهور الكرامة بانزال ثمان عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وفيه أيضا تهويل وتشديد على من تكلم فيكم وثناء على من ظن خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه (من الخائضين وهو عبد الله بن أبى فانه هو الذى بدأ به لأنه يحكى أن صفوان مرت بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها (له عذاب عظيم) أى جهنم . ثم أخذ يوجع العصبة فقال سبحانه (لولا) هلا (إذ سمعتموه) أى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أى هلا ظن المؤمنون والمؤمنات الذين سمعوا الافك خيرا بعائشة وصفوان اللذين هما من المؤمنين الذين هم جميعا كنفس واحدة فاذا ظنوا بهما خيرا فقد ظنوا بأنفسهم وهذا من أبلغ ما يكون فى التلطف من حيث اتحاد المؤمنين (وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين لاحقيقة له (لولا) هلا (جاؤا عليه) على ما زعموا (بأربعة شهداء) يشهدون بذلك (فألم يأتوا

بالشهداء فأولئك عند الله) في حكمه وشريعته (هم الكاذبون) القاذفون لأنهم ليس عندهم أربعة شهود (ولولا فضل الله عليكم ورحته في الدنيا والآخرة) فضله في الدنيا بالنعم الكثيرة ومنها إمهالكم للتوبة ورحته في الآخرة بنعم كثيرة منها العفو والمغفرة (لكنكم) عاجلا (فما أفضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) فالجلد واللوم مستصفران بالنسبة له (إذ) متعلق بكم (تلقونه بألسنتكم) يأخذكم بعضكم من بعض بالسؤال (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى يقولون بألسنتهم من الإفك ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعه له (وهو عند الله عظيم) في الوزر . فهذه ﴿ ثلاث خصال ﴾ التلق والتحدث والاستصغار للذنب مع عظمتهم (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) في أمثال هذه الأمور لاسيا ما يختص بابنة الصديق (سبحانك) تنزيها لله من أن تكون حرم نبيه ﷺ فاجرة فان جفورها يخل بمقصود الزواج (هذا بهتان عظيم) لأن المبهوت عليه عظيم (يعظمكم الله) كراهة (أن تعودوا لمثله أبدا) مادمتهم أحياء مكلفين (إن كنتم مؤمنين) وهذا تقرير وتوبيخ فان الإيمان يمنع من القبائح (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب تعلما لكم (والله عليم) بصفوان وعائشة وبكل الأحوال (حكيم) في تدبيره هذا العالم ومن حكمته أن يجعل زواجه ﷺ طاهرات لأنه يكرم أوليائه . ومن حكمته أنه برأ عائشة وحكم على القاذفين بالحد (إن الذين يحبون) كعب الله بن أبى وأصحابه (أن تشيع الفاحشة) أى يظهر الزنا (في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) فيصدون في الدنيا ويدخلون جهنم في الآخرة (والله يعلم) ما في الضمائر (وأتمم لا تعلمون) فليكن عقابكم لهم على ما تعلمون من الظواهر في الدنيا وهو يعاقب على ما يعلم من حب الاشاعة وعقابه في الآخرة (ولولا فضل الله عليكم ورحته وأن الله رؤوف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة والخطاب لمسطح وحسان بن ثابت وكرره لئلا يترك المعالجة بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) الفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحته) بأن شرع التوبة ووفقكم لها فتمحى ذنوبكم وأنزل الحدود وهي كفارات لذنوبكم (ما زكى منكم من أحد أبدا) أى ما طهر ولا صلح فانه بفضل الله ورحته شرع التوبة وقبلها وأنزل الزواجر وحكم بها ووفقكم لما يحسبوا الذنوب إما بأعمالكم الصالحة وأما بما تصابون به من الرزايا فانها مكفرات (ولكن الله يزكى من يشاء) بتوفيقه للتوبة وحله عليها وقبولها منه و بإقامة الحدود وانزال ما يخفف من الحوادث المؤلمة (والله سميع) لمقاتهم (عليم) بنياتهم . ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين نزل قوله تعالى (ولا يأنل) أى لا يحلف (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال (أن يؤثروا) على أن لا يحسنوا الى المستحقين للإحسان الموصوفين بأنهم من (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وإن كانت بينهم وبينهم شحنة لجناية اقترفوها . ويصح أن يقال « ولا يقصر أولوا الفضل الخ » ثم قال (وليعفوا) أى وليستروا (وليصفحوا) يعرضوا وليتجاوزوا عن الجفاء ويعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فليفعلا بهم ما يرجون أن يفعل الله بهم مع كثرة ذنوبهم (والله غفور رحيم) فتخلقوا بأخلاق الله وتأدبوا بأدابه . ولما قرأها النبي ﷺ على أبى بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد الى مسطح نفقته (إن الذين يرمون المحصنات) العفاف (العافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله ورسوله كعائشة رضى الله عنها وغيرها من كل سليمة الصدر نقية القلب لادهاء عندها ولا مكر لأنها لم تجرب الأمور (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) فهو لاء القذفة ملعونون في الدارين ولهم عذاب عظيم في الآخرة إن لم يتوبوا فيعذبون (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بما أفكوا أو بهتوا إذ تظهر آثار الأعمال على تلك الأعضاء وهو أبلغ من نطق اللسان فالغتابون والقاذفون وأمثالهم تظهر صور أعمالهم مجسمة يراها المذنب وتراها

وتشاهدنا الناس حوله والملائكة بصورة قبيحة بشعة تشعر بالمهانة والذلة ولامانع من النطق اللفظي وهو معنى قوله تعالى - ووجدوا ماعملوا حاضرا - وقوله - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - وذلك حاصل بعد الموت بلا توان فيظهر الانسان بمظهره الحقيقي وهذا قد أظهره الكشف الحديث فان علماء الأرواح لما استحضروها أخبرت بما يفيد أن أخلاق الانسان وصوره الباطنة تلازمه ولا تفارقه ويودّ لو يتخلص منها وتستقيم حاله فلا يقدر بل تكون له كالهواء يحيط به أينما حلّ . ويقولون إن جسم الانسان بعد الموت عبارة عن صورة طبق الأصل أى مطابقة لهذا الجسم المادّي ويسمى ذلك الجسم ﴿الجسم الأثيري﴾ أى المنسوب للأثير وهى المادّة اللطيفة التى هى أخف وألطف من الهواء والعالم كله مغمور فيها وهذه الصورة تمثل الأخلاق الباطنية للانسان ويودّ لو ينخلع منها اذا كانت قبيحة قال تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) علم معاينة (أن الله هو الحق المبين) العادل الظاهر عدله ولذلك ينتقم من المظلوم لظلمه (الحيثات للحيثين والحيثون للحيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الحيثات من النساء للحيثين من الرجال والحيثون من الرجال للحيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبى والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والعكس يعنى عائشة ورسول الله ﷺ وهذا عام فان الطيور على أشكالها تقع واذا كانت عائشة زوج رسول الله ﷺ فهى مبرأة لأنها مع الطيب وهذا قوله تعالى (أولئك مبرّؤون مما يقولون) أى أصحاب الافك (لهم مغفرة) عفو لدنوبهم (ورزق كريم) أى الجنة وقد خصت عائشة بأن جبريل نزل بصورتها فى راحته وقال هى زوجتك ولم يتزوج ﷺ بكرا غيرها وقبض ﷺ فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وهى ابنة الصديق وخلقت طيبة وودعت المغفرة والرزق الكريم . انتهى التفسير اللفظي وهنا ﴿أربع لطائف﴾

(١) فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -

(٢) وفى قوله تعالى - أن تشهد أربع شهادات بالله - الخ

(٣) وفى قوله - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكى منكم من أحد أبدا - الى قوله - سميع عليم -

(٤) وفى قوله - الخيئات للحيثين - الخ

﴿اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -﴾

(١) ومقتضى هذه الآية أن القاذف اذا تاب تقبل شهادته ويحول عنه اسم الفسق سواء أكان قبل إقامة الحد أو بعده لأن الاستثناء راجع الى ردّ الشهادة الى الفسق وهذا قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبى وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى ومالك والشافى

(٢) لاتقبل شهادته أبدا بعد التوبة ولكن يزول عنه اسم الفسق وهذا لأن الاستثناء راجع الى الفسق

عند النسخى وشرىح

(٣) لاترد شهادته بنفس القذف مالم يحدّ عند أصحاب الرأى

(٤) هو قبل الحد شر منه حين يحدّ لأن الحدود كفارات فكيف تردونها فى أحسن حاله وتقبلونها فى

شرّ حاله وهذا هو اعتراض الشافى على أصحاب الرأى بل قال ان حدّ القذف يسقط بالتوبة وأن الاستثناء يرجع للكل كما تقدّم

(٥) لايسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالتقصاص يسقط بالعفو ولايسقط بالتوبة

وهذا مذهب عامة العلماء وقوله - أبدا - أى مادام مصرا على القذف وذلك على مذهب من يقول بقبول شهادته بعد التوبة وتكون الأبدية فى كل شئ بحسبه فالقاذف أبديته حتى يتوب وأبدية الكافر حتى يؤمن

أى لا تقبل مادام على كفره

﴿ اللطيفة الثانية - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات ﴾

فقوله - انه لمن الصادقين - معناه على انه من الصادقين خذف الجار وكسرت ان وعلق العامل باللام تأكيداً . روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر الجلفاني جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أ رأيت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أ يقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فذكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم ماسمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر لم يأتيني بخبر فذكره رسول الله ﷺ المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أتتبع حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أ رأيت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أ يقتله الى آخر ما تقدم فأخبره رسول الله ﷺ باللعان فتلاعنا فلما فرغا من التلاعن طلقها عويمر فلما قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين . هذا ملخص ماجاء في الصحيحين ومثله ماجاء في البخاري في مسألة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سمحاء وذكر أن جبريل نزل بالآية بعد أن قال هلال وليزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فقام هلال بن أمية فشهد والنبي ﷺ يقول الله يعلم أن أحداً كاذب فهل منكم تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فغضت فقال النبي ﷺ انظروها فان جاءت به أكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو لشريك بن سمحاء فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ لولا ماضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن . وخدج الساقين ممتلى الساقين غليظهما

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكا منكم من أحد أبداً - ﴾

يقول علماؤنا رحمه الله تعالى في هذا المقام انه شرع الحدود وشرع التوبة والتوبة من نوع التهذيب والعقوبة من نوع التعذيب . فانظر كيف كان التهذيب مع التعذيب سببين لزكاة الناس وطهارتهم . ومعنى هذا أن الله فضله عم الناس ولولا فضله ورحته لم يطهروا وعليه أصبح كل هم وغم ومصائب وأمراض كل ذلك مما يزكى ويطهر وأيضاً كل علم وكل حكمة وكل خلق شريف كل ذلك مطهر . فالطهرات التي أنزلها الله في الأرض نوعان التهذيب والتعذيب فأضحت المدارس التي في الأرض للتطهير ﴿ قسمين ﴾ قسم الحوادث التي تصيب الناس وقسم المرقيات للعقول الانسانية وقد شرحت هذا في أماكن كثيرة في هذا التفسير

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية تشرح الفرائز والأخلاق والطباع وبهجتها وعجائبها وتبين أن هذا الانسان بل هذا الوجود لا تلازم فيه إلا بالتناسب ولا اتحاد إلا بصفات متناسبة فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء هكذا كرة الهواء وكرة النسيم فكل جزء من أجزاء هذه المواد لاحقة بأصلها مطيعة لمجموعها ذلك للتناسب والتشابه في الصفات هكذا أخلاق الناس انهم اذا تشاكلت صفاتهم اتفقوا واذا اختلفت تفرقوا وهكذا يوم القيامة فالناس لا يجتمعون إلا حيث يتفقون ولذلك تفرق المسلمون اليوم للجهل الذي فشا بينهم ولوتناسبوا في العلوم والمعارف لجمعهم ووحدتهم ولكنهم جهلوا فالجهل فرقهم والله هو الولي الجيد

ثم اعلم أن هذه الحكمة ألهمها الله للأئمة ونبتها في العقول فنطقت بها الألسنة وكتبت في الكتب وذاعت في الأمم وانتشرت في الأقطار قديماً كما ترى في كتاب ﴿ كلیلة ودمنة ﴾ فقد جاء فيه مانعه

﴿ حكاية العابد والفارة ﴾

حكى أن عابداً قتل فارة ثم ندم على ما فعل وحزن حزناً شديداً على هذا الذنب ولم يجد سبيلاً الى التوبة

في نظره إلا أنه يعلق الفأرة في عنقه مدة ثم دعا الله أن يحياها فتصير بنتا فأجاب الله دعاءه فصارت بنتا ورباها وترعرعت وأن زمن الزواج فسألها أي الأزواج تختار فقالت أختار أقوى الأزواج فقال لها إذن تختارين الشمس قالت . كلا . فالسحاب أقوى من الشمس لأنه يحجبها قال إذن أزوجك للسحاب قالت . كلا . فالريح أقوى منها لأنها ترفعه وتحمله إلى الجهات قال فلا زوجك للريح قالت . كلا . فالجبل أقوى منه لأنه يصده ويمنعه قال فلا زوجك بالجبل قالت . كلا . فالقار أقوى من الجبل لأنه يحفره ويفتح فيه حجرا فعرف عند ذلك أنها لا ترغب إلا فيمن هو على شاكلتها فدعا الله فرجعت فأرة وتم الأمر وهذا قول الشاعر

\* إن الطيور على أشكلها تقع \* وقوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ . انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ \* قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْضُتُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنَ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَلَيْسَتُمْفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْمُسًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْمُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنْ

## الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ \*

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التي تسكنونها فليس مؤجر الدار ولا الذي أعارها لها حق الدخول إلا باذن فالمدار على السكنى لأعلى الملك (حتى تستأنسوا) تستأذنوا أى تستعلموا . يقال آنس الشيء أبصره ويصح أن يكون من الأنس على وزن قفل فان المستأذن مستوحش قبل الاذن مستأنس بعده وأن يكون من الانس على وزن تبر أى تتعرف فوا هل ثمة انسان (وتسلموا على أهلها) فتقولوا لهم د السلام عليكم أ أدخل ثلاث مرات ، فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم) أى ما ذكر من الاستئذان والتسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة وتحجوا تحية الجاهلية فتقولوا د حيتم صباحا . حيتم مساء ، وربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف لعدم الاستئذان وانما أنزل عليكم هذا ارادة أن تذكروا وتعلموا بما هو أصلح لكم وهذا قوله (لعلكم تذكرون) فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتي من يأذن لكم (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا (هو أركى لكم) أى الرجوع أظهر لكم من الالحاح والوقوف على الباب فذلك مناف للرؤية (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تفرون فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت (فيها متاع) منفعة (لكم) كابواء الأمتعة بالحوانيت وكاتقاء الحر والبرد في المنازل المبنية للسابلة وكالدخول في بيوت التجار والحوانيت في الأسواق يدخلها الناس للبيع والشراء . فهذه كلها ليس فيها استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) قل للؤمنين يفضوا من أبصارهم) عما لا يحل النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم - (ذلك أركى لهم) أفصح لهم وأظهر لما فيه من البعد عن الريبة (إن الله خير بما يصنعون) لا يخفى عليه ما يقصدون من استعمال الابصار وكل جارة من جوارحهم فليحذروه (وقل للؤمنات يفضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن \* روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفعميا وان أتما ألسما تبصرانه . رواه الترمذى وأبو داود ثم قال تعالى (ولا يبدن زينتهن) أى ولا يظهرن لغير المحرم الزينة الخفية مثل الخللخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها كسائر الخلى والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها فلا تبدى منها شيأ (إلا ما ظهر منها) عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخضاب في الكف وكالوجه والقدمين ففي ستر هذه الأشياء حرج عظيم فان المرأة لا تجد بدا من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لاسيما في مثل تحمل الشهادة والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك وهذا كله اذا لم يخف الرجل فتنة فان خافها غص بصره أيضا (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الخمر جمع خمار أى ليضعنها وذلك كما تقول ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها عليه أى ليلقين بمقانعهن على مواضع الجيب وهو التحر والصدر ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدرهن . ولقد كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن ومأحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن أن يسدلنها من قدامهن حتى تقطيعن (ولا يبدن زينتهن) هذا بيان لمن يحل لهم الابداء فيرون الزينة الخفية منها ومواضعها كالصدر والساق والرأس ونحو ذلك (إلا لبعولتهن) لأنهم المقصودون بالزينة فيجوز لهم النظر الى جميع البدن ويكره النظر للفرج (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بنى أخوانهن) لأن الطباع تنفر من مماسة القرائب فلمن أن

ينظروا منهم الى ماعدا ما بين السرة والركبة . ومثل المذكورين الآباء والأبناء والاخوة وبنو الاخوة وبنو الاخوات من الرضاع . ثم قال تعالى (أونسأتهن) أى المؤمنات من أهل دينهن فيجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الفتية أو الكافرة (أو ماملكت أيمانهن) من الاماء والعبيد فينظر العبد من سيده ماعدا ما بين السرة والركبة كالأمة فهو كالحارم وكالنساء المسلمات وهذا ظاهر القرآن وحديث أنس رضي الله عنه إذ ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قمعت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك أو غلامك . وقال سعيد بن المسيب هو كالأجنبي معها وتحمل الآية على الاماء دون العبيد ثم قال تعالى (أولتا بعين غيرأولى الإربة من الرجال) أى الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء كالبهائم الذين لا يعرفون شيأ من أمر النساء والشيخوخ والصلحاء وكالعنق والخصى والمخنث والمحبوب . وفى حديث مسلم انه كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعتونه من غير أولى الإربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض سائته وهوينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل عليهن وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جعة ليطم . وأراد بالأربع أن لها فى بطنها أربع عكن فهى تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ثم قال تعالى (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أى لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم وعدم بلوغهم حد الشهوة والظهور الاطلاع والطفل جنس وضع موضع الجمع والوصف يدل عليه (ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليتدقق خلقها فيعلم انها ذات خلخال وهذا أبلغ من النهي عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت . وقد كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها فنهين عن ذلك . ثم قال تعالى (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون) وانما نهى على التوبة هنا لأن آداب هذه السورة لا تخلو أحد من التفريط فيها (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين لأن النفس الانسانية أشبه بماء نهر النيل مثلا والقوى الانسانية من الشهوة والغضب والعقل أشبه بمجداول تجري من ذلك النهر والشهوة والغضب أشبه بالبحر الأبيض المتوسط يصب ماء النهر فيه سهلا بلا فائدة والكف عن الشهوات كغض البصر وتجنب النساء وقلة الافراط فى الشهوات حلالا أو حراما وما أشبه ذلك أشبه بالسدود والحبوس والقناطر الموضوعة فى مجرى النيل وسقى الأرض من الجداول النيلية فى الوجهين القبلى والبحرى وخروج النبات والأشجار والحدائق الغناء والأشجار والأزهار والبهجة والخماء أشبه بتصرف عقولنا فى أنواع العلوم والحكم وازدهار الآراء وجمال النفوس واشراق القلوب فكل ما حفظناه من قوانا رجع الى قوة العقل وكل ما أضناه من قوى النفس فى المبصرات والمذوقات والملموسات وجميع اللذات تقص من قوة العقل والفلاح يكون بالقوة العقلية والحيية بالتحدى فى القوة الشهوية . وبهذا عرفت الحكمة فى غض البصر والكف عن المحرمات . فالتة تعالى وضع هذه القوى أمانة عندنا فاذا صرفناها فى أسفل الامور سفلنا واذا صرفناها فى أعلاها علونا . وهذه اللذات المذكورة ونحوها لم تخلق إلا لبقاء النسل فهى مقدمات وللقدمات نتائج إذ لا عقول إلا لمولود ولا ولادة إلا بهذه الشهوات . فاذا جعل الانسان حياته مقصورة على المقدمات صار آلة ضائعة كما يضيع ماء النيل فى البحر الأبيض واذا حفظها سقى بها حقول العلوم وبساتين المعارف وجنى ثمار اللذات العقلية والثناء العاجل والثواب الآجل بل الأمر فوق ذلك فان أعلى الجنة لأولى الأبواب والعلم أعلى لذة فى الجنة كما هو أعلى لذة للأنبياء والحكماء فى الدنيا . فتعجب كيف كان هذا التحريم مقصودا به رقى عقولنا والعامة لا يفهمون مثل هذه الامور وما يعقلها إلا الحكماء الذين فكروا فى الدنيا وخلقها . فالعامة يخافون من عذاب يوم القيامة وحده والخاصة يخافون منها ومن عذاب الدنيا بالجهالة ونقص القوى العقلية

ويرون الثواب والعقاب أمامهما في هذه الحياة مقدمة لما سيرونه بعد الموت فيكون قوله - لعلمكم تفلحون - معروفا لهم في هذه الحياة يقرؤنه في نفوسهم وفيمن حولهم ويرون الزناة والمسرفين وأمثالهم قد طوّحت بهم طوايح الدهر وقلب الدهر لهم ظهر المنجن وأنزل بهم العذاب الهون كما أضل عقولهم فعذابهم مجل في هذه الحياة وإن كانوا لا يعقلون أنهم معذبون ويسجنون وهم لا يعلمون أنهم مسجونون . ولما فرغ من الكلام على النهي عما يفضي الى السفاح المخل بالنسب المؤدى الى انقطاع الألفة وذهاب الأسرات أعقبه بما يكون سببا في بقاء النسل وهو المقصود فقال (وأنكحوا الأيامي) مقلوب أيام كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكر اكان أوأنتي بكرا كان أوثيبا \* قال الشاعر

فان تنكحني أنكح وان تتأبى \* وان كنت أفقى منكم أتأبى

أى زوّجوا من كان أعزب من الرجال والنساء البنات والاخوات والبنين والاخوان (منكم والصالحين) للنكاح (من عبادكم) عبيدكم (وامائكم) وهذا الخطاب للأولياء والسادة وهذا الأمر للندب

(١) فيستحب لمن تآقت نفسه الى النكاح ووجد أهبة أن يتزوّج

(٢) ومن لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي

(٣) والنكاح أفضل له عند أصحاب الرأي

(٤) تزويج الأيامي خاص بالأولياء وتزويج العبيد والاماء خاص بالسادات عند أكثر أهل العلم من الصحابة

فمن بعدهم كعمر وعلى وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب والحسن وشريح والنخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق

(٥) يجوز للمرأة أن تزوّج نفسها عند أصحاب الرأي

(٦) إن كانت دنيّة جاز لها أن تزوّج نفسها وإن كانت شريفة لم يجوز عند مالك

ولما كان الناس عادة يتركون الزواج ويتعاشرون خيفة الفقر إذا كان الخاطب او المخطوبة في فقر أردفه

بما يفيد انه سبحانه وتعالى يغنيهما عند الزواج إما بالثقة والرضا واما بالمال واما بهما معا فقال (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) بفضل الله يسعهما والمال غاد ورائح

وكم يسر آتى من بعد عسر \* وفرج كربة القلب الشجي

وورد في حديث ﴿ اطلبوا الفنى من هذه الآية ﴾ ثم قال تعالى (والله واسع) ذوسعة إذ لا انتهاء لفضله

ولاحد لقدرته فهو يسع الزوجين وجميع الناس (عليم) ييسر الرزق ويقدر على ما تقتضيه الحكمة (وليستغف

الذين لا يجدون نكاحا) ليجهتد في العفة وقع الشهوة من لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة مثل

أن يصوم الشاب اذا لم يجد المال لحديث ﴿ يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فانه أغض للبصر

وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم بالصوم فانه له وجاء ﴾ ومعنى الباءة النكاح أى أسباب النكاح والوجاء

رض الاثنيين فليستغف هؤلاء (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدون ما يتزوّجون به

﴿ فصل في المكاتب ﴾

المكاتبه أن يقول الرجل لمالوكه كاتبك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك في نجمين

أى موعدين أو نجوم في كل نجم كذا فإذا أديت ذلك فأنت حرّ ويقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك

المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة . ومتى عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له

ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق . وإذا هجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ ويرده الى

الرق وما في يده من المال فهو لسيده وهذا قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) المكاتبه (بما ملكت

أيماكم) عبدا كان أو أمة (فكاتبوهم)

(١) والأمر للوجوب عند عطاء وعمر بن دينار \* وقد روى أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس ابن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالذرة وتلا قوله تعالى - فكانبوهم - الخ

(٢) أولئذ وهو قول أكثر أهل العلم

(٣) والكتابة تجوز الى نجم واحد وحالة واحدة عند أبي حنيفة ولا تقل عن نجمين عند الشافعي وقوله تعالى (إن علمتهم فيهم خيرا) أى مالا أو قوة على الكسب أو صدقا وأمانة أو الاكتساب مع الأمانة وهذا رأى الشافعي . أو أن يكون بالغاً عاقلاً . وجوز أبو حنيفة مكانة الصبي المراهق . وقوله (وأتوهم من مال الله الذى آتاكم) يقول الله آتوا أيها السادة المكاتبين شيئاً من مال الله الذى آتاكم فليس لكم فيه فضل فان الله ربكم ورب عبيدكم وأموالكم ملكه وكذلك اعطوا أيها الحكام المكاتبين سهمهم من الصدقات العامة المذكورة فى قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء - فان عتق الرقاب داخل فى الصدقات وهذا الأمر عام لكل امرئ فهو يحض جميع المؤمنين على عتق الرقاب . واعلم أن السيد لاحد للقدار الذى يحطه والخط واجب وقدره بعضهم بالربع وهو قول على وقال ابن عباس يحط الثالث وأنت خير أنه لاحد للخط

﴿ فصل فى عدم إكراه الاماء على الزنا ﴾

روى انه كان لعبد الله بن أبى ابن سلول المناق جارياتان يقال لهما مسيكة ومعادة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما . وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الاسلام قالت معادة لمسيكة إن هذا الأمر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيراً فقد استكثرنا منه وان يك شراً فقد آنا أن نأخذ نداءه ويقال ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لانفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأنتا رسول الله ﷺ وشكنا اليه فأنزله الله قوله (ولانكرهوا فتياتكم على البغاء) الزنا (إن أردن تحصن) وذكر هذا الشرط لأنه على مقتضى السبب الذى نزلت لأجله الآية والا فلا كراه محظور سواء أردن التحصن والعفة أم لم يردن ذلك على أن الاكراه لا يمكن إلا اذا أردن العفة فأما التى لا تريد العفة فليست بمكرهة على الزنا بل هى رغبة فيه . يقول الله - لانكرهوا فتياتكم على البغاء - (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أى لتطلبوا كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرهن) على الزنا (فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم) يعنى بالمكرهات والوزر على المكره . وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ﴿ لهن والله لهن والله ﴾ (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) أى مثلاً من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم وهى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة للفتين) ما وعظه من الآيات والمثل . ولقد جاء هناك من العظات البالغات ما فيه مزدجر لذكر كقوله تعالى - ولولا إذ سمعتموه قلتم - الخ وقوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم - الخ وقوله - ولا يأتى أولوا الفضل منكم - الخ انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى . وههنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ ﴾

عن قتادة أن الاستئذان ﴿ ثلاثة ﴾ الأول ﴿ يسمع الحى ﴾ والثانى ﴿ ليتأهبوا ﴾ والثالث ﴿ إن شاؤا أذنوا وإن شاؤا رددوا فانهم فى أول مرة ربما منعهم بعض الأشغال من الاذن وفى المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقتضى المنع أو يقتضى التساوى فاذا لم يجب فى الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع فيسن له الرجوع ويجب أن لا يكون الاستئذان متصلاً بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت فاما قرع الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذلك حرام لأنه يتضمن الإيذاء وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وما نزل فيهم من قوله تعالى - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون - وقد كان ﷺ لا يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن

من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم مرتين ومن جامع الرسول لا يحتاج الى استئذان وكذلك من جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان ويستأذن الانسان على أخته وأمه لقوله ﷺ لرجل وقد سأله في ذلك « أتحب أن تراها عريانة »

واعلم أن الاستئذان مشروع ﴿ لثلاثة أمور ﴾ الدخول في منزل الغير والنظر الى المحرم شرعا والاطلاع على ما يكره الانسان الاطلاع عليه . فاذن دخول ملك الغير بغير اذنه محظور والاطلاع على المحرمات محظور شرعا هكذا فليكن محظورا على الانسان الدخول على أمه وأخته وزوجته وأمه للخصلة الثالثة فانهم ربما كن في حال لا يحين اطلاع أحد عليها فأن نجا من الحرمة مع هؤلاء بالنسبة لتحريم النظر وحظر الدخول في ملك الغير فليكن ذلك للأمر الثالث وعليه صار الاستئذان على جميع الناس قريبا وبعيدا ومحارم وزوجات وهذا هو المعنى بقوله ﷺ « أتحب أن تراها عريانة »

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال ﷺ ﴿ تزوجوا الولود الودود فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة ﴾ وقوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم - قد أخذ منه بعض العلماء كما في تفسير البيضاوي « انه يجب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها » ويقول عامة السلف ﴿ إن النكاح مستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد أهبتها ﴾ كما تقدم . فعلت من هذا انه قد أوجب بعض العلماء على السيد تزويج عبده وأمه في حال خاصة . ومن المعلوم أن الانسان اذا خاف الفتنة ولم يجد سبيلا لبرئها وجب عليه النكاح . واعلم أن هذا الزمان الذي نكتب فيه هذا التفسير قد تغيرت فيه طباع أهل المدن فترى الشبان المتعلمين يغدون ويروحون وقد أسكرهم الصبا وخامرهم الجهل وأحاط بهم الشيطان فأسدل عليهم حجابا من الخزي والعار فترك بعضهم الزواج اكتفاء بالزنا واستخفافا بالدين فأصبح المسلمون المتعلمون في الأمصار أشبه بأهل باريس الذين يفضلون الخلعة على الزواج . ولما رأت هكذا حكومة الترك سنت قانونا تجبر فيه الشاب الذي لم يتزوج بعد السنة الثامنة عشرة أن يدفع مالا للحكومة لتنفقه على أبناء المزوجين . ولقد بلغنا أن الأمة الروسية التي أصبحت اليوم (بلشفية) أي أنها تجري على حكم الأكثرية تأمر الفتيان والفتيات بالتزويج بعد الثامنة عشرة فان لم تزوج الفتاة قبل هذا السن زوجها لمن يريدون هم . واعلم أن هذا الأمر يجب على علماء الاسلام أن يفكروا فيه فاذا رأوا خلعة منتشرة وفسوقا واضحا فلا حرج عليهم اذا أفتوا بما يحفظ الأعراض ويشغل الأرحام بالأجنة والدكور بالعفة والنساء بترية الأولاد وليكن ذلك بحكمة وتفكر . ولقد نرى أئمتنا المتقدمين رضوان الله عليهم قد نظروا في ذلك من عدة وجوه تارة من حيث التخلي للعبادة بترك النكاح وتارة بغير ذلك كما تقدم فلينظر اليوم علماء الاسلام الى الخطر المحدق بالمسلمين وليعلموا أن الله خلق الذكور بقدر الاناث قريبا ودليل ذلك تعداد المواليد فانك تراه متعادلا تقريبا في جميع الكرة الأرضية . واذا كان التعداد جائزا ليكون اللواتي لا عائل لهن يجن من يعولهن . فاذا تزوج جميع الصالحين للنكاح لم يبق هناك نساء لا عائل لهن فاذا نفذ قانون على هذا الوضع وحتم على كل صالح للنكاح أن يتزوج صالحة للنكاح فذلك لا يمنع منه ديننا فان قوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين - الخ قد قال بعض العلماء بجعله للوجوب في مسألة الاماء والعبيد ولم يبق إلا أن نعمه فيكون للجميع . واذا صح ذلك أصبح الزواج فرضا لازما للصالحين له كفرض الصلاة والصيام . واذا قلنا بمنعه الفقرا لحكومات اليوم أصبحت تساعد الذي لازوجة له فقد زال هذا المانع واذا كانت فيه عاهة فينظر في أمره . واني لست أقطع في هذه المسألة . وانما أقول ان المجال فيها متسع وديننا صالح له . فهنا أمر بقوله - وأنكحوا الأيامى - وفي الحديث . والترغيب في النكاح كثير في الشرع واذا كانت ألمانيا وتركيا والروسيا يحرضن على اكثر نوع الانسان . ويفرض الزواج عند البعض على كل

صالح له وصالحه . فهل هذه الأم تكون أحوص على اكثار النسل من الاسلام . كلا . قالني ﷺ يقول  
 ﴿ تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ الْوُدُودَ فَإِنَّ مَبَاءَ بَكْمِ الْأُمِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ولعل في قوله تعالى - ان يكونوا فقراء يغنهم الله  
 من فضله - رمز الى ما فعله دولة تركيا اليوم من تغريم الأعزب واعانة المتزوج والنظر الى امبراطور ألمانيا  
 (غليوم) الذي كان السبب في الحرب كيف كان يحرض قومه على اكثار النسل وكيف أمر العلماء فاخترعوا  
 صوراً للمتزوج وصوراً للأعزب فجعل الناس يدخلون فيرون رجلاً أشمط وامرأة شمطاء منزويين في ركن  
 المنزل قد آذاهما البرد وهما منكشمان وآخرين معهما أولادهما هذا يعمل وذلك يلعب وهذه تطبخ وهذا  
 يصنع الخبز وهذه ترتب البيت وهكذا والأبوان مستبشران فرحان فيرغب الناس في النكاح ولذلك صارت  
 ألمانيا نحو (٧٠) مليوناً . أما فرنسا فانها صارت أقل من أربعين مليوناً . فالمسلمون أولى باكثر  
 النسل . واعلم أن التعدد المذكور في الآية لا يكون إلا حيث يتخلى قوم عن الزواج طموا ولعباً أو فقراً .  
 فأما اذا أمر الناس جميعاً بالزواج فلاتعدد إلا نادراً جداً . واعلم أن التعدد اليوم في الاسلام لا يزيد على ثلاثة  
 أو خمسة في المائة فإذا تم ما ذكرته قصص التعدد بل ينعدم وأمة الاسلام قابلة لذلك لأنه اذا كان كل امرأة  
 لرجل والله قد جعل العدد على هذا المنوال ولم يخلق إلا بقدر غفلت الذكور على عدد الاناث كما تقدم فيكون  
 التعدد إذن نادراً جداً بل يكون خارجاً عن العدل لأنه اذا كانت عندك امرأة صالحة للنكاح فكيف تحجبها  
 عن رجل صالح للنكاح ويكون قوله تعالى - فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة - الخ مقرباً لذلك لأنه اذا كان  
 خوف عدم العدل بين الزوجتين يمنع التعدد فليكن خوف حرمان الأعزب من امرأة صالحة للنكاح غير  
 عدل . واعلم أن هذه المباحث أوردتها ولم أعط فيها رأياً . ولكن عرضتها لبحث العلماء وتفكير الحكماء  
 ومراعاة مقتضيات الأحوال وتكون الفتيا على حسب الأحوال وهذا يحتاج الى اجماع أهل الحل والعقد في  
 الممالك الاسلامية فما أجمعوا عليه بعد البحث والتروي يصبح ديناً ومباحث هذه مقدمات لمباحثهم المستقبلية  
 إن شاء الله تعالى وسيكون في الأمة الاسلامية من قراء هذا التفسير من ينشرون هذه المباحث . وستكون  
 مباحثهم اجماعيه فما استقر الرأي عليه فلا خلاف فيه . اللهم اهد أمتنا الاسلامية الى سواء الصراط . انتهى  
 الكلام على القسم الثاني من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ  
 الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ  
 زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* فِي يُثُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمَاءُ  
 سَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ  
 وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
 وَيزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ  
 بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَاءٌ حِسَابُهُ وَاللَّهُ

مَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَنْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ  
 ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَا  
 لَهُ مِنْ نُورٍ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ  
 عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ  
 \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ  
 خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ  
 يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ \* يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي  
 الْأَبْصَارِ \* وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى  
 رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* أَقَدْ  
 أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ  
 وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا  
 إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَتَذَكَّرُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ \* وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا  
 إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ \* أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْزَأُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ  
 أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ  
 يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ \* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ تُعْرِضُوهُمْ لَنْ لَا تُفْسِدُوا طَاعَةً  
 مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
 مَا جُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا مَحَلَّمٌ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ \* وَعَدَ اللَّهُ  
 الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا  
 يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمْ

النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ ثِيوبِكُمْ أَوْ ثِيوبِ آبَائِكُمْ أَوْ ثِيوبِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ ثِيوبِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ ثِيوبِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ ثِيوبِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ ثِيوبِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ ثِيوبِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ ثِيوبِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّاءَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \*

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (الله نور السموات والأرض) مزين السموات بالنجوم والأرض بالنبات والمياه ومنور قلوب أهل السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين (مثل نوره) نور الله في قلب المؤمن (كشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة . ويقال أيضا الأنوبة في وسط القنديل (فيها مصباح) سراج صخيم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج (الزجاجة كأنها كوكب دري) نجم مضىء من هذه الأنجم الخمسة

زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وهذه هي الأنجم الدرية منسوبة للدّر في الصفاء (يوقد) المصباح أو توقد الزجاجة أى مصباحها (من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية) أى أخذ دهن هذا القنديل من شجرة الزيتون بفلاة لا يصيبها ظلّ الشرق اذا غربت الشمس ولا ظل الغرب اذا طلعت الشمس بل هي مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وغروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وأصنى أو لاناثة في شرق المعمورة ولاغربها بل هي في الشام وزيتونه كما يقال أجود الزيتون (يكادزبتها يضىء) من وراء قشرها (ولولم تمسه نار) فالزيت لصفائه وتلاؤه يكاد يضىء من غير نار وباجتماع المشكاة الجامعة للنور والزجاجة المقوية له والمصباح المتقد والزيت الصافي يكون النور أقوى فلولاً المشكاة لتفرّق في الجهات الست ولولا صفاء الزيت لم يكن الضوء باهراً ولولا الزجاجة لم يكن متضاعفاً وهذا معنى قوله تعالى (نور على نور) وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء) لنور المعرفة ودين الاسلام ونور البصيرة وهذا النور الثاقب (ويضرب الله الأمثال للناس) تقريباً لأفهامهم ليعتبروا (والله بكل شئ عليم) فيبين كل شئ بالطرق التي يعلم انها توصل اليه . وقوله (في بيوت) أى تلك القناديل المدلول عليها بالمشكاة والمصباح والزجاجة والزيت معلقة في مساجد (أذن الله أن ترفع) أمر الله أن تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتظهر من الانجاس والأقدار (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه ويباحث في أحكامه وأفعاله (يسبح له فيها بالغدو والآصال) يصلى له بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين ووحيد الغدو لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات وهي جمع أصل ككتب جمع أصيل وهو العشى وقوله (رجال) فاعل يسبح ومن قرأ - يسبح - بالبناء للمجهول فيكون مسنداً لقوله - له - ورجال فاعل لما دلّ عليه يسبح أى يسبح له رجال (لأنهم تجارة) لا تشغلهم تجارة في السفر (ولا بيع) في الحضر (عن ذكر الله) باللسان والقلب (واقام الصلاة) أى وعن إقامة الصلاة وحضور المساجد لذلك (وليتاء الزكاة) المفروضة (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) أى هؤلاء الرجال وإن بالغوا في الطاعات من الصلاة والزكاة وذكر الله وجلون خائفون لأنهم يعلمون انهم ماعبدوا الله حق عبادته وما قدره حق قدره ويخشون يوماً تضطرب فيه وتتغير القلوب فتفقه مالم تكن تفقه وتبصر الأبصار مالم تكن تبصر وتخشى الهلاك وتطمع في النجاة (ليجزئهم الله أحسن ما عملوا) يقول اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا وهي الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها . وأما غير الأحسن وهي المساوى فهو يفرها لهم أو يجازيهم جزاء أحسن من أعمالهم من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) فهو لا يقتصر على مكافأتهم على أعمالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) لكمال قدرته وسعة احسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب أى يجرى على وجه الأرض كأنه ماء يجرى (بقية) جمع قاع وهو الأرض المستوية (يحسبه الظمآن ماء) يظنه العطشان ذلك (حتى اذا جاءه) أى جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجده شيئاً) كما ظنه (ووجد الله) أى جزاء الله (عنده) عند الكافر (فوفاه) أعطاه (حسابه) جزاء عمله وافيا كاملاً (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب \* روى انها نزلت في عتبة بن ربيعة ابن أمية تعبد في الجاهلية والنفس الدين فلما جاء الاسلام كفر . وقوله (أو كظلمات) عطف على - كسراب - يقول الله ان أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب الخ وإن كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر لحي) ذى لحي أى عميق واللج معظم الماء (يفشى البحر) موج من فوقه موج) أى أمواج مترادفة متراكبة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب أنوارها هذه (ظلمات بعضها فوق بعض) أى ان البحر يكون قعره مظلماً جداً بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة حداً لا يطاق (اذا أخرج يده) وهي أقرب ما يرى اليه (لم يكديرها) لم يقرب أن يراها

فضلا عن رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يوفقه لأسباب الهداية (فإله من نور) وأما الموفق  
فله نور على نور كما تقدم في مثل المشكاة . واعلم أن الآيات المتقدمة قد اشتملت على ﴿نمطين \* النمط الأول﴾  
تسبيح الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله في مثل المشكاة ﴿والنمط الثاني﴾ السحاب المنديج  
في مثل أعمال الذين كفروا إذا كان فوق الأمواج الهائجة في البحر اللجج الخ لذلك أخذ يذكر ما يناسب الأول  
قائلا سبحانه ان كل من في السموات والأرض يسبحون له وخصص نوعا منها بديع الصنع عجيب الوضع  
والإحكام وهي الطير حال كونها صافات باسقاط أجنحتها في الهواء مع ثقل أجسامها فبالحكمة ارتفاعها  
وبالنظم البديع طيرانها مخالفة لسائر الدواب الأرضية إذ قويت على مخالفتها ومغالبة القوة الجاذبة الأرضية فقلت  
الى الجوّ وعاشت في الهواء الطلق فدالاتها على المبدع الحكيم أقرب وابداعها أحكم كل واحد مما ذكر (قد  
علم) الله (صلاته وتسبيحه) دعاءه وتنزيهه وذلك إما باختياره كالانسان وأما بطبعه كسائر الحيوان والطير  
فانها وإن لم تصل كصلاة الانسان فإن غرائزها المستمدة من النور الأعلى تستمد الرزق والأحوال من المبدع  
وهذا الاستمداد والطلب في معنى الدعاء بالفرية والطبع وهي بما ركب فيها من دقائق الصنعة وبدائع الحكمة  
وما حليت به من الريش الناعم البهيج المجوف الخفيف والمناكير المحددة للمساعدة على النهوض في الهواء . بذلك  
كله تدل على حكمة نظمها وحكيم أبداعها . ألم تر إليها كيف كتب الجلل والأرضاع على ذوات الأربع ولم تحمل  
هي مالا طاقة لها به بل حكم عليها أن تبيض ولم تحصل أذى الجلل والأرضاع خيفة أن يعيقها عن الطيران  
وخف ريشها وكان محجّوا ولم يكن لها كرش ولا أمعاء واستغنى عن ذلك كله بغيره من الحوصلة والقانصة . كل  
ذلك ابداع واتقان لئتم أمر الطيران بخفة الأجسام - فتبارك الله أحسن الخالقين - (والله عليم بما يفعلون \*  
ولله ملك السموات والأرض) فهو يشملهما بعلمه ويملكهما بقدرته . فبالعلم يقدر المصالح وبالقدرة يفعل ما  
يقتضيه العلم من الحكمة فلذلك كان تديرها محكما بحيث خصص كلا بخصوص لا يشركه فيها سواء (والى الله  
المصير) المرجع . ثم أخذ سبحانه يذكر ما يلائم ﴿النمط الثاني﴾ فقال (ألم تر أن الله يزيح السحابا) يقول  
الله بعد أن ذكر في المثل الثاني أن السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجوّ ظلمات ويوقع الراكب في حيرة  
ألم تر أن الله يسوق سحابا (ثم يؤلف بينه) أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق  
بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل (وينزل من السماء)  
من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وألوانها (من برد)  
من التبويض واللثان قبلها للابتداء أى انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها . وذلك أن الأبخرة إذا  
تصاعدت فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحابا فإن لم يشتد البرد تقاطر  
مطرا وإن اشتد فإن وصل الى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بمافيه  
من البخار بردا مفرطا فينقبض وينعقد بخاره سحابا وينزل منه المطر أو الثلج . وهذا المقام قد أوضحته فيما تقدم  
في ﴿سورة الرعد﴾ وسيتضح قريبا (فيصيب به) بالبرد (من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه)  
ضوء برقه (يذهب بالأبصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك من العجائب أن السحاب الذى  
ضرب به المثل في تقوية الظلمة يكون منه نور يكاد يذهب بالأبصار فهذا قد اشتق النور من الظلام والهداية  
من الضلال . فالسحاب الذى ذكر مثلا لظلمة أعمال الكافرين أضاء الجوّ بنور وأشرق في سائر الأقطار  
وكاد يخطف الأبصار ولذلك أعقبه بما هو من قبيله فقال (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبأن  
ينقص من أحدهما ما زاد في الآخر وبتغيير أحوالهما نورا وظلمة وحرا وبردا وغير ذلك كما كان السحاب  
ظلمة واشتق منه نور البرق الذى يبهّر الأبصار (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) لدلالة لأهل العقول والبصائر  
على قدرة الله وحكمته

### ( فصل في علم الحيوان )

اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المؤمنين بالمشكاة ومثل أعمال الكفار بالسراب وبالظلمات وذكر منها السحاب ثم جعل ذلك السحاب موضوع نظر وبحث وبين نظامه وعجائبه وأن الماء ينزل منه أنبعه سبحانه بذكر الحيوانات لأنها من الماء النازل من السحاب . وذلك انه مامن حيوان إلا وهو مركب من مواد أهمها الماء فالما نزل من السحاب وجزى في النهر وتفرقت منه أجزاء فدخلت في جسم كل حيوان (١) فمن الحيوان ما يتكاثر بالانقسام بمعنى انه اذا بلغ أشده انقسم الى اثنين كل منهما الى اثنين وهكذا على التعاقب

(٢) ومنه ما ينقسم الحيوان منه الى عدة حيوانات

(٣) ومنه ما اذا بلغ أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تنمو وتناسل ويموت هو

(٤) ومنها ما ينقسم بالتبرعم وذلك انه ينبت على جسم الحيوان تنوء كالبرعم ثم يبلغ فينفصل ويصير

حيوانا مستقلا

(٥) ومنها ما ينقسم بالبيض إذ يتكوّن الجنين في البيضة كما يحدث في ذوات الفقرات . فنه ما يخرج فيه البيضة من الأتني قبل بلوغ الجنين وتم حضانتها في الخارج كالطيور وبعض السمك . ومنها ما تبقى البيضة في الرحم ويتكوّن الجنين فيه ثم يولد كاملا كالانسان وذوات الأربع من البهائم والوحوش والسباع وما أشبه ذلك . فكل هذه تلد الجنين بعد أن يتربى في بطنها وهذه الحيوانات على اختلاف أنواعها مكوّنة من الماء مختلطا بغيره ممزوجا به متحدا معه وهي

(١) إما حيوانات فقريّة ذات عظام ودم وهي (أ) الانسان (ب) وذوات الأربع (ج) والطيور (د) والسمك (هـ) والزواحف كالحيات

(٢) وأما حيوانات حلقيّة قد تركب جسمها من حلقات (١) وهي الحشرات كالذباب وأبى دقيق من كل ماله ستة أرجل (٢) والعناكب وهي ذوات ثمانية أرجل (٣) وناله أكثر من ٤٠ رجلا (٤) وقارض الخشب (٥) والسود

(٣) وأما حيوانات قشرية ليس لها عظام ولادم ولا حلقات تركب منها جلدها وإنما جسمها هلامي قد يحفظ في قشر يحيط به وذلك كالقوقعة وغيرها مما تقسم شرحه في هذا التفسير

(٤) وأما حيوانات شعاعية تظهر على شواطئ البحار كالحيوان المسمى (سمك النجم) وغيره مما تقسم شرحه موضعا ولعلها تتضح بأوسع من هذا قريبا

هذه هي أقسام الحيوانات وقد علمت انها كلها خلقت من ماء أى ان الماء داخل في تركيبها فتعجب كيف ذكر الله السحاب في مثل أعمال الكفار ثم شرح السحاب وعجائبه ثم ذكر الحيوان المخلوق من الماء من حيث تركيبه منه وكذلك أكثر الحيوان يتولد من نقطة وإنما قلنا أكثر لأن بعضه قد رأيت انه يتولد من تنوء في الجسم أو بالانقسام . فهذا ليس تولده من نقطة بل ذلك بالانقسام - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون - وإذا فهمت هذه المقامة عرفت أيها الذكي قوله تعالى (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الأرض (من ماء) وهو جزء مادته أوماء مخصوص وهو النقطة وقد علمت شرحه وأفيا كاملا (فمنهم من يعيش على بطنه) إشارة الى الزواحف التي هي من ذوات الفقرات كالحيات (ومنهم من يعيش على رجلين ومنهم من يعيش على أربع) وذلك كالطيور وكذوات الأربع كما تقسم (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر وما لم يذكر ومنه ذوات الحلق وذوات القشرو والحيوانات الشعاعية وما يعيش على ستة أرجل وعلى ثمانية أرجل وعلى أربعين رجلا . وهذه تقدم انها من ذوات الحلق (إن الله على كل شيء قدير)

وهو بقدرته نوع الحياة فلم يخص بها ذوات الفقرات ولا ذوات الحلقات ولا الحيوانات ذوات القشر التي جسمها رخوفتاه جعل الحياة سارية عامة فلا يحجبها فقد العظم ولا فقد الدم ولا فقد الحلقات ولا فقد القشر . وترى السود العارية التي لا عظم لها ولا جلد عائشة فرحة . وترى نوع الحشرات وحده كالنمل والذباب والبعوض والناموس والجنادب والخنافس والنحل والجعلان ودود القز ونحوها أصنافا كثيرة ربما زاد عددها على مجموع سائر أصناف الحيوان من الدود الى الانسان . ولقد وجدوا أن الخنافس وحدها نحو (٨٠٠٠٠) صنف ولذلك يقترون الحشرات المعروفة بنحو (٢٠٠٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يكشفونه من أنواعها الصغيرة مليون صنف . وهذه الحشرات كلها ما علم منها وما لم يعلم يمر في دور التكوين على ثلاث درجات فهو يكون دودة لدنة للمس تنسل بين التراب والأعشاب ثم تصير جنديا صلب القشري ثوب ونبأ ثم تصير فراشة ذات أجنحة تتلألأ بالألوان الزاهية . وقد تأكل في دورها الأول التراب فتهمضمه وتصبح في دورها الثاني لاتهمضم إلا أوراق العشب الندية . ومنها دود الحرير فهو يكون دودا فشرقة ففراشة ثم تبيض الفراشة بزورا والبزور تصير دودا والدود يفرز لعابا واللعب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكمن فيه وهي الشرقة ثم يخرج من الشرقة فراشا بأجنحة يتزاوج ويبيض . ومنها الذباب الاعتيادي فهو يلقي بزورا صغيرة بيضاء تصير دودا أبيض وهو الدود المعروف الذي يشاهد في اللحم المتبئن والجبن والمش القديم ثم يتحول ذلك الدود الى جنادب تدب لا أجنحة لها ثم يتحول الى فراش يطير ومنه الذباب الفارسي فانه يكون في الدور الأول دودا ثم يخلع ثوبه ويصير جنديا يدب تحت الماء يتسلق الأعشاب المائية وله قوائم قصيرة بلا أجنحة ولا يمشي إلا في المياه والأحوال فاذا جاء أجل انتقاله الى فراش تسلق أوراق العشب وخلق ثوب (الجندي) فاذا هو خارج من تحتها ذا أجنحة صغيرة جيلة وبعد قليل تصير كبيرة يطير بها الى حيث يشاء . وكان الناس قبلا يظنون أن كل دور من هذه الأدوار حيوانا مستقلا فالدودة غير الجندب والجندب غير الحشرة الطائرة وهكذا . واعلم أن الناس يأكلون الجبن واللحم ويرون فيهما الدود ولا يخطر ببالهم أن هذا الدود هو عين الذباب الذي يطير على وجوههم وطعامهم أنه هو هو وهذا الدود هو الذي يصير جنديا أو شرقة ثم يصير حشرة طائرة وهي التي تبيض وبيضها يصير دودا . ومن ذلك الناموس فانه يضع بزورا في الماء تصير دودا فيه وذلك الدود يصير شرقة وهي تصير ناموسة وهكذا . والطريقة لابادة الناموس ردم المستنقعات والآجام أو تغطية سطوحها بالسائل المسمى بقول . وهذه الأدوار الثلاثة لهذه الحشرات مختلفة . فالدودة لا عمل لها إلا الاغتذاء كالأطفال في بني آدم فهي تموت وتزيد ثم تنكس كما نرى دودة الحرير وقد تكسني ثوبا تنسجه على نفسها من خيوط فهي حينئذ الشرقة وهي كجثة مخططة ملفوفة بالأكفان ثم لا تلبث أن تربي الحياة أخذت تدب في تلك الجثة رويدا رويدا حتى تبعث من مرقدتها وتخلع أكفانها وقد لبست ثوبا جديدا زاهي اللون من أزرق أو أخضر أو أحمر أو ذهبي أو عتيق أو بنفسجي . فتعجب من حشرة بهجة اللون بدبغة التركيب منقشة مرقشة نشأت من رمة جافة لا يظهر للحياة فيها أثر . ومن هذا نشأ تقديس المصريين القدماء للجعلان (جمع جعل) فانها تنشأ من رمة مائة فرمزوا بها للحياة والخصب وأكثروا من رسمها في كتاباتهم ونقشوها على الهياكل وصنعوا لها التماثيل بأقمار مختلفة وكانوا يصلون لها . فاعجب لصنع الله وكيف خلق هذه الجباب ولون الألوان وأبداع الأشكال وحبر الأبواب حتى جعل علم الحشرات مدهشا . وقد تقدم بأوسع من هذا في آخر (سورة الحج) ولعمري ان المسلمين أحقّ الأم بفهم هذه الجباب

أي عذر للمسلمين في جهالتهم . يقول الله في هذه الآيات - فمنهم من يمشی على بطنه ومنهم من يمشی على رجلين ومنهم من يمشی على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . فانظر كيف قال انه يخلق ما يشاء وقال انه على كل شيء قدير مشيرا بذلك الى الاختلاف وحسن الصنع الذي رأيت

وكيف كانت الحشرات موضع العجب للأنم حتى قدس المتقدمون من الأمم بعضها لأن علماءهم لم يبينوا لهم عجائب إلا عجائبها ولوانهم فتحوا لهم باب العلم على مصراعيه كما فتحه القرآن لم يقفوا في العجائب عند حد الجعلان فقدسوه بل التقديس لصاحب الصنعة الذي زين ونقش وزخرف وأبهج صنعه وأبدع اتقانه وجعل دودة ربما هضمت الطين فتصير فراشة لا تهضم الطين ولا تأكله بل تأكل ما هو أظف . إن هذا العالم عجيب . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون . وههنا أربع لطائف

(١) في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله - كمشكاة فيها مصباح - الخ

(٢) وفي قوله - والله يرزق من يشاء بغير حساب -

(٣) وفي قوله - والطير صافات - الخ

(٤) وفي قوله - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الى قوله - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار -

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - ﴾

اعلم أن هذه السورة قد بين الله فيها أحكام الزانية والزاني وجلدهما وبين حكم من رى زوجته بالزنا وعقابه وبين حكم الملاعنة وكيف يتفرق الزوجان بها ثم قصة الافك وكيف خاض الناس فيه وجعل هذا الحديث كحديث مريم ابنة عمران في عفتها وانها أحصنت فرجها . ثم أبان كيف يجب أن يعفو الانسان عمن ظلمه كما امتثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعفا عن مسطح . ثم أمر الرجال والنساء بفض الأبصار وحرم عليهن أن يظهرن زينتهن لغير المحارم ثم بين حكم النكاح والمكاتبه تكثيرا للنسل في الأول وحفظا للفرج وعتقا للعبيد الذين هم عباد الله وبين انه يجب أن ينفق من المال في سبيل العتق فان المال مال الله والخلق عباده فتحا لباب الحرية لأن نبينا ﷺ أرسل رجة للعالمين ومن رحته لهم أن يكون دينه فاتحا لباب الحرية واطلاق العبيد من رقهم . ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبينات ومواعظ للتعقن . ولما كانت هذه الأحكام انما أتت بها لتعليم الأخلاق والآداب وحفظ المجتمع مما يقوض دعائمه وتقويته بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقدمات لما هو أعلى مراما وأجل وأعظم وهي المعارف والعلوم أردفه بقوله - الله نور السموات والأرض - كأنه تعالى يقول أيها الناس لاتلهكم الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وأحكام الزنا والنكاح والقذف وما أشبه ذلك لاتلهكم عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة كما قال في آية أخرى - يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - فههنا كأن الله يقول لاتلهكم أيها الناس أحكام النكاح والقذف والعتق وحده والزنا وعقابه عن عظام الأمور وجلالها . أيها الناس ارفعوا رؤسكم الى أعلى . انظروا الى جالي ونوري في شمس وفي قمر وفي النبات والزهر والنهر . أنا لم أخلقكم في هذه الأرض لتكونوا فيها خالدين وانما خلقتكم لتعيشوا آمنين آمدا ثم أنقلكم الى دار أجل من هذه وان تنالوا تلك الدار الجيلة إلا اذا نظرتم جالي وفهمتم بعض حكمي وابتدأ ذلك بقوله - الله نور السموات والأرض - الخ

واعلم أن الله جعل هذا المثل نبراسا للعوالم المشرقة . ضربه بمناشاهه كل يوم في مساجدنا . يقول الله أي عبادي أتريدون أن تعرفوا حكمتي في خلقي . انظروا القناديل المعلقة في مساجدكم . انظروها ألا ترون أنبوبة فيها زيت أحاط بها زباجة اشتعلت فيها نار فأضاءت المساجد وأنتم تصلون فيها . فهذا نظام مركب تركيبا أنتج هذا النور الذي أشرق على أبصاركم فأضاء لكم مساجدكم هكذا نوري المشرق في عجائب خلق . وههنا أخذ الناس يفكرون في ذلك التمثيل فقوم خصوه

(١) فقالوا ذلك تمثيل لمحمد ﷺ

(٢) وقوم قالوا لآبراهيم عليه الصلاة والسلام

(٣) وقوم قالوا ذلك لك كل مؤمن فعمموا

(٤) وقوم قالوا . كلا . بل هو لكل انسان أى لقواه الدركية

(٥) وقوم قالوا بل هو لقواه العاقلة

(٦) وقوم قالوا هو للقرآن

اختلفت أنظار العلماء في هذا التمثيل على مقدار فهمهم ومقتضى نظرهم ومقامهم في العلم فمن كان لا يعرف إلا الايمان قال به . ومن كان مغمورا في نور النبوة قال بها . ومن كان ذا نظري السموات والأرض والعالم عجم المثل فتارة أرجعه لنفس الانسان وتارة لقواه الداركة وتارة لقواه العاقلة وهذا أعم الأقوال لأن الانسان يشمل الأنبياء والايمان القائم بالقلوب . واعلم أن هذا المثل اللفظي الذي جعل مشا كلا لجانب أجسامنا وعقولنا وادراكنا أشبه بما نصبه الله في الأرض من الأجسام الانسانية إذ أحكم صنعها ونظم أعضائها وخلق وسوى وقدر وأحكم فجعلها العلماء تمثيلا لامور وهي

(١) كالسفينة تركبها الروح في بحر الحياة اللجي حتى تصل الى شاطئ الموت

(٢) أو كالدار فيها السكان المختلفون من القوى الدركية وأعضاء الحس وأعضاء الحركة والمأهضة والمصورة والغاذية وما أشبه ذلك وفيها أمتعة كالصفراء والدم والبلغم ونحوها

(٣) أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتعلم حتى اذا علمت ما تطيقه رمت باللوح وراحت الى ربها كما ان الطفل يقرأ في اللوح ويتعلم حتى اذا عرف القراءة المطلوبة ترك اللوح وذهب الى ما يريد

(٤) أو كالمدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها الخ

(٥) أو كالذكان والروح صاحبها والأعضاء الباطنة متاعها والأعمال تجارتها والريح والخسارة في آخرتها وهكذا . هكذا هذا المثل وهو قديم المسجد

﴿ الوجه الأول من الوجوه السابقة ﴾

إن هذا التمثيل لنور محمد ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد ﷺ وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولولم تمسه نار

﴿ الوجه الثاني ﴾

المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية لا يهودى ولا نصراني - توقد من شجرة مباركة - وهو ابراهيم عليه السلام - نور على نور - نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ وهذان الوجهان متقاربان

﴿ الوجه الثالث ﴾

المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ . سمي الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه - لاشرقية ولاغربية - يعني ابراهيم لم يكن - يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما - لأن اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

﴿ الوجه الرابع ﴾

انه لكل مؤمن وهذا أرقى مما قبله وأوسع مدى على حسب ارتقاء النظر واتساع الفكر فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح الايمان في قلبه والقرآن يوقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده وهذا التمثيل وان كان أعم مما قبله فهو قاصر على قوم مختصين

﴿ الوجه الخامس ﴾

إن هذا تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدركية الخمس التي بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي

ندرك بها المحسوسات بالحواس الخمس . والقوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العاقلة متى شئت ثم العاقلة التي تدرك الحقائق الكلية وتستنتج . ثم القوة القدسية التي تجعل فيها لوائح الغيب الخاصة بالأنبياء فهذه مثلها بالمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألا ترى رعاك الله أن المشكاة بمعنى الكوة قد شابهتها محال الحواس التي قد وضعت فيها ووجهها إلى الظاهر ولأن يدرك ما وراءها كالعين فإنها لا تدرك ما خلفها ولكن تدرك ما أمامها ثم انك تعلم أن الانسان اذا أدرك المحسوسات وصورت في نفسه صارت في القوة الخيالية كما يحس به كل انسان فانا اذا أغمضنا أعيننا فانا ندرك في أنفسنا تلك الصور التي رأيناها فهذه القوة التي حفظت تلك الصور نسماها الخيالية فهي كالزجاجة تقبل صور المدركات وتضبطها ثم إن قوتنا المفكرة أكبر من هذه القوة الخيالية فان هذه القوة السكينة فينا تنصرف في الصور التي في قوة الخيال فنقول هذا حسن وهذا قبيح وتستنتج فهي كالمصباح . فأما القوة العاقلة فهي كالشجرة المباركة لأنها تؤدي إلى ثمرات لانها لها . فأما كونها زيتونة لاشرقية ولاغربية فذلك انها تجرد المعاني عن الصور وتختزع القضايا الكلية التي لا تخص شياً بعينه أي لا تنقيد بالجزئيات . فاذا أدركت أن الكل أكبر من الجزء وأن الشئين المساويين لشئ واحد متساويان فلم يكن هذا المعنى خاصاً بشئ دون شئ فهو لا شرق ولا غرب بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء فهي لشدة صفائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تعليم ولا تفكر

#### ﴿ الوجه السادس ﴾

إن هذا تمثيل للقوة العاقلة وحدها . فهي في بدء أمرها خالية من العلوم ثم تنقش فيها العلوم بالحواس الخمس فتصير كالزجاجة متلاثة في نفسها قابلة للألوان ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة أو بالحدس كالزيت أو بقوة قدسية كالتى يكاد زيتها يضيء فانها تكاد تعلم وان لم تتصل بها العلوم . فان اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شئت فهي المصباح فاذا استحضرتها كان نوراً على نور

#### ﴿ الوجه السابع وهو أسهلها ﴾

قال ابن عباس ﴿ هذا نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور ﴾

هذه هي الوجوه السبعة التي ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآية صالحة لها جميعها لأن الأنبياء ونوع الانسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة في المساجد . وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل انظروا الى هذه القناديل المعلقة في مساجدكم التي نورت أرضها وحيطانها . هكذا أنا أنرت قلوبكم وقلوب أنبيائكم وعقولكم وحواسكم وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ، فابراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الانسان وحواسكم وعقولكم وخیالكم وقواكم العاقلة . كل هذه أنوار مثلت لها بهذه القناديل . اني نور السموات والأرض . أنرت السموات بالكواكب والشموس وأنرت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم وجعلت كل شئ بحساب ونظام وجعلت هذا القنديل مثلاً لكم وأنتم تصالون في مساجدكم فهذا القنديل أذكركم بنوري في سمواتي بالكواكب والشموس والأقمار . وهو مثال أيضاً للألوان المشرقة في نفوس أنبيائكم كمحمد وابراهيم وقواكم العاقلة والحاسة والخيالية وعجائب نفوسكم . إن نوري مشرق في العالم العلوي والسفلي

#### ﴿ عجائب القرآن في قوله تعالى أيضاً - الله نور السموات والأرض - ﴾

انظرأيها الذكي الى نظم القرآن وعجائبه . انظر وتجب . انظر كيف أتى بعد آيات العتق والنكاح والقذف والملاعنة بآيات النور . يقول الله أيها المسلمون . إياكم أن يشغلكم أحكام الشرع واقامة الحدود ونظام

الأسرات والزواج والعق والمكاتبه وأحكام الحرام والحلال عن النظر الى عجائب خاتمي . إياكم أيها المسلمون أن يصرفكم صارف عن عجائب صنعي . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم الكائنات . انظروا الى السراج الموضوع أمامكم في كوة المسجد . انظروا . إن سمواتي فيها سرج من الشمس والأقمار والسيارات . إن عقولكم فيها سرج . إن حواسكم وقواكم الداخلة فيها سرج . إن دينكم سراج . إن أنبياءكم سرج . إن المؤمنين سرج . لاني أضأت كل شئ بأنوارى وعلاوى ظاهرا وباطنا . إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالفضو والآصال فلا تلهيهم تجارة ولا بيع . هكذا لا يشغلكم ما تقدم من علوم الفقه في هذه السورة وغيرها عن النظر الى عجائب صنعي . هذا هو الذي فهمته أيها الذي من هذه الآية وقوله - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الخ

اللهم إني أسألك أن تقدرني على اتعام تفسير القرآن وأن تنشره بين المسلمين . اللهم إني أسألك أن تدير بصائرهم كما أنرت السموات والأرض وأشرفت الأرض بنورك . اللهم ابعث فيهم رجلا منهم يرشدونهم الى مقاصد القرآن فترتقى الأمة الى سبل النجاح وطرق الفلاح

### ( إيضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد )

تبين لك فيما تقدم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن ضعف النوع الانساني وأن المسلمين بعد القرون الأولى سيصبغون قاصرين على الأحكام الشرعية وهم فيها غير ملومين ولا مذمومين ولكن اللوم والذم انما يتوجه اليهم لقصورهم واقتصارهم على الأحكام الشرعية . لذلك تراه في (سورة البقرة) لما ذكر الحيض والرضاع والنفقات والطلاق والعدة والرجعة وما أشبه ذلك فاجأ المسلمين بقوله - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين - ولقد بينا هذا القول هناك فارجع اليه كأنه يقول للمسلمين إياكم أن تشغلكم القضايا والشهود والزواج والطلاق والعدة والمهر والنفقة والعدة وسائر الأحكام الشرعية عن التوجه لله فان هذه أمور لحفظ نظامكم وارتقاء مدنكم واسعادكم في الحياة الدنيا . فأما ارتقاء العقول فانما يكون باتجاه النفوس الى خالق الكون وذلك بالمحافظة على الصلاة والتوجه الى الله فيها . هذا ما كان هناك . ولكن اسمع ماهو أعجب هنا . هناك ذكر الصلاة وهنا أني بما هو أعظم مقاما وأبدع إحكاما . لم يكتف بالصلاة بل ذكر المقصود الأعظم من الصلاة ومن جميع هذه الحياة إذ عبر بالنور الذي عم السموات والأرض نور الشمس ونور القمر ونور السراج . وما نور السراج إلا أثر من آثار أنوار الشمس . ألا ترى الى الزيت كيف كان في الشجر والشجر كيف كان عناصر أرضية والعناصر الأرضية كانت ملء ساذجة لاصورة فيها والمادة قبس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكل فذكر نور السموات والأرض بالكواكب ومثل بالسراج النى هو أثر من آثار النور العام مثل به لما هو أتم وأكمل وهونور العقول والبصائر . وايضاحه أن تقول . اعلم أن العقل عند الحكماء كأرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط والفارابي وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد وأضرابهم إما عقل بالقوة وإما عقل بالفعل وإما عقل مستفاد وإما عقل فعال وهذه هي التي ضرب لها مثل المشكاة على حسب الحقيقة وما تقدم انما هو اجمال وهذه المباحث لا يعقلها إلا الحكماء . ولكني سأضرب لك مثلا يوضح المقام لك حتى تطلع على عجائب الحكمة وبدائع العلم وتقف على السر المصون والجوهر المكنون فأقول

تصوّر شابا ذكيّ الفؤاد رائع الفكر قوىّ الذهن مستعدا للتجارة فهذه حال أولى وهو في صفره ثم إن هذا الشاب تعاطى التجارة وأخذ يقلب المال لقصد الريح فكسب ألفا وبالألف كسب ألفا أخرى وبهما كسب ألفين وهكذا فهذه حال ثانية . ثم انه اذا اجتمع عنده آلاف ونال الفنى على مقدار طاقته بحيث لا يقبل الزيادة وأخذ يقلب المال كله مرة بعد أخرى فهذه حال ثالثة . فهذه الأحوال الثلاثة يمكننا أن نسميها على الترتيب

غنى بالقوة وغنى بالفعل وغنى مستفاد فهو قبل أن يملك شيئاً غنى بالقوة أى انه فى امكانه أن يكون غنيا ومتى ملك شيئاً بعد شئ يقال انه غنى بالفعل بالنسبة لما ملكه وبالقوة بالنسبة لما لا يملكه فاذا تمّ غناه يقال انه غنى بالفعل ولم يبق هناك ما هو بالقوة بالنسبة له فاذا قلب المال كرة بعد أخرى يقال ان هذا غنى مستفاد . هذا مثال أول ( المثال الثانى ) شاب ذكى كالتقدم هو ابن ملك فهو قبل أن يملك يقال له ملك بالقوة فاذا ملكه أبوه ولاية يقال له قد ملك بالفعل شيئاً وبالقوة شيئاً آخر فاذا مات أبوه وولى مكانه قيل انه ملك بالفعل فاذا ألقى الأوامر مرة بعد أخرى قيل ملك مستفاد مثلاً . هذان المثالان اذا عقلتكما أدركت ما سأوضحه لك الآن فأقول . اعلم أن العقول الانسانية فى أول أمرها مستعدة لاقتناص الصور من هذه المادة التى نعيش فيها فكل امرئ فى أول حياته ينظرو ويسمع ويشم ويدوق ويلمس وهذه المذوقات والمشومات والملموسات والمسموعات والمبصرات صفات المادة وصورها وهذه الصور جلايب للمادة وقد عدها الحكماء فكانت ( ٣٦ ) كالألوان والأصوات الخ فهذه الجلايب التى كسبت بها المادة خلق العقل ليكتسب بها ويلبسها فان الطفل نراه مستعداً لفهم ماحوله ودراسته فهو قبل فهم الأشياء عقلها بالقوة لا بالفعل أى انه مستعد للتعلل فاذا عقل صورة بعد صورة وعلم بعد علم يقال انه قد عقل شيئاً بالقوة وشياً بالفعل فاعرفه صار معقولاً بالعقل ومالم يعقله صار معقولاً بالقوة فاذا انتهت معلوماته بأن درس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والسياسية والأخلاقية بحيث وصل الى ما يطيقه نوع الانسان يقال ان له عقلاً بالفعل فاذا استحضرت هذه المعقولات التى خزنها عنده بعد أن صارت بالفعل يقال ان هذا العقل مستفاد . هذه هى المراتب الثلاث التى تقدمت فى مثال التاجرونى مثال ابن الملك . فهذا العقل المستفاد فى نوع الانسان الذى لا يكون إلا لأكابر الحكماء له نظير فى عالم غير عالمنا وهو العقل الفعال . ومعنى العقل الفعال العقل الذى لم يقتصر علومه من المادة بل علومه مفروسة فيه بفطرته فان المادة قد كسبت الصور اللاحقة بها من ذلك العقل ورسم فيها ما كان مرتسماً فيه وجميع الأحوال القائمة به ترسم فى المادة مقسمة عليها وتلك العلوم فى العقل الفعال غير منقسمة فيه لكنها منقسمة فى المادة موزعة عليها ففراها جمعت بين الزرع والحجر والنهر والكوكب الخ ولكن العقل الفعال جمع هذا كله غير مفرق ولا منقسم كما ان عقولنا تجمع هذا وهى غير مقسمة ولا مجزأة بل هى واحدة منزهة عن التقسيم كما هو مبهر من عليه فى كتب الحكمة . وهذا العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا . فاذا كانت أبصارنا مستعدة للأبصار ومعنى كونها مستعدة انه لو أشرق نور فى الهواء وعلى قرنية العين وعلى عدسيتها وأحضر الصور على شبكيته أدركته ووصلته للعين فهكذا عقولنا اذا أشرق العقل الفعال عليها اشراقاً معنوياً كاشراق الشمس فى الهواء وفى العين فان المعانى تتمثل فى عقولنا كما رسمت الصور الصورية فى القوة الباصرة فالعقل الفعال كالشمس والعقول كالعيون واشراق العقل الفعال المعنوى كاشراق الشمس الحسى . فحصل الصور فى العقول كحصول المراتب فى أبصارنا . فاذا حصلت للمعقولات فى نفوسنا واستنبتنا بها علومنا أخرى وهكذا فانه يقال إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه وبالقوة بالنسبة لما لانعرفه . فاذا ارتسمت العلوم فى نفوسنا يقال انها عندنا بالفعل ثم يكون العقل المستفاد ثم إن العقل بالقوة كأنه مادة للعقل بالفعل والعقل بالفعل كأنه مادة للعقل المستفاد والعقل المستفاد كأنه مادة للعقل الفعال والعقل الفعال كأنه صورة له وعلى ذلك يكون هذا الوجود مرتباً فى عقولنا من الأدنى الى الأعلى فالتنا نذكر البسائط ثم المركبات ونذكر الصور المحسوسات التى هى أخس من المعقولات ثم نذكر الكليات ثم تم عندنا وتكمل وتكون عقلاً مستفاداً فأما فى العقل الفعال فان العلوم فيه تنزل من الكليات الى الجزئيات بلازمان بل هى فيه هكذا أبداً وهى تكون فى المادة من الأدنى للأعلى

### ﴿ الصورة والمادة والمعاني والعقول ﴾

إياك أن تظن أن المعاني التي تنقش في عقولنا مثل الصور التي في المادة منقوشة فيها . ولقد اعتاد الناس أن يقولوا إن الصورة غير المادة . ألا ترى أن نقش الخاتم شيء والمعدن الذي نقش عليه شيء آخر كما أن الإنسان شيء واللباس الذي يلبسه شيء آخر فها هنا ليس كذلك فإن المعاني التي تقتنصها عقولنا من المادة تصبح هي نفس عقولنا . وكما أنك إذا رأيت صورتك في المرآة لم يكن هناك شيء غير الصورة فالصورة هي عين المصور (بالفتح) إذ لامادة هناك فالصورة والمصور شيء واحد هكذا عقولنا . فكل معنى عقلناه أو قضايًا اقتبسناها فهي هي عقولنا . فإله أخرجنا من بطون أمتهاتنا لانعلم شيًا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة فاقتنصنا من المادة معلومات وتلك المعلومات أصبحت نفس عقولنا لاشئ وراءها فليست صفات لعقولنا بل هي نفس عقولنا كما أن صورنا في المرآة ليست شيئًا سوى الصورة فإذا نحن عقلنا أنفسنا فالعقل الذي عقلنا به هو نفس العقول . فاذن يكون عقلنا عقلا وعاقلا ومعقولا فإذا تعقل الإنسان نفسه فالعقل هو العاقل وهو المعقول إذ ليس هناك شيئًا متغايران كالجسم واللباس عليه وكل مادة والصورة بل هما شيء واحد . هذا هو السر الذي تراه في ثنايا الكتب الفلسفية قد أوضحت لك على قدر الامكان وبه تعرف كيف انتقل الناس من أدنى الأمور إلى أعلاها . فبينما هم ينظرون الألوان والأصوات إذا هم يرتقون إلى الكليات إذا هم يفكرون في العقول وقد استكملت علومها إذا هم يقولون بالعقول الاستفادة التي تحضر المعقول متى شئت إذا هم يرتقون إلى العالم الأعلى أي الذي ليس في مادة ويقولون إذا نحن قدرنا هنا في الأرض أن نكون عقولا بمجرّد الاطلاع على هذه المادة وأخذ صورها والتصرف فيها وإتنا نلبس ملابسها وتصبح حللا لعقولنا ونذهب بها إلى عالم آخر فأحربنا أن نقول أن هناك عوالم لم تكتسب علومها من المادة بل علومها فيها كاملة . وإذا كنا نقول ههنا مادة فيها صور تعلمنا منها وأخذنا العلم عنها وهي حاضرة أمامنا وأصبنا عالمين بها فإبالتنا ننكص على أعقابنا ولا نقول أن هذا العقل الذي كسبناه منها على منوال العقل الذي أكسبها هذه الصور ولذلك نرى أنفسنا نحذو حذوه فتتطبع بهذه الصور التي طبعها ذلك العقل في المادة وهذه العقول التي غرست فينا واستعدت لدرس هذه المادة مستمدة من ذلك العقل الفعال والعقل الفعال قد جعل هذه المادة كلوح تفرّوه نفوسنا فتقلده وتدرس ما خطه في لوح الطبيعة وتنحون نحو العقل الفعال لأننا نرى أن الأبناء يسبرون على طبيعة الآباء . فإذا كنا نرى جميع صغار الحيوان تتبع في نظامها وسيرها نظام آبائها ووجدنا عقلنا لما كان عقلا بالقوة أخذ يسعى سعيا حثيثا حتى استكمل المعقولات فما الذي يمنعنا أن نقول أن العقول الإنسانية تحتذى حذو عقل ليس في مادة وتقلده وتستكمل العلم لتبلغ شأوه أو تقرب من ذلك الشأوكا كان صغار الحيوان يتبعن آباءهن وأن ذلك العقل الفعال فيه النظام غير مستحدث من المادة لأنه لا يحتاج إليها . أما عقلنا فهو إليها محتاج وعليها يعول ولقد أوضحت لك المقام والله هو الولي الحميد.

أفلا تنظروا تعجب كيف ذكر الله قنديل المسجد ونور الكواكب وأشار بنور القنديل إلى أنوار القلوب وإلى ما ينقش في العقول من المعاني وكيف انتقلنا من مقام إلى مقام حتى وصلنا إلى عالم الملائكة . ولعمري ما ضياء القنديل في المسجد إلا لظواهر الحيطان والسقف والأرض وأن الحقائق في العقول لتفصل تفصيلا وتعرف تحقيقا وقد بين الله ما هو أجل بما هو أقل لأن ما هو أقل أعرف عندنا وما هو أجل مجهول لدينا . وهانحن أولاء وصلنا من هذا المقال لعالم الملائكة - والله من ورائهم محيط - \* وقال الشاعر

على نفسه فليبك من ضاع عمره \* وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ قطرة ماء في تفسير قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض - ﴾

اعلم أن الناس اعتادوا أن يعرفوا عظمة هذه الدنيا بالنظر في السموات والأرض . والقرآن طافح بذلك

وهذا التفسير قد عني بهذا أشد عناية . الله أكبر . جلّ العلم . فهل لك أن أحدثك حديثا جيلًا عجيبًا في هذه الدنيا التي نعيش فيها تطبيقًا على هذه الآية ومن هذا الحديث يتجلى لك أن العلم الحديث أظهر أن جميع ذرات هذه العوالم تفسير هذه الآية وأن هذه الدنيا كلها نور خلقه الله وأن هذا العالم كله نور واننا نعيش في وسط النور وأن ما نراه من حيوان ونبات وسماء وأرض وحجر ومدر . كل هذا ما هو إلا نور متجمد كما مجمد الماء فصار ثلجًا . فهذه العوالم التي شرحتها الأم كلها وذكر مجملها القرآن تدخل في هذه الآية . ومتى سمعت ما أقوله لك الآن وتحققته انشرح صدرك وتثبت أن ترى هذا النور عيانا وأن تحجب عنك هذه الدنيا وصورها الزائلة وتمتع بجمال لانهاية له . فهناك اسمع ما يقوله العالم (هنشو) الذي يكتب في (مجلة هاربر) الأمريكية في سنة ١٩٢٩ وهذا القول نشر في مجلات أخرى فأريد أن أسمعك ملخص ما يقوله ولكني أحافظ على الحقائق العلمية والمقادير تمامًا وأورد القول بإيضاح يناسب هذا التفسير حتى تعرف نور الله وجهاله الذي أشرق في الأرض اليوم وأصبحت علوم الأم في الشرق والغرب مفسرات للقرآن وهم لا يشعرون . يقول (هنشو) إن بعض قطرات الماء قد يكون قطرها ثلث سنتيمتر . ولاجرم إنك أيها الذكي تعرف هذا المقياس فهو مشهور لأن السنتي جزء من مائة من المتر قال فلنكبره

(١) وأخذ يكبره تقديرا مرارا حتى أوصل قطره الى (١٥) سنتيمترا . يقول ومتى صارت قطرة الماء هكذا أصبحت كثيرة الارتجاف وظهرت عليها ألوان قوس قزح

(٢) وإذا كبرناها حتى صار قطرها (١٧٠) مترا زال ظهور قوس قزح ولا نرى فيها إلا الماء لا غير  
(٣) وإذا كبرنا قطر نقطة الماء فصار مائة ميل . قال حينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة ويكون كل جوهر صغير من الماء قد صار مثل (الجوزة) حجما وقياس قطره سنتيان ونصف ومعنى هذا أن جوهر الماء المذكور لا يمكن قسمته الى قسمين كل منهما ماء بل لا يمكن الانحلال الى العناصر التي تتركب منها . فهذا هو الجوهر المائي في حته الأدنى الذي لا يقبل القسمة الى قسمين مائيتين بل يحلل الى عناصره الأصلية التي لا تسمى ماء وهما الاكسوجين والادروجين . وهذا الجوهر المائي الذي كبرناه وقلنا انه لا يقسم اذا أمكنه فرضا وجدناه أشبه بالطرصلاية لاتحاد الاكسوجين بالادروجين اتحادا قويا جدا لا يمكن انفصاله إلا بأعمال كيميائية لاعمل لذكرها ولكن هذا الجوهر المذكور يجب علينا أن نعرف ما فيه لأن العلم لاحد له وشوق النفس لانهاية له . وفوق كل ذي علم عليم . فما أشوقنا الى أن ندخل هذا الجوهر الصغير من النقطة كما دخلنا النقطة وتفرجنا عليها ونحن راكبون في سفينة تجرى في ذلك البحر اللجى . قال حينئذ نكبر النقطة مرة رابعة

(٤) فنجعل قطرها مائة ألف ميل فيصير قطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكثر من أربعين قدما بعد أن كان سنتين ونصفا . ولكن هذا التكبير لا يفيدنا إلا أمرا واحدا وهو اننا نرى كل جوهر مائي مؤلفا من (ثلاثة جواهر) أحدها ( وهو الاكسوجين في الوسط والآخرا واحد عن يمينه وواحد عن يساره وهما من الادروجين . وهذه الثلاثة جواهر فردة أي انها لا تنقسم ومعنى انها لا تنقسم انها اذا حلت لا تكون أجزاءها أكسوجينا وأدروجينا بل أشياء أخرى ستعلمها . هذه الجواهر الثلاثة أشبه بخلاء ومسافات لا غير لامادة فيها وجوهر الاكسوجين الذي في الوسط عبارة عن قنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه (٢٠) قدما وهذه الدوائر هي سطحه والجوهران اللذان من الهيدروجين حوله ما هما إلا دائرتان من النور قطر كل منهما سبعة أقدام تدوران حول مركز من النور . إذن نحن الآن عرفنا الجوهر المائي أولا ولما كبرناه وجدناه مركبا من أشياء ليست ماء ولكنها أشياء أخرى في علم الكيمياء يحلل الماء اليها في جميع المدارس في العالم وتكون عبارة عن مواد أشبه بالهواء وهذا معلوم مستفيض ولكن النفس لاتزال تريد الزيادة في العلم كما قال تعالى - وقل رب زدني علما - وقال ابن سينا في قسيده النفس

أسرع برد جواب ما أنا باحث \* عنه فنار العلم ذات تشعشع  
حيث أن نعرف ما هذا الاكسوجين وما هذا الادروجين بعد أن عرفنا نقطة الماء وعرفنا أجزاء  
كل جوهر منها

(٥) إذن نكبر نقطة الماء المذكورة مرة خامسة ألف مرة أخرى فتصير أكبر من فلك الأرض حول  
الشمس وحيث يصير قطر الجواهر المائي الذي حدثناك عنه وقلنا انه مركب من الجواهر الثلاثة المذكورة الفردة  
ثمانية أميال . فإذا نرى إذن . نرى أن الدوائر التي حدثت عنها في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا  
خطوط وهمية من النور ترسمها نقطة صغيرة من النور تدور حول مركزها في الثانية الواحدة ستة آلاف مليون  
مليون دورة وهذه النقطة الدائرة هي (الكهرباء السالبة) ومركزها النوري يسمونه (الكهرباء الموجبة)  
وهذه الدوائر التي رسمتها النقطة في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا كاللواثر التي ترسمها شعلة نحركها نحن  
بسرعة فترسم دائرة بحسب نظرنا ونحن وفي الواقع لاشئ سوى الشعلة . وبهذا البيان عرفنا أن الجواهر المائي  
رجع الى اكسوجين وأدروجين . وهذان الجوهرا الفرديان رجع كل منهما الى نقطتين من النور نقطة  
يسمونها (سالبة) تدور حول أخرى يسمونها (موجبة) وهذه التي تدور حول الأخرى تكون أكثر من  
واحدة وتكون الدوائر على مقدار تعداد النقط الدائرة . إذن الأمر واضح لا موجد إلا النور فالاكسوجين  
والادروجين نقط من النور لا غير وبالدوران السريع صار كل منهما غازا وبالالتحاد بينهما صار ماء والحقيقة  
واضحة . ما ذلك كله إلا نور . بقي علينا أن نعرف عدد الجواهر المائية التي في النقطة الواحدة من الماء .  
يقول العلامة (هنشو) المذكور ان في النقطة من الماء عدد (خمس) وأمامه عشرون صفرا أى خمسمائة  
ألف ألف ألف ألف ألف جواهر مائي وهذا العدد العظيم من النقط المائية ليس مندجا . كلا . ولا مصمما  
فهناك أبعاد شاسعة كالأبعاد التي بين الكواكب والشمس والأرض بالنسبة لأحجامها فإذا ألصق بعضها ببعض  
لم تملأ إلا جزءا من مائة ألف ألف ألف جزء من النقطة . إذن قطرة الماء المذكورة عبارة عن نقط من  
النور وهذه النقط يدور بعضها على بعض وبشدة السرعة ترى مواد غازية وهذه باتحادها تكون ماء وهناك  
فضاء بينها بحيث تكون النقط بالنسبة للفضاء أشبه بالنجوم في مداراتها مع البعد الشاسع بينها كالذي بين  
الأرض والشمس وليس هذا خاصا بالماء وأجزائه . كلا . بل جميع الأجسام من جبل ونبات وحيوان أنوار أو  
كهرباء متحركة في شكل عناصر متحدة قد بلغ عددها (٩٢) في وقتنا الحاضر مركبات من نقط النور المذكورة  
إذن جميع عالمنا نور وأي قطرة من الماء أو أي قطعة من حديد أو حجر أو طين ماهي إلا نقط من النور تدور في فضاء  
ترسم دوائر من النور الخ . فقطرة الماء مثلا أشبه بالمشكاة وهكذا كل قطعة في المادة ودوائر الأنوار الحادثة داخلها  
بسرعة جرى النقط النورية في عناصرها أشبه بزجاجة المصباح والمصباح أشبه بالنقط النورية التي في مركز كل من  
الاكسوجين والادروجين فيما تقدم وهكذا بقية العناصر . فهنا ظهرت المشكاة وظهرت الزجاجة وظهر المصباح  
وبقي ما يوقد منه المصباح فجعله يوقد من شجرة مباركة زيتونة لشرقية ولاغربية الخ وهذا هو الذي غاب  
عن الناس الآن . نعم ان وصف شجرة الزيتون بأنها لشرقية ولاغربية ربما يفيد انها ليست من عالمنا  
الأرضي بل من العالم الإلهي الذي لا ندركه . اللهم ان قطرة من الماء أصبحت نورا وقطعة من الحجر أصبحت  
نورا وهذا النور ما أشرق إلا من نورك ولا ظهر إلا من جالك ولكنك أريته لنا غير نور فقد حبستنا في حواسنا  
فرأت الجبال غير جبال ولا سبيل لنا إلا أن ندرس جالك الظاهر في عالم الطبيعة الذي حجبتنا عنك ولعلنا اذا فارقتنا  
نرجع لعالم النور ونشاهد جبال وجهك المحتجب عنا وسناء كمالك وبهاتك الذي توارى بحجاب الحس ونكون  
— في مقعد صدق عند مليك مقتدر — فنشاهد تلك المناظر الحسنة البهجة إذن هذا العالم ماهو إلا نور متراكم  
وجبال احتجب وسعادة اختفت ولا سبيل الى السعادة إلا بإدراك الحقائق وذلك بالعلوم . ولقد استبان من هذا

البحث أن قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - قد وصل هنا الى قرار مكين ، فالكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة المذكورتان كل منهما زوج وهما زوجان كالذكر والأنثى وهذان الزوجان اتحدا كالذكور والاناث من الحيوان والنبات . وهذا السر الذي ظهر الآن هو الذي ظهر في الدين المجوسى قبل دخول الخرافات عليه كما تقدم في (سورة الأنبياء) إذ جاء فيه أن الله خلق أصابن وهما الخير والشر . وليس يقوم العالم إلا بهما . ثم جاء المتأخرون منهم فجعلوا الخير والشر لإلهين لا لواحد كالمقدمين وهكذا طبع العدد زوج وفرد وعلم الحساب جمع وتفريق والعالم مركب من التنافر والمحبة . فكل هذه عبارات ترجع الى معنى واحد وهو الذى جاء في قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - فمن علماء اليونان من قال أصل العالم العدد . ومنهم من قال الكراهة والحب . هذا ما فتح الله به في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

﴿ النور قديما وحديثا في أرضنا ﴾

(١) المشاعل

(٢) مصايح الزيت

(٣) قناديل الشمع

(٤) زيت البترول المعروف

(٥) الغاز الذى هو خلاصة الفحم المحترق الجارى في الأنابيب لانهارة المدن

(٦) خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسيرتو) أى بخارها الذى يغشى عادة بغشاء يحفظ ضوءه

(٧) ضوء الكهرباء الذى عمّ الأقطار الآن أيام كتابة هذا التفسير . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - والله يرزق من يشاء بغير حساب - انظرها في (سورة آل عمران)

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - والطير صافات - وهى جوهرتان ﴾

( الجوهرة الأولى في تسبيح الطير )

إن مقام تسبيح الحيوانات وغيرها قد تقدم في (سورة الاسراء) عند قوله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - وهكذا في (سورة هود) واستبان هناك أن التسبيح والتحميد من المخلوقات لا يعرفان إلا بقراءة جميع العلوم ومن ذلك دراسة الألوان التى وضعت في (سورة المؤمنون) ومسألة نعمات الأسماك في (سورة الرعد) وبيان أن التسبيح والتحميد لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشر وأن الجحوس تخلصوا منها بأن للعالم إلهين والاسلام أرجعها للتسبيح والتحميد . وبيان أن المسبح والحمد وهو جاهل كالخشرة المستدفئة بالزهر للملحقة للشجر ولا علم لها . وبيان أن هذه الانسانية اليوم جاهلة هذا الوجود . وبيان أن الصوفية الذين يتبعهم أكثر المسلمين ينهونهم عن العلم فأرسل الله على لسان الشيخ الخواص وهو منهم ما يفيد أن الجاد يعقل وأن الأشجار تتعاشق وقد ظهر في الكشف الحديث ووضح في هذا التفسير تعاشق الأشجار أما ان الجاد يعقل فهذا لم تصل له عقولنا . نعم عقولنا عرفت أن النبات يحس ويتحرك كالحيوان كما أثبتته العالم الهندي بمصر وتقدم في (سورة الحج) أما كونه يسبح وكون الجاد يعقل فهذا لم تصل له غاية الأمر أن الأم اليوم تعرف أن كل جاد متحرك حركات سريعة تعد بمئات الألوف في ثانية . وقد استبان فيها تقدم لما إذا ظهر هذا على ألسنة الصالحين من المسلمين وأن حكمة ذلك اقامة الحجبة على الصوفية في زماننا اذاهم قصرها في معرفة العلوم التى هي فروض كفايات . وبيان أن المفتوح عليه منهم نادر وهم كالمبتلين من أهل الهند البوذيين الذين رفعوا أنفسهم عن الشعب (انظره هناك في سورة الاسراء) انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في الطيور الرحالة . مترجم عن الانجليزية ﴾

إن الطيور على ﴿ نوعين ﴾ نوع يصرف حياته في مكان واحد ولا يفارقه ولا يذر شجرته أو المستنقع

الذي يبني فيه بيته ويعيش فيه أكثر من خطوات معبودات إلانادرا جدا . ونوع آخر لا يألو جهداً في الخط والترحال مدة الحياة وفي جميع العصور فيكون في مكان بضعة أشهر ثم يرتحل آلافاً من الأميال ليصرف بقية السنة في مملكة أخرى . وهذه الطيور تسمى (طيورا رحلة) لأنها دائماً على هذه الحال وهذا النوع طائفتان طائفة تألف رحلة الشتاء وأخرى تألف رحلة الصيف . فالأولى تسكن البلاد الحارة وترحل إلى الباردة شمالاً والثانية تسكن البلاد الباردة وترحل للحارة جنوباً طلباً لحرارة الشمس . إن الإنسان عند سفره يدفع أجرة السفينة في البحر أو القطر في البر . ولكن الطيور الرحالة لا يعوزها إلا أجنحتها . فلا أجرة تدفعها ولا سفينة تقلها ولا قطر يحملها في البر . فتراها أسراباً تطير في جوف السماء مارة بالبحار وبالممالك المختلفة . إن ارتحل الطيور من أعجب الجباب العظيمة المدهشة في هذه الدنيا وبدائعها وعجيب نظامها . ففي فصل الربيع من كل سنة في يوم معين يصل إلى أوروبا طوائف من الطيور وتبتدى قتبني أعشاشها في الأماكن التي بنت فيها في السنة الفائتة وقد يبني العش طير صغير على الطريقة التي بنى أبواه بها العش الذي تربى فيه هو في العام السابق بحيث يكون قريباً منه . وقد يقوم بعض الناس بتجارب لمعرفة بعض عادات هذا الطير فيصنعون منها جماعة ثم يعلمونها بعلامات خاصة كدوائر وغيرها ليعلموا هل هذه هي التي تصل في العام القابل . وقد ثبت لهم بهذه الطريقة أن الطائر المسمى (الخطاف) بالعربية و(سولو) بالانجليزية الذي يصرف زمن الشتاء بالقرب من (بحيرة تشادو) في أواسط أفريقيا يبني أعشاشه لتربية صغاره سنة بعد سنة في حائط من منزل مخصوص في قرى الفلاحين ببلاد الانجليز . إن طرق السفن البحرية الرئيسية في البحر الأبيض من أوروبا إلى أفريقيا (ثلاثة) مبتدئة من شبه جزيرة اسبانيا وإيطاليا واليونان . والمسافرون في هذه الطرق على السفن بالبحر الأبيض المتوسط زمن الخريف غالباً يرون أسراباً كثيرة من (الطيور الرحالة) طائرات جنوباً إلى بلاد الجزائر وبلاد تونس وبلاد مصر

### ﴿ ماسبب رحلة الشتاء والصيف ﴾

وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم رحلت هذه الطيور . ولقد أجاب على هذا السؤال علماء الحيوان الذين هم أقرب إلى العلم بأحواله من سائر الناس فقالوا إن تلك الأقطار التي يرحل لها ذلك الطير أوفق إلى تربية صغاره وتغذيته بالأغذية الموافقة لها . وهذا السبب ذهبوا إليه لأنهم لم يعرفوا الحقيقة يبحث أوفى وطريق أقرب فليس من الناس من يعرف السر في ذلك على حقيقته والله أعلم . انتهى (ترجم من الانجليزية)

### ﴿ حكمة ﴾

إن سفر هذه الطيور الأوروبية إلى أفريقيا وسفر الطيور الأفريقية إلى أوروبا أشبه بسفر الناس من إحدى الجهتين إلى الأخرى ارتياداً لطلب الرزق وجداً في طلب العلم وذلك كله مما يعلم الإنسان أن الأرض كلها منزل واحد وقد عرف هذه الحقيقة الطير فعمل بها وقال لي رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف . ولكن الناس يناقش بعضهم بعضاً على الأمكنة وفاتهم بل جهلوا أنهم أسرة واحدة وسيعرفون هذه الحقيقة في مستقبل الزمان حينما تم الرحلة أهل الأرض (انظر شكل ١) و (شكل ٢)



( شكل ١ - صورة الخطاف )



( شكل ٢ - صورة ورود الطيور المهاجرة من كتاب « علوم للجميع » المسمى (ساينس فورال)  
تأليف العلامة (روبرت برون)

وهنا « فائدتان \* الفائدة الأولى »

#### « أسرع المخلوقات الحية »

كشفت منذ مدة قصيرة الدكتور (تشارلس تونسنند) البحاث الأيركي الشهير حشرة غريبة في البرازيل تعد أسرع المخلوقات الحية لأنها تقطع ٨١٥ ميلا في الساعة أو نحو ١٤ ميلا في الدقيقة و ٤٠٠ ياردة في الثانية فتكون سرعتها نحو من نصف سرعة رصاصة البندقية التي تجتاز ٩٠٠ ياردة في الثانية بينما الطائرة لا تجتاز أكثر من ١٣٠ ياردة في الثانية وأسرع انسان لا يجتاز ١١ ياردة في الثانية . أما اسم هذه الحشرة فهو (سفنوميا) وهي موجودة في أمريكا الجنوبية والشمالية وبعض أنحاء أوروبا . وإلى الآن لم يتمكنوا من معرفة مصدر سرعتها الحقيقي وقد قدروا أن جناحيها يدوران عدة آلاف من المرات في الثانية بينما أسرع طائرة لا يهور دولابها الأمامي أكثر من ٢٠٠٠ مرة في الدقيقة . وقد قال الدكتور (تشارلس تونسنند) المذكور ما يأتي « لو أتيح للإنسان أن يطير بسرعة هذه الحشرة لتمكن من الدوران حول الأرض في ١٧ ساعة فقط فانه يترك (نيويورك) الساعة الرابعة زوالية صباحا ويفطر فوق (ريو) ثم يجتاز (باكين) ويتناول الشاي

فوق (الاستانة) والغداء فوق (مدريد) ويصل (نيويورك) الساعة التاسعة زوالية مساء وهذا ميعاد دخول الاوبرا ) وقد حرك اكتشاف هذه الحشرة اهتمام المهندسين والمخترعين وأخذوا يتحدثون متسائلين ولماذا لانعمل الفكرة فنصنع طائرة بسرعة هذه الحشرة أو أسرع ، وعسى أن يحقق اهتمامهم رغبتهم هذه فيقوموا للانسانية بخدمة جليلة لا تقدر ولا تخمن

### ﴿ مقاييس السرعة ﴾

نظم القائد (ارنولد) الأمريكى قائمة بمقاييس السرعة وهى كما يلى

- (١) أعظم سرعة للانسان الراكض ٢١ ميلا فى الساعة
- (٢) سرعته على المزلفة ٢٢ ميلا فى الساعة
- (٣) أعظم سرعة للحصان ٣٩ ميلا فى الساعة
- (٤) أعظم سرعة للدراجة (بيسكيت) ٧٥ ميلا فى الساعة
- (٥) أعظم سرعة للدراجة البخارية ١١٢ ميلا فى الساعة
- (٦) أعظم سرعة للقطار الحديدى ١٢٠ ميلا فى الساعة
- (٧) أعظم سرعة للطيارة ٢٨٨ ميلا فى الساعة

### ﴿ أسرع طيارة فى العالم لاجناح لها ولا مراوح ﴾

صنع المسيو (شبادلين) وهو مهندس فرنسى شهير نموذج طيارة بلا جناحين ولا مروحة فى مقدمتها ومع هذا فهى تطير . ويعتقد هذا المخترع أن الطيارة التى تصنع على نخط نموذجها هذا يمكنها أن تقطع من سبعائة الى ألف ميل فى الساعة . فهى والحالة هذه تسبق الشمس اذا بارتها فى شوط بين باريس ونيويورك . وقد قال المخترع ضاحكا ﴿ انه يتسنى لركاب طيارتى أن يتناولوا الغداء فى الجراندى بولفارديباريس ويشربوا الشاي فى بروداى بنىويورك ﴾

والمسيو (شبادلين) مقتنع بأن طيارته التى أسماها ﴿ جيروبتير ﴾ ستكون طيارة المستقبل القريب . وقد أيد النموذج الذى صنعه لهذه الطيارة أقواله بكيفية مذهشة . ويبلغ طول نموذجها هذا نحو عشرين قيراطا ولا يزيد ارتفاعه على قدم واحد . وهوىحاكى الطيارات العادية فى هيكلها . وعلى كل من جانبيه دولاب كرف البواخر النهرية أو كالتى كانت مستعملة لبواخر البحار فى أول عهد البواخر . وكان يقتضى لهذا النموذج محرك تكون قوته ١ من ٧ حصان ووزنه أوقية وربع . ولما كان محرك كهذا معدوم الوجود جهز المخترع نموذجها بمحرك كهربائى وأوصل اليه التيار بأسلاك لينة من دنيو صغير وضعه على المائدة وماكاد يوصل التيار به حتى أخذ رفاها يدوران بسرعة ٧٠٠٠ دورة فى الدقيقة وأخذت تلك الطيارة الصغيرة ترتفع وتدور فى الجيرة . وقد جعلت مغالق متحركة حول أغشية الرفاسين تستخدم لتحويل مقدم الطيارة الى أعلى أو الى أسفل . ومبدأ المخترع فى طيارته هذه العجيبة هو من قبيل مبدأ المركبة الألمانية المسماة (روكن) فالرفان فى الطيارة التى نحن بصددنا يقومان مقام المروحة التى تكون فى مقدمة الطيارة العادية وهما اللذان يدفعان الطيارة ويسيرانها . ويقول المخترع ﴿ إن سرعة هذه الطيارة يمكن أن تزداد اذا استعمل الفازلهاك الذى ينساب من المحركات على مبدأ الصاروخ ﴾ . ولهذا الطيارة ميزة أخرى كما يقول مخترعها وهى ان رفاها وأغشيتها تقوم مقام المظلة الوافية (الباراشوت) فى حالة إصابة المحرك بعطل فتنزل الطيارة الى الأرض ببطء بقياها خطرا الاصطدام الشديد ولا يخفى ما لهذا الاختراع من الأهمية الكبيرة فى عالم الطيران . انتهت الفائدة الأولى

### ﴿ الفائدة الثانية ﴾

جاء فى الأنباء البرقية فى ١٠ يونيو سنة ١٩٢٧ مانعه

### ﴿ ارتياد القطب الشمالي ﴾

عاد الكائن (جورج ولكنس) بعد ماضيه ضباب الدائرة المتجمدة الشمالية وردّه على أعقابهِ وترك وراءه إحدى طياراته وسط الثلوج المتجمدة في ساحل (الاسكا) الشمالي وقد قال ﴿ إن دليله جواهم طار في ٢٨ مايو إلى ابتاه في جرينلند ومن هناك إلى مستودع الوقود والمؤونة في رأس بارو ليحاول حلّ المسألة القامضة عن مهاجرة الطيور إلى أقصى الشمال وينتشر مما إذا كانت قارة الانلنيك التي ورد ذكرها في الأساطير موجودة في مكان لم يصل إليه بنو البشر ولكن البعثة عدلت عنها الآن كما عدت في السنة الماضية من جراء الضباب الكثيف ومطبات الثلج المسترة والطيارات يطيران في عالم كله ضباب لا يحترق ﴾ انتهت الفائدة الثانية وانما قلت لك هذا الخبر البرقي لتطلع على غرام الأمم التي يعيش معها المسلمون أولئك الذين يخطرون بأنفسهم ويعرضونها للتهلكة في سبيل العلم . وأى علم هو . هو علم الطيور في مهاجرتها . تلك الطيور التي ذكرها الله في القرآن انها مسبحات مصليات فكان على المسلمين أن يعشقوا العلم ليعرفوا عجائب صنع ربهم ولينتهجوا بالجمال والبهاء والحكمة والنور . فهل الأمم التي تدرس كل علم كالأمم النائمة . يقول الله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب - ويقول - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعي الأبصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور -

### ﴿ اختراع الطيارات ﴾

في سورة (المائدة) في آية الغراب وفي (النحل) عند قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - تقدم الكلام على البالون والطيارات ورسم بعضها في سورة النحل اهـ

### ﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ ﴾

لقد ذكرت لك فيما تقدم في ﴿ سورة الرعد ﴾ ما يناسب قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - من أمر الثلج . وذلك أنك ترى هناك أشكالا منظمة عجيبة مستندة الشكل مرسومة في القرن الماضي بهجة المناظر حسنة الأشكال . ولكني هنا أريد أن أريك ما يناسب هذا المقام من عجائب العلم في هذه الآية ﴿ أولا ﴾ أبين لك ما كان يعلمه علماء القرن الثاني عشر الهجري من أم الاسلام إذ كان العلم لديهم قليلا وقد جاء على لسان صلحائهم ما يناسب كشف العصر الحاضر ﴿ ثانيا ﴾ أذكر لك الجبال الثلجية من كتاب علوم الجميع تأليف العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومقلا لغيره في ذلك ﴿ ثالثا ﴾ أذكر ما أبدعه صديقنا مصطفى بك منير في الجمعية الجغرافية أمام ٢٥٠ عالما من علماء أوروبا تفسيرا لهذه الآية . فهذه ﴿ ثلاثة فصول ﴾

### ﴿ الفصل الأول فيما جاء في أقوال علماء الاسلام في القرون المتأخرة ﴾

قد ذكرت سابقا في هذا التفسير أن الشيخ أحمد بن المبارك الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري كان عالما من أكابر علماء الاسلام وقد لقي الشيخ عبد العزيز الباق لذي لم يدرس ولم يتعلم وأن الأول قد أدهشه الثاني بعلمه . فلا سمحك ما أجاب به في هذا المقام وأقدم لك مقدمة فأقول

لقد ذكرت في هذا التفسير أن العالم الديني في الاسلام يجب أن يكون علمه أوسع من علم الفقيه وهاهي ذه الجملدة الآتية تبين لك كيف كان الناس في العصور المتأخرة يسألون علماء الاسلام في أغور وأصعب مسائل الطبيعة الفيزيائية مقلظين كيف يستل ابن المبارك للذكور في ذلك . وكيف بحث عن الجواب في كلام الفلاسفة الاسلاميين وعلماء الحديث وغيرهم فلم يجد طليح ثم كيف سأل الشيخ الباق فأجابه بما لم يعلمه إلا علماء العصر الحاضر . فهناك البيان وهذا هو السؤال الذي ورد عليه

﴿ الحمد لله . ساداتنا الأعلام . أدام الله بكم النفع للأنام (١) جوابكم في الثلج ما أمله (٢) هل ينزل كذلك من محله منعقدا (٣) وماله الذي ينزل منه ؟ (٤) ولأى شئ خص بالبلاد الشديدة البرودة ؟ (٥) ولأى شئ خص بالجبال (٦) ولماذا نراه تارة مجتمعاً مع المطر وتارة وحده وهو الأغلب (٧) ولأى شئ خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل (٨) وأيضاً الصاعقة لاتنزل إلا إلى البلاد الباردة والجبال ومواضع الشجر بخلاف الأرض المستوية الحارة مثل الصحراء فان أهلها يقولون انها لاتنزل فيها فلماذا ؟ هذا ملخص السؤال . فلما أخذ يبحث في كلام علماء الاسلام رأى ما يأتي

﴿ أولاً ﴾ أن أهل السنة والجماعة لم يفتوا في هذا فائدة . قال إنه قرأ كتب التفسير والحديث وعلم الكلام فاعثر على شئ فيها . ومن هؤلاء الحافظ السيوطي مع علو درجته في الآثار لم يتعرض لذلك لآي كتابه المسمى ﴿ الهبة السنية في الهبة السنية ﴾ وقد وضعه في علم الهيئة لأمثال هذه المسألة ولآي حاشيته على البيضاوي ولآي ﴿ الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور ﴾ ولآي كتبه الأخرى مع أنه أكثر فيها من الكلام على الرعد والصواعق والمطر والسحاب والبرق . وأيضاً لم يتكلم على الثلج والبرد ولا على سببهما . قال وإنما رأيت ذلك في كلام البيضاوي نقله عن الحكماء . وملخص ذلك أن البخار المائي إذا وصل إلى الطبقة الباردة صار سحاباً وزلت الأجزاء المائية فهي على أحوال إما أن يكون بردها قليلاً فتكون مطراً وإما أن يكون بردها شديداً فان جدت قبل الاجتماع فهي ثلج وان جدت بعد الاجتماع فهي البرد . ولما قل كلامه كله اعترض على البيضاوي في نقله كلام الفلاسفة . هذا هو الذي رآه ابن المبارك في كلام المتقدمين . ثم رجع إلى الشيخ الدباغ فعلمه وأجاب بما يأتي

(١) إن الثلج ماء عقدته الرياح وأصله غالباً من ماء البحر المحيط . وهنا أخذ يشرح ارتفاع البخار في الجو وأنه يصير مثل الهباء ثم تجتمع أجزاءه لأجل ما فيه من النداءة وينزل على هيئة الصوف أحياناً وعلى هيئة أخرى أدق منها أحياناً . فهذا أصل الثلج . أما البرد فان المسافة بين انعقاده ونزوله غير طويلة وهو من مياه البحور والغدران وأنه انما ينزل على هيئة الطعام المقتول الغليظ وإنما غلظ لأجل مصاكة الرياح له فراجت أجزاءه في الهواء تحت أيدي الرياح مثل روجان أجزاء الطعام تحت أيدي المرأة في الصحفة فحصل فيه فتيل مثل ما يحصل في الطعام . قال ولوانه تأخر نزوله ودامت المصاكة لانهقت أجزاءه وصار ثلجاً ، فهذا بيان أصل الثلج وبيان الموضع الذي ينزل منه وبيان البرد

(٢) وأما قولكم ﴿ لأى شئ خص بالبلاد الشديدة البرد الخ ﴾ لجوابه أن للثلج لايزال على انعقاده حتى يطرأ عليه مانع والمانع يجمله مطراً وذلك المانع هو الأجزاء البخارية الصاعدة من الأرض الحاملة للحركة فلذا لقيت للثلج كسرت يرودته فصار مطراً وهذا البخار الحار يكثر في البلاد الحارة والسهول ولذا لا يرى فيها ثلج . ولو فرض أنه رقى ذلك لا يطول مكثه بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فانه لا مانع فيها من بقاء الثلج على انعقاده

(٣) فأما كونه ينزل مع المطر أو وحده فذلك لما يأتي . إما فوبان بعض أجزائه بالأجزاء البخارية المذكورة فينزل الذي لم يذب ثلجاً والذي ذاب مطراً ولذلك يكون المطر النازل معه في الغالب ضعيفاً رفيعاً مسحوقاً مثل الثلج . وإما انه نزل قبل تمام انعقاده فان الرياح تحمل ماء فينعقد ثم تحمل ماء آخر فاداً نزلاً نزل الأول ثلجاً والثاني مطراً

(٤) وأما اختصاص الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل . لجوابه أن ذلك لقرب الجبال والأرض العالية من الجو الذي هو في غاية البرودة . فأما السهول فهي بعيدة منه

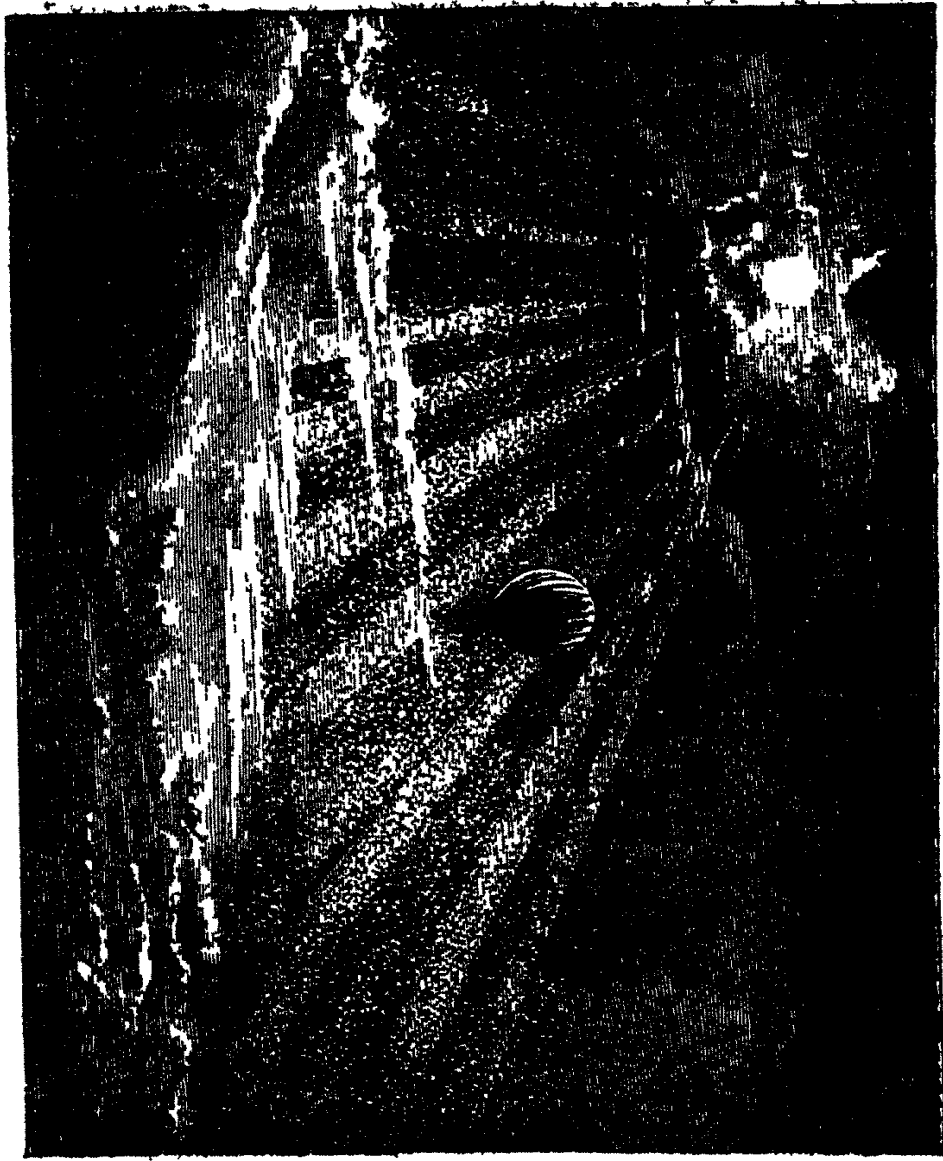
(٥) وأما الصاعقة التي ذكرتموها فان القول بعدم نزولها في الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح

فانها نزلت بسلاد (سلجماسة) وهي أرض مستوية سهلة كانت صحراء . ولما آتم الجواب قال واعلم أن هذا أخبر به من عين الامر على ما هو عليه من أرباب البصرة الخ (يريد الشيخ الدباغ) وقد سأل الشيخ السباغ أيضا قائلا « هل في السماء جبال من برد كما قاله بعض المفسرين » أجاب ليس فيها ذلك . والمراد بالنساء في الآية ماعلاك فكأنه يقول من جهة العلو وجبال البرد تكون في جهة العلو بحمل الرياح لها من الأرض الى الجهة المذكورة . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في مقال بعض علماء الطبيعة في عصرنا ومادبجه العلامة (روبرت براون) الانجليزي في كتابه علوم للجميع ﴾

قد جاء في كتاب « الفلسفة الطبيعية » في تعريف البرد انه قطع من الجليد متفاوتة الحجم فنما ما هو أصغر من الحص . ومنها ما هو بقدر البرتقال . ومنها ما هو بين هذين الحجمين . ولا يعرف كيف يتكون . والظاهر انه يحدث من هبوب ريح شديدة البرد وتتخللها ريح أخرى أحر منها جدا وهي مشبعة رطوبة تقريبا ولكن تعليل هذه الرياح الباردة عسر وغير معروف . فانظر الى علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر كيف تحيروا في تعليل البرد ووازن بين هذا وبين كلام (الشيخ الدباغ) الذي قال ان السماء ماعلاك وأن البرد ما هو إلا مادسرجته الرياح من المواد المائية ولم يطل زمنه وشرح شرحا طويلا ضافيا . فلنفض القول في مسألة الثلج والبرد من كتاب « علوم للجميع » فنقول

اعلم انني قدّمت لك في (سورة الرعد) عند الكلام على الثلج انه عند القطبين يكون دائما ويأخذ في الارتفاع شيئا فشيئا . ومعنى هذا أن الثلج دائم في جميع أنحاء الدنيا غاية الأمر أنه مرتفع عند خط الاستواء وهو على الأرض عند القطبين وما بينهما يكون بالنسبة لهما ارتفاعا وانخفاضاً . فاقرا ما ذكرته هناك ثم انظر هنا ما يقوله فسترى عجبا عجبا . ستري ما قاله الله في القرآن يشاهد عيانا ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ستري ما بهز عنه خول العلماء سابقا وانما شرحه (الشيخ الدباغ) الذي لم يتعم . قد ظهر له بالمعينة . ستري أيها الذكي ما جاء في القرآن من أن هناك جبالا فيها من برد حقا وصدقا . ومعنى هذا أنك الآن ستشاهد صورة الجبال الثلجية المرتفعة فوقنا وتعجب من المسلمين الذين تركوا جميع العلوم وجهلوا حق الجهل . واذا قرأ المتعلم هذه الآية تحير وقال في نفسه هل السماء فيها جبال من برد . واذا كان المطر ليس من نفس السماء فكيف يكون البرد منها . وكيف تكون هناك جبال فوقنا من برد . كل هذا كان يحيرني أنا ولم أعرف تمام هذه المعاني إلا من إيضاح (الشيخ الدباغ) ومشاهدة المناظر التي سترها الآن وهي منقولة من الكتاب الانجليزي المذكور . أفلمست بعد ذلك أيها الذكي توقن أن ذل المسلمين اليوم انما جاء لجهلهم الفاضح وانهم معاقبون في الدنيا والآخرة على هذه العلوم . فاسمع إذن كلام ذلك العلامة . قال ﴿ إن الثلج يظهر في أعلى الجوف في كل مكان في الأرض وعند كل خط من خطوط العرض غاية الأمر أن ذلك الثلج قد ينوب قبل نزوله الى الأرض إذ يقابل الطبقات المنخفضة الحارة فهذه الحرارة تذيبه . إذن ما من بقعة في الأرض إلا وفوقها ثلج . فنه ما ينزل اذا لم تقابل الحرارة في الأماكن المنخفضة . ومنه ما لا ينزل ﴾ وهذه صورته (شكل ٣)



( شكل ٣ - صورة ألواح الثلج في الأقطار العالية من الجبوة قد تغطيتها أشعة الشمس )

ويقول المؤلف قبل ذلك في صفحة ١٧٩ مانصه ﴿ إن جسم الثلج لطيف جدا حتى انه يشغل مسافة أكبر من المسافة التي يشغلها الماء (٢٤) مرة . أما معنى الثلج فان الماء الذي يكون منه لا يشغل إلا عشر معنى الثلج . فاذا كان مقدار الثلج عشري بوصات فهذا القدر لا يعادل إلا بوصة واحدة من الماء ﴾ هذا كلامه لأن بهذا عرفنا السر في أن الثلج مرتفع في أهل الجبوة . ذلك لأنه خفيف جدا فارتفع . هذا ومعجب أن الشيخ عبدالعزيز الدباغ المتقدم ذكره يقول فوق ما تقدم في صفحة ١٣٩ من الكتاب المذكور مانصه ﴿ وكما مرة أنظر الى طرف الماء الموالي للجبوة الذي فيه الرياح فأرى فيه جبالا من الثلج لا يعلم قدر عظمتها إلا الله ﴾ ونرجع الى مانحن فيه فنقول . ثم إن هذا الثلج الذي رأيته في الشكل المتقدم معرض لأن ينزل الى الطبقات المنخفضة الحارة فيرجع بخارا . فإذا فعل الله لحفظه . خلق له الجبال فتى صادف ذلك جبل

مرتفع احتفظه وضمه اليه ورسا فوقه حتى لا ينزل ويبقى ثلجا دائما فوق الجبل وهذه صورته ( شكل ٤ )



( شكل ٤ - هذه صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب والجبال المتصلة بها والثلج الدائم الغطى لها )  
( جبال الالب تمرّ بإيطاليا وفرنسا وسويسرا وهذه الهضبة بالآخيرة )

ولعلك تقول عرفنا أن الثلج مرتفع وهو كالجبال . وعرفنا أن الجبال تحفظه ولكن ما فائدة هذا الثلج وما فائدة حفظه . أقول لك . فائدته أن يحيا الانسان والحيوان والنبات بذلك الثلج الذي نزل من الجوّ على الجبل ومن الجبل نزل الى النهر ثم ذاب وجرى وهذه صورته ( انظر شكل ٥ في الصفحة التالية )  
هذه هي معاني الآية . فالثلج شاهدته وشاهدت نظام الله وحفظه له ثم انزله في النهر . أليس هذا معنى قوله تعالى - سفيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - اللهم إنا نحمدك فقد أريتنا الآيات وعلمتنا على مقدار درجاتنا الأرضية التي خلقتنا فيها فلك الحمد ولك الشكر . كل ذلك أيها الذكي جاء في الثلج ولكن الآية لم يذكر فيها الثلج بل المذكور فيها هو البرد . فأين البرد إذن . تقول . لقد علمت مما تقدم أن الماء يكون مطرا وبردا وثلجا . فهذه الثلاثة متجاورة وغاية الأمر أن البرد يكون نزوله أسرع . لقد علمت أن أمر البرد من الصعوبة بمكان . تقبّل في القوم حيرة شديدة فتارة تراهم

(١) يقولون إن الفكرة الأولى في ذلك أن يقال كما ان نسبة الصقيع الى الندى كنسبة الثلج الى المطر هكذا يقال ان البرد ما هو إلا مثل لصقيع المطر ( وبعبارة أخرى ) هو مطر منعقد

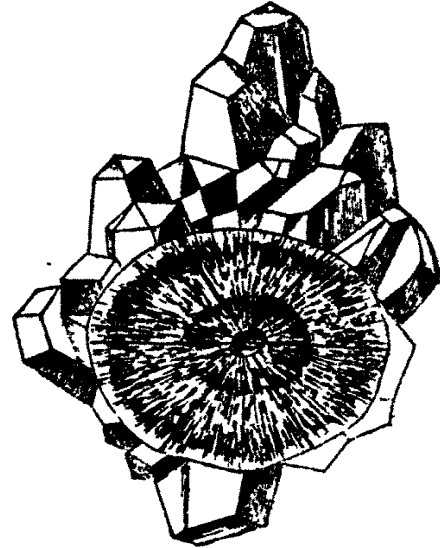
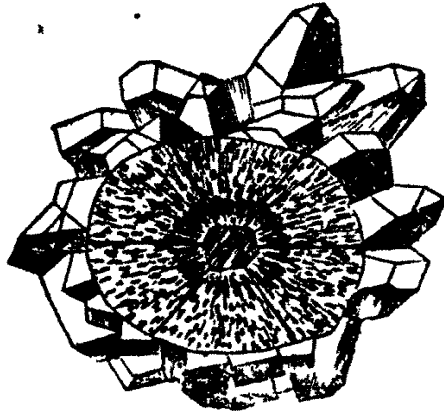
(٢) ثم تراهم يتعمقون في البحث فيقولون إن البرد لا يكون مباشرة من نفس المطر . ذلك لأنهم رأوه عبارة عن كرات صغيرة جدا من الجليد الصلب منسوجة متجانسة مصمتة ذات سطح أملس . وقد عاينوا ذلك بأن المطر كان أولا في طبقة حارة من الجوّ الأعلى ثم سقط فجاء الى جو أدنى منه فيه تيار شديد البرودة فأنزفه



(شكل هـ - صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الرون) بجاني (فركا) منحدر إلى رأس واد من الأودية حيث يتدفق منه النهر)

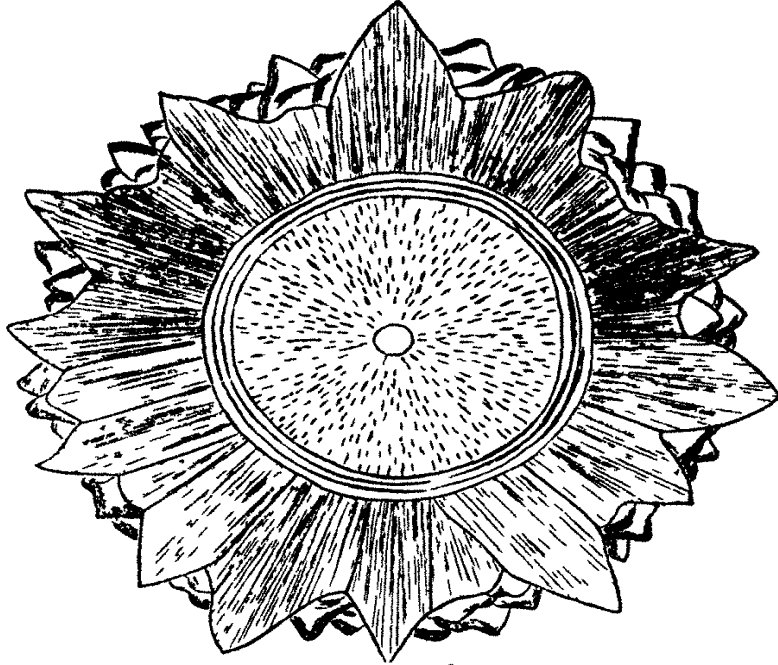
فكثوره صرات جليدية ثم نسجه نسجا كما تقدم  
 (٣) ثم انهم شاهدوا أنواعا من البرد بهيئات حبوب بيضاء غير شفافة أى انها لا ترى ما وراءها كأنها  
 صور صغيرة فسكرات الثلج لا أنها صور لقطرات المطر وهذه تشاهد كثيرا نازلة مع قطرات المطر والقطعة من  
 البرد إذ ذاك مركبة من حبات صغيرة منه بحيث لا يزيد قطر الواحدة منها عن عشر البوصة أى نحور يع ستمتع  
 وقد غطيت بقلقة من الجليد . وقد عللوا ذلك بأن البرد أولا كان ألواحا ثلجية في أعلى الجوف الذى اشتدت  
 برودته ثم نزل الى جوف حار فأخذ يذوب فيه وقبل أن يتم ذوبانه نزل الى جوف بارد قرب الأرض . هنالك جد  
 فصار بردا ولكن آثار الثلج لا تزال ظاهرة في خلال أجزائه . وهذا آخر ما ذكره . إذن يكون الأمر دائرا  
 بين هذه الأحوال . مطر جد فصار ثلجا . مطر جد فصار جليدا . والجليد اجتمع فصار بردا متجانس الأجزاء  
 الداخلة فيه . ثلج تكوّن ثم ذاب ثم برد ثانيا قبل تمام ذوبانه فصار بردا . هذا ملخص ما جاء في كتب  
 (علوم الجميع)  
 والدليل على أن البرد كان أولا ثلجا ما استراه في هاتين الصورتين الجليتين الحسنتي الشكل البهجتى المنظر

المتلّثتين المشرقتين اللتين هما من أعاجيب آيات الله تعالى اللتين رآهما المسر (هـ . ابك) الروسى المقيم بالعلوم وقد نزل في أثناء عاصفة قوية في جبال (اثر بلت) بالقرب من (بجلاوى كلبنسك) في القوقاز بالقرب من (تفليس) في (جورجيا) في التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ فرسهما ونشرهما في المجلة الروسية العلمية في تلك السنة ونقلهما العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومنه نقلهما . وقد قال في وصفهما انهما صورتان بلوريتان هندسيتان مرسومتان بشكلهما في الطبيعة وهما ربما كما بأبهج وأكثر تأثيرا في النفس من كل ما رآه الناس من أنواع البرد على الأرض الى اليوم (انظر شكل ٦) و (شكل ٧)

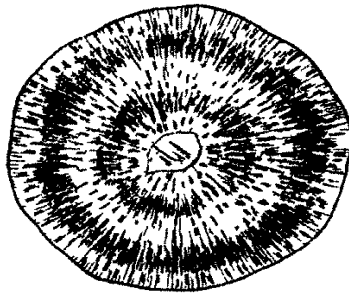


( شكل ٦ وشكل ٧ - صورة البرد الجوى البلورى الشفاف الذى سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م بالقرب من تفليس )

ثم قال : إن هاتين الصورتين قد ركبنا من جزأين القلب والغلاف . أما القلب أو النواة فهو عبارة عن مادة ثلجية تضامّت واجتمعت بهيئتها المسدّسة . وأما الغلاف الخارجى فليس بثلج كالأول وإنما هو جليد بلورى الشكل طويل الحجم بهيئة صور هندسية منظمة جيّلة جدا . وكثيرا ما ترى لبا صافيا صغيرا من الجليد المسطح الهيئته في داخل البلورات الخارجة . وهاتان القطعتان المرسومتان قد سقطتا في إناء من الحديد والتقطتا وأخذت صورتها فوراً وهما معتمتان في النواة الداخلية وفي الغلاف الخارجى فأما ما بينهما فانه جليد شفاف ذو خطوط ست متقاطعات على هيئة ست زوايا كل زاوية ستون درجة وهذه الخطوط تنعدم عند التقائها بالقلب الداخلى وعند اتصالها بالغلاف الخارجى ويحيط بكل منهما أعمدة مستدّسات منتهية بأجسام منشورية الشكل ذات زوايا مختلفة وأضلاع يتساوى كل اثنين متقابلين بها . وهناك قطعتان برديتان أخريان جيلتان . أما أولاهما فقد رسمها الضابط (الكابتن ديكاكوز) الاستاذ الفرنسى في الهندسة سنة ١٨١٩ ونشرها في ذلك التاريخ في المجلة العلمية الاستاذ (اراجو) وهذه صورتها (شكل ٨)



( شكل ٨ - صورة الرسم الهندسى الذى أبان قطعة من البرد الصخرى البلورى الذى سقط فى كورة (مديرية) من كورات فرنسا الغربية فى الرابع من شهر يوليو سنة ١٨١٩ )  
ولما سقط ذلك البرد الصخرى فى تلك المديرية كسر سقف المنازل والشبابيك وأضر بأغصان الأشجار ودمر مزارع الحقول وقتل الحيوانات وهى ترى فى مراعيها . وهذه القطعة البردية الحجرية مركبة من جليد أبيض غير شفاف متضام بهيئة بلورية الشكل ذات نواة صغيرة يحيط بها حجم كبير أزرق ذو خطوط لامعة تمتد من المركز الى محيط الدائرة وفوق ذلك يحيط بها طبقات متضامات وهذه الطبقات الخارجية المحيطة ذات أشكال هندسية ظريفة متصلات بأشكال صغيرة بارزات بينهما . أما ثانيتهما فهى مركبة من طبقات بعضها فوق بعض كطبقات البصلة طبقة زرقاء صافية تليها طبقة بيضاء غير شفافة من الجليد وهذه الطبقات المتعاقبات وصفها العالم الألمانى فى الظواهر الطبيعية ( كيمتز ) بأنها من جليد وثليج وتحيط بها طبقة من الجليد . وهذه صورتها ( شكل ٩ )



( شكل ٩ - صورة البرد الصخرى ذى الطبقات المتحدات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف الذى رسمه العلامة (ابك) المتقدم ذكره وتاريخ رسمه )  
( بهجة العلم فى البرد الصخرى )

قال المؤلف المذكور أيضا ( إن بعض القطع البردية التى رآها الناس كانت تزن ثلاثة أرطال انجليزية تقريبا ) ثم قال فى صفحة ٢٩٤ من المجلد الثالث ( وقد قيل إن بردا صخرىيا سقط فى ( كازورتا ) فى بلاد

اسبانيا سنة ١٨٢٩ كان وزنه أربعة أرطال ونصف انجليزية تقريبا ) وقال العالم الألماني بالظواهر الطبيعية ( كيمتز ) ان قطعة من البرد سقطت سنة ١٨٥٢ فكانت مساحتها ( ٣٩ ) بوصة من ناحيتين وسمكها ( ٢٨ ) بوصة انتهى

واذ فرغت من الكلام على جبال الثلج وعلى البرد فهالك تفسير الآية بالصورة الطبيعية المرسومة فيما تقدم والتي سترسم الآن . قال الله تعالى - ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه - هذه صورته ( شكل ١٠ )



( شكل ١٠ - صورة السحاب المتجمع من قطع منفصلة . منقولة من كتاب روبرت براون )  
وقوله تعالى - ثم يجعله ركاما - هذه صورته ( شكل ١١ )



( شكل ١١ - صورة السحاب المركوم منقولة من الكتاب المذكور )  
وقوله تعالى - فترى الودق يخرج من خلاله - هذه صورته ( شكل ١٢ انظره في الصفحة التالية )



( شكل ١٢ )

وقوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - انظر في شكل (٣) و (٤) و (٥) فهناك جبال الثلج الدائم في شكل ٣ ونزولها على جبال الأرض من السماء أى أعلى الحق شكل ٤ وهذه الجبال تحفظها واستمداد الأنهار منها تراه في شكل ٥ إذ يخرج منه نهر الرين . وقوله - فيها من برد - انظره في شكل ٦ و ٧ و ٨ و ٩ فهناك أشكال البرد المذكور وقوله - فيصيب به من يشاء - الخ قد تقدم كيف كان البرد يفتك بالبهائم في مراعيها ويكسر الشبايك وسقوف المنازل والمزارع وقوله - ويصرفه عمن يشاء - هذا هو الأعم . وأما قوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - الخ فهو ظاهر فيما تقدم في التفسير . وهنا جوهرتان

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - ﴾

قد قدمت لك أن العقول لا تقبل أن يكون في السماء جبال . وأزيدك على ذلك اني حينما كنت أقرأ هذه الآيات أقول لعل الجبال جعلت مجازا عن السحاب . أما الآن فقد ظهر أن جبال الثلج دائمة في الجوّ ولكن العجب أن يقول - فيها من برد - فلم يقل جبالا من البرد لأن الحقيقة أن الجبال المتقدمة من الثلج لا من البرد والبرد كما تقدم داخل في الثلج كما شرحه العلماء وأوضحه العالم الألماني في الظواهر الطبيعية فيما تقدم آنفا إذن قوله تعالى - فيها من برد - لم يتضح إلا في هذا العصر لأن جبال الثلج انما يكون البرد محولا عن بعضها لا كلها . إذن ذكر - من - في الآية قد ظهر سره الآن . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية ﴾

اللهم انك أنت ذو الجلال وذو الجلال . خلقت الانسان من الجبال على الجبال في الجبال فعلمنا كله جبال ولكننا غافلون . فإذا يفعل الله معنا . هو برّ رحيم . فتح لنا أبوابا كثيرة وهدانا الى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجبال . أذكر أني بعدما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمحت الدراري الحسان لامعات في جوّ السماء ترقص وهي في جلايب لازوردية مشرقة اللون . فإذا خطر لي قلت في نفسي عجبا وألف عجب . أنت يا الله حكيم ورحيم . أحطنا بكرة سمينها سماء وكلها مرصعة بالدراري وهي آمن من الدّر فلم ندرك الجبال وأغلبنا غافلون فأخذت تفتح لنا أبواب النظر . ومنها انك عمدت الى بخار الماء في الجوّ فجُمعته بالبرودة وصنعت منه بحارة لامعة سمينها بردا وأخذت تكسرها الشبايك والسقوف في

المنازل وتقتل بها البهائم في مراعيها . لماذا هذا . لأنك لم تخلق هذا العالم إلا للبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا . وإذا خربت بيوت وماتت نفوس وهلك حقول فذلك باب للعلم . لولا هذه الزعجات ماتتبه الناس لهذه الحوادث ولذلك رسمها العلامة (ابك) الروسى سنة ١٨٦٩ والضابط (ديككوز) الفرنسى سنة ١٨١٩ وبقي ذلك للناس ليدكروا . أهلك البرد بعض ماينفع الناس في الأرض ليوقفهم فاذا رسموا هذه الصور كما رأيت فقد أتوا بعلم دائم نشره القوم في أوروبا ونحن هنا نفسره القرآن . إذن كل هذه العوالم انما يراد بخلقها في النهاية العلم ولا حادثة تحدث في الأرض إلا لها قدم صدق في العظة والاعتبار والاعتبار هنا أكثره علمي كما عرفت والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اتمام الجبال في هذا المقال ﴾

لقد تبين في هذا المقال وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير أن جبال الثلج تكون على الأرض عند القطبين وكلما تباعد الانسان عن القطبين واقترب من خط الاستواء ارتفعت تلك الجبال فأعظم ارتفاع لها يكون عند خط الاستواء أى ان جبل الثلج الذى تقدم انه كالقطن المندوف وشاهدت رسمه يكون بعيدا عن سطح الأرض جدا ولا يزال يقترب منها حتى يكون على سطحها عند القطبين فأريد الآن أن أزيد هذا المقام جالا فأقول

ورد في كتب الجغرافيا الحديثة أن تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا أشبه بتاج حول القطب الشمالى . ولقد اتجه العلماء لكشف تلك الأقطار من ابتداء القرن السادس عشر الميلادى الى الآن ولم ينالوا من العلم بها إلا قليلا لأن الثلج الذى نحن بصدد الكلام عليه يصد السائحين أو يهلكهم وغاية الأمر أن (دافيس) كشف البوغاز المسمى باسمه في القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر كشف (بفان) بوغاز (لنكاستر) ولكن الثلوج قامت عتبة في طريقه فارتد الى أوروبا . وفي القرن التاسع عشر توجه (جون فرانكلين) الى القطب الشمالى ومات . وهكذا قصدت بعثة القطب عن طريق (بوغاز بهرنغ) فهلك بين الثلوج . وفي سنة ١٨٦٩ قصدته بعثة أخرى على سفينة ألمانية خطمت الثلوج السفينة وألقت العناية الإلهية بركابها الى ظهر جزيرة سابعة من الجليد سارت بهم حتى ألقتهم على شواطئ جرونلند الجنوبية سالمين . وفي سنة ١٨٧٢ كشف (واير) و (تايرخت) جزائر (فرانسوا جوزيف) ولم يقدرا أن يجتازا أكثر من الدرجة (٨٢) والدقيقة (٥) . وقصد (كان الأمريكى) القطب سنة ١٨٥٨ فصادفته المصاعب فرجع وقال ﴿ هناك بحرسائل في القطب الشمالى ﴾ . والدكتور (هيس) قصد القطب في مركبات تجرى على الثلج سنة ١٨٧١ فمات عند الدرجة (٨٠) والدقيقة (١٦) فرجع أصحابه بعد ما حطمت سفينتهم فقلقتهم جزيرة من الجليد عاتمة فلبثوا عليها ستة أشهر وهى سابعة حتى صادفتهم سفينة على شواطئ (البرادور) فقلقتهم اليها وقد كادوا يهلكون . وفي هذه الأقطار يرى البحر ذا بياض ناصع لكثرة الثلوج وترى سطحه مغطى بقطع ثلجية مختلفة الأشكال وقد يكون شكل جبال بمفاوزها ومضايقها ووديانها وقممها . ومنها ماهو على شكل سهول واسعة لامعة . وفي الصيف قد يبلغ سطح بعض هذه الثلوج مئات من الكيلومترات المربعة وارتفاعها ينوف على مائة متر وحجمها جلة آلاف آلاف من الأمتار المكعبة ويضطرها ثقلها أن تغرس في الماء . وقد يكون المختفي منها في الماء ثلاثة أمثال ما على ظاهره . وتأتى الرياح والتيارات بهذه الجبال الثلجية الى بلاد المنطقة المعتدلة فيشاهدها سكان الأرض الجديدة بأمريكا (٤٥) درجة وغيرهم والبرمغلى بالثلج كالبحر هناك . فترى الرياح تأتى مشبعة ببخار الماء من البحار فيتكاثف بخارها فينزل على الأرض كأنه نديف القطن فيجتمع ويصير جليدا . ومن الجباب أن هذه الأقطار اذا كان الليل فيها (ومعلوم أنه ستة أشهر كالنهار) تلتطف حاسا السمع والبصر فتظهر للعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس

والأقمار الكاذبة والشفق الشمالى المتقدم ذكره ورسنه في (سورة الكهف) ويكون لهذا الشفق كما تقدم هناك ألوان بهجة وأشكال عجيبة فيظهر كأنه زينة في الأفق أبواب من نور فتفتح في السماء . فأما قوة السمع فانها تكون عجيبة فاذا سقط حجر كان له صوت كصوت المدفع واذا تكلم انسان سمع صوته وفهم كلامه على مسافة ألف متر . وليس هناك أبهج من شروق الشمس والتمعر فتظهر أنوار الشمس أولاً شفقا ثم تعظم بالتدريج ولا تعلو الأفق بل تدور حوله والقمر يظهر نوره جليا جدا حتى يستطيع الانسان أن يرى على مسافة ( كيلومتر ) وسكان تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس فيوقدون النيران و يقيمون الأعياد . وأما القطب الجنوبي فان المعروف عن أرضه قليل جدا . وأهم الرحلات الى القطب الجنوبي كانت في القرن الثامن عشر فكشف ثلاثة من الفرنسيين بعض الجزائر . وتبعهم ( كوك ) وكشف جلة أرضين . وأثبت أن هناك قارة عظيمة . وآخر درجة وصلوا لها (٧٨) والدقيقة (٩) والثانية (٣٠) (١٨٣٩ - ١٨٤٣) وقطع الجليد أضخم وضخامة الطبقة الثلجية أكثر فيه والضباب هناك مخيم دائما . والقول العام أن هناك أرضا بالقرب من القطب الجنوبي واستنتجوا من بعض الظواهر أن هناك جبالا ورأوا بعض براكين . وكل ذلك يدل على قارة جنوبية كما عرف علماء طبقات الأرض أن الأقطار الشمالية المتقدمة فيها مناخم للفحم الحجري مما يدل على أن الغابات كانت في قديم الزمان موجودة بهذه الأصقاع

﴿ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يرحم عبدا - الخ ﴾ خرجت من المنزل صباحا للرياضة منذ شهر هذه السنة ١٩٢٨ م وكانت المطبعة لم تصل في طبع التفسير إلا الى (سورة الاسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة النيل) وكان نظري مبتهجا بالألوان الشمسية المشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يعطى ضوء الشمس الأصلي ضوءاً أظهر بياضا وأحسن اشراقا . فأما فكرى فقد كان مبتهجا بمسألة (المحار) وتناسله في البحر وأن (المحارة) تلد آلافا من صغارها بلا ذكر وهذه المسألة تناسب مسألة المسيح وأمه . فبينما أنا كذلك إذ قابلني هناك صديقي مصطفى بك منير ذاهبا الى ديوان التنظيم فسألني قائلا . فيم تفكر . فأجبت بما ذكرته فسر وقال هذا أمر لم أسمع من تفكر فيه من قبل . هنالك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث فأخذ يقص لي قصصا عجيبة . قال ﴿ لقد اجتمع سنة ١٩٢٥ أى منذ ٣ سنين ببلادنا المصرية باسم الحكومة المصرية نحو (٢٥٠) عالما من علماء الأمم الأوروبية كلهم أعضاء الجمعية الجغرافية التي أنا من أعضائها . ولما التأم جمعهم وتكامل وانتظم الاحتفال ألقى كل واحد منهم خطبة في موضوع جليل جليل . ولما كنت أنا منهم ألقى موضوعى في أمر النيل وخروجه من خط الاستواء وأن آية - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ منطبقة على نيل مصر انطباقا تاما

(١) ألم تر أن الله لم يخلق نهرا مبدؤه بحر به خط الاستواء إلا النيل  
(٢) ألم تر أن تلك الأقطار الاستوائية لاتفتأ أنواع البرق تتلأأ فيها بهيئة فوق المعتاد تمتاز عن برق الدنيا كلها بحيث تكاد تخطف الأبصار وتبهرها مدة عشرة أشهر في السنة

(٣) وأيضا هناك أخايد في الأرض غائرة ينزل فيها ماء غزير جدا لا يدري الناس أين يذهب وهكذا  
(٤) يخرج البخار من المحيط الاطلانطيق والمحيط الهندي أى من جانبي افريقيا فيلتقيان في الجوف فيمطران في خط الاستواء . وللأول الاشارة بقوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - ومعلوم أن ذلك التقلب في خط الاستواء لأن حركة الشمس هناك . والثاني - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار - والثالث - يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء - والرابع بقوله - ألم تر أن الله يرحم عبدا ثم يؤلف بينه - الخ . قال وكانت الخطبة لكل خطيب لاتتجاوز (٢٠) دقيقة فلما سمعوا هذه الخطبة أمتنوا بالاجماع على قولى واعتبروا هذا نورا

اسلاميا . فقلت له أيها الصديق كيف تقول ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمرّ منبعه بخط الاستواء مع أن هذه المنطقة ينبع منها أنهار كثيرة . فقال تنبع أنهار ولكن ذلك ليس من نفس خط الاستواء أى ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمرّ في خط الاستواء فعلا بمنبعه . أما غيره فيميل قليلا أو كثيرا ثم تبسم وقال لا تنس أن هؤلاء علماء الجغرافيا الذين يفتنون لكل ما يقال على علمهم . فقلت له فإذا عملوا بعد ذلك قال لما رأوا انطباق نهر النيل على الآية وقد كنت رسمت خريطة رسما مجسما بحيث صارت الخريطة أطول من ثلاث حجرات على الأرض وقد رسمتها مجسمة وجبالها مرتفعة وبحيراتها منخفضة وكل ذلك بألوان . وهاهي ذه أريكها الآن في دار الجمعية الجغرافية التي مفتاحها بيدي فأخذني إليها وتفرّجت عليها ودهشت لخريطة عظيمة مرتفعة عن الأرض بقوائم مستطيلة ضخمة وليست في حجرة بل هي في بهو المكان فقال انظر فنظرت السقف ومنه قد دخل أشعة الشمس فقال ان علماء الجغرافيا الذين أتوا من جميع ممالك أوروبا كما أخبرتك هم الذين نقلوها بأنفسهم من الداخل الى هنا اعظاما لها وجعلوها ملاقية لأشعة الشمس اشارة لأنها مناط العلم والتقديس وسموها ﴿ الخريطة المقدسة ﴾ وذلك لأن لها آية في كتاب مقدس وهو القرآن . قال وقد فرحوا فرحا عظيما . فقلت له يا سبحان الله . أيتكون هذا في بلدي وعلى مقربة من منزلي ثم اني أجهله مع انك أنت صديقي . إن هذه أحسن فرصة أن أقصّ هذا القصص في التفسير وأن ترسم هذه الخريطة لي مع بعض المعلومات معها فتفضل ورسمها وأرسلها لي فشكرته على صنعه ورسمتها هنا وذكرت ما كتبه على مقتضى ما أفاد به علماء الجغرافيا . ومن عجب أن يجتمع في هذه السورة ﴿ ثلاث عجائب ﴾ الخريطة المقدسة هنا . ثم خطبة صديقي الاستاذ ( جاد المولى ) في شرف الدين الاسلامي في جمع حافل من عظماء علماء أوروبا وقد أقرّوه ولم يناقشوه وذلك عند قوله تعالى - وكذلك أنزلناه آيات مبینات - فسأذكرها هناك لأن هذا من التبيين الذي نزل به القرآن . ثم ما كتبه الجمعية الآسيوية الفرنسية على الدين الاسلامي بمناسبة كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فلابدأ بالخريطة المقدسة وان كان مافسر به ليس على النهج الذي قدمناه ولكني أردت أن يقف الناس بعدنا على آراء أهل عصرنا

### ( الخريطة المقدسة )

لما أرسلها لي صديقي مصطفى بك منير قال بعد الديباجة . وبعد فرسل معه صورة لوحة (خريطة منابع النيل) التي أبصرتموها في دار الجمعية الجغرافية ومعها نسخة من مختصر المحاضرة التي ألقيتها في الجمعية على أساتذة المدارس والله يحفظكم ويهدينا الى العمل بارشاداتكم المخلص . مصطفى منير أدهم وهذا نص الخطبة المذكورة

### ( القرآن الكريم و منابع النيل )

من ألطف الخارطات المعروضة في دار الجمعية الجغرافية الملكية المصرية لوحة مجسمة تمثل منابع النيل عند خط الاستواء . فتري جبال (رفنزور) الشاهقة التي ارتفاعها (٥٥٠٠) متروفي جنوبها جبال (اريزمي) وارتفاعها (٤٥٠٠) متروفي شرقها (جبال الجون) وارتفاعها (٤٣٠٠) متروقد كساها البرد طيلسانا أبيض حتى اذا ما أزعج السحاب وتألفت أجزاءه وتراكت خرج المطر من خلالها ونزل من السماء من تلك الجبال الشاخنة بلعمان له يريق يخطف الأبصار . وتري على هذه الجبال تجايف الماء وقد انحدر منها وجري الى بحار تنتهي الى بعض البحيرات وتنصرف عن الأخرى ، تری بحيرة (فيكتوريا نيانزا) ومساحتها (٦٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا وارتفاعها عن البحر (١١٤٥) مترا وقد أصابها ماء تلك الجبال لأن البحيرة وقعت بينها . وتري بعض هذا الماء وقد انصرف من جبال (رفنزور) و (اريزمي) الى بحيرات (تجانيقا) وارتفاعها (٦٧٣) مترا و (كيفو) وارتفاعها (١٤٥٠) مترا و (ادوارد) وارتفاعها (٩١٥) مترا والبرت ومنسوها

كنسوب بحيرة (ادوارد) ، وكذلك انصرف بعض ماء (جبال الجون) الى بحيرة (رودلف) وترى الماء في بحيرة (فيكتوريا) يجري شمالا الى بحار تصب في بحيرة (كيوجا) وارتفاعها (١٠٣٠) مترا ويخرج من هذه البحيرة نهر فيكتوريا فيصب في بحيرة البرت . ثم ترى نهر البرت وقد خرج من بحيرة البرت وانهى الى أول مجرى النيل السعيد . وتجذ فوق اللوحة خط الاستواء حيث يستوى النيل والنهار مارا بالجزء الشمالى من بحيرة (فيكتوريا نياززا) قاطعا جنوب جبال الجون الواقعة شرق البحيرة وجبال (رفنزور) و (اريزمى) التى في غربيها . اختارت الجمعية هذه اللوحة أحسن مكان عندها فوضعتها تحت روشن قاعة المحاضرات الكبرى فترى أشعة الشمس وقد سقطت عليها نهارا فأكسبتها هيئة ووقارا . ويخيل الى الناظر اليها كأنه في طائرة عالية عند خط الاستواء وتحت تلك الجبال الشاهقة وقد كساها الثلج وتراكت عليها السحب وخرج من خلالها المطر ونزل من أعلاها بلعانه الماجينى الذى يخطف بالابصار منتها الى بعض الجهات ومنصرفا عن الأخرى بحسب ما يهيه له يد القدرة من مرتفعات ومنخفضات وأخاديد كانت غامضة علينا لولا أن كشفها أخيرا المستر هرت مدير مصلحة الطبيعيات سنة ١٩٢٧

هذا المنظر الهائل بل السر الإلهى العظيم يستتر على هذه الحال عشرة أشهر فى العام . وضع بطليموس سنة ١٥٠ ق.م خارطة النيل الموجودة صورتها فى دار الجمعية الجغرافية ورسم عليها منبعا واحدا للنيل بحسب ثم جاء بعده بنحو اثني عشر قرنا الادريسي ذلك الجغرافى الشهير وقال ان النيل يخرج من بحيرتين تصبان فى بحيرة ثالثة وهو أقرب الى الحقيقة ومطابق للوصف المبين على لوحة منابع النيل المذكورة

هذا ما أمكننى على قدر طاقتى أن أصفه لك أيها القارئ الكريم عن هذه اللوحة وأخالك مللت وصفي وإن كان قرب لك على قدر الامكان تصوير اللوحة . ولكن انظر اذن الى ما وصفها الله تعالى به منذ ١٣٤٧ عاما فى كتابه العزيز فقال تعالى وهو أصدق القائلين - ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار \* يقرب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار -

لم تترك هذه الآية الكريمة نقطة واحدة من وصف اللوحة وما يحصل عند النيل من العوامل الطبيعية من أول ما يزجى السحاب الى أن يجري ماءه فى النيل إلا وذكره . ولا سيما ما يحصل من الليل والنهار لمناسبة مصادقة خط الاستواء لمكان تلك المنابع وما ينصرف من الماء الى تلك الأخاديد التى كشفها المستر هرت وما يحصل لأهل اقليم (فيكتوريا نياززا) من تأثير لمعان البرق على أبصارهم . وهذا الوصف لا ينطبق على منبع أى نهر آخر غير النيل السعيد قال تعالى - ما فرطنا فى الكتاب من شئ - ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ انتهى خطابه (انظر شكل ١٣ فى الصفحة التالية)



( شكل ١٣ - صورة الخريطة المقدسة لنيل مصر رسم مصطفي بك منبرأدهم )

﴿ مقال عام في هذه الآيات من قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير - وبيان أن هذه الآية هي سر

ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ﴾

انظر أولاً في دين الصابئين وهم عباد الكواكب وتجب لما في لغة العائلة (الآرية) أو الهند الجرمانية فإن الله عندهم هو النور أو الشمس ونجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو اللامع ويشق منها عند الشعوب للذكورة ألقاظ للدلالة على الله . ففي لغة (السنسكريت) (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيرس) وعند اللاتين (دووس) أو (ديوفيس) ثم قالوا (جوفيس) ومنه (جوبتر) وفي الألمانية القديمة (ذير) وفي السلان (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أم الشمال والفرنسيون يعبرون عن الخالق (ديو) مترجمة والإيطاليون (ديو) والإسبانيون والبرتغال (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد . ولا جرم أن نار الفرس ذات علاقة بالنور فترى هذه الأمم في مبدأ أمرها لما بهرهما من جبال النجوم عشقت مبدعها وعبدته وسمته باسم النور على مقتضى تعاليم أنبيائهم ثم طال عليهم الأمد ففسوا تلك التعاليم فعبدوا العوالم المنظورة المضية ثم عبدوا الأصنام انتهى من كتابي ﴿ أصل العالم ﴾ مع إيضاح آتم

فانظر لتعاليم القرآن وكيف أنزل الله هذه الآية ليدلنا على أصل فطرنا . إن فطرة الانسان كلها عاشقة للنور لأن النور جيل والنور مبدأ الحياة . فلولا أنوار السماء والحرارة المنبعثة من الشمس لم يكن على وجه الأرض نبات ولا حيوان . لذلك كان الناس مغرمين بالأنوار سواء أعرفوا الحقيقة أم لم يعرفوها . فاذا أسماوا الله بالنور فهي تسمية أقرب الى الفطرة . فانظر جميع أديان الصابئين التي ذكرت لك فانها ترجع الى النور المذكور في هذه الآية فهي آية جمعت ديانات الأمم الفطرية التي تلائم عقول الناس جميعاً ثم اعترها ما يعتري كل حي من البوار فاختلفت تلك الديانات وعبدوا الشمس والكواكب ثم الأصنام ثم ذهبت وحل محلها الاسلام . ذلك دين الانسانية جميعها . فانظروا عجب لهذا الدين . نبي أمي في جزيرة العرب تنزل عليه آية - الله نور السموات والأرض - ونفس هذا المعنى هو ملخص كل دين نزل على نبي قبله . وإياك أن يصدك عن هذا المعنى أن الأديان ضالة أو خاطئة أو منسوخة . كلا . ثم كلا . فهذه الديانات كلها كانت في أول أمرها حقاً صحيحة والله عز وجل أشرق نوره العلمي على كل طير وكل دابة وكل حشرة وهكذا على الأمم الانسانية . الله لم يستثن من رحمته أحداً وكيف يستثنى وهو نور السموات والأرض . هو رحم كل مخلوق ورحم الأمم السابقة وأسبغ النعم عليها ظاهرة وباطنة . ولكن كلما اختلط دين وضل أهله أرسل رسولا آخر حتى جاء الاسلام فشرح كل دين وقال الله فيه - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ أي فلا تظنوا أن الله هو الشمس أو الكواكب . كلا . بل هذه ضرب أمثال ثم ضمن حفظ هذا الكتاب وبقاءه باللغة العربية ثم خلط أمم الشرق بأمم الغرب وقال لهم أيها الناس لا تخافوا من الضلال فكل من حصل له شك في دينه فوجده غير معقول عنده . فها هو ذا حصن وهو القرآن فاقرؤه أيها الناس في هذه الأرض . ولقد كنت أرسلت آلافاً من الأنبياء ومئات من الرسل فغيرتم أديانهم - ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك - لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهم - وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً -

﴿ الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه ﴾

اللهم انك قد سمرت بجمالك الذي أشرق في الآفاق عقول العقلاء من جميع الأمم وانه يظهر لي أن الله أناساً في كل جيل وأمة يحنون اليه ويهربون لمنظر جماله الذي أشرق في هذا الكون العظيم . اللهم ان

نجومك الجيلة وشموسك المشرقة وأقارك الباهرة وعلومك الساحرة وبهجتك الساطعة قد امتلأت بها قلوب وقلوب فظهر على ألسنتهم وصف ذلك الجلال . اللهم إن هذه الدنيا كلها مشهد عرس وموسم أفراح قد نصبت فيه الثريات المشرقات وهن يرقصن بتلاؤن ويتواجدن بترنح حتى إن أرضنا في الحقيقة لازال راقصة آناء الليل وآناء النهار فهي كمن قال الله فيهم من الملائكة - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - فهي لا تنهدأ ولا تنفتر عن الجرى بما حلت على ظهرها حول الشمس وحول نفسها فرقصها مزدوج كأنها في عرس دائم وفرح هائم . تدور الدورتين على نفحات الراقصات الحسان من كواكب السماء وهي فرحة بما حلت به من ثلج كالس في قطبيها وجبال منه كأنها القطن المندوف في جوها وفوق أعلى جبالها فهي حسناء وشمت بالمس والجواهر من جيع جوانبها قد كملت آنا فآنا بقوس قزح والأزهار الجيلة وأرج الزهر وبهجة السحاب ولطف الهواء زينة وبهاء . الكون كله في عرس متى لحظه العقلاء . كله نور عند من يعقلون . ليس يشهد هذا العرس من الناس إلا قليل أولئك هم الذين يعقلون لم يخلقوا ويدركون لمحة من جلال مبدع هذه الكائنات لذلك ترى جميع الديانات بحسب حقائقها ترجع إلى هذا المبدأ الذي وصفناه ولذلك قال الله تعالى - قل ما كنت بدعا من الرسل - فهذا الدين شأنه شأن الديانات الحققة السابقة قبل تبديلها . انظر ماذا ترى في دين قدماء المصريين فانه قبل أن يشتد فيه التبديل جاءت أناشيد على منهج هذه الآية - الله نور السموات والأرض - فانظر ما نقلته لك عنهم في (سورة البقرة) من كتاب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين المترجم حديثا عن كتب الاوروبيين وذلك في أواخر السورة عند قوله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة - الخ فهناك وصف الله بأنه قد أشرقت شمس في الأرجاء وتبع ذلك وصف الشمس ونورها وبهجة الحيوان بها إلى آخر ما هناك . هذا ما كتبه هناك فافرقه تجد العجب . وأقول هنا قد جاء في الكتاب المذكور مانصه (ومن رأى بعض المؤرخين انه لم يكن اعتقادهم أن توت هو الشمس نفسها بل هو الجوهر الذي لا شكل له وهو أصل كل شئ والذي أنزل المحبة على الأرض . وقد مثلا (توت) على شكل قرص الشمس) انتهى

أقول . إذن هؤلاء أصل دينهم كديننا فأننا نقول ان الله مقس عن كل الحوادث ولكن هم جعلوا الشمس ضرب مثل له واتون اسم من أسماء الله عندهم

وقال في صفحة ٩٢ (وقد وصفوا اتون بالرجة والشفقة وحب الخير والملاطفة مع خلائقه وأنه أب لهم عطوف جيل يعلو السموات والأرض بالخير والبركة ولطيف بخلائقه يأسرهم بحبته ويلطف بالطفل في الرحم وفي المهد ويعطف على الفرخ في البيضة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعمم المنافع لسائر البلاد وجميع العباد) اه وجاء فيه أيضا في صفحة ٩٧ (ان قدماء المصريين وان عتدوا الآلهة قد وُحدوا فعلا أيام الملك مينا فالله في مدينة (عين شمس) أتوم وفي مدينة منفيس (فتاح) وفي مدينة الاشمونين (نحوت) وفي مدينة طيبة (أمون) . وفي الأقصر (حورس) وفي جزيرة اسوان (ختوم) وهذا كان سبب تعدد المعبودات عندهم والا فالأصل هو التوحيد) انتهى

وجاء في هذا الكتاب صفحة ٩٧ ما ملخصه

(من هنا يتضح أن معبود الجميع في الحقيقة إله واحد وما هذه الأسماء إلا رموز ومظاهر للإله الحقيقي الواحد الجامع في ذاته كل الصفات الإلهية) وإلى القارئ أنشودتان من أناشيد أهل طيبة للمعبود (أمون) ومنها يتضح حقيقة عقيدتهم في الله الفرد الصمد وهما

(الأنشودة الأولى)

(إله العظيم سيد جميع الآلهة (لعل) القصد جميع الملائكة) أمون رع الأزلي الحق الواحد الخالق كل

شئ السيد المسيطر الذي لم يكن قبله شئ بل هو الموجود قبل كل شئ وكان منذ الخليقة هو قرص الشمس الذي يحيا جميع البشر بظهوره ﴿ ترجت من كتاب (نافيل)

### ﴿ الأنشودة الثانية ﴾

﴿ الإله الذي أوجد العشب للحيوان ونمار الأشجار للإنسان ويسرقوت الأسماك في البحور وهيا الغذاء للطيور ووضع الروح في البيضة وأطعم البرغوث والبعوض وحنانه شامل لكل ملتجئ اليه . حتى الضعيف من القوى وهو المجد المحبوب في السماء والأرض والبحار وتخضع له الآلهة (أقول أي الملائكة) لجمده تعظيما لحاقيهم وتبتهج بقرهم منه وتمجده الحيوانات الضارية في فيافي الصحراء . بهر جالك العقول وخب القلوب ﴾ (ترجت من كتاب أرمن الألماني) انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أفلمت ترى أن هذا الهيام وهذا الحب والغرام بمبدع هذا العالم ناشئ من قلوب أدركت جلاله في هذا الوجود ورجته الشاملة . فالأوصاف في هاتين الأنشودتين ترجع للجمال الظاهر الذي أبرزوه بهيئة الشمس والجمال الباطن الذي يرجع للرحمة الشاملة لما في الأرحام ولكل من على الأرض . ومن عجب أن آية - الله نور السموات والأرض - وماتبها من أن الطير صافات تسبح لله وتصلي له فيها كثير من معاني هذه الانشودة بل فيها جميع معانيها لأنه ذكر ما يعيش على رجلين وما يعيش على أربع وما يعيش على بطنه بعد ما ذكر الطير ففي هذه الآيات معاني هذه الانشودة والانشودة التي ذكرتها في (سورة البقرة) فمعانيها تقرب مما هنا ولولا خوف التكرار لذكرتها هنا ولكني أقول انهم فيها (أولا) وصفوا الليل وظلامه وأن الله يحفظ أرواح الناس وهم نائمون (وثانيا) وصفوا طلوع الشمس وفرح الناس به فيتوضئون ويلبسون ملابسهم ويرفعون أيديهم الى السماء (وثالثا) ذكروا أن المواشي تستقر في مرعاها والأشجار تزدهي والطيور ترفرف تمجيда لك وتنهض الحيوانات على قوائمها (ورابعا) أن الشمس اذا أشرقت تسبح الأفلاك في بحارها وتمرح الأسماك في لججها وتتلألأ الأنوار على صفحات الماء ( وخامسا) ذكروا تصوير الأجنة كما تقدم وارضاع الأم لمن بعد الولادة ثم تعليمهم اللغات . ثم ذكروا انه خلق سائر البلاد لامصر وحدها وهكذا ذكروا النيل الذي يحياه المصريون ونزول الأمطار على الجبال وتقسيم الفصول بأضواء الشمس . وانتهى النشيد بهذه العبارة ﴿ خلقت الأرض لأبنائك (يريد عبادك) ومتى أشرقت علينا تشخص العيون لجلالك ﴾ انتهى

فهذا المعنى الذي تضمنه ذلك النشيد يرجع الى النور والى الحياة والى الحيوان والطيور وانه كله مسبح بحمده . إذن هذه الآيات تضمنت هذه المعاني . وهذا عجب أن تجده الأفتدة في الأم قديما الى المعاني التي نزل بها الوحي حديثا على خاتم الأنبياء ﷺ لهذا ولغيره قال الله له - قل ما كنت بدعا من الرسل - ثم اعلم أن هذه المعاني التي تنشر بها قلوب عقلاء وحكماء الأمم غذاء لهم وبهجة في الحياة الدنيا بل هي السعادة العظمى . اللهم ان أمثال هذه البدائع والدور والجواهر نعم عجبت لأناس أنت اصطفيتهم في الدنيا يحبونك حبا جيا وقلوبهم واله بك وامقة لك بهجة بأنسك مشربة للقائك ترى الدنيا عروسا أنت جالوتها وكؤسا أنت أدرتها ونورا أنت أبدعته وعرسا أنت أقتة وزينة أنت نصبتها . سبحانك اللهم جعلت هذه الدنيا دارا تجمع بين حالين حال الجنة وحال النار . فأما الأمم والدول والممالك وأكثر الناس فكل هؤلاء يكتنون بنارها في احتدام وخصام وجدال وحسد على متاع قليل . وأما الحكماء الذين اصطفيتهم فوالله انهم مع الناس بأجسامهم وظواهرهم وهم الآن في جنة المعارف . فهم في الدنيا معك في أنس وجور وجمال وبهاء . بك يأنسون وبقربك يفرحون وشموسك وأقارك ونجومك بهم يطوفون . هؤلاء هم صفوة الانسانية ومقرر الأنوار الالهية . فهم مع الناس في شقاء وظواهرهم ومعك في جنة بيواطنهم . إن الحسد والحقد والفيظ والعداوة والطمع والحرص قد أحاطت بالناس فسلبتهم السعادة . فأما هؤلاء فانهم غلبت عليهم

تلك الأنوار المشرقات فازدانت قلوبهم . فهم في جنة يحبون . وهؤلاء وحدهم هم الذين يتقنون قولك  
- الله نور السموات والأرض -

﴿ بهجة العلم في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الخ ﴾

اللهم انك أنت المحمود على نعمة العلم والعرفان وجمال الاتقان وأبداع النظام . هذه الآيات أبانت لنا  
﴿ جالين ﴾ جالا يدرك سببه بالابصار وجالا يدرك سببه بالبصائر . فأما الجلال الذي يدرك سببه بالابصار  
فهى هذه الأنوار المشرقات من الكواكب المحيطة بأرضنا كما أوضحناه . فهذه تدرك أسبابها أبصارنا وهى  
التي ضربها الله لنا مثلا للأنوار الباطنة التي مصدرها هو الله بلا واسطة هذه المشرقات . وأما الجلال الذي  
يدرك سببه بالبصائر فهو ذلك الابداع الذي ظهرت آثاره في جمال الوجوه واتقان الصور والعطف واللفظ  
والرأفة والرحمة والهام الحشرات والأتومات وخلق الأجنة في البطون والرحمة التي لاحد لها والتي قد وضعت  
في هذا التفسير إيماء وضوح وهذه هى التي ضرب الله المثل لها . فالشمس والكواكب وأنوارها ضربت مثلا  
للتفحات الباطنة والالهامات العجيبة واحسان التصوير والنقش والابداع . فقوله - مثل نوره - الخ هو  
الذي ضرب به المثل . وذكره الطير صافات وازجاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركلا وانزال الودق منه  
وكذلك البرد وتقلب الليل والنهار وخلق الدواب كلها وتقسيمها الى من يمشى على بطنه ومن يمشى على رجلين  
ومن يمشى على أربع . كل هذا التدبير لاصلاح الشمس ولا الكواكب لاحدائه . كلا . إذن الشمس والتجوم  
والكواكب أسباب الأنوار الظاهرة . فأما ذلك التدبير والابداع فأساببه خفية تدركها العقول والأفهام .  
ولقد ذكرت لك آنفا أن قدماء المصريين ذكروا الأمرين معا أمر الأنوار الظاهرة في أناشيدهم من اشراق  
الشمس وظهور الحركات الحيوانية بها . ومن ظهور اللطف والرأفة والتدبير في خلق الأجنة في الأرحام وأزيد  
عليه الآن بأنهم لم يكتفوا بذلك النشيد بل انهم فوق ذلك أبدعوا رقصا دينيا في معابدهم . وذلك الرقص  
ليتشبهوا بالكواكب الجاربات حول الشمس لأن أظهر الأنوار ماتراه العيون من الكواكب فاذا تشبهوا بها  
فقد نسجوا على المنوال الرباني في نظرم وذلك ليكون ذكر الله قولا بالأناشيد وعملا بالرقص الدينى وهذا  
(مع وجود الفارق) كما اتنا ذكر الله بألسنتنا ونصلى له بحركاتنا في القيام والقعود والصلاة أقوال وأفعال  
فهم كذلك أقوالهم النشيد وأفعالهم ما يشبه الرقص . ولاندرى هل ذلك كان عن أنبياء مثل سيدنا ادريس  
(سيزوستريس) وغيره أم من اختراع علمائهم استنادا على دينهم ونصوص أنبيائهم . وسيأتى إيضاح هذا الرقص  
في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - ولقد عرف الناس الآن أن  
تاريخه يرجع الى (٥٠٠٠) سنة . جاء في كتاب ﴿ الأدب والدين ﴾ المتقدم أن ذلك لم يكن خلاعة وشهوة  
بل جعله نموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلاً للأفهام الموسيقية . ونقل في هذا الكتاب عن (كسطل بلاذ)  
أن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أذاهم الى انشاد الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهارا لسرورهم  
وأفراحهم وقياماً بشكر النعم واظهاراً للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص  
جزء جوهرى من دياناتهم بل اعتقد المصريون انه من التعاليم المنزل . انتهى ملخصاً

ثم انظر ماذا جرى في الأم الإسلامية في هذا المقام فانك تجد الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات  
يقول مملخصه ﴿ إن مما يعشق النفوس الانسانية في الحضرة الالهية ويجذبها اليه العشق العفيف والصوت  
اللطيف والعبادة مع الفكر ﴾ وقال شراحه إن المراد بالعشق عشق الشماثل لالعشق الصور فان عشق الصور  
موجب للفسوق والهام بالمحسوسات . أما عشق الشماثل فهو الذي يدعوا الى الجلال الالهى . وأضرب لك مثلاً  
الآن فأقول « اتنا نرى الزهرة والشجرة والكواكب فلاتهيج شهواتنا ونفرد طبعاً بين هذه وبين الصور  
الجليلة الانسانية . فالزهرة نجبها ولكنها لاتثير شهواتنا مباشرة بخلاف منظر النساء فانه مثير للشهوات مباشرة

لحبنا للشماثل بمقولنا أشبه بحبنا للزهرة المبصرة . ثم إن الصوت اللطيف الذى ذكره (ابن سينا) شرحه العلامة الفزالى فى الاحياء فى «كتاب السماع» فى الجزء الرابع منه فأباح السماع ولم يحرمه ولكنه شرط له شروطا كلها ترجع الى أمر واحد وهو أن لا يثير الشهوات فقد ذكر شروطا فى السماع وشروطا فى المغنى وشروطا فى نفس القول المسموع وأبان أن السماع لا يكون فنى بهتاج بالسماع وأن المغنى اذا كان امرأة هيج الشهوة وأن القول اذا كان فيه خلعة كذلك ، وقد أطل فى ذلك وفصله تفصيلا فارجع اليه . ومن عجب أن العلامة (ابن الطفيل) فى نحو القرن الخامس على ما أذكر فى كتابه (حى بن يقظان) الذى لخصته لك فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أولم تؤمن قال بلى - الخ قد ذكر أن (حى بن يقظان) لما ترعرع فى الجزيرة ونظر الكواكب مشرقة مغربة أدهشه جلالها وقلدها فى حركاتها ودورانها وصار يدور على نفسه تشبها بها حتى يفتشى عليه لأنه لم يجد من يقتدى به فى حب خالقه وعبادته لإلهذه السيارات الجارية ودورانها حول الشمس هوصين عبادتها لله . وهذا التخيل جعله يقلدها فى القرب من ربه . أفلا تعجب مع أيها الذكى كيف رأينا علماءنا السابقين قد بحثوا فى العالم العلوى والسفلى ودققوا وكتبوا لنا آراءهم فلم يذروا بابا من أبواب العلم إلا ولجوه وبحثوه . وانما كتبت لك هذا لتعلم أن آباءنا لم يكونوا نائمين وأن سلسلة العلم قد انقطعت بيننا وبينهم وآراؤهم قد خبت فى كتبهم وأن قراء هذا التفسير وأمثاله سيحدثون للشرق نهضة لم يحدث مثلها من قبل . ثم انظر قول العلامة (ابن سينا) «ان العبادة مع الفكر عند الفلاسفة موازية للعشق العفيف والصوت اللطيف» وذلك فى أواخر كتاب الاشارات وكيف كان الناس اذا لم يجدوا نبيا يعلمهم العبادة قلدوا الكواكب كما حصل لحي بن يقظان . هذا ما أردت ذكره فى هذا المقام استطرادا

﴿ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التى ازدانت بها أرضنا ﴾

قد ذكرت فى هذا المقال أن أرضنا قد أحاطت بها أنوار الكواكب والشمس والقمر وهكذا الهواء اللطيف والثلج والبرد والسحب . ثم أقول أيضا هنالك أنوار الماء المتلاثة فى البحار الاستوائية التى تلمع أنوارها بأشكال كالقمر وهالته والبرق وأنواره المشرقات بما هنالك من الفسفور المتحلل من الحيوان البصرى وهذه هى الأنوار الظاهرة التى صارت مناطق تمنطقت بها أرضنا

أما مناطق الأنوار الباطنية فهى الحيوانات والنباتات التى أحاطت بالأرض من جميع جهاتها كما فى (شكل

(١٤) و (شكل ١٥) و (شكل ١٦) و (شكل ١٧)

هذه الأشكال الأربعة وما يليها الى شكل (٢٦) منقول من «الأطلس الحديث» المقرر فى المدارس

المصرية تأليف الاستاذين (ليب أفندى العسال) و (محمد أفندى جدان)

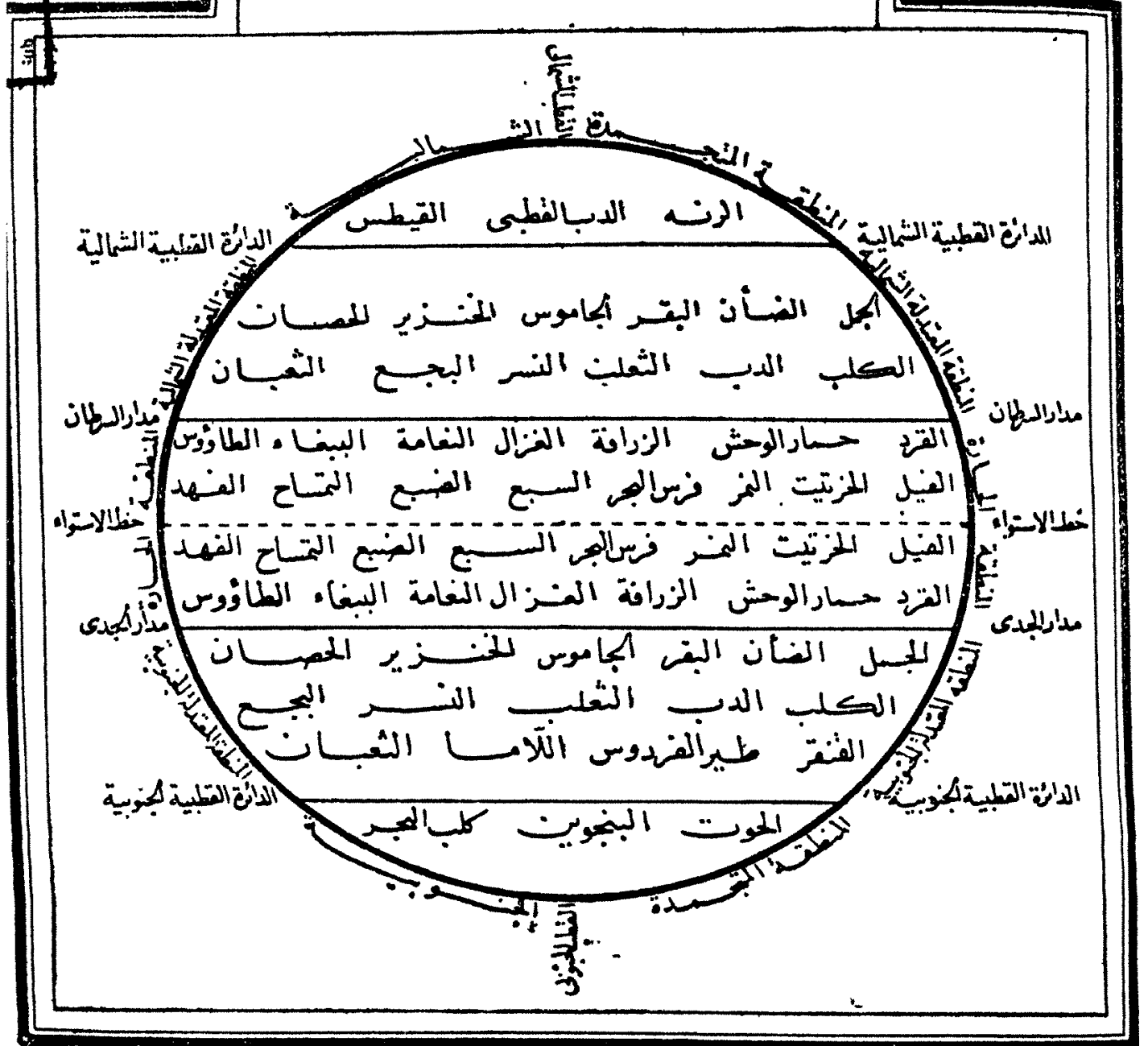
## المناطق وحاصلاتها النباتية



( شكل ١٤ - صورة مناطق النبات حول الأرض )

( آمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم عدلون )

## المناطق الخمس وحيو انما



( شكل ١٥ - صورة مناطق الحيوان حول الأرض )

( فليَنظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا \* ثم شققنا الأرض شقا \* فأبنتا فيها حبا \*  
وعنبا وقصبا \* وزيتونا ونخلا \* وحدائق غلبا \* وفاكهة وأبا \* متاعكم (ولأنعامكم)



(شكل ١٦ - نبات أفريقيا )

( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها )



( شكل ١٧ - حيوان افريقيا )

( وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون )

ففي شكل ١٤ مناطق فيها أسماء النبات حول الأرض وهي ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ نبات في المناطق القطبية ونبات في المناطق المعتدلة ونبات في المناطق الحارة . وفي شكل ١٥ مناطق فيها أسماء الحيوان حول الأرض وهذه تقسم الأقسام السابقة بعينها . والشكل السادس عشر فيه صور وأسماء نباتات افريقيا . والشكل السابع عشر فيه صور وأسماء حيوانات (افريقيا) . وسيأتى في أشكال (١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) صور وأسماء نباتات وحيوانات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا

فانظر كيف زين الله أرضنا ﴿ بزيتين ﴾ زينة أهم أسباب أنوارها ظاهرة وهي الكواكب السماوية وهي الثلوج والسحب والأنوار وهكذا . وزينة أهم أسباب أنوارها باطنة وهي صور الحيوانات والنباتات التي أحدثت مناطق حول الأرض زينة لها . وانما قلت ان السحب والثلوج وأمثالها أهم أسبابها ظاهرة لأن حرارة الشمس سبب لها ولكن هناك إحكام في الصنع ونظام في الوضع أسباب خفية فلا يشبه عليك . ثم ان المناطق الحيوانية والنباتية التي جعلها الله محيطة بأرضنا زينة لها بديعة . فظاهرها جيل ولكن باطنها أجل لما فيها من التدبير والاحكام في ادراكاتها ومنافعها فضلا عن صورها والاحكام في تعقلها أمور معاشها وتدبير ذريتها مما ظهر كثير منه في هذا التفسير . وفي هذا المقام ﴿ خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على طريق تقسيمه في الآية

﴿ الفصل الثاني ﴾ بهجة العلم . إن الانسان محبوس في عاداته تاركا عقله كما حبس الحيوان في غرائزه وهو في ذلك أقسام على منهج القرآن الكريم

﴿ الفصل الثالث ﴾ في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان . وأن الأرض كراقصة بما حلت

حول الشمس

﴿ الفصل الرابع ﴾ في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة . وفيه بيان نعيم الحرية وبجيم الاستعباد

﴿ الفصل الخامس ﴾ في أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين

﴿ الفصل الأول في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على منهج التقسيم في الآية ﴾

هأنت ذا أيها الذكي رأيت بعض صور الحيوانات في افريقيا وأمريكا وتقدس عليها ماسواها . سبحانك اللهم أنت ضربت نور القناديل أمامنا مثلاً لنورك الذي أشرق على قلوبنا وعلى كل حيوان ونبات وسما وأرض ثم قلت - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم - . نعم أنت تعلم كل شئ لأنك تعلم ما خلقت . أما نحن فأنك تضرب لنا الأمثال وليس ضرب الأمثال قاصراً على ما ضربته لنا في القرآن . كلا . إن النجوم التي نراها مشرقة في أكناف السماء والقمر والشمس لم نر حقائقها وانما رأيناها مصغرة جداً . فكوكب الجوزاء الذي نراه في السماء أصغر من البرتقالة أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة والكواكب الثابتة كلها كبيرة كشمسنا أو أكبر أو أقل . فهذا الذي نراه في الجوّ المحيط بنا ليس نفس الكواكب بل هو ضرب مثل لها . فإذا كان القنديل في مساجدنا ضرب الله به المثل لنوره فكم ضرب لنا مثلاً لمخلوقاته بتصغير صورها في أعيننا . ذلك لأنه يقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - والعلم بضرب الأمثال علم قليل . فإذا قيل لنا فلان كالبدر فليس في هذا معنى إلا أن وجهه مشرق ولم نعرف صفاته . ولقد قرب الله عز وجل العلم للناس اليوم بكثارة ضرب الأمثال بالصور الشمسية مثل الصور التي رأيتها هنا (شكل ١٥ و ١٦ و ١٧ الخ) فما هي إلا صور للقرود وعجل البحر والنمر الأمريكي والبيغاء وأضرابها ولكنها لا تعطينا إلا ضرب مثل وهو علم قليل فقله تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس - يفتح لنا باب الكواكب والحيوانات والنباتات التي ترسم لنا صورها في عصرنا . ذلك العصر الذي امتاز بأث الله يرينا آياته فيه إذ قال - ويريك آياته فأث آيات الله

تسكرون - وقال - وقل الحمد لله سب ربكم آياته فتعرفونها - فنحن الآن مأمورون أن نحمد الله لأنه أرانا آياته بالعلوم المنتشرة اليوم . ولا معنى للحمد إلا بالعلم بالمحمود عليه بقدر طاقتنا . فلنقرأ علوم هذه الحيوانات والنباتات ولنحجب من تقسيم الحيوان الى ماش على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع . وهذه الطريقة هي التي سار عليها علماء الطبيعة في عصرنا إذ يقولون ان الحيوان أدناه خلق قبل أعلاه . فالماشى على بطنه قبل الطيور والطيور قبل ذوات الأربع

﴿ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع ﴾  
لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم المدقق الذي اعتاد أن يحاورني في المسائل الهامة في هذا التفسير فاطلع على هذا فقال ما هذا التطويل . أتريد أن تجعل هذه الآية كتاباً ضخماً . فهاذا الاكثر . ان هذا يورث السآمة والملل . فقلت له أنا أسألك في قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - فهل تجد في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة - . قال لا . قلت فمن الذي فصلهما . قال النبي ﷺ فقد بينت السنة الصلاة فقال ﷺ ﴿ صلوا كما رأيتموني أصلي ﴾ وهكذا بين الزكاة فقال ﴿ في كل أربعين شاة واحدة ﴾ وهكذا . قلت ألم يؤلف علماء الاسلام في ذلك كتباً شتى . قال بلى ولوجعت كتب المذاهب من الشيعة وأهل السنة في الصلاة والزكاة وحدها ملأت مكانب عظيمة تملأ مساحات واسعة . قلت الصلاة والزكاة فرض عين وعلم الحيوان والنبات يكونان فرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يكفيها بحيث يضارعون في علمهم بهذه العلوم في كثيرتهم من يعلمون هذه العلوم في أوروبا والصين واليابان وأمريكا أو أكثره هذا من جهة ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ لا يقتصر الوجوب على الوجوب الكفائي بل هناك وجوب عيني على كل قادر متفرغ لذلك للتوحيد وللشكر . فشكر الله واجب وكل يشكر على مقدار وسعه لا تكاف نفس إلا وسعها . ولا معنى للشكر بغير علم بنعمة المشكور . إذن هذه العلوم تجب وجوباً كفايياً على مجموع الأمة وعينياً على أفراد ممتازين ذكاه وفراغ بال لمعرفة الله ولشكره ومعرفة الله بهذه العلوم وهكذا شكره وازدياد المعرفة واجب كازدياد الشكر قال تعالى - وقل رب زدني علماً - فهذا من ازدياد العلم الذي يجب علينا بنص الآية لأننا أمرنا أن ندعوا الله بالازدياد ولا معنى للدعاء بأمر نحن لا نطلبه ولا توجه اليه فنحن أمرنا بالاستقامة كما قال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - وأمرنا بالدعاء بالاستقامة فقلنا - اهدنا الصراط المستقيم - وأمرنا بالعلم قال تعالى - اعملوا أن الله يحب المحي الأَرْض - الخ وهكذا آيات كثيرة . فقال صاحبي هذا القول موضع في مواضع أخرى من هذا التفسير ونحن سلمنا به ولكنني أقول اني أخاف سآمة القارئ . فقلت قد ذكرت لك أن الصلاة والزكاة واجبان . فالصلاة على الجميع والزكاة على من عنده مال فمن ليس عنده مال لا تجب عليه الزكاة هكذا من ليس عنده قدرة على دراسة علم الحيوان لا تجب عليه . فأما القادر على الدراسة فعليه التعلم للشكر . إذن فلماذا نرى المسلمين ملؤا خزائهم بالعلوم العملية ولم يملؤوها بالعلوم العلمية التي عليها يبنى أصل العقيدة وأصل الحياة الدنيا . فهذه العلوم تنفع من جهة ثبات العقيدة وازدياد الشكر ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ أنها تزيد الناس ثروة وغنى وسعادة في الحياة الدنيا . وقد قال امام الحرمين وبعض العلماء ﴿ إن هذه العلوم أفضل من علوم فروع العين لأن نفعها أعم ﴾ فلماذا اقتصر المسلمون على ما ينفع نفعا خاصاً وتركوا ما ينفع نفعا عاماً الصلاة تنفعني وحدي والزكاة تنفعني في الآخرة وتنفع أناساً فقراء محدودين في الدنيا . أما هذه العلوم فانها تنفع الأمة كلها . وعليه يكون قول امام الحرمين ومن يحا نحوه وجبها ويكون بعض المسلمين هم وحدهم الأمة المقصرة النائمة الجاهلة الغافلة المسكينة الفارقة في بحر الحى من الجهالة وهم ساهون فقال صاحبي إن هذا القول حق وأحس بما تنار في نفسي منه . ولا بد من نتائج له تحصل في الاسلام . قلت إذن لا يسأم الانسان من بيان الحيوان . ولماذا لم يسأم من معرفة أركان الصلاة وتبيان الزكاة . قال انه لم

يسأله لأنه يسمع ذلك من النبوة . فالنبي ﷺ وأصحابه هم الذين شرحوا الصلاة والزكاة ونحوهما فلذلك أقبل الناس عليها وألفوا كتباً جمة فيها . قلت والبيع والاجارة والرهن والقضايا . قال كذلك فهذه قد نقل الناس أحاديث عن رسول الله ﷺ فيها فرغبوا وحققوا ودققوا . أما هذه العلوم فلم يجدوا فيها نصوصاً . قلت له قال الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون - ألم يقل الله تعالى في القرآن - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - . قال بلى . قلت إذن الله لم يوجب علينا أن تقتصر على قول النبي ﷺ وأصحابه في كل شيء بل في الشرائع وحدها . أما النظر في هذه الدنيا فهذا علم عام . ألم تسمع قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - فنحن ننظر وإذا جهلنا سألنا أهل العلم . ألم تذكر ماقلته لك في (سورة البقرة) عند آية النسخ أن النبي ﷺ أخذ بقول سلمان الفارسي في حفر الخندق ولم يبال بأخذ العلم عن المجوس لأن حفر الخندق إنما كان من عمل الفرس . فها هو ذا رسول الله ﷺ يعمل بعمل عباد النار وسمع كلام أهل العلم بالحرب في واقعة خاصة . أفلا يسعنا مايسع رسول الله ﷺ وندرس هذه العلوم ونأخذها عن أربابها مادامت ليست شرائع كما أن حفر الخندق ليس من الشرائع . قل - قاي يجب علينا الأخذ عن أهل العلوم في كل علم وهم أهل الذكرفيه . قلت وأيضاً يقول الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون أقول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - . إذن المؤمنون المبشرون هم المسلمون بعدنا الذين يقرؤون علوم الأمم ويتبعون أحسنها وهؤلاء هم أولوا الألباب وهم المهديون وهؤلاء يكونون أرقى من المسلمين الذين في زماننا وفي القرون المتأخرة فقال نعم هذا حق . قلت إذن فلن فصل هذا المقام بعض التفصيل بحيث لا يكون مكرراً مع ما تقدم في علم الحيوان من هذا التفسير

### ﴿ أقسام الحيوان ﴾

إن الآية كما قدمنا جعلت الحيوان ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ (١) ماش على بطنه (٢) ماش على رجلين (٣) ماش على أربع . إني أذكرك أيها الذكي بما تقدم في (سورة الحج) عند قوله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً - الخ فقد تبين هناك أن الذبابة بدراسة جسمها أمكن تقسيم الحيوان إلى قسمين قسم له دم وعظم وهي الحيوانات الفقرية . وقسم لادم له ولاعظم وهي الحيوانات الحلقية والمفصالية والرخوة والنباتية . فقال صاحبي ليس هذا عين ما هناك بل هنا بعض تغيير في اللفظ . فقلت له إن القول هنا سيكون أوضح . إنما أحب أن تقرأ ما هناك ثم تقرأ ما هنا ليحصل عندك من جلال العلم ما به ينشرح صدرك . فقال سأفعل إن شاء الله . فقلت إذن الحيوانات هكذا

(١) فقرية (٢) حلقية (٣) مفصالية (٤) رخوة (٥) نباتية



( شكل ١٨ - نبات أوروبا )

( وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أتى ثمرة إنه في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون )



( شكل ١٩ - حيوان أوروبا )

( ومن الأنعام حولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين )

الحيوانات الفقرية فيها الأقسام الثلاثة هي الآية من يعيش على أربع ومن يعيش على رجلين ومن يعيش على بطنه . فهذا القسم استوفى أقسام الآية . قال وكيف ذلك . فقلت إن فيه ١٢ قسما ﴿ الأول ﴾ الحيوانات ذات اليمين وهو الانسان الذى قسموه الى الصنف القوقازى وهو الأبيض والى الصنف المغولى وهو الأصفر والى الصنف الافريقى وهو الاسود والى الصنف الأمريكى وهو الأحمر والى الصنف (الأيبيرىورى) وهو ساكن القطب الشمالى الاسكىمو ﴿ القسم الثانى ﴾ ذوات الأربع الأيدي وهى القردة وهى أصناف (الحيون والاورانج أوتان والغوريلا والشمبانزى) ﴿ القسم الثالث ﴾ الحيوانات آكلة اللحوم وهى تشمل الحيوانات الكاسرة كالاسود والفور ولها أسنان نائمة وهى القواطع والأنياب والأضراس ﴿ والقسم الرابع ﴾ الحيوانات الثديية البحرية وأطرافها قصيرة ولها أرجل قصيرة كفية كأنها المجاديف تعينها على السباحة وغذاؤها اللحوم وتخرج الى الشاطئ للراحة ورضاعة أولادها . وهذه (نوعان) الحول البحرية والبقر البحرى ﴿ القسم الخامس ﴾ الحيوانات ذوات الأيدي الجناحية وهو حيوان واحد وهو الخفاش يرضع أولاده وهو ليلى ويتغذى بالحشرات وهو يطير بسبب غشاء عريض ممتد بين أطرافه المقامة والمؤخرة وكذا أصابعه المستطيلة على شكل أجنحة يطير بها ويقضى الشتاء وهو نائم ﴿ القسم السادس ﴾ الحيوانات الثديية آكلة الحشرات ومنها القنفذ والنار الغيطى وغذاؤه الحشرات ولها أنياب وأضراس ﴿ القسم السابع ﴾ الحيوانات الثديية . القراضة لا أنياب لها وأضراسها كحجر الطاحون مفرطحة وتعيش فى الأبحار وتتغذى بالنبات وبالثمار وهى تشمل ذوات الترقوة كاليربوع والسنجاب والكاستور وهذه تنسلق على الأشجار . ومالاترقوة له ومنه حامل الشوك والأرانب وهذه لاتنسلق على الأشجار ﴿ القسم الثامن ﴾ الحيوانات الثديية عديدة الأسنان ومنها آكل النمل والكسلان وأم قرفة وهو نوع مغطى بصفايح كقشور السمك وبعضه له درع مثل (التاتو) ﴿ القسم التاسع ﴾ الحيوانات التى لا أطافر لها ذات الجلد التخين وتتغذى بالنبات وهى (١) ذات الظلف الواحد كالفرس والخنزير وحمار الوحش والخرتيت (٢) وذوات الأرجل المشقوقة وأطرافها تنتهى بأصابع من اثنين الى أربعة مثل الخنزير وجاموس البحر (٣) وذوات الخرطوم وهو الفيل ﴿ القسم العاشر ﴾ الحيوانات المجترة . ليس لها ترقوة وتتغذى بالحشائش والنبات من غير مضغ ومعدتها أربعة أقسام تقدم رسمها وشرحها فى (سورة النحل) وليس لها قواطع فى الفك العلوى ولا أنياب لها إلا حيوان المسك الذى يتميز ذكوره عن انثاه بنايين طويلين فى الفك العلوى وتحمل تحت بطنها كيدا فيه مسك وعدد الأضراس ستة من كل جهة لطحن الغذاء والفك يتحرك حركات جانبية وبعض هذه معدة خامسة لخزن الماء كالجلل واللاما . ويدخل فى هذا القسم الجاموس والبقر والغنم والماعز والزرافة وحيوان المسك والمها واللاما





﴿ القسم الحادى عشر ﴾ الحيوانات القيطسية وهى حيوانات بحرية تنفس فى الهواء آنا فآنا وتضع أولادها أحياء وهى إما أن تتغذى بالنبات مثل اللامنتين واما أن تتغذى باللحوم مثل القيطس والكشالو والدلفين أما القيطس فهو الذى يستخرج منه زيت يصنع منه شمع شفاف وهو يتغذى بصغار الحيوان ويصعد الماء من أنفه كالنافورة . واما الكشالو فهو كالقيطس ورأسه مقدار ثلث أونصف جسمه ويستخرج منه العنبر السجاني وهو فى الأعور فى هذا الحيوان . واما الدلفين فهو الدرفيل المشهور يتغذى بالسماك والحكومات حرمت صيده لأنه ينقذ الناس من الفرق ﴿ القسم الثانى عشر ﴾ الحيوانات ذوات الرحين وهى فى (هونلاند الجديدة) وهى تضع أولادها وهى أجنة لاتتحمل أحوال الجو فتضعها فى جيب خاص فى مؤخر البطن والثدى أمام هذا الجيب واللبن يسيل من ذلك الثدى بغير اختيار لتغذية الصغار وبعد أمد معلوم تترك أولادها ذلك الجيب وترجع اليه متى رأت خطرا . ومن هذه الحيوانات (القنقر) وهو كالأرنب الكبير اذا جلس معتدلا وهو فى استراليا وتسمانيا . هذه أنواع الحيوانات الثديية التى هى قسم من أقسام خمسة للحيوانات ذوات الفقرات

#### ﴿ القسم الثانى من الحيوانات ذوات الفقرات الطيور ﴾

وهى (١) إما دجاجة مثل الدجاج والطاووس والحجل والسمان والحمام واليمام (٢) واما ذوات أرجل كفية مثل البط والأوز والبعجم (٣) واما شاطئية مثل أبى قردان والقلق وأبى مغازل والنعامه والبشاروش (٤) واما دورية مثل البلبل والعندليب والخطاف والقنبر والغراب والمهدد (٥) واما متسلقة مثل الببغاء ونقار الخشب (٦) واما جارحة مثل النسر والحدأة والبوم والمصاص والعقاب والصقر

#### ﴿ القسم الثالث من ذوات الفقرات الزواحف ﴾

وهى السلاحف والورل والثعابين . فالسلاحف لها درق على جسمها والورل مستطيل له ذيل وأربع قوائم قصيرة والثعابين مستطيلة اسطوانية عديمة الأطراف . ومن الثعابين ذوا الجرس إذ له آلة رنانة فى ذنبه يعيش فى أمريكا وهو سام . ومن الثعابين ما لاسم له مثل (البوا) وهو كبير جدا ويتغذى بالحيوان بالضغط والازدراء ومثل الثعبان ذى الطوق وهو يتغذى بالسماك والودود والحشرات

#### ﴿ القسم الرابع من الحيوانات ذوات الفقرات الضفادع ﴾

#### ﴿ القسم الخامس ﴾ السمك . انتهى قسم الحيوانات ذوات الفقرات

ها أنت ذا أيها الذكى اذا تأملت فى هذا النوع من الحيوان تجده مرسوما أمامك والرسم مثل من الأمثال التى ضربها الله لنا فتجد فى حيوانات أمريكا الجنوبية مثلا الغنم وهى من ذوات الأربع والأففى وهى من التى تمشى على بطنها والببغاء وهى من التى تمشى على رجلين وبقية الحيوانات الفقرية المتقدمة ملحقه بهذه



( شكل ٢٢ - نبات أمريكا الشمالية )

( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رجته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقاه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتي لعلكم تذكرون \* والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون )



( شكل ٢٣ - حيوان أمريكا الشمالية )

( والأعنام خلقها لكم فيها دفة ومنافع ومنها تأكلون \* ولكم فيها جبال حين تربحون وحين تسرحون \* وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم )

﴿ القسم الثاني ﴾ من أنواع الحيوان (الحيوانات الحلقية) ومنها ما يسكن البحار وما جاورها مثل السريل له خياشيم ذات ألوان زاهية ومثل (السايل) وهو يسكن أحجار الشواطئ ويعيش فرقا . ومثل (الامفريت) ومثل (السكولوبندر البحري) وهو الذي يبحث عنه الصيادون ليستعملوه طعما للسماك . ومثل (دودة السباخ) وتسمى دودة الأرض جسمها أبيض يميل للحمرة لماع لماعا معدني . ومثل (دود العلق) يسكن في المياه العذبة ويقرب من هذا الدود (١) الدود الذي يعيش في أجسام الخنازير والأرانب والإنسان وهكذا (٢) والدود الكلوي وهو يعيش متطفلا على الحيوانات المختلفة وفي كلا الإنسان . وهكذا أنواع كثيرة من الدود التي تسبب أمراضا مختلفة كما وضع كثيرا في هذا التفسير فكلها من أنواع الديدان وكلها من الحيوانات الحلقية كالتي تحدث (البلهارسيا) و (الانكلستوما) وغيرها . انتهى القسم الثاني من أقسام الحيوانات العامة وهي الحلقية . وهذا القسم دمه إما أحمر أو أصفر أو أخضر وهي خنثى فلكل حيوان عضوا التذكير والتأنيث معا وبعضها يحتاج لجماع متبادل . ومنها ما يتولد بطريق الأزهار كأزهار النبات

﴿ القسم الثالث . الحيوانات المفصلية ﴾ وهي العنكبوتية والقشرية وذوات الأرجل الكثيرة والحشرات فالأولى منها العنكبوت والعقرب وأبو شبت والقراد وحيوان الجرب . والثانية منها أبو جلمبو والسرطان والجبري فلكل منها (٨) أرجل وهيكلها صلب وتعيش في الماء . والثالثة لها أرجل كثيرة وتعيش على الأرض . ويدخل في هذه ذات المائة رجل وأم أربعة وأربعين وذات الألف رجل . وأما الحشرات فهي معروفة في هذا التفسير وتقدمت كثيرا فلانعيد الكلام عليها فانظرها في آخر (سورة الحج) وغيرها

( شكل ٢٤ )



( شكل ٢٤ - نبات أمريكا الجنوبية )

( هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون \* ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون )

( شكل ٢٥ )



( شكل ٢٥ - حيوان أمريكا الجنوبية )

( والحيل والبغال والخيول لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون \* وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين )

ومن الحشرات مالا جناح له . ومنها مستقيمة الأجنحة كالصرصار والجراد وفرس النبي والحفار . ومنها نصفية الجناح كالبع والقميل . ومنها ما أجنحتها غشائية مثل النحل والزنبور الأصفر والأحمر وزنبور الطين ومنها غمدية الأجنحة مثل الجعران وخنافس الفول . ومنها ما لها جناحان فقط مثل البراغيث والزعقومة . انتهى الكلام على القسم الثالث وهي الحيوانات المفصلية

( القسم الرابع الحيوانات الرخوة ) مثل المحار وصدف اللؤلؤ وأم الخلول وبعض هذه مشروح شرحا وافيا في (سورة مريم) في أولها (شكل ٢٦)



( شكل ٢٦ - نبات وحيوان أستراليا )

( والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \* وإنا إلى ربنا لمنقلبون )

( القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية ) ومنها الزبوفيت وتقدم شكلها في آخر (سورة الحج)

بهية خمسة أشعة منتظمة جيلة . انتهى الكلام على أقسام الحيوان

وبدراسة هذه الحيوانات يعلم المسلمون معنى قوله تعالى - فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - فهذا هو الذي يفهمنا القدرة أى قدرة الله على التنوع فهو ينوع الحيوان أنواعا لا حصر لها ويعطى كل ذى حق حقه . وهذا هو الذى نزل لأجله القرآن وفتح باب علم والحيوان وتقسيمه بهذه الآية . أما النبات فلم يذكره فى هذا المقام إلا استطرادا لأنه غذاء الحيوان ولقد تقدم الكلام عليه فى سورة البقرة عند قوله تعالى - إن فى خلق السموات والأرض - إلى آخره عند مسألة إبراهيم والطير وفى سورة الأنعام عند قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى - وعند قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أثمر - وفى سورة الحجر عند قوله تعالى - وأنبثنا فيها من كل شئ موزون - وفى سورة الحج عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة -

هذا ما أردت شرحه فى تفسير قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - فبأيها المسلمون أذكركم خير بحيث يرى الطالب حكمة الله واضحة له كأن يقرأ ذلك الحيوان المتقدم الذى ينزل اللبن له ليسقيه لضعفه لأنه لا يزال جنينا لأن أمه ذات رحيم كما تقدم أم نضيع زمانه فى حفظ القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه عالما وكونه حيا الخ لا لا . أيها المسلمون هذا لا ينفع أطفالنا وأنا الآن أكتب هذا وعندى اعتقاد تام أن تعاليم المسلمين ستكون على النهج الذى يوافق منهج أمثال هذا التفسير - ولتعلمن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨

( محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين ضحى يوم الأحد

(٩) من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أوردها هنا (لغرضين الأول) أنها إيضاح لهذا المقام (الثاني)

ان خير العلم ما أخذ من نتائج آراء المفكرين المجريين )

قال المفتش بلطف وأدب (وهو ممن أتموا علومهم فى أوروبا) أيها الاستاذ لقد حل كثير من المفسرين القرآن ما لا يحتمل وأدخلوا فيه ما لا سبيل لدخوله حتى ان بعضهم أخذ يستنتج من الآيات أن الفهم موجود فى القرآن . ولا جرم أن أمثال هذا التحل ترفضه العقول وتنفر منه النفوس ولقد رأيتك اليوم ترسم هذه الخرائط فى التفسير مينا حيوانات ونباتات افريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا والاقيانوسية وهذا لا سبيل الى ادخاله فى القرآن إلا بتكلف . فقلت له هناك فارق بين اثبات أن الفهم فى القرآن وبين بيان أن الحيوان مقسم على القارات فى الأرض . فقال أين البيان . فقلت إن الله يذكر لنا أن الحيوان منه ما للأرجل له ومنه ماله رجلان ومنه ماله أربع . هل هو يريد أن تقف على تعداد الأرجل . كلا . بل يقول العلماء ان العدد لا مفهوم له وإذا عددنا للحيوان أربعة أرجل فهناك ماله (٦) وماله (٨) وهكذا . فقال أنا لست أعارض فى اتمام مبحث الأرجل ولكنى أعارض فى ادعاء أن معرفة تفرق هذه الحيوانات على القارات يطلبها القرآن . فقلت إن هذا تقسيم للحيوان من حيث عدد أرجله وهو فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن معرفة العلوم كلها ( كما نص عليه علماء المنطق ) ترجع الى أربعة تحليل وتعريف وأورسم وتقسيم وقياس . فالتحليل للأشخاص كهذه التفاحة أو هذه النخلة لا يجوز أن تقول عرفت هذه النخلة ولا قسمها ولا برهن عليها وإنما تقول حللها فالتحليل كتحليل الماء الى الأكسوجين والادروجين هو السبيل الى معرفة الأشخاص . والتعريف وهو الحد ويتبعه الرسم وهو التعريف الناقص يعرف بهما الأنواع كما تعرف الانسان بأنه حيوان ناطق أو تأتى له برسم فنقول هو حيوان عريض الأظافر يمشي على رجلين وهكذا . وأما القياس كالبرهان والجدل فهو الاجناس كما تستدل بأن للعالم عددا . وأما التقسيم فهو لتمييز الكليات المختلفة كأن تقسم الكلمة الى اسم وفعل وحرف وتقسم

النبات الى نجم وهو مالا ساق له والى شجر وهو ماله ساق وهكذا والتقسيم مستعمل في جميع العلوم . فالتقسيم الذى ورد في الآية اليه يرجع ربع العلم . وهنا نقول هل الله يريد أن ننظر تقسيم الحيوان من حيث عدد أرجله فقط أم يريد اننا نفكر في أمره والتفكير في أمره يحتاج الى دراسته كله بقدر طاقتنا فلنقرأ علم الحيوان ونقسمه من كل جهة من جهات التقسيم . فنقسمه من حيث موطنه في البحروفي الهواء وعلى الأرض ومن حيث منافعه ومضاره وهكذا كما تقدم . فقال هذا حسن ولكنك قد استعنت بعلم المنطق على ايراد هذه الخرائط في التفسير وفيه بعض التكلف نغير من هذا أن يكون نفس القرآن هو الذى يصرح بالتقسيم الذى أوردته هنا بلا احتياج لعلم وضه الناس . فقلت له إن الله ذكر المشى فهل يمشى الحيوان على الهواء أوفى الأثير بل هو يمشى على الأرض . فاذا رسمنا الماشى رسمنا أرضه معه . واذا رسمنا بقعة من قارة لم يكن لها فضل على الأخرى . واذا رسمنا قارة يقال لنا ولماذا لم ترسم القارات الأخرى . نغير لنا أن نرسم الجميع . فقال هذا أحسن مما قبله ولكن فيه بعض تكلف . فقلت له يقول الله تعالى - حم \* تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم \* إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين \* وفي خلقكم وما يبث من كل دابة آيات لقوم يوقنون - فها هو ذا سبحانه جعل الايقان وهو أرقى من الايمان مرتبططاً بمعرفة الدواب المفرقة في الأرض فقال هذا أقرب ولكن أريد ما هو أبين من هذا . فقلت إذن تريد أن تسمع قوله تعالى في (سورة البقرة) - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة - فذكر الأرض وذكر أنه فرق الدواب فيها . فها هي ذه الأرض مرسومة أمامك وهذه هي الدواب وهل هذا غير القرآن وهل الآية التى نحن بصدد الكلام عليها فيها غير هذا . أليست ترى الله يقول - والله خلق كل دابة من ماء - فهنا ذكر الكل والكيلات لاتعرف إلا بالتقسيم وها هي ذه قسمتها على المناطق تارة وعلى القارات تارة أخرى وهكذا يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة - أفكفاك هذا البيان . فهذه هي الأرض أمامك في الرسم وهذه هي الحيوانات عليها . فقال نعم لقد انشرح صدرى له . فأقر الحاضرون على ذلك البيان وهم مستبشرون . فقال لقد كنت في أوروبا ورأيت القوم يجعلون قصص أنبيائهم في مسارح السينما وهم يظهرون لهم قصص الأنبياء كموسى وعيسى عليهم السلام والرجال والنساء والأطفال يتأثرون من الوقائع والحوادث ويكون . فبالله كيف يثبت الدين في القلب إلا بنقشه في النفس من الصغر كمثل ما رأينا هناك . أما المسلمون فهم لذلك محرمون ومنه محرومون . فقلت التصوير الشمسى قد نشر في هذا التفسير وتلقاه المسلمون بالقبول وقد ذكرت في (سورة يونس) فتوى علماء المذاهب بالأزهر وأبنت أن ذلك يكون واجبا اذا كان للتعليم . فها هو ذا التصوير الشمسى أصبح في نفس التفسير وقد قلت هناك ﴿ ان من حرمه فقد انخلع من دينه وعقله لأنه ظل مصور بتصوير الله صوره هو بشمسه ومن حرم الظل والنظر اليه فقد أصبح مجردا من العقل ومن الدين . وأما اظهاره بطريق (السينما) وهى الصور المتحركة فليس يزيد شيئا عن ظهوره في هذا التفسير إلا أن التفسير يقرؤه آحاد . وأما في محال الصور المتحركة فانه يقرؤه مئات مجتمعون واذا جاز ظهور الصور للاتحاد جاز للآلاف ﴾ فهذا التحريم لامعنى له الآن . فقال آخر إن المرحوم الشيخ محمد عبده قال « إن التصوير المجسم لا يحرم في هذا الزمان لأنه منع بالحديث الشريف في الأزمان الأولى حينما كان الناس أقرب الى الوثنية . أما الآن فقد تنور الناس فلا يخاف عليهم ذلك ﴾ فقلت انى لم أطلع عليه ولست الآن مضطرا لهذا المبحث فقد اكتفيت بما أحتاج اليه في هذا التفسير وهو التصوير الشمسى فأما كون قصص الأنبياء تظهر في الصور المتحركة عند الفرنجة فقد ألف قدماء المسلمين كتباً شتى فيها روايات تحجب المسلمين في الدين مثل ما جاء في كثير من حكايات ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ وخرافات سيف بن ذى يزن وأمثالها

فقد جعلوها روايات تحجب المسلم في الدين وما أكثرها فلتهدب تلك الكتب وينشر أمثالها بين العامة وإذا كانت في الصور المتحركة لم يضر ذلك شيئا كما قدمناه . فقالوا الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهـ  
﴿ هذا التفسير وأمثاله بامثال هذه العلوم يرجع المسلمين الى العصور الأولى ﴾

لما أتممت هذا المقال قابلت صديقي العالم الذي اعتاد أن يحادثني في المسائل المهمة في التفسير مرة أخرى فقال ما أجل ما اخترت هنا من الرسم الجليل والبهجة . ولعمري لم أجد روضة أجل ولا مجلسا أبهى من مجلس أطلع فيه على عجائب هذه الصور البديعة الحسنة . ماشاء الله كان . فبينما أنا أطلع منظر الصحراء في افريقيا وجبالها وشجر جوز الهند وحقل القمح وشجر النخل والقطن اذا أنا أرى الخريت والتمساح والفهد وفرس الماء وأنواع القروود والتمرقوى العنق حاد الأسنان خشن اللسان مبطن الأقدام طويل الذيل يبلغ طوله على الأرض نحو (٣) أمتار . ذلك الذي يسبح في البحر فيعلو السفينة في النهر ويهاجمها وتقف الماشية أمامه حائرة اذا نظرها ومع ذلك كله يخاف من الصوت الغريب عليه كالخشخشة والجلجلة ان لم يكن جائعا  
﴿ الأسد ﴾

ولما نظرت الأسد تذكرت انه سيد السباع . وعلى اللون عظيم القوة حتى انه يقضم ظهر نوحى وهو قنوع . حافظ للجميل محب بنفسه كريم ولا يفترس إلا اذا جاع ، ينام النهار كالنمر ويسعى للقوت ليلا شديد البطش عظيم المهابة

### ﴿ الثعلب ﴾

ولما رأيت الثعلب تذكرت انه عدو الطيور والسباع مشهور بالمكر والخبث والحيل مثل أن يتظاهر بالموت ليتخلص من الصياد وهو يجول للصيد ليلا ويختفي بالنهار ويحفر له حجرا منفرجا قريبا من جذور الأشجار العتيقة وهو سريع العدو واذا لم يجد نحو الدجاج تغذى بالفيران والضفادع وهو يأكل القواكه كالغضب ولذلك يتلف الكروم

### ﴿ الذئب ﴾

ولما رأيت الذئب تذكرت انه هو الجبان الذي لا يسوقه الى الافتراس إلا الجوع وهو لجبنه يدخل صوامع الدجاج برجليه الخلفيتين وهكذا لا تصيد الذئب غالبا إلا وهي قطعان فتفترس الغنم والحويان الأضعف وقد تصيد الخيل والبقر والانسان وقطعان الذئب اذا جاءت لانهاب خطرا والذئب قوى ما كره كالثعلب . واذا تعرض للانسان وعجز عنه استعان بالذئب . واذا رمى الانسان ذئبا أكلته الذئب ولم تأكل الانسان وهكذا اذا مرض واحد منها افترسه ولذلك اذا مرض واحد منها اعتزل الباقي

### ﴿ الجمل ﴾

ثم لما رأيت الجمل تذكرت صبره على العمل وعناده اذا أهين وحقده وانتقامه ممن ظلمه وتذكرت أنه يعيش (٢٥) يوما بلا شرب ماء اذا كان الورق الذي يأكله عملا بالعصير النباتي وهو لا يعيش إلا في البلاد الحارة . وهكذا تذكرت صفات البقر والجاموس والغنم والمعز المجتررة التي لها أربع معدات تأكل الحشائش وتبلعها فتزل في الكرش ثم تذهب الى تجويف يسمى القلنسوة وتذهب الى الفم فتمضغ ثانيا ثم تذهب الى تجويف ثالث يسمى أم التلايف ثم الى تجويف رابع يسمى الأنفحة . كل ذلك تذكرته لما رأيت هذه الأنعام في هذه الصور وهي مرسومة في مراعيها . بذلك ذكرت قدرة الله وحكمته وكيف خلق لكل حيوان ما يليق له . فلم يعط القروود ولا الانسان ولا الآساد هذه المعدات الثلاثة لأن هذه ليست في حاجة اليها ولم يعط الطير أسنانا بل جعل له القناصة والحوصلة يهضمان الطعام عوضا عنها وعن المعدة والأمعاء . وجعل الحيوانات آكلة الحشائش طعاما لا آكلة اللحوم وقلل هذه وأكثر تلك ولم يخلق سبحانه عضوا إلا لمنفعة فترى الأنبياء القوية في السباع للحاجة اليها ومنعت المجترات ذلك لعدم احتياجها اليها . هذه هي المعلومات الأولية التي

تعلمتها في الصبا تذكرتها الآن بهذه الصور المرسومة أمامي . تم الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

( بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغراثرها

وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين )

جل ملكك يا الله وابتهج حيوانك بنباتك وابتهج كل مخلوق بنعمك فخرستهم برحتك وحفظتهم بنعمتك لا إله إلا أنت ذو الجلال والجمال الذي ظهرت آثاره في الآفاق فعمرت بها القارات كلها آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا والاقيانوسية . هاهي هذه الحيوانات راتعة في بحبوحة النعيم وأظلالها في كنفك وأبحت لها الحشائش والمرعى والأشجار وهي رافلات في حلل السعادة والنعيم . هذه نعمك ماثلة أمامنا نحن قراء هذا التفسير التي أنعمت به علينا بعد شوقنا إليه آمادا طويلة وألهمت أناسا رسموا خرائط أرضك بأقسامها وآخرين رسموا حيوانك ونباتك ثم هيأت هذا كله وجعلته تفسيراً لكتابك المنزل . الله أكبر . أحاطت آيات القرآن بالقارات وبحيوانها ونباتها احاطة السوار بالمعصم . أصبحنا يا الله نشاهد بعد اليأس آيات القرآن معانقات قاراتك وحيواناتك ونباتاتك . يحيط كتابك المنزل بحبيب كتابك المبدع في الطبيعة . نعم ظهر الآن كيف كان الاسلام دين الفطرة . حار هذا الانسان المسكين منذ أزمان في أمر دينه وفي أمر دنياه . ظنّ المسلم وغير المسلم أن الطبيعة شيء والدين شيء آخر . ظنت الأمم كلها ذلك الظن لما رأوا مخالفة الالهيّات للعلوم وللطبيعة ولكن هذا الدين الاسلامي لكونه لم يتغير كتابه المنزل وأخذ الناس يوضحون علوم الطبيعة أصبحت هي تفسيراً له وهذه هي الحجة القائمة والآية البالغة . آيات قرآنية يكون تفسيرها نفس العلوم الطبيعية وإذا لم يتم هذا تكون الديانات مفتراة أو مغيرة لأن القائل ينطق بما يعرف فإذا خالف القول العمل دل على أحد أمرين إما أن القائل كاذب وإما أن غيره كذب عليه . وهذه كانت فكرتي في أول حياتي فكنت أقول ان لم يكن دين الاسلام ملائماً للطبيعة فهو غير حق . هذه كانت فكرتي من غير معلم وأخذت أبحث في الطبيعة وفي القرآن فامتزاج الآيات القرآنية بالعلوم الطبيعية أجلّ نعمة عليّ وعلى قراء هذا التفسير . هي سعادة الدنيا وسعادة الآخرة وخير سعادة لي ما شاهدناه اليوم من ازدواج آيات الوحي وآيات الكون . فهاهي هذه آيات القرآن تحيط بالحيوان والنبات والناس يشاهدونها في هذا التفسير وتستصير هذه أمراً شائعاً بين المسلمين وسيكتبون هذه الآيات على حيطان حدائق الحيوان في الحكومات المختلفة على طراز ما كتب هنا . وهكذا في الحدائق العامة النباتية ويكون ذلك ديدنا للمسلمين

### ﴿ جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى ﴾

اللهم إن أهل هذه الأرض من أنواع الحيوان والانسان عيالك في ملكك . ان ملكك واسع وأرضنا كما عرفناه من آراء علماء الفلك ذرة ضئيلة ليست في العير ولا في النفير . نسبتها الى ملكك كله كنسبة الجوهر الفرد الذي يدق عن أن نراه بالمنظير المعظمة الى ألف مليون أرض كأرضنا هذه . لذلك كان علمنا وادراك حيواننا ضئيلاً ضعيفاً . فأما الحيوان فأنك أنت ألهمته منافعه فعاش بها وهو يسير بارشادك ووحيك على قدر ما قسمت له فالفرزة هي التي توجهه مدة الحياة . فأما الانسان وان أعطيته العقل وهو به حراً فهو مسكين مني بالتقليد . ذلك انه وان أعطيته ملك الأرض وأبحتها له ومنحته العقل والحرية قد حبس نفسه في محابس التقليد وضلّ وغوى فقال في نفسه بدل أن أفكر وأضني عقلي وجسمي فإلى وما للنصب والتعب فلا تقلد الآباء فأنا لست خيراً منهم . هنالك هام الانسان أكثره على وجهه ووقع في هاوية الجهالة . فرأينا أهل هذه القارات المرسومة في هذه الآيات من نوع الانسان قد اتخذت كل أمة من الأمم فيها عادات وديانات وأخلاقاً بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير واتبع الأول الآخر في الضلال وقلت أنت فيهم - ومن أعرض عن ذكرى فان له

معيشة ضنكا \* ونحشره يوم القيامة أعمى \* قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا \* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - عبرته بالتقليد وأبنت محاجة الرؤساء والمستضعفين - فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أتم مغنون عنا نصيبا من النار الخ وأوضح قيمة التمسك بأراء الآباء إذ قلت - قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - فطباع الانسان تكاد تشبه طبائع الحيوان . فالحيوان بالفريزة لا يتزخزع عنها والانسان لكونه في عالم متأخر مثل هذه الأرض أخذ يشابهه فدار في مدار واحد بتقليد الرؤساء والآباء كأنه إذن اختط لنفسه خطة تشابه خطة الحيوان فالحيوان بالفريزة والانسان بالتقليد . هذا هو السبب في أن الحيوان من نوع واحد يرى متشابهها في أفعاله شرقا وغربا كالذئب والآساد . أما الانسان فلا تشابه بين عاداته بل هناك اختلاف شاسع لأن العادات التي اتبعها والتقاليد التي رسمت له غير متفقة بل هي مختلفة اختلافا بينا فزيرا الآساد في الشرق والغرب واحد ومكر الثعالب في هذه القارات كلها لا يتغير لأنها جارية كلها على ما رسمت أنت لها بخلاف هذا النوع الانساني فقوم تراه يتزوجون بناتهم وأمهاتهم وآخرون يحرمون ذلك وقوم يأكلون مرضاهم وموتاهم وآخرون يدفنونهم مع ان الغربان مثلا جبعها تدفن جثث موتاهها . فالفرق الشاسع بين أكل الآباء والأمهات عند المتوحشين في أواسط افريقيا وبين احترامهم واعظامهم ودفنهم واجلالهم عند الأمم المتمدينة ليس مثل اتحاد الأعمال عند الغربان في دفن الجثث الذي لا يختلف فيه أنواعها ولا مثل اتحاد الذئب في أكل ممرض منها ولا مثل اتحاد النمل في العطف والرأفة على ضعفاها ومرضاهها . إذن هذا الانسان قد ضل عن فطرته لأن فطرته أن يفكر لا أن يكون ذا غريزة تسيره فهو حبس نفسه في سجن التقليد وكان من آثار هذا التقليد أن الناس أشتات كما قال شاعرهم

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم \* لا يستوون كما لا يستوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته \* وذاك ليس له طعم ولا ثمر

وهذا وان كان مرادا به أخلاقه الفردية فهو منطبق على عاداته القومية التي طبع عليها بالتقليد فأنسته ملكة العقل والتفكير فأنحط كثير من هذا النوع عن صاحب الفريزة وهو الحيوان . ومن آثار التقليد أن أهل الأرض الآن لما كان هذا دأبهم اذا اطلع غير المسلم منهم على ما كتبه الآن ورأى هذه القارات وعليها الآيات وفي داخلها الحيوان والنبات ورأى أن الطبيعة هي نفس الوحي المنزل وأن القول السماوي موافق للعلوم الطبيعية لا يستطيع أن يكتبه في كتاب ولا يرى في قلبه قبولا له ولا يحبه مع أن فطرته شاهدة أن كل قول منطبق على الطبيعة مناسب لها موافق لحقائقها يكون مقبولا لأن الانسان جزء من الطبيعة والطبيعة محبوبة ومنها وبها وعليها خلق وتغذى وتجمل وجل فهو بذكرها مغرم ولعلها محب ولكن التقليد الذي أخرجه عن دائرة عقله يمنعه من كتابة هذه الآيات أو الاستشهاد بها أو اعارته التفاتة فلا يصنع كما صنعت في هذا التفسير بل يراه جريمة ودليله التقليد . - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوما جهولا - بل كثير من المسلمين الذين تعلموا نصف تعليم يأفون أن ينطقوا بهذا لأنهم يريدون أن يتظاهروا بأنهم أعظم من الأنبياء فيعظمون في أعين ضعفاء الأمم الشرقية الذين أخذوا الآن يقرؤون بعض العلوم فيوهمهم رؤساؤهم بأنهم صاروا كرجال الأمم الأخرى الذين غلبوا الشرقيين بالدفاع ولا حيلة لهم في هذا الادعاء إلا أن يتظاهروا باحتقار الدين تظاهرا بالعظمة أمام صفار الأمم الشرقية . إذن أمثال ما كتبه الآن حول القارات من الآيات تختلف فيه الأمم ولا ينحون نحوهم إلا المسلمون ومن على شاكلتهم وهم قليل بخلاف الشعرفان الشعر بأى لغة كان يفرح به جميع الأمم . فشاعر الشرقيين من مسلمين وبوذيين ويهود وغيرهم يسمعه كل غربي . وشاعر الغربيين من أى أمة كان يسمعه ويفرح به كل شرقي وحكام الشرق وحكام الغرب كشعرائهم كلهم محبوبةون مقبول كلامهم عند جميع الأمم

فهذا (شكسبير) شاعر الانجليز وهذا (سبنسر) فيلسوفهم . وهذا (هوميروس) شاعر اليونان . وهذا (أرسطاطاليس) وهذا ابن رشد والغزالي وابن سينا . كل هؤلاء يسمع شعرهم وفلسفتهم كل أمة سواء أكانت على دينهم أم خلافه . أما الدين فلما كان له رجال يحملونه وكان لهم في تأييده وارتقاؤه وشيوعه في الأرض منفعة مادية كأن يزيدهم جاها ومالاً لكثرة اتباعهم وكثرة الاتباع لاتهم إلا باحتقار كل دين سواه لذلك كانت أهل الديانات الأخرى إذا قرؤا ما أكتبه الآن لم يحلوه المحل الذي يجعلونه للشاعر أو للفيلسوف الشرقي إذ أن التقليد في أمم الأرض يمنعهم عن فطرحهم وهذا الدين الاسلامي الذي ينطبق على الفطرة كما نطق به هذه القارات وحيواناتها وكما ستسمعه قريباً هنا في كلام فلاسفة أوروبا في تقرير كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ أن الاسلام . بهذا التأليف ثبت انه دين الفطرة لا يعبره غير المسلمين أدنى التفات مع ان فطرحهم شاهدة به والله الأمر وله الحول والقوة - ولو شاء ربك مافعلوه - والحمد لله رب العالمين . كتب يوم السبت ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الفصل الثالث في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان وأن الأرض أشبه براقصة

حول الشمس بما حلت ﴾

فاذا رأيت الأرض راقصة حول الشمس بحركتها اليومية والسنوية لا تفتقر ولا تنهدأ والنجوم حولها والكواكب كأنها تصفق لها وهي دائرة فانها وهي في رقصها قد حليت بالمناطق الهوائية والسحابية والثلجية والنباتية والحيوانية . فهي أبداً راقصة وهي أبداً عليها حليتها وحولها نفقاتها وفيها قلت صباح يوم الجمعة (٧) ديسمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتي من الآيات

الأرض ترقص حول الشمس من فرح \* بنورها وبنور الشهب في الظلم  
تنأى وتقرب أحيانا بما حلت \* من ناضر النبات أومن باهر النسم<sup>(١)</sup>  
فالنور مؤتلق والطير محترق \* والنبات متسق يهدهى الى النعم  
والحوت في لجج الأمواج يقطعها \* ويقطع الليث قفرا وهو في قرم<sup>(٢)</sup>  
والأرض أمهم طرا تسير بهم \* خوفا عليهم واشفاقا من العدم  
في الصيف تدفئهم بالنور محترقا \* وفي الشتاء يرون السحب من أم  
سوطان حرّ وبرد سيق بينهما \* مافي الخلائق بين الحوت والرخم  
والريح هزهزت الأشجار مائلة \* تشدومع الطير في الروضات والاجم<sup>(٣)</sup>  
في كل أرض وفي كل البحار وفي \* جو السماء أفانين من النعم  
من كل مائسة الأغصان والهة \* تختال في حلل الأزهار كالنعم<sup>(٤)</sup>

﴿ نظرة في قوله تعالى - فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين - الخ فوق ماتقدم ﴾

(١) إن كون الحيوان يمشي على رجلين وكونه يمشي على أربع وكونه يمشي على بطنه . هذه أمور يشاهدها الجهلاء والعلماء . في الانسان مع الطير وفي ذوات الأربع وفي الحيات . وأعجب من ذكر القرآن هذه الثلاثة التي يعرفها الخاصة والعامة . الله يرشدنا الى أن الأشياء المشاهدة غرض الناس عنها الطرف لأنهم في هذه الأرض حكم عليهم بالسجن في البحث عن أقواتهم وعن المال والولد . فاذن هم في غفلة ساهون فقال الله . كلا . أبها الناس إن باب العلم هو التقسيم والتحليل . أما التحليل فقد جاء في (سورة البقرة) عند ذكر الطير وإبراهيم فاقروه هناك وهو الذي يعرفه تلاميذ المدارس النظامية في العالم كله في علم الكيمياء وأما التقسيم فهو الذي فتح بابه القرآن هنا . اللهم إنا نحمدك على العلم وعلى الحكمة . أنت الذي فتحت

(١) النسم جمع نسمة وهي كل ذى روج (٢) شدة الشهوة لأكل اللحم (٣) الشجر الملتف (٤) نبت أحر

لنا باب التقسيم . الله أيها المسلمون فتح باب التقسيم فقسم الحيوان الى الأقسام المذكورة  
(٢) فانظر تقسيمه على المناطق في صورة (١٥) فهو (ثلاثة أقسام) قسم في المناطق الحارة . وقسم  
في المعتدلة . وقسم في الباردة وهكذا يقسم من حيث الأخلاق الانسانية

(٣) ان للانسان شهوة وله غضب وله حكمة وعقل فالحيوانات التي تأكل النباتات تمثل فينا القوة الشهوية  
والحيوانات التي تأكل أمثال الغزلان والأرانب كالأسود والنمور تمثل فينا القوة الغضبية والقوة المودعة في العالم  
علوية وسفلية التي بهارتبت هذه الأنواع وحفظت وبقيت بحيث لا تنفي أنواع الأنعام وأمثالها بأكل الحيوانات  
التي تغذى منها بل يبقى الأكل ببقاء المأكول ولا ينفى المأكول مع تمادى الأكل في التغذية به . فهذه القوة  
المنظمة قد أودع نور يشبهها في عقول بني آدم سميناء عقلا . إذن عقولنا أشبه بالملائكة وقوتنا الغضبية  
أشبه بالآساد ونحوها وقوتنا الشهوية أشبه بالبهائم ونحوها . فهذه ثلاث مراتب كمراتب الأرجل في الآلة  
ومراتب المناطق فوق الأرض . فهذا يشير له القرآن ولهذا نزل الكتاب ولهذا وأمثاله جاء أمثال هذا التفسير  
من الكتب التي تؤلف في عصرنا . تباركت يا الله في نظامك وعجائبك في هذه الدنيا

(٤) ويلحق بهذا أمر اللذات فهي (ثلاثة أقسام) لذات دنيئة سفلى ولذات وسطى ولذات عليا .  
فأما اللذات السفلى فهي ما يزاوله الحيوان من السفاد وضروب الزوان . فالانسان وهو يزاولها قد شارك  
الحيوان فيها وهي أدنى اللذات . ألا ترى أن هذه اللذة عمت النبات وسائر الحيوان واللذة كلما كانت أعم  
كانت أدنى منزلة وكلما كانت أخص كانت أرفع منزلة . وأما اللذة الوسطى فهي لذة الغلبة والقوة والسطوة  
وهي التي تمتعت بها الآساد والنمور والصقور فلها الحكم على الحيوانات الآكلة النبات ولها عليها فضل لأنها  
وان أكلت من القطيع الذي يبلغ (٥٠٠) نجمة مثلا واحدة كل جعة أو شهر أو سنة قد كانت سببا في احداث  
ارتباط المجموع بروابط المحبة والاخاء والاتحاد لأن الخوف من المهاجم يجمع القطيع كله على رأى واحد فاذا  
آنست أسدا فرت الجوع من وجهه ولا يقع فريسة إلا الضعيف . هكذا جعل الله في الناس من هم أولوا قوة  
وأولوا بأس شديد فيحفظون الأمم والدول والممالك ويساعدون في ارتباط المجموع واتحادهم بالقوانين والأوامر  
فهؤلاء الملوك وهؤلاء الأمراء لذتهم اذا خلت من الشهوات البهيمية أرقى من لذة الفتيان بالمطاعم والملابس  
والتزويج المقصرين على ذلك . وانما كانت هذه وسطى لأنها خاصة بطائفة من الحيوان ولم ترتق الى المرتبة  
العليا وهي اللذة العلمية وهي اللذة التي لا يعرفها إلا الحكماء والأنبياء والملائكة . فالانسان إذن إما بهيم واما  
أسد واما ملك

فكن رجلا رجله في الثرى \* وهامة همته في الثريا

(٥) تقسيم الحيوان على حواس الانسان وحاجاته

(١) فنه ما ينفع الانسان من حيث حاسة اللمس فيلبس الجلود والأوبار والأشعار والأصواف كالإبل

والمعز والغنم

(ب) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الشم كحيوان المسك في البر ورحوت العنبر في البحر

(ج) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الذوق وحصول الغذاء بالألبان واللحوم وهذا معروف

(د) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة السمع كالطيور المغردة من الفواخت ونحوها

(هـ) ومنها ما ينفعه من حيث حاسة البصر كالطيور الجليدة من أمثال الطاووس وهناك منافع عقلية لأنواع

الحيوان تكسبه حكمة وعلماء وذلك كالألوان التي شرحتها لك في أول سورة المؤمنين . فهذه تدهش عقل  
العقلاء وتدعوهم للتفكير والتأمل والاعجاب بما أبدع الله فيها

(و) انظر ألوان الحيوان وصوره . هناك تر العجب العجيب . ترى الحيوان أعطى لونا خاصا لحفظه هو

فانظر هناك حشرة تعيش على (البقدونس) كيف لَوَّتْ بلون أزهاره حتى لا تمتاز عنها ، وانظر هناك صورة لحشرة أشبهت غصنا من نفس الشجرة قد قطع حديثا وهي بذلك قد حفظت من الهلاك وكيف يكون بعض الحشرات مشبها في الشكل زرق الطيور الآكلات لها حتى لا تقع عليها فتفترسها . وهكذا مما شرحته لك هناك ثم انظر من جهة أخرى صور أجسامها وتركيب أسنانها وجهازها الهضمي تجدها مفصلة بحسب متقن على حسب مصلحة نفس الحيوان لاعلى مقتضى الوسط فلم يكن لون سواد الفار ولا اللون الزاهي في الزنبور رمية من غير رام كما أقرب به فلاسفة القرن العشرين

إذا علمت ذلك في النظرات الست المتقدمة هنالك تعرف لماذا يقول الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والنواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعرف قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - هذا هو الذي نزل له القرآن وهذه العلوم التي أظهرها الله في زماننا هي التي بها يفسر القرآن الذي جعل اختلاف الألوان لا يعرفه إلا العلماء ولا يدرك أمثال هذا إلا العلماء به لاعموم العقلاء والحمد لله رب العالمين انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة وفيه بيان نعيم الحرية وحجيم الاستعباد ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلق الحيوان قبل أن يخلق الإنسان وألهمه معاشه وعلمه صنائعه وقسمه أقساما وكل ذلك قبل أن يخلق هذا الإنسان على الأرض . إن الله قد فعل مع الإنسان ما فعله مع الطفل من احضار ما يحتاجه قبيل الولادة حتى إذا وضعته أمه وجد القابلة التي تساعد في وضعه والثدي واللبن واللفاف وجميع أنواع الراحة له حتى يعيش في الأرض . هكذا الإنسان كله خلق له قبل أن يخلق الحيوان وخلق للحيوان النبات كذلك حتى يدرس الإنسان هذا الكتاب المفتوح فضلا عن أن يكون غذاء له ومركبا وزينة ومتاعا الى حين . ولقد مرّ في (سورة طه) أنواع الصناعات التي تعلمها الإنسان من الحيوان في شؤون الحياة فقلده فيها فانظرها هناك فانك تجد الإنسان ماصع مركبا في البحر ولا طيارة في الهواء ولا حصنا لمدينة ولا سردابا تحت الأرض فيها إلا وقد سبقه إليها الحيوان . وأقول الآن إن الحيوان على ﴿ قسمين ﴾ قسم يعيش في الخلوات والغابات حرا طليقا سعيدا قويا معززا وقسم يذله الإنسان ويستخدمه ويكون مساعدا له . فالأول كالغزلان والآساد والثاني كالكلاب والغنم فالأول بحريته صار أعزّ نفسا وأشرف وأجل وأكمل وأقدر على التدبير من الثاني الذي حرم قوة الحيلة والتدبير لأن الإنسان قام بحاجته وتكفل بغذائه فأنحطت ملكاته وساءت حياته ففرق بين العز والزال . هكذا أتم على الأرض ﴿ قسمان ﴾ قسم اعتاد التواكل والكسل فألهم الله من هم أقوى عقولا وأحسن تدبيرا فاحتلوا بلادهم وساموهم سوء العذاب وقالوا لهم أيها الناس عليكم العمل علينا التدبير فعيشوا كما تعيش الأنعام وكونوا خاضعين . وكما انقسم الحيوان الى ذليل وعزيز حرّ هكذا انقسم الى ما أعطاه الله صناعة والى ما لا صناعة له . فالأول كالنحل والعنكبوت فترى النحل عزيزا أينما حلّ في البدو والحضر فهو معظم مكرم حتى ان الإنسان اذا استأنسه قام له بكل خدمة وعظمه وأكرمه ذلك لصناعته العجيبة فأما العنكبوت فانه لقوته الصناعية يحتل كل مكان في الحقول والمنازل ويصطاد الحشرات

﴿ اشارات القرآن لهذين التقسيمين ﴾

إن الله عز وجل لم يسم في القرآن السورة باسم (البقرة) وهي مما استذله الإنسان إلا وقد ذكر معها الذبح فقال - إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - ثم قال - فذبحوها وما كادوا يفعلون - هكذا الأم التي تركت مواهبها وعقولها سلت الله عليها من الأم من يقودونها ويقومون بشؤونها - سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا - فهؤلاء المسلمون المستضعفون في الأرض قد ضرب الله لهم مثلا في الأنعام أمامهم فانهم يعرفون

الفرق بين الأسد والكلب وبين الغزال والعنز فالغزالة أنقى لونا وأجل شكلا وأوفر ذكاء وأوسع حيلة من أختها العنز التي استذلها الانسان . ذلك هو كتاب الله الذي أنزله للناس قبل أن ينزل كتابا واحدا من السماء وهكذا لم يذكر الحيوانات الصانعة في التقسيم الثاني إلا مقرونة بما يشرفها ويعظمها . ألم تره لم يذكر النمل في (سورة النمل) إلا وقد شرفها بأن سمعها نبي من الأنبياء وهو سليمان - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك - وقال الله في النمل - قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - كما انه لما خاطب المدهد وهو من نوع الطيور الحرة في التقسيم الأول هنا بعد أن توعد بالذبح أو التعذيب الشديد لم يهنه ولم يذله لانه سمع منه الجواب المحكم والعلم إذ قال له - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين - بخلاف (البقرة) فانها لم تفد العلم بالقتيل إلا بعد الذبح . يقول الله تعالى - فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى - فإليت لم يخبر بقتاله إلا بعد ذبح البقرة وهو هدّد بالذبح ولكن لم يذبح وأتى بعلم وهو حى . ذلك فرق ما بين الحرّ وغير الحرّ . الحرّ لا يذبح ففقد حياته وغير الحرّ يكون طعاما للآكلين فلذلك أفاد المدهد سليمان بما لا يحيط به علما . هذا تشبيه ظاهر لأم الاسلام أن سمو الفكر والحكمة وعلو القدر والعظمة كلها تابعت للحرية التي يتبعها صفاء الذهن وحضور البديهة والصدق في العمل ولم ينزل القرآن لنا للتفكه بل نزل للحكمة ولم يختر الله المدهد في حكاية سليمان رمية من غير رام . كلا . ثم كلا . بل المدهد رمز للنفوس الصافية التي ليست تحت إمرة غيرها حتى يكتموا أنفاسها ويذلّوها ولو كان علماء الاسلام فكروا في هذا قبلا ما ذلّ المسلمون ولا ضعفوا ولا استكانوا ولكن الله عز وجل هو الذي يعطى من يشاء ويمنع من يشاء - وكل شئ عنده بمقدار - ولقد كان من الجائر أن يذكر الله بدل المدهد حمامة فالحمام هو المجهود لتبليغ الرسائل في السلم والحرب قديما وحديثا ولكن الله عز وجل يريد أن يعلمنا بطريق ضرب الأمثال بالحيوان فذكر المدهد لهذا وأمثاله والله هو الفتح العليم . ثم تأمل كيف ذكر الله المدهد والنمل مع سليمان حتى يكون ذلك شاهدا على القسم الأول في هذا المقال وعلى القسم الثاني فيه حتى يكون هذا المقال كله مقتبسا من (سورة النمل) مرتبطا بآية النور هنا عند تقسيم الحيوان الى الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وهكذا . ولا جرم أن التقسيم العام هنا يدخل فيه ذلك التقسيم الخاص في (سورة النمل) الذي تضمنه حديث سليمان مع المدهد وتبسمه من سماع النملة . فهنا عموم وهناك خصوص وهذا المقال خاص دخل في العام . فأنا أجدك يا الله على نعمة العلم وبديع الحكمة إنك أنت اللطيف الخبير . وهكذا لما ذكر الله العنكبوت أردفها بقوله - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في النحل - وأوحى ربك الى النحل - فهما هودا سبحانه أفادنا أن في ذكر العنكبوت ونحوها ضرب أمثال وأن تلك الأمثال لا يعقلها إلا العلماء وأفادنا في النحل انه يوحى اليه كما أنه في (سورة المائدة) أفاد أن الغراب معلم للانسان إذ قال سبحانه وتعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى فأصبح من النادمين - وعلى مقتضاه يقول يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا المدهد والغراب فأكون حرا طليقا قوى العزيمة أخاطب ملكا عظيما كسليمان فلا أخشاه لعلمي ولصدق ولقوة عقلي و يقيني والحرّيتي وأيضا أعجزت أن أكون كالنحل والنمل وكالعنكبوت في الصناعات حتى أستخرج مواهب الكامنة فيّ وهناك يلهمنى الله رشدى ويزيدنى علما بما أزاوله كما أوحى الى النحل لما زاولت عملها والى العنكبوت لتتنن نسجها والى النمل لتربى أولادها . هذا ما فتح الله به صباح يوم الخميس ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

( حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان )

ولعمري - إن الانسان لفي خسر \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر -

الله يقول - إن الانسان لني خسر - لماذا؟ لأنه جهول - قتل الانسان ما أكفره - . ويقول أيضا - وجلها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - . اللهم اننا نحن سكان هذه الأرض أسرى التقليد والأوهام والجهالة أفكر يارب في هذه السنّ فأرى انك قويت صحتي وأتذكر أيام شبابي فأجد الأمراض كانت تحيط بي . ولما فكرت في ذلك وجدت أن المرض في الشباب كان بالجهل بعلم الصحة وأن الصحة اليوم بسبب انك عرفتني بعض علم الصحة وعملت بشئ منه . وكلما رأيت في صحتي اعتدالا قليلا أو كثيرا بعد أن أكون عملت ببعض ما أكتب في هذا التفسير من قوانين الصحة أقول يا سبحان الله وسعداته . إذن أمراض الناس بجهلهم ومرضى بجهلي وكل انحراف عقلي أو صحي أو خلقي عندي الآن أو من قبل ليس له سبب إلا جهلي . إذن شقاء الناس كلهم بالجهل . ومن عجب أني أرى عظماء الأمم وكبراءهم في عصرنا يتبجحون بالاعلان عنهم في الجرائد انهم شربوا المرطبات أو الخاوى في مجالسهم العاتمة وهكذا فإذا سمعت هذا الاعلان أقول في نفسي . يا عجباً . مالى أرى هذا الانسان ساهيا لاهيا . شرب القوم المرطبات . شربوها جميعا . هل كانوا عند الشرب جميعا مسوقين له بالعطش أم ذلك شهوة لاغير فمن شربها للعطش فيها ومن شربها للذة أورثته مرضا دفيناً واختلالا وهكذا مرة بعد أخرى حتى يظهر أمره بعد حين . فلماذا لا ينظر الناس الى الحيوان . ذلك الذى لا يأكل كل إلا اذا جاع ولا يشرب إلا اذا عطش والانسان لغباوته وجهله يشرب لغير سبب إلا اللذة وهذا له عقاب عظيم في هذه الحياة . هكذا في أمر التناسل ولذة الوقاع يقول الأطباء ﴿ إن حفظ هذه القوة يقوى الجسم والعقل و يصدّها تميز الأشياء ﴾ ومن عجب أن الناس يشاهدون الأنعام لا يقرب الذكر أثناء مادامت حاملا كأنها قرأت نظام العالم وعرفت منه أن هذه الشهوة ليست مقصودة لذاتها لذلك حفظت قوة تلك الحيوانات . أما هذا الانسان المسكين فهو أسير شهواته يواقع كثيرا لغير ما سبب إلا الشهوة وهي تربيته . نعم أنا لست أقول اننا نقلل الوقاع كما تقلل الأنعام أى عند ارادة الحمل فقط ولكن أقول الأفضل أن يكون ذلك تابعا لعلم الصحة حتى تقرب من حكمة الله في أرضه التى أظهرها لنا في الأنعام التى اقتصرت على طلب الولد والله أشار لذلك فقال في (سورة البقرة) - وقدموا لأنفسكم - بعد قوله - نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم -

اللهم إننا على الأرض أمانا ﴿ كتابان ﴾ كتاب منظور وكتاب مسموع والكتاب المسموع الذى أوحيته وجه عقولنا الى كتابك المنظور . فلتوجه برحمتك عقول المسلمين من الآن الى نظامك فى كتابك المنظور حتى يعقلوه فيفرحوا بجمالك وليتخلقوا بأخلاقك العالية الشريفة وليقفوا عند حد أدبك الذى فرقته على حيواناتك فى أرضك وقلت - قل انظروا - فهانحن أولاء يارب نظرنّا فوجدنا أن النوع الانسانى حاد عن الجادة فى تصرفه واتباع العادة ولم يفكر منه إلا الأقلون . يشربون وهم لم يعطشوا ويأكلون وهم لم يجوعوا والحيوان لم يفعل ذلك وأكثرا ما يكون ذلك منهم فى ولائهم وأفراحهم ومجتمعاتهم العاتمة ويدخلون دخان (التبغ) فى أفواههم يدور فى دورة الدم فيؤذيهم ويشربون المواد المتخمرة التى تضر أجسامهم ويفعلون ما به يستضرون . وقد تمتحننا بالجوع الكاذب بين الأكلتين أو العطش الكاذب بين المرتين من الشرب فنطبع تلك الداعية فنستضروا ذاك تضلّ القوة العقلية ويفتر الذهن وتقصر الآجال على حسب الأقدار الجارية . ولقد قلت فى كتابك - وما أصابكم من مصيبة فمّا كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فهذا مما كسبناه بأيدينا وقلت أيضا - وإن طمع أكثر من فى الأرض يضلّوك عن سبيل الله - وسبيلك يارب فى كل شئ بحسبه - إن ربى على صراط مستقيم - وقد دمت التقليد فقلت - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - . إن هذه الأمة سيكثر فيها المفكرون فى أمر هذا الحيوان والاقتباس مما جبل عليه ليرجع المسلمون الى الفطرة - فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى صباح يوم الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

## ﴿ نداء الى أمم الاسلام ﴾

( تذكرة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وازدياد لليقين )

إن من أعجب العجب أنى بعد ما كتبت ما تقدم اطلعت على محاضرة مسببة ألقاها الاستاذ (فينج فيشر) الأمريكى الاخصائى فى علم الصحة أظهر فيها بالبرهان الجلى المحسوس أن الناس فى القرن الحادى والعشرين سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة على الأقل وقال اتنا الآن نقصر أعمارنا باستعمال الكحول والتبغ والشاى والقهوة فضلا عن اتنا نكثرون تناول الأطعمة ونقلل من ممارسة الألعاب الرياضية وننام قليلا ونرتدى ملابس غير صحية وأن علم الصحة يقود الى اطالة العمر ولا يأتى الموت إلا اذا فقد الجسم النشاط الحيوى عند ما تصبح الحياة كعقرب الساعة المكسور . وختم محاضرته بقوله ﴿ إن أحفادنا وأولادهم سيعيشون جيلا أو جيلين لأنهم سيدركون أكثر منا ويحافظون على الوسائل الصحية وينبذون استعمال المواد المهلكة لتلك الأجسام ﴾ انتهى

أقول . عجبى أن تنشر هذه المقالة فى بلادنا عند كتابة هذا الموضوع ولعمر الله كم من علم ينشر والناس به يستهزئون وليعلم المسلمون أن دين الاسلام سيأتى زمانه أما هذا الزمان فأنما هو مقدمة لا غير . إن المسلمين قرؤا آيات الخمر وتحريمه والربا وتحريمه ولكن كان الخمر هو أجل ما يفرح الأمراء ورؤساء الدول الاسلامية فضلا عن الفساق وأصحاب الخلاعة . كل ذلك لأنهم لم يدركوا السر فى هذه المحرمات ولم يعلم كثير منهم أن ذلك التحريم لاسعادهم فى الحياة الدنيا قبل الموت وصار شعراؤهم يتغنون بالخمر ويقول أبو نواس شاعر العباسيين (أيام صولتهم ومجدهم والقوم لا يزالون أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ولم يبلغ الترف منهم مبلغا عظيما) ألا فاسقنى خرا وقل لى هي الخمر \* ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

وكتاب الأغاني بما فيه من أحاديث الخلاعة والفجور المنقولة زورا عن الرشيد وأمثاله قد انتشر فى دولتهم ودولة الأمويين فى الأندلس فافسد أخلاق القوم فساء صباحهم ومساءهم وخلت منهم الديار وبئست عاقبة الغافلين . فيا ليت شعرى أى أثر يتركه أمثال ما نكتبه الآن من النظرات فى الحيوان وعاداته وأنه كتاب مفتوح كتبه الله بيده لنا وقال - قل انظروا - وقسمه الى زاحف وماش على رجلين وأربع وتبين لنا انه مترفع عن الدنيا فى مطعمه ومشربه وملامسته أثناء . هنالك يكون الخجل من الجهل ومن المرض وقصر الأعمار الذى كسبناه بأيدينا وسوء التربية والملكة . فاذا انضم الى ذلك قراءة أمثال ما ألقاه (الدكتور فيشر) الأمريكى من اظهار جهل هذه الأجيال . هنالك يعلم أبناؤنا بعدنا اتنا ما كان لدينا علم ولادين اللهم إلا ألفاظ القرآن محفوظة ننقلها لمن بعدنا بأمانة كأن الله سخرنا لهم وهم الراجحون . أنت يا الله خلقت الحيوان وقلت - انظروا - وأنزلت القرآن وقلت افهموا وخلقت أمما وأمما ففكر الجميع فعرفت روسيا ضرر الربا وأمريكا الخمر بعقولهم فأدوا بعض ما جاء به القرآن والمستقبل أجل وأكمل وسيرتقى المسلمون والحمد لله رب العالمين

أيتها الأمم الاسلامية . اسمى . هذه هي حقيقة الحيوان أنزلها الله فى الأرض لتدرسوها وقال لكم انه مقسم الى زاحف وماش الخ وقال لنبيه ﷺ - فذكرى انما أنت مذكر \* لست عليهم بمسيطر - كأتى بكم قرأتهم هذه الصحيفة وأخذتم تعجبون من نظام وضعها وبهجة حكمتها فتقولون ان فى الحشرات كاللصوص والجراد والنمل والنحل لعبة وكذلك فى الطيور كالحمام والغربان هكذا فى الأنعام وفى الآساد والفيلة . اتنا نرى هذه الأنواع تجرى على وتيرة واحدة فكما كانت أنقص مرتبة كان عملها قاصرا وكما كانت أعلى مرتبة كان عملها متعديا . فاذا كانت الجرادة والذبابة والناموسة لا تربي ذريتها والنحل والنمل يعطف الفرد منها على المجموع ويربى ذريته ويحفظ دولته هكذا نرى هذين النوعين فى الطيور . فانا نرى السجاجة والبطّة والحمامة تربي أبناءها ولكن لاعلم لها بنظام الغربان وأمثالها من كل ما لها به نظام عام يجمع طائفة ويساعد الفرد

المجموع . هكذا نرى البقرة والشاة والعنز والجل لا يعرفن إلا أنفسهن وذرياتهن إلى أمد معلوم ولكن الفيلة والذئب والقرود وأمثالها قد كوّنت لها أمة وأقامت حكومة وانتظمت منها الجماعات ثم يقولون إن الشرف يتبع الفضل والمنفعة العامة فنحن نرى النحل والغربان والقرود أفضل وأشرف من الجراد والحمام والأنعام ثم ينظرون في هذا الانسان نظرة فيقولون ان الطفل منه والشيخ الهرم كلاهما لضعفه يشبه الدود والجراد إذ لا همّ له إلا حفظ حياته . والأقوياء من هذا الانسان يرتقون فيلدون الذرية وتكون لهم أسرات ثم جماعات ثم أغفاد وبطن وقبائل وهؤلاء أرقى ممن يقتصرون على أسراتهم وقياسا على جماعات الحيوان يكون الانسان كلاً ازداد جمعه ازداد شرفه . فاذا رأينا أم أوروبا كالألمان والانجليز وأهل فرنسا . واذا رأينا أهل الشرق الأقصى كاليابان والصين ووجدنا أن هذه الأمم كلها يحافظ الفرد منها على المجموع قلنا لقد أحسنوا وهم أعظم شرفاً ممن صغرت جماعاتهم بأن حافظوا على نظام القبيلة ولم يرتقوا عنه . ثم يقولون إن هذه الأمم جميعها لم تزد عن الغربان وعن الفيلة وعن النمل والنحل

اللهم انك أنت الذى ألهمت النحل وألهمت النمل وألهمت الفيلة وألهمت الغربان وألهمت هؤلاء جميعاً نظام جماعاتهم وقلت لنا - وما من دابة في الأرض - كالفيلة والقرود - ولا طائر يطير بجناحيه - كالغربان والنحل - إلا أم أمثالكم - فلهم نظام ولكم نظام . انك تريد بذلك أن توجه عقولنا إلى دراستها . هانحن أولاء درسنا هذه الحيوانات باعتبار التقسيم كما قسمتها أنت هنا بالمشى على البطن وعلى الرجلين . فلما درسناها ووازنناها بالانسان وجدنا أننا في الشرق ارتقت كما ارتقى الحيوان ولكننا لم نرها ارتقت عنه أيها المسلمون . هذه مبادئ التفكير عند آبائكم في المستقبل . ثم هم سينظرون ويقولون ما بالنا نرى آباءنا (يريدون أمثالنا وأمثال آبائنا وأجدادنا) لم يرتقوا في الأسباب ولم يعقلوا ما عقلته الأمم في الشرق والغرب . لماذا نرى الأمم كلها قد أدركت هذه الحقائق من نفوسها وخطت خطوات واسعة في الاجتماع وهم بقوا جامدين على القديم العتيق البالي من نظام الجاهلية الأولى حتى ان الأمم العربية مثلاً متفرقة متناكسة يجهل بعضها بعضاً . فهم في شمال افريقيا متقاطعون متدابرون . فالمصري والطرابلسي والتونسي والجزائري والمراكشي كل هؤلاء يجهلون انهم أمة واحدة كأمة الصين واليابان والألمان والانجليز . لا لا إن آباءنا كانوا غافلين نائمين لم يدرسوا الحيوان ولم يدرسوا الأمم . فلا هم عرفوا كيف يؤلفون أممهم كالغربان والفيلة والنحل ولا كالألمان والانجليز والصين واليابان . فهم إذن أقرب إلى طباع الصبيان والشيخ الهرمين الذين يحافظون على أقل أنواع الحياة

### ﴿ آراء فلاسفة المستقبل في أم الاسلام ﴾

إلى هنا تقف آراء أهل العلم ورجال السياسة في الأمم الاسلامية المستقبلية . أما فلاسفتهم وحكماؤهم فيرمون ﴿لغاييتين﴾ إحداهما أبعد من الأخرى ﴿الغاية الأولى﴾ ان كل أمة من أمم الشرق تجمعها لغة أو دين أو وطن تحافظ على مجموعها وهذه تضارع نظام أرقى الحشرات والطيور وذوات الأربع وهكذا أرقى نوع الانسان الآن ﴿الغاية الثانية﴾ التي هي أبعد مدى أن يجعلوا أهل الشرق كله أمة واحدة بحيث يكونون متعاونين بينهم اتحاداً أشبه بالملك المتحدة في أمريكا الشمالية . وانما يرون ذلك لأنهم يقولون ان الجماعة كلما كانت أكبر كانت أشرف والشرف لاحد له والأمم الحاضرة في الشرق والغرب لم يزيدوا جميعاً عن الحيوان شيئاً . فأى فرق بين جماعات اليابان والصين والألمان ونحوهم وبين جماعات النحل والغربان . فنحل الشرق لا اجتماع له مع نحل الغرب لقصوره وغربان الشرق لا صلة بينها وبين غربان الغرب . لا لا هذه الأمم الحاضرة لم يرتقوا عن الحيوان ولكن نحن أرقى وأرقى منهم ومن الحيوان معا . ذلك لأننا أعطينا ﴿نعمتين﴾ نعمة العقل ونعمة الدين . أما نعمة العقل فانها هي الموهبة التي بها أدركنا أن آباءنا قصرُوا عن أعلى الحيوان وعن الأمم الهيطة

بهم شرقا وغربا فنحن أعظم من أن نسير على منهج آباءنا الذين لم يجدوا من علمائهم من يوقظونهم ويخرجونهم من الظلمات الى النور . من ظلمات الدل الى نور الحرية . من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان . من ظلمات الاقتصار على نظام الأسرات والقبائل البدوية المتفرقة الى نظام الأمم الكبيرة والجاعات العظيمة الوفيرة ونحن سمعنا الله يذم التقليد للرؤساء وللآباء اذا كانوا مخطئين - إذ يقول الضعفاء للذين استكبروا إما كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار \* قال الذين استكبروا إما كل فيها إن الله قد حكم بين العباد - وسمعناه يقول - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - فهذان البابان أقفلناهما فكل ما يضر بنا من آراء آباءنا ورؤسائنا نرفضه ولا نقبله لأنه ينزلنا عن مصاف أرقى الحيوان وأرقى الانسان في زماننا ولكننا نحافظ على كل شرف ورثناه من المتقدمين وأما نعمة الدين فانا سمعنا الله كما أنه قال لنا - ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أمثالكم - قال لنا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فهاهو ذا كتابنا المقدس في الآية الأولى يجعل الانسان أمما كأمم الحيوان سواء بسواء والانسان الذي نعيش معه قد وصل لهذه المرتبة وان لم يصل لها آباؤنا المسلمون بعد العصور الأولى حين فرقت جوعهم وخضدت شوكتهم وملكتهم البطنة ومالوا للذة وشربوا في المال ونسوا مجدهم القديم وعزهم الموروث لما غرهم فتوح البلدان وحقت عليهم كلمة التفریق والهووان التي أشار لها حديث ﴿إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ﴾ فان ماخافه نبينا ﷺ قد تم فعلا وأيقنا به ووقعنا فيه تبعا لآبائنا في نحو ألف سنة بعد العصور الأولى . وفي الآية الثانية أرانا علما فوق علم أرقى الحيوان وأرقى الانسان الخالي إن الانسان في هذا العصر لم يرتق عن أرقى الحيوان كما قررناه إذن انسانته ضعيفة حقيرة والقوى الادراكية التي في أرضنا ﴿ثلاثة أنواع﴾ فهي إما غرائز كغريزة الحشرات وغريزة الأطفال والشيوخ وسائر الحيوان واما فكر وروية كما هو شأن نوع الانسان واما قوة ملكية قدسية تسمو على قوى الحيوان وقوى الانسان فهذا الانسان اليوم بفكره لم يصل الى أرقى مما وصل له الحيوان ثم وقف فأين الفضل له إذن اذا كنا نجده لا يزال طفلا في هذه الأرض بالنسبة لما ينتظر منه غدا . ها هو ذا يحارب بعضه بعضا كما يحارب النمل ويتخذ الأسرى مثلها ويسخر غيره لنفسه كتمسخير النمل إذن هذا الانسان اليوم جد جاهل فوالله لافرق بين قبيلتين بدويتين في الصحراء تفتخر كل واحدة منهما بمجد آبائها الغافلين وبين أمتين في الشرق أو الغرب تمجد كل منهما السابقين فيها وتقتصر على ذلك . إن مفاخر الآباء محمدة لامدمة واتباعها شرف لامنقصة ولكن الاقتصار على ذلك والوقوف عند حدّه صغر في النفوس وحقارة في الانسانية . فلتحافظ على شرف أسرتك الموروث وعلى فضل أمتك المعهود ولكن الوقوف عند ذلك نقص ومذمة وعار

ثم يقولون إن ذكاء الانسان لم يرق به في النظام العام عن نظام أرقى الحيوان فانه يقبل موهبة أعلى أما الحيوان فلا . فغربان الغرب لا ينتظر منها أن تتصل بغربان الشرق ولا نمل الغرب بنمل الشرق لأنه لامصلحة في ذلك . أما أمم الغرب وأمم الشرق فن مصالحهم جميعا أن يكونوا ممالك كللمالك المتحدة في أمريكا الشمالية هذا هو الحق الصراح . هنالك تكون هذه هي الانسانية الحقة . ثم يقولون علم الله أن عادات الانسان وتقاليده تمنع عن الارتقاء عن الحيوان فاصطنى رجلا قديما وحديثا حكما تارة وأنبياء أخرى فذكروا الناس بما قررناه الآن وقالوا لهم أيها الناس أنتم ضالون ليخدم المجموع المجموع . وقامت في الأمم الغربية جاعات الاشتراكية ومن بعدها البلشفية وكل هؤلاء يحاولون الارتقاء عن هذه الأمم التي لم ترتق عن نوع الحيوان ولكن هذه المحاولات لم نعرفها ولم ندرسها وليست منزلة بوحى أما الوحي فهو الذي يؤثر في النفوس وهو الذي يكون نورا تهتدى به العقول

إن عقول الناس في الشرق والغرب مستعدة لقبول الفكرة ولكنها تحتاج الى ﴿أمرين﴾ أمر وحي جاء من قوة فوق العقل حتى تسوقه الى هداه والى حكمة وعلم . أما الحكمة فهنا نحن أولاء درسنا العلوم التي عند الأمم المحيطة بنا من علوم الرياضة والطبيعة وغيرها لاسيما بعد ما نشرت كتب تحت على العلم والحكمة كما في هذا التفسير . وأما أمر الوحي فانا سمعنا قرآنا عجبا . سمعناه يقول - فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا - فها هو ذا القرآن يقول لنا إياكم والعصية الناقصة بل اذكروا الله . ثم سمعناه يقول - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فلم يذكر شرقيا ولا غربيا ولا عجميا . وسمعنا نبينا ﷺ يقول ﴿لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى﴾ وسمعناه يأمر بلالا وهو غير عربي أن يؤذن في الكعبة والعرب يسمعون ويعون ويرون القديم كله ينسخ مرة واحدة ويحل محله نظام جديد وهو نظام التقوى والكفاءة إذن مستقبل الأمم سيكون هكذا كل أمة تعمل فيما استعدت له وكل قوة من قوى النفوس لابد من استخراجها والله يقول - لا تكاف نفس إلاوسعها - إذن جميع النفوس يجب توجيهها الى الأعمال التي تناسبها فلا يكون في الأرض كسل ولا بطالة . ولا تبقى في الأرض أو الهواء أو الماء قوة يمكن استخراجها إلا وجب على الانسان استخراجها وهذا كله لا يتم إلا بأن جميع الأمم في المستقبل يراقب بعضها بعضا بهيئة مشكلة من حكام مصطفين منهم ويحكمون على الأمم المقصرة في استخراج المواهب العقلية والمنافع المادية من الطبيعة لأن الله يقول - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لالعبيد \* ما خلقناهما إلا بالحق - فاذا كان بنو آدم لا يستخرجون قوى نفوسهم ولما كمن في المادة فهم لا يزالون يلعبون وقد خالفوا حكمة من أنعم عليهم بهذه الحياة وتكون نتيجة ذلك أن يقول أبنائنا في نهاية مباحثهم لابد لنا من ﴿أمرين \* الأول﴾ أن نجد في تعليم كل ذكر وكل أمتي في بلاد الاسلام العلوم والصناعات هذا أصبح فرضا لازما ويكون شعارنا - وقل رب زدني علما - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدًا - و - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ومتى آتئنا هذه الخطوة وهي قربة المال لايعوزها متى صدقت العزيمة أكثر من عشرين سنة نوجه هممنا إذ ذاك الى نظام النوع الانساني كله وتفقاهم مع جميع الأمم ونضع معهم النظام العام لاصلاح الأمم كلها شرقا وغربا . هذا هو الذي جاء له دين الاسلام . وهذا هو المقصود من قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وقوله - وأرسلناك للناس رسولا - وقوله - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا \* وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا \* وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وقوله - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - لانه اذا جعلت الأمم كلها نظاما واحدا فأى حاجة الى رسول . إن الرسول يأتي بوحى والوحى أرقى من الغريزة ومن العقل والفكر . والوحى يحرك العقول ويخرجها من قيودها ومتى خرجت من قيود العادات وصلت الى ما ذكرناه وكان السلام العام

### ﴿ تذكرة ﴾

ولقد أوما الحديث الشريف لهذا المعنى في رواية البخارى ومسلم عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ ﴿ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة فلا يجد أحدا يأخذها منه﴾ وورد أيضا ﴿تصدقوا فيوشك الرجل أن يمشى بصدقه فيقول الذى يعطاها لوجئنا بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلا حاجة فيها فلا يجد من يقبلها منه﴾ رواه البخارى ومسلم والنسائى فيأليت شعرى هل ذلك هو الزمان الذى ستظهر فيه الأمم الاسلامية بالمظهر الذى ذكرناه بحيث يقومون بنظام هذه الدنيا مع عموم التعليم وحفظ الصحة ومعرفة قدر نعمة الحياة ويكونون مع الأمم إذ ذاك في حال أحسن من هذه بحيث يقل الطمع ويعرف الناس ما المقصود من المال

### ﴿ عجيبة من عجائب أخبار اليوم ﴾

أليس من العجائب النادرة أن أقرأ اليوم عن ﴿البلاغ السامى﴾ فى بمباى بالهند أن المسلمين فى شمال

(البرازيل) كانوا سنة ١٩٢٥ ثلاثة آلاف وهم الآن أضعافهم نحو (١٧) مرة أى (٥٠) ألفا وهم الآن يبنون جامعا كبيرا وأن الاسلام انتشر انتشارا سريعا في أمريكا وله مبشرون ما أكثرهم هناك . وقرأت أيضا أن المستر (ولز) الكاتب الانجليزى الكبير كتب يقول ﴿ كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط لأنه يضر المستمسكين به وأن الديانة الحققة هي الاسلام فالقرآن كتاب دينى علمى اجتماعى تهذيبى خلق تاريخى حتى قيام الساعة . ألم يقل النبي ﷺ « نحن قوم لانا كل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » وهذا هو الأساس القوى لعلم الصحة ولم يستطع الاطباء أن يأتوا بخير من هذه النصيحة وصاحب الشريعة الاسلامية استطاع في ربع قرن أن يقهر دولتين فارس والروم ﴾ انتهى

وانما ذكرت هذا هنا لأبين أن الاسلام كما انتشر في أمريكا ومدحه بعض علماء أوروبا فربما كان ذلك مبدء نهضة الأمم ورقى الاسلام فيتعاون المسلمون في أوروبا والشرق على اصلاح الأمم كلها . واذ ذاك بحسب ما كتبناه هنا ترتقى العقول والأخلاق والصحة التى يطلبها علماء العصر . وهناك لا يجحد الناس من يأخذون الصدقة . وذلك لأنهم جميعا يعملون لأن الفكرة التى هنا تؤذن بأن الناس جميعا يعملون والمادة تستخرج منها منافعها . فاذن يكون الناس جميعا اخوانا يساعد بعضهم بعضا كما فى كتابي ﴿أبن الانسان﴾ كل ذلك لمناسبة تقسيم الحيوان الذى أصبح درسنا فى هذا المقال ومن هذا الدرس شرحنا مواهبه ومن مواهبه استخلصنا درجاته فى العمل لنفسه ولغيرته وانتقلنا من هذا الى أن الانسان الحالى لم يرتق عن الحيوان ثم زدنا عليه أن نبينا ﷺ يقول المدار على التقوى لا على النسب . ومن هذا كله استخلصنا زبدة المقال المصطفاة منه كله وهو استخراج جميع قوى العقول ومنافع المادة واذن يصبح الناس اخوانا فى العمل والحياة بفضل الاسلام لا بفضل البلشفية والاشتراكية لأن التعاون العام اذا جاء من طريق الدين عم انتشاره واذن يكون نشر الاسلام بالاقناع والعقل والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة . صباح يوم الاربعاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ﴾

فى الأرض أشرق ﴿ نوران ﴾ نور ظاهر ونور باطن ، أشرفت الكواكب وأشرقت أرواحنا . بنور الكواكب ازدان الأفق و بنور أرواحنا ازدانت قوانا الباطنة بالخيال والقوة المفكرة والذاكرة وأمثالها . فى الجوّ الذى نراه حول أرضنا صور النجوم صورت مرصعة فيه . وفى نفوسنا نفس هذه الصور . نحن نتخيلها . نتخيلها ونتخيل كل ما حولنا . كل ما رأيناه أو سمعناه أو لمسناه أو ذقناه نجد له صورة فى نفوسنا إذن هناك عالم واسع فى نفوسنا كالعالم الذى نراه حولنا . النور المبصر والنور الذى لا يبصر كلاهما من السماء . لانور حول الارض إلا من السماء بالشمس والقمر والنجوم فهكذا ما الانوار فى نفسى وفى خيالى وفى قوى المفكرة إلا من السماء . أبصرت يارب حولى صورة جيلة فى جوك وفى سمائك ولكن هذه الصور لم تظهر لى إلا بأنوار أشرفت من السماء لامن الارض . هكذا أحسست فى نفسى بصورتها لى بنور آخر إذن هو حق من السماء وعلى ذلك تكون هذه النفس لها اشراف عام على هذه العوالم المحيطة بى واذا كنت أرى نور المشرقات مسيطرا على الارض وأهلها فهكذا نور نفسى الذى هو من السماء مسيطر على هذه الارض وما حولها بل على سائر الكائنات

هذا مخبوء فى نفسى أحس به من ابان صغرى وهو ملازم لها وقد ازدراه أكثر الناس . ان أكثر الناس يحقرون ويزدرون ما لم يتعبوا فى تحصيله . فهم لا يعبئون بما حولهم من هواء وماء وأنوار ولا يعتونها نعمة هكذا لا يعتنون قواهم الباطنة نعمة ولا يحسون بأنها كرامة . إن الكرامة محصورة عند أكثر هذا الانسان فيما منع عنهم . فشرية ماء وكسرة خبز أعطيا لهم بعد المنع أعظم نعمة يحمدون الله عليها وقطار من ذهب لم يتعبوا فى تحصيله يبذرونه تبذيرا - وحلها الانسان إنه كان ظالما جهولا - . والدليل على ذلك أن نفسى فيها آلاف الآلاف من الصور ولا قيمة لها عندى ولكنى اذا رأيت مصورا صور عصفورا أو شجرة أو انسانا أعظمته

جدا وأخذت أنفجر عليها بشغف عظيم . ذلك لأنها جاءت بكبد ونصب وجاءت بعد منع فلها قيمة عندما . فأما  
 صوري المرسومة في نفسى فلا قيمة لها لأنها مبذولة لى ولجميع الناس . ان نفسى من عوالم غير عالم الأرض  
 نزلت اليها لتدرسها ولتدرس نفس قواها . ودراسة العوالم المحيطة بي تعيننى على درس قواى الباطنة التى هى  
 المقصود الأعظم ، إذن هذه الأرض لوح كتبه الله وأظهره وقال اقرأ وارق فأنا أقرؤه اليوم ولكنى ماكدت  
 أشرع فى القراءة حتى رأيت العقبات تحول بينى وبين نفسى ففنها ماهى صحبة ومنها ماهى منزلية ومنها ماهى  
 سياسية تم أمتى كلها ولكنى مع هذا كله أحس بأن نفسى ليست من هنا بل هى من السماء . ونور السماء  
 الظاهر الذى جاء لنا من الشمس اذا حجبته سحب ساعة فانه يضىء بعدها . إذن روحى لاحد لرقبها ولا مانع  
 لاسعادها ولانهاية لاشراقها . واذا كانت الشمس وهى النور الحسى لاحد لأنوارها فكيف تقف أنوار نفسى  
 إذن فلا بحث فى قواها ولا استعداد لاسعادها ولا علم علما ليس بالظن أنى واصل الى ما أريد . أما العقبات التى  
 تقوم بين نفسى وبين مطلوبها فأنا لا أبالى بها . وأهم العقبات ملجاء من طريق الوراثة والتقليد . ورثت  
 بعض آباءى الأولين وبعض الأسيخ الغابرين أن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه وأن أكثر من  
 رأيهم فى بلاد الاسلام لا يتقربون الى الله إلا بالذكر وحده أو بقراءة الأوراد . ورأيت شيوخا فى كل قطر من  
 أقطار الاسلام يوجبون على تلاميذهم أن يقرؤا أورادا فى أوقات خاصة وأكثرهم شغلوا عن معانى القرآن .  
 أنا لا أذم الأوراد فهى تشغل الشرير عن الشر ولكن الروح أوسع من هذا . إن حصر الفكر باب من أبواب  
 الجهل . إن روحى لاحد لها فكيف تقف عاكفة على ورد خاص قانعة بالجهل منتظرة أن يفتح لها العلم  
 بالعوالم جميعها من غير تعلم . الاسلام أوسع من ذلك فاقرا هذا المقام فى (سورة الكهف) ففيها بيان ما  
 يقوله الشيخ الخواص والشيخ الدباغ فى قيمة الأوراد وحصر التلميذ فيها من صفحة (١٣٣) الى (١٣٩) فى  
 المجلد التاسع وكذلك فى (سورة الاسراء) صفحة (٦٥) فهناك ترى هذا المقام مشروحا شرحا مستفيضا  
 فلا نعيده هنا . وعلى ذلك أنا لأقف عند حد فى النظر والفكر ولا أحصر فكرى فى عالم واحد بل أطلق نفسى  
 لتعرف العوالم كلها ولكن نفسى وحدها لا تستطيع أن تعرف كل شئ ولأن تعمل كل شئ . فالعلوم لاحد  
 لها والأعمال الدنيوية كثيرة فاذا أصنع إذن ؟ هنالك ظهري أن هنا فى الأرض مى نفوسا أخرى فنفسى  
 ونفوسهم أشبه بجسم واحد . والدليل على ذلك أن كل علم من العلوم أكتبه فى هذا التفسير ظهرت مساعدة  
 الناس لى فيه فأنا أستمد من الشرق والغربى وأصطفى من علوم الشرقيين وعلوم الغربيين ما أراه جيلا  
 وأكتبه . هنالك تبين لى أن هذه الروح المرسله من السماء التى أمدها الله بنوره لا يتم لها هذا النور إلا  
 باتحادها مع الأرواح المرسله معها الى الأرض . واذن عرفت لماذا دعا الأنبياء أمهم الى العلم وهكذا العلماء  
 والحكماء فأتى رأيت كل عالم وكل حكيم وكل نبى مغرمين بتعليم غيرهم لأنهم يعلمون أن النوع البشرى أشبه  
 بجسم واحد شأوا أم أبوا بدليل أن الدول القوية تغصب حقوق الضعيفة وتحاربها ولكن العلماء فى الأمتين  
 ينقل بعضهم عن بعض فالتعاون طبيعة فى الانسان وليس يمنع هذا التعاون إلا نقائص وجهل يورث طمعا  
 واغتيالاً لحقوق الضعفاء

ملخص هذا كله أن الاعمال والعلوم لابد فيها من اتحاد المجموع وتعاونهم وأن اقتصار الشيوخ على تلقين  
 المسلمين أورادا خاصة وحجهم عن العلم وعن الأعمال العامة خسران مبین . الأرض التى نسينها قد خبئت  
 فيها المعادن . خبأها الله عنهم فلم يعطها إلا لمن بحث عنها والانسان عاش على الأرض كما يقال ثلثمائة ألف سنة  
 ولم نره أخرج من الأرض للناس نعمة الا بعد مجتهم عنها وذلك ليعرفوا قيمتها . فالذهب والنحاس والحديد  
 والكهرباء والمغناطيس عرفها الناس بعد الدأب على استخراجها ولذلك لم يتركوا استعمالها مع ان أكثر  
 العمر الذى عاشه هذا الانسان على سطح الأرض لم يستعمل إلا الحجر فالعصر الحجري هو الاصل أما عصر المعادن

وما بعدها من الكهرباء والمغناطيس فهي قليلة . ذلك لانه لا يريد أن يعطيهم الا بجدهم ليعرفوا قيمة ما يعطيهم لأن ما أعطوه من غير نصب لا يشكرون عليه كهذه الروح وقواها الجيلة التي هي أعظم من هذا العالم المادى فهم لا يهتمون إلا بما نصبوا فى تحصيله

### ﴿ القرآن والعالم المادى ﴾

وهنا نظرت فى أمر القرآن وفى عالم المادة كأرضنا هذه وقلت ان الارض صنع الله وهكذا كل عالم المادة والقرآن كلام الله والمسلمون الذين نزل القرآن لهم قد ناموا نوما حقيقيا والأثم استيقظت الآن فهل خبأ الله لهم فى القرآن ما يثير عزائمهم بحيث لا تقوم قائمتهم إلا اذا استخرجوه كما خبأ فى الأرض المعادن ولم يعطها للناس عموما إلا بعد استخراجها . واذا علمنا أن القرآن والمادة من عند الله فليكن فى الكلام من الحكم الخبوءة مثل ما فى المادة بل أعظم فلنبحث عنها الآن كما بحث الانسان قديما فى الأرض فاستخرج المعادن فإذا نرى رأينا الله عز وجل لما أنزل القرآن ومضى له (١٣) قرنا نظراً كثر المسلمين للقرآن نظرة ضئيلة فهم قالوا ان القرآن جاء للأحكام الشرعية والأحكام الشرعية قام بها الأئمة المجتهدون ولا يجتهد بعدهم بل الذين عندهم مجتهدون كالشيعة يكون المجتهد هناك مراعيًا عادات الأمة لئلا يندوه . وعليه أصبح القرآن يقرأ لمجرد التبرك والعبادة والأعظام . أما الاقتباس منه فلا والمقتبس انما يتبع صاحب مذهبه فيما يقتبسه لا غير وتلاميذ الصوفية يتبعون شيوخهم فى بعض الآيات التي يسمعونها من شيوخهم مثل أن يقولوا لهم - قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون - ويفهمونهم أن يذكروا الله ويتركوا ماعدا الذكر ومثل أن يقولوا لهم - ليس لها من دون الله كاشفة - ويرجعونها للذكر وحده والله لم يقل ذلك وانما يقول - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض - فهو سبحانه جعل الذكر مقدمة للفكر ولكن الجاهل من هذه الطائفة وغيرها وقفت عقولهم عند آراء شيوخهم وأكثرتهم جاهلون

فى القرآن قصص وفى القرآن مواضع وفى القرآن حكم . فلاذكري الآن ما فتح الله به الليلة حتى اذا قرأه العقلاء أيقنوا إيقانا تاما أن الله لما أنزل القرآن فعل فيه ما فعله فى العوالم المادية لأن المادة منه والوحى منه فهو خبأ فى مادته معادن فبرزت فانتفع بها الناس قبل أن ينزل القرآن وخبأ فى القرآن حكما وسينتفع بها المسلمون بعد انتشارها فى أمثال هذا التفسير . فاعلم أن أعمال الانسان فى هذه الدنيا ﴿ أربعة ﴾ زراعة وتجارة وصناعة وإمارة . هذا هو النظام المدنى وبه يكون نظام الأمة كلها . واذن روى باتحادها فى هذه الاعمال مع الارواح الأخرى ترقى معهم مادنا فى هذه الارض فاذا فارقتها طرنا معا الى عوالم أخرى لاندرى ماذا نفعل فيها . نرى الله فى (سورة النمل) أسمع سليمان عليه السلام النملة فلما سمعها تبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت علىّ وعلى والديّ

جلّ الله وجلّ العلم وجلّت الحكمة . إذن أنت يا الله أسمعتنا هذه القصة لمقصود أشرف ومقام أسمى مما يفهمه الجهال فى أمة الاسلام الحالية . اذن هذه القصص ما نليت فى القرآن لمجرد البركة أو العبادة . هذا رأى خطأ . يا الله أدركنا أن هذه القصص لأمر أعلى . غاية الأمر أن بعض أفراد الأمم الاسلامية تنظر اليها نظر الديك الى الجوهرة فان الديك يطلب الحب ولا يطلب الجوهرة . ولا جرم أن هذه الآية يراد بها العلم والمعرفة والحكمة . سليمان يقول ان سماع كلام النملة أوجب علىّ الشكر بل قال فى مسألة العرش واستقراره عنده انه من الله لأن العلوم اذا أعطيها الانسان ولم يفهم قيمتها دلّ ذلك على حقارة قدره وانه ليس أهلا لها فيسلبها كما يسلب الله الملك عن ليسوا أهلا له والمال عن ليسوا أهلا له . هكذا سمع سليمان كلام النملة فعرف قيمة هذا السماع فان هذا أدراك للحقائق وادراك للحقائق أعلى ما فى هذا العالم وطلب من ربه أن يلهمه الشكر وشكر النعمة لا يتم إلا بعرفتها أولا ثم قبولها والعمل لها ثانيا كما استخرج الناس المعادن وعرفوا قيمتها واستعملوها

﴿ قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد ﴾

ولما أرسل الهدهد الى بلقيس ثم جاءت وجاء عرشها ورآه مستقرا عنده - قال هذا من فضل ربي ليبلوني أ أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإني أعذّب كافرين - فسأله الهدهد انتهت بالفوز السياسي كما أن مسألة النملة كانت فوزا علميا . إذن النملة والهدهد مع سليمان انتهيا بفوز علمي وفوز سياسي أوجبا الشكر وذلك بمعرفة أن هذه نعمة وجهل النعمة يوجب عدم قبولها وعدم العمل بها والاسلمها لله تعالى ولذلك لما خطرت لي هذه المعاني كتبتهما اليوم خيفة أن تسلب مني إذا تركتها لأنها أعطيت لي الليلة وهذا من الله ليبتلني أ أشكرها بالكتابة والنشر أم أكفرها فلا أعيرها التفاتا كما أتى إبان صفري لم أعرض هذه النفس وقواها التفاتا ولم أشكر نعمتها بالبحث عنها ولم أشكر على نعم الأنوار والجمال في هذا العالم المحيط بي

إن (سورة النمل) متصلة بسبأ اتصالا علميا لا قرآني لأنهما غير متجاورتين في الترتيب . وذلك لأن مسألة الهدهد متعلقة بأمر الملكة بلقيس وهي من سبأ والهدهد يقول - وجئتك من سبأ بنباً يقين - إذن نظرنا في (سورة سبأ) فرأينا الله يذكر أن الشياطين يعملون لسليمان ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدرور راسيات ثم ختم القول بهذه الآية - اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور - ثم ذكر بعد ذلك أمة سبأ وقال - لقد كان لسبأ في مسكنهم آية - جنتان عن يمين وشمال - وأعقبه بقوله - كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور - فهنا ذكر الشكر في ﴿ موضعين ﴾ في موضع أبان فيه الصناعة وانقائها وموضع أبان فيه الزراعة في الجنتين اللتين كانتا لسبأ وسيأتي بيانها هناك . إذن شكر الله عز وجل جاء في القرآن مقرونا بالعلم وبالسياسة في سورة النمل وبالصناعة والزراعة في سورة سبأ

الله أكبر . جلّ الله وجلّ العلم . أيها المسلمون . هاهي ذه أعمال الناس في الدنيا والآخرة لا تخرج عن هذه الأربع العلم والزراعة والصناعة والامارة والله قد ابتلانا بالامور السياسية وبالامور العلمية وبالامور الصناعية وبالامور الزراعية . ولقد قدمت ذكر التجارة ولم يذكرها لأن التجارة ماهي إلا انقلب المال لأجل الربح ولكن أصول الصناعة وأصول الزراعة هما اللذان بهما حياة الأمم

أيها المسلمون . هل من سمع . هذه بعض المعادن التي خبأها الله في القرآن وأذن باستخراجها اليوم وأرانا أن نفوسنا نفوس سماوية قد جاءت الى الأرض وإن تستطيع العروج منفردة فلا بد من تعاونها مع الأئمة التي تكون فيها والأمم كلها متعاونات وبهذا التعاون يقسمون العلوم والزراعة والصناعة والامارة وهذه هي التي بها الحياة في الدنيا والسعادة في الآخرة

أيها المسلمون . تبسم سليمان ضاحكا لما سمع كلام النملة وطاب من الله أن يلهمه شكر هذه النعمة وانما طلب من الله لعله أن النوع الانساني محجوب بالعادات يحتقر ما يصل اليه ومتى احتقره جهله ومتى جهل أصبح أدنى من الحيوان وعلم النملة وعلوم الحيوان كلها من دراة عند الأمم الاسلامية المتأخرة التي نزل لها القرآن فأسمعهم دعاء نبي عظيم يطلب من ربه أن يلهمه شكر نعمة معرفة خطاب النملة ﴿ وبعبارة أصرح ﴾ ان أكثر هذا الانسان جاهل لا يهتد امر هذه الحيوانات ولا يدرسها وليس يعرف الانسان قيمة هذه الجباب إلا اذا ألهمه الله وقد ألهم الله اليوم كثيرا من المسلمين أن يتعلموا هذه العلوم . فاذا جاء لهم أيضا من طريق القرآن لاسيا من قصة سليمان وسبأ كان ذلك أقوى وأوسع مدى

استقر عند سليمان عرش بلقيس فلم يفرح بالنعمة وبيطر بل قال هذا امتحان من الله فان عرفت النعمة وحافظت عليها كنت شاكرا ومن لم يفعل ذلك فقد كفرها . وسبأ أعطوا سدّ العرم وأعطوا جنتين هناك فاذا فعلوا تركوا السدّ فلم يحافظوا عليه ولم يدرسوا العلوم التي درسها آباؤهم ولم يتحدوا للمحافظة على هذه النعمة فسلمها الله منهم وقال - فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق -

هذا بعض السرّ في قوله تعالى - وقليل من عبادى الشكور - وقد اتصل بآية - الله نور السموات والأرض - الخ من ﴿ وجهين ﴾ وجه أمر الروح التي هي نور من الله ووجه الطيور والذباب التي تشمل هدهد سليمان والنملة التي سمعها وتبسم ضاحكا والهدهد متصل بسبأ وفي هذه جماع نظام الأمم أيها المسلمون . في هذا المقال مجامع العلم في الأمم التي حولنا ففيد الصناعات والعلوم والسياسة فكل من نظم سياسة أمته وإمارتها فهو قائم بشكر الله وكل من رقى صناعاتها فهو قائم بشكر الله وكل من نشر العلوم فهو قائم بشكر الله وكل من رقى زراعتها فهو قائم بشكر الله . هذه هي بعض كنوز القرآن . خبأها الله لكم وأبرزها الآن لما استعددت لقيادة أهل الأرض بعد نوم آبائنا نحو (٨٠٠) سنة . فها هو ذا اليوم الموعد لاسعاد أمم الاسلام واخراجهم من سجون الجهالة التي حبسهم فيها شيوخ غافلون ومنعوه من التفكير في القرآن ومن التفكير في الأمم المحيطة بنا وفي الأرض التي سخرها الله لهم . فهانحن أولاء الآن عرفنا أن مقومات الممالك من زراعة وصناعة وسياسة وعلم . كل هذه تركها كفر للنعمة واقامت شكرها والله يقول - وان تشكروا يرضه لكم - ويقول - واشكروا لى ولا تكفرون - ويقول علماء الاصول ﴿ شكر النعم واجب ﴾ فالشكر بأنواعه المتقدمة واجب على المسلمين وان لم يشكروا حلّ بهم ما ذكره الله في نفس قصة بلقيس مع سليمان (التي جرّ إليها ذكر الهدهد الذي هو من الطيور المسبحات المصليات في هذه الآيات في سورة النور) إذ يقول الله - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - إذن ذل بعض الممالك الاسلامية اليوم انما جاء من جهلهم بشكر النعم وأجلّ النعم هي ممالكنا التي سلمها الله لنا كما سلم العرش لسليمان فلما رآه مستقرا عنده قال ان هذا ابتلاء من الله لى وامتحان . هكذا نحن باعطاء الملك لنا متمننون فان قومناه بما يلزمه (من صناعة أشار لها بالصرح المرد من قوارير وبصناعة المحاريب والتمائيل وبزراعة أشار لها بالجنتين في قصة سبأ وبسياسة تحفظ البلادو بعلم أشار لها بالنمات بسم ضاحكا بقوله - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك - الخ) أبقاه لنا وان أهملناه وتركنا مقوماته أدخل الملوك والأجانب فاستولوا على عروشنا وأفسدوا بلادنا - وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - وأنا واثق أن المسلمين اليوم غيرهم بالأمس إذ أقبل زمن نصر الله والفتح والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في هذا المقال ﴾

( في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ )

أجذك اللهم على نعمة التوفيق والحكمة وأجذك على الإلهام وعلى ما شرحت به صدرى وما أفضته من نورك للأمم الاسلامية التي يعوزها الصدق في القول والجد في العمل . لقد ذكرت في المقال السابق أن الشكر في الاسلام يرجع الى جميع الأعمال في هذه الحياة الى جميع العلوم وأقول الآن انه من أعجب العجائب أن المسلم في كل صباح يحاطب ربه ويناجيه ويدعوه بنفس ما كتبته فيما تقدم . يناجى المسلمون ربهم في صلواتهم بهذه العلوم التي أكتبها في هذا التفسير . نعم يخاطبون الله العظيم ولكن أكثر الناس يخاطبون ولا يعلمون بماذا يخاطبون . نعم أنا الآن في تفسير (سورة النور) وهى الآن مقدّمة للطبع وطال المقال في آية - الله نور السموات والأرض - الخ وطال في مسألة تقسيم الطير الى ماشى على رجلين وعلى أربع وعلى بطنه . نعم هو طال ولكن الحمد لله لم أخرج عن الموضوع كثيرا لأن المقصد هو الهداية وبهذا التقسيم أى تقسيم الحيوان على منهج القرآن وصلنا الى كل ما عشى وكل ما يطير وكل ما يدب وانتهى بنا المقال الى الهدهد والذئب وأمرهما مع سليمان عليه السلام فنحن على حق اذا بحثنا في هذه الحادثة لأن النمل يمشى على الأرجل والهدهد يمشى على رجلين ولهما حادثة تاريخية مع نبي عظيم له ملك لا ينبغي لأحد من بعده . نحن مهما طال بنا المقال لم نخرج عن نط القرآن . لم نخرج عنه كما لم نخرج أصحاب المعلقات بوصفهم الناقة (التي تحملهم الى محبوباتهم من النساء)

بأوصاف ربما تصل الى (٢٩) بيتا في بعض القصائد . هذا أسلوب العرب والقرآن كتاب عربي . فنحن اذا بحثنا في حادثة الهدد مع سليمان عليه السلام لسنا خارجين عن سنن النظام والقرآن لاسيما بعد ماسمعناه ﷺ يقول ﴿ أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا ﴾ فالقرآن كله جوامع كلم ومختصر وهكذا الأحاديث الصحيحة وقد سمعنا الله يقول - ثم إن علينا بيانه - وسمعناه يقول - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - فالآن أشرع في شرح مافتح الله به في هاتين الليلتين . ذلك أن المسلم يقول في صباح كل يوم ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيما عافيت ﴾ فهو ليس مهديا وحده ولا معافي وحده بل مع غيره ثم يختم الدعاء بقوله ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ فهاذا الشكر . أليس هذا هو المذكور في علم الاصول « ان شكر المنعم واجب » أليس هو الشكر المذكور في قصة سليمان الذي ذكرته في المقال السابق . سبحانك اللهم يا الله أنت القاتل - فالولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين \* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

أنت يا الله قد ضمنت بقاء الأمة مادامت مصلحة . فبالت شعري ما هو الاصلاح . الاصلاح يرجع الى ما تقدم من نظام الأمة الذي اشتملت عليه قصة سليمان مع بلقيس وقصة سبأ والمحافظة على العروش أن يزول وعلى العلم وعلى الصناعة وعلى أمر الزراعة ومن لم يحفظ هذه النعم كأهل سبأ جعلهم حديثا ومنزقهم كل بمنزلة الله أعطى آل داود صنعا يعملون لهم ما يشاؤون من محاريب الخ فقال لهم - اعملوا آل داود شكرا - وسليمان شكر الله على نعمة العلم إذ سمع كلام الخلة وعلى نعمة الملك في حديث الهدد وأهل سبأ مزقوا لأنهم لم يشكروا نعمة الجنيتين وذلك بعدم المحافظة عليهما . جع الله ذلك كله في قول المصلي صباحا كل يوم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ وأنا أقول ، أيتها الأمم الاسلامية . هلا كان من القرون المتأخرة من قبل عصرنا من شرحوا للخاصة والعامة معنى هذا الشكر الذي يقوله المصلي كل يوم وهو يناجي ربه . لماذا أيها العلماء لم تشرحوا للناس معنى الشكر كما شرحه الله في (سورة سبأ) وفي (سورة النمل) نعم بعض القائلين بأمر الأمم الاسلامية مترفون فكأنهم اتبعوا ما أرفوا فيه وهذه الآية التي جاءت في (يونس) خاطب الله بها المسلمين يريد بها توجيه الهمم الى النهي عن الظلم الذي يقوم في أمتنا بتوجيه الذم الى الأمم السابقة . يقول لماذا لم يقم فيها هادون علماء حكام - ينهون عن الفساد في الأرض - ثم ويخ تلك الأمم قائلا ان الظالمين في تلك الأمم مترفون واتبعوا الترف وتركوا النصيحة والتعليم

الله قرن الظلم بالترف والمترفون ظالمون . إن التمتع وحب الراحة هو الذي أضرت بأمتنا الاسلامية كما أضرت الأمم السابقة وأنا أقول الآن ألافليقم في الأمم الاسلامية من يقولون لهذا المجموع الاسلامي أيها المسلمون الشكر الذي تكررونه كل صباح وكل مساء هو القيام بحفظ النعم التي أنعم الله بها عليكم جميعا وهي نعمة الأرض التي تسكنونها والممالك التي سلمت لكم فلا تعطلوا نعم المزارع والأنهار بترفكم وتنعمكم وإهمالكم وجهلكم بالعلوم والصناعات التي تحفظ تلك الأرض بل تعلموا كل علم وكل صناعة حتى تصير بلادكم كبلاد الأمم التي تعيش معكم رقيا والافأتم ظالمون مترفون والله يعطي أرضكم لمن هم أقدر منكم على نفع عباده بها ، وأيضا هو القيام بأمر الصناعة التي لاتم حياة إلا بها وأمر آل داود أن يشكروا الله عليها . وأيضا هو القيام بأمر الدولة التي منحكم الله إياها وعرش الملك الذي سلمت اليكم مقاليد الله والله ما سلمكم هذه الممالك إلا اختبارا لكم خصب فان قتم به حق القيام أبقاه وان أتم قصرتم في نظامه أخذه منكم وسلمه لغيركم . واذا كان سليمان الذي أعطى ملكا لم يعطه الله لأحد بعده وقد وعده الله بذلك يقول أنا مبتلى والله يختبرني أشكر أم أكفر فمن هو المسلم الذي ليس بنبي هو مختبر من باب أولى . لهذا نزل القرآن ولهذا أنزلت أمثال هذه الآيات بل ما نذكره الآن من أعجب

ما جاء به القرآن . يقول سليمان الذي هو موعود من الله بالملك وأن هذا الملك لا يعطاه أحد بعده انتى مبتلى هل أشكر نعمة الملك بالمحافظة عليه أم لا

فأين الثريا وأين الثرى • وأين معاوية من على

فاذا كان الأنبياء يخافون وهم أنبياء فما بالك بالمسلم المسكين . من هذا تعلم السرّ في قول المسلمين يارب نحن مسلمون وموحدون ولماذا أخذت بمالكنا وأعطيته لغيرنا وأذلتنا في بلادنا فيقال لهم لأنكم غير شاكرين ولو كنتم تفهمون ألفاظ الصلاة ماضعت مما لكم . أظنتم أن قول المصلى ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ أمر بسيط وذلك أن ننطق بها وكفى . الله لا يقبل إلا طيبا . والافهامنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - أليست الصلاة مذكرة . أليس الشكر المذكور في دعاء الصبح هو الذى يقوله علماء الاصول وهو الذى جاء في قصة سليمان وقصة سبأ وكاه راجع لحفظ الدولة كلها زراعة وصناعة وإمارة الى آخر ما تقدم . هذا بعض معنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - فما الفحشاء والمنكر خاصين بالذنوب الفردية . إن الذنوب العامة بترك المنافع العامة أعظم جرما . وتجد الله يقول في (سورة هود) يعبر بلفظ - ينهون عن الفساد في الأرض - كما عبر في الصلاة بلفظ - تنهى عن الفحشاء الخ -

إن الصلاة ذكر فيها الحمد . والشكر والجدلا يكونان إلا بالقيام بحق النعمة والقيام بحق النعمة يوجب حفظها فلا يترك الانسان مواهبه ولا النعم العامة وهذا كله واضح في قول المصلى ﴿ اللهم اهدنى فيمن هديت ﴾ وفي قوله - اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم - لاصراطى وحدى وفي قوله ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ انه لاسلام في بلاد الاسلام أوفى أى بلاد أخرى اذا أهمل أهلها رقيها بالعلوم والصناعات لأننا قد أوضحنا في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أن الأرض يجب أن تستخرج منها جميع ما يمكن من النعم ومن مواهب عقول بني آدم . فالأمة التى تهمل من أم الاسلام تهمل الأمم التى حولها على اقتسام أرضها . ذلك أمر لامفرّ منه . فكيف يكون فيها سلام ولا سلام إلا بمحافظه الأمم الاسلامية على أن تكون بلادهم مساوية لمن حولهم في الرقى . فتنى انحطت عنهم جاء غيرهم وأخذ أرضهم . فاذن لا يسر النبي ﷺ من أمة الاسلام ولا يسر الصالحون . فقول المسلم في الصلاة ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يلزمه حفظ بلاده ورقبها فان لم يتم ذلك وتركت وضعفت عما جاورها من الأمم فلا سلام علينا ولا على عباد الله الصالحين وكيف يتم السلام إلا للساكرين الذين حافظوا على تلك النعم الجسمية والعقلية والدولية والمدنية حتى ان النبي ﷺ نفسه يتألم في البرزخ لأجل أمة فكيف نخاطبه بالسلام عليه وأعمالنا ترفع له ناقصة لا شكر فيها بالمعنى الذى ذكرناه إن المسلم يستعيز في الصلاة من فتنة الحيا وأى فتنة أعظم من فتنة الجهل التى أوقعت المسلمين في الزلل وكيف يستعيز من فتنة المسيح الدجال وقد أحاط الدجال في السياسة وفي الدين بنا . وكيف يقرأ المسلم في القرآن - واجعلنا للتقين إماما - وهو عينه مستعد للإمامة . مع جهله ما تقدم من أنواع الشكر ونظام الدولة سبحانهك اللهم وبمحمدك . أنت الذى علمت وأرشدت وأوليتنا نعم لا تحصى فألهمنا اللهم شكرها حتى نقوم بما يجب علينا ولا تجعلنا ممن قات فيهم - أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال • وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال -

اللهم إنا نحن معاشر المؤمنين اليوم سكنا في مساكن أم قبلنا فيجب علينا أن نتبين ما فعلت بهم ولا يكون ذلك إلا بالعلم . فكل قطر من أقطار الاسلام اليوم حلّ المسلمون فيه محل أم سبقت وهذه الأمم لم تستطع إلا بالظلم والظلم مقرون بالترف كفى آية هود . والترف والتنم مورثان ترك العلوم والصناعات ونظام الدول . اللهم ألهمنا الصواب وارشد هذه الأمم أن تدرس نظم الأمم السابقة عليها بحيث يعقلون ما وصلوا اليه من الرفعة ثم ما حصل لهم

من الترف فظلموا أنفسهم فهلكوا وبناء على ذلك يعتبرون « والسعيد من وعظ بغيره »  
 اللهم ان الشكر لك المذكور في الصلاة وكذلك الحمد موجبان حفظ جميع النعم التي أشارت لها قصة المدهد  
 مع سليمان وقصة سبأ وهذا الشكر لك أنت والمسلم اذا عرف ذلك وجه قصده لله وحده وعلى المسلمين جميعا  
 أن يعلم ذلك حكماؤهم (وبعبارة أوضح وأصرح) يجب على العلماء بعدد ما أن يقولوا لشعوبهم الاسلامية  
 ان الهندسة والحساب والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض ونظام الترع والجسور . كل ذلك دين اسلامي عليه  
 ثواب وتركه يوجب غضب الله على الناس في الدنيا والآخرة وأن قصص الأنبياء موجهة لهذا المقصد وحده  
 وأن غضب الله على الناس في الدنيا بسبب التقصير في هذا والله هو الذي يتوجه اليه المسلمون بهذا كله كما أن  
 صلاة الوتر (١١) ركعة وختمها ركعة واحدة اشارة الى أن جميع الأعمال ترجع الى واحد وهو الله

اذا عرف المسلمون ذلك وشاعت فيهم هذه الآراء لم يقفوا فيما وقعوا فيه في القرون الأخيرة . ذلك أن  
 أمراءهم اذا كانوا صالحين نراهم في ناحية والشعب كله في ناحية . فالأمراء الصالحون يعلمون مصالح الدولة  
 وصغار العلماء يجهلون ما قلناه الآن فيفهمون الشعب أن هؤلاء ظلمة لجار وأنهم هم والصوفية والذين ينقطعون  
 للصلاة والقراءة هم الصالحون وحدهم . بهذا وحده انحطت أمة الاسلام في القرون الأخيرة إذ أصبح الشعب  
 في ناحية والأمراء في ناحية بهذا وحده ضاعت هذه الأمة

لقد ذكرت لك أيها الذكرى في (سورة الحجر) أن أمان الله خان ملك الأفغان قد كان في مصر وأنه سافر  
 الى الأقطار الأخرى وأنا قلت لك هناك ماملخصه عند آية - إن في ذلك لآيات للذين سمعوا - انه يريد الاصلاح  
 وأن علماء الدين ربما يقاومون اصلاحه وذكرت النسبة بين ضعف أمم الاسلام وورق أمم أوروبا وأن علماء  
 الدين اذا قاوموه تأخرت الأمة

ألا تعجب معي اني أنا الآن في تفسير (سورة النور) وبين طبع السورتين حوالى سنة . فانظر ماذا جرى  
 رجع الى بلاده بعد أن طاف أقطار العالم وعرف أن الترك قد قتل فيها بعض العلماء لأنهم يقفون في طريق  
 الاصلاح . فانظر ماذا جرى . وقف العلماء في طريق الاصلاح الذي رآه (أمان الله خان) فقتل منهم طائفة  
 مثل ما حصل ببلاد الترك سواء بسواء فأشاعت الجرائد في العالم والتلفرافات (البرق) انه أتى بأشياء خلاف  
 الدين وفي هذه الأيام بل في هذا اليوم نفسه أشاعوا أن الثورة قد طغت في بلاده وعمت وأنهم قد طلبوا منه  
 أن يتنازل عن العرش . وهاهي ذه الجرائد أمامي وفيها ما نصه

(يبحث الموقف الحالي في أفغانستان على القلق في الدوائر العلمية في لندن . وآخوالأنباء الواردة من كابل  
 مؤرخة بتاريخ مساء السبت وفي ذلك الحين وصل الكثيرون الى ضواحي العاصمة واحتلوا موقعين وأذيع حينئذ  
 أن الملك أمان الله والملكة ثريا سالمين في قصرهما الخ)

ثم جاء نبأ آخر مقتضاه أن العصاة قاتلتهم الحكومة ففازت عليهم فأسرفريق منهم وقتل آخر . هذا ما  
 جاء يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وأنا أكتب هذا يوم ٢١ ديسمبر أي بعد (٣) أيام من وصول هذه الاخبار  
 ألا تنظر الى ما ذكرت لك في (سورة الحجر) وما توقعته إذن ظهر لك صدق قولي ان تعاليم الأم الاسلامية  
 محزنة خاطئة وأن هذه الطرق يجب تغييرها حالا

اللهم اني أحمدك إذ وفقتني لهذا التفسير . يا الله هذا ما في طاقتي . اني ألفت هذا التفسير باعانتك وهو  
 يساعد المصلحين في الأم الاسلامية على رقيها . فأما القتال والحرب والضرب في هذه الأم الجاهلة وقتل صغار  
 العلماء فهو لا يفيد بل يضر ضررا بليغا فعلى من يطلعون على هذا التفسير أن يسرعوا بتربية ناشئة جديدة  
 على هذا المشرب فأولئك يكون عاقبتهم وعلمائهم وماوئهم على مشرب واحد وحينئذ يرجعون لعصر الصحابة  
 رضوان الله عليهم أجمعين

إن هذه الأيام مبدأ نهضة تقوم بها الأمم الإسلامية . فليخلق المسلمون ذلك الخلق وليلبسوا ملابس جديدة وهل أتاك نبأ ما ذكرته الجرائد في هذه الأيام أيضا فانه بينما تأتي بأخبار ثورة الأمة الأفغانية وقيامها على ملكها لأجل الإصلاح نجد جرائدنا المصرية تذكر تاريخ مصر منذ مائة سنة أيام (محمد علي باشا) بمناسبة وضع الحجر الأساسي لمدرسة الطب بالجزيرة لمدرسة قصر العيني لأنهم أزمعوا أن يوسعوها ولهذا المناسبة ذكروا الطب إذ ذاك وكيف قام العلماء واعترضوا على (محمد علي باشا) لأنه أجاز للأطباء أن يكشفوا على المرضى بالطاعون وأن يكون للبلاد محجر صحي كما تفعل الأمم كلها وكما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه وقد روى له أبو عبيدة الحديث الدال على ذلك وقد تقدم ذلك الحديث في (سورة الحج) عند آية - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - الخ فأجابهم محمد علي باشا بأن الأمم الإسلامية عملت هذا الحجر الصحي فقل الموت بالطاعون عندهم ومن رفع صوته بعد ذلك غربته عن البلاد . فانظر للأمم الإسلامية كيف يتبع السابقون اللاحقين . يقرؤن قليلا من الدين ويعترضون على ما لم يعلموه من نفس الدين . فالجبر الصحي في حديث عمر وفي الإسلام وعند الأمم كلها والعالم علما ناقصا ينكره ثم الرجل الذي لا يعرف الدين وهو (محمد علي) يأتي لهم بالحقيقة الموافقة لنفس الدين - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فعلماء مصر منذ مائة سنة هم هم علماء الأفغان في أيامنا هذه

وينشأ ناشئ الفتيان منا \* على ما كان عوده أبوه

كل هذا من سوء التقليد وضعف التعليم والجهل العام في أمة الإسلام . ومن عجب أن محمد علي باشا أرسل للعلماء خطابا يقول فيه ﴿ ان النبي ﷺ قال فر من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ فعرف ما لم يعرف أكثر علماء زمانه . فالجد لله على نعمة العلم وعلى أن قيض الله للأمم الإسلامية نهضة حديثة بها سيكون كلهم أمة مفكرة . وسينقرض ذلك الجيل الجاهل وتحل محله أجيال أعلى مراما وأوفى ذماما والجد لله رب العالمين

﴿ الفصل الخامس في أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين ﴾

سأنتي صاحبي قائلنا هذه هي العلوم التي يدرسها الناس للتلاميذ وهم صغار فهل تعتبر ديننا اسلاميا واذا قلت نعم كما هي طريقتك فهل تسمعي ما يناسب من كلام القدماء . فقلت له قال الامام الغزالي في الاحياء ﴿ قد كان يطلق لفظ العلم على العلم بالله وبآياته وبأفعاله وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رجة الله عليه لقد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فمررت به بالآلف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرّفوا فيه أيضا بالتخصيص الخ ﴿ الى أن قال ﴾ ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته الخ ﴿

وقال أيضا ﴿ ان أنس بن مالك قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقصّ أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا . انما كنا نقعد فتذكر الإيمان وتندبر القرآن ونتفقه في الدين ونعدّ نعم الله علينا تفقها ﴾ قال الامام الغزالي فسمى تدبر القرآن تفقها . فلما سمع صاحبي ذلك قال أريد من كلامهم آيين من هذا بحيث تكون الطريقة التي اتبعها أنت سلكها بعض العلماء قبلك . فقلت اسمع ما قاله الغزالي في الاحياء في (باب التفكير) قال مانصه

﴿ ومن آياته أصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات . ثم انقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر الى طيور الجوّ والى وحوش البر والى البهائم الأهلية فانك ترى فيها من العجائب ما لا تشك في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا

أن نذكر عجائب البقرة والفيلة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي ألفها أزواجها وفي أدغارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها . لم تقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يتمكن أن يصل بالخيوط بين طرفيه ثم يبتدىء ويبقى اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلصق به ثم يغدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا هندسيا حتى إذا أحكم معاقد القمط ورب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق أو الذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله (أقول وستراه في سورة العنكبوت مفصلا تفصيلا) . ثم قال وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تسكون بنفسه أو كونه آدمى أو علمه أولا هادى له ولا معلم . أفيتشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف . أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم . فالصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الألباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لانها بكثرة المشاهدة ثم إذا رأى حيوانا غريبا ولودودا تجد عجبه وقال سبحانه الله ما أعجبه والانسان أعجب من الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألفها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأربارها وأشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقها وأكناها لهم في طعنهم واقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادي والمغازات البعيدة لأكثر الناظرين تعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا يعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالهجز عن معرفة جلالة وعظمته ) انتهى

هذا نص كلام الامام الغزالي في هذا المقام . وقد جاء في (كتاب التفكير) الذي ذكر فيه ما تقدم مانعه أيضا (قد أنشئ الله على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وذكر في حديث عائشة أن النبي ﷺ بكى وهو يصلي بالليل حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد ذكر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يعنى أن أبكي وقد أنزل الله تعالى على في هذه الليلة آية - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها \* ونقل عن الحسن \* تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، وقال ابراهيم \* الفكر مخ العقل ، \* ونقل عن طاوس قال قال الخواريون لعيسى ابن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطق ذكرا ودمته فكرا ولفظه عبرة فانه مثلي

وقوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قل الغزالي معناه أمتع قلوبهم التفكير في أمرى \* وقال عمر بن عبدالعزيز « التفكير في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات » وقال الغزالي بعد ذلك « إن ذكر القلب خير من عمل الجوارح » إذن التفكير أفضل من جملة الأعمال بل هو أشرف العمل ولذلك قيل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » انتهى

فلما سمع الاستاذ ذلك قال هذا القول يدل دلالة واضحة على أن التفكير أشرف من العمل . فقات نعم وهذا اجماع العلماء « ان العلوم أفضل من الأعمال » فقال ولكن قولهم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » مبالغه ثم حديث عائشة الذي ذكرته هل هو صحيح . فقلت له أنا الآن لست في مقام تصحيحه وتحسينه . انك طلبت مني آراء المتقدمين هل كانوا يجعلون أمثال ما كتبناه الآن ورسمناه بالتصوير الشمسي في هذه الآية علوما دينية فأجبتك بما كتبوه أنفسهم وانهم يقولون إن هذا أفضل من العبادة . هذا هو اجماعهم فأما كون كلامهم فيه مبالغه أو أن الحديث صحيح أضعيف فهذا ليس مقام الكلام فيه وانما ملخص ما فيه أن هذا رأى المتقدمين فأما الحديث فتشهد له الآيات كلها فاذا لم يصح فالآيات تدل عليه وعليه أصبح ما كتبه في هذه الآية وأمثالها اتما لما ابتدأ علماء الاسلام منذ نحو (٩٠٠) سنة فهم ابتدؤا يترقون المسلمين بهذه العلوم ثم سلط عليهم أعداء من الداخل وهم صغار العلماء وصغار المتصوفة وأعداء من الخارج كأئمة التتار وغيرها ثم لما أراد الله انقاذ المسلمين من الذل وانه سيرفعهم الى العلا لهم الأمم الاسلاميه الحاضرة فهأى ذه تريد ارجاع مجدها وكان من جملة نهضتها المباركة هذا التفسير الذي ليس بدعا في هذه السبيل . فاذن نحن الآن نريد اعادة مجد ذهب وعلم ترك وهذه نعمة أنعم الله عز وجل بها على أنا وعليك أنت أيها الدكي وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

﴿ موازنة بين آراء المسلمين وعلماء أوروبا في هذا المقام ﴾

أذكرك بما مضى أيها الذكي في أول (سورة المؤمنين) فاني نقلت لك هناك عند ذكر خلق الانسان عشرين قولاً من أقوال علماء القرن العشرين وهو القرن الذي نحن فيه . ان أكثر علماء القرن التاسع عشر كانوا بالنسبة لعلماء القرن العشرين أطفالاً في العلم فقد أثبتوا بالبرهان أن التعليقات التي عللوا بها ألوان الحيوان واختلاف أشكاله مقضى عليها بالفشل بل صرح بعضهم بأن تعليل أولئك العلماء بالانتخاب الطبيعي أو نحوه لا يعالج عن قيمة أقوال المرضعات والحجائز وأثبتوا اثباتاً تاماً أن هؤلاء العلماء قد أثبتوا عجزهم عن تعليل الفرائز المودعة في الحيوانات . وأبانوا أن الكون محكم الوضع واحكام الوضع لا بد له من عقل يدركه وأجمع على ذلك أكبر علماء الألمان والفرنسيين والانجليز وأبطلوا آراء صغار العلماء التي انتشرت في الشرق ولم يصل لهم أمثال ما نقلناه عن العلماء المعاصرين لنا فهم مقلدون لمن ماتوا ولم يعلموا بعلوم من بعدهم من المعاصرين الذين يقولون إن الحشرات التي تنتقل من دودة الى شرقة الى فراشة وتنتقل من عالم الماء الى عالم الهواء مرة واحدة تكذب مذهب القائلين بالتحول التدريجي الذي لا مستند له إلا الوهم لأن الباط خلق منسوج الأرجل أولاً ثم مشى لأنه مشى على شاطئ البحر ثم خلق له النسيج بين الأرجل فارجع اليه هناك فهو واضح أشد الوضوح . أوليس من العجب أنك ترى ما يقوله الامام الغزالي هنا ونقلته لك عنه آفاً هو بنصه وفصه ما يقوله علماء أوروبا

فقل لمن يدعى علماً ومعرفة \* عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقل لأبناء الشرق إما أن تقرؤا العلم كله واما أن تبقوا مقلدين فأما الاطلاع الناقص فهو ضار وها هو ذا أصبح علماء الشرق وعلماء الغرب على اتفاق تام في أمر نظام العالم ومعجائب الخلق وحكمة الخالق والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ١٢ ربيع الأول ١٣٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨

( إيضاح آتم لما تقدم )

قال الامام الغزالي في الجزء الأول من الإحياء مأنه

( وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لا ثقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله فكذلك خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيبدل في ثاني الحال إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكافحة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله تعالى - أفرأيت ما تبحرون - أفرأيت ما تمنون - أفرأيت الماء الذي تشربون - أفرأيت النار التي تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرق والمشي بل يتأمل في المني وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع ) . أقول وهنا أذكرك أيها الذكي بما تقدم قريباً هنا من ذكر قطرة الماء وأنها عبارة عن ذرات تعد بمقدار آلاف الآلاف وبينها مسافات هائلة ثم نفس هذه الذرات عبارة عن كهرباء مضية والضياء حركات في الأثير والحركات أعراض لا غير . إذن المادة غير موجودة بنفسها . فاعجب لقول الصوفية كالامام الغزالي ولأقوال علماء العصر الحاضر . لقد تشابه القوم وإن لم يجتمعوا زماناً ومكاناً . ومن هنا تعرف تقارب العلماء في الأمم . ونرجع إلى كلام الامام الغزالي فنقول

ثم ذكر أن المانع من الفهم في القرآن قد يكون

(١) بسبب انصراف الهم إلى اخراج الحروف من مخارجها وهناك يتولاه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم

عن فهم معاني القرآن

(٢) أو بسبب أنه مقلد لمذهب سمعه بالتقليد وجده عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرّد الاتباع للسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حل عليه شيطان التقليد حلة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحتز عن مثله . ولهذا قالت الصوفية ( إن العلم حجاب ) وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرّد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم . والتقليد قد يكون باطلاً كن يعتقد في الاستواء على العرش الاستقرار والتكن فان خطر له مثلاً في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر لا نجرت ذلك إلى كشف ثان وثالث وتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن قال كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن وأشار إلى أن الاصرار على الذنوب أو التكبر أو اتباع الهوى كل ذلك يمنع وصول الحقائق للقلوب وذكر أن الذي

يفهم ذلك هو المنيب كما قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال - وما يتذكر إلا من ينيب - وقال - انما يتذكر أولوا الألباب -

(٣) أو بسبب انه قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أن معاني القرآن لا تتناول إلا ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . قال فهذا أيضاً من الحجب العظيمة مع أن ذم التفسير بالرأى لا ينافي قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً في القرآن ولو كان المعنى هو الظاهر المنقول ما اختلف الناس فيه ثم أثبت هذا الفهم بقوله تعالى - لعلمه الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراء السماع وذكر قول أبي السرداء ﴿ لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً ﴾ وقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - يعني الفهم في القرآن ثم أعقب ذلك بالأخبار التي ورد النهي فيها عن التفسير بالرأى ثم قال ان أريد الاقتصار على المنقول والمسموع وترك الاستنباط فهو باطل لأنه يشترط أن يكون مسموعاً من رسول الله ﷺ وذلك لا يصادف إلا في قليل من القرآن وأما تفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود فهمون أنفسهم فإذا أردنا أن كل ما لم يقله النبي ﷺ فهو بالرأى وجب أن نقول انه بالرأى أيضاً لأنهم لم يسمعه من رسول الله ﷺ ولا قائل به وأيضاً ان الصحابة اختلفوا في بعض الآيات بأقوال لا يمكن الجمع بينها ومحال أن يكون الجميع مسموعاً من النبي ﷺ ولو كان أحدها مسموعاً لرد الباقي . إذن تفاسيرهم باستنباط منهم كما استنبطوا في (الر) انها حروف من الرحمن أو ان الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وهكذا . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً . وأيضاً قد دعا ﷺ لابن عباس فقال ﴿ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ﴾ فان كان التأويل مسموعاً كالتأويل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك . ثم بين أن النهي عن التفسير بالرأى يرجع ﴿ لأمرين اثنين \* أولهما ﴾ أن يقصد مبتدع التلخيص على خصمه وهو يعلم أن الآية لم يقصد بها المعنى أو يجعل ذلك وعلى كلا الحالين يميل فهمه الى الغرض الذي يرمى اليه فهذا حتماً اتبع القرآن هو . وقد يكون غير مبتدع وله غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما يريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ ﴿ تسحروا فان في السحور بركة ﴾ ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى - اذهب الى فرعون انه طغي - يشير الى قلبه ويومئ الى أنه المراد بفرعون ويستعمله الوعاظ في المقاصد الصحيحة وهو ممنوع وتستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغري الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً انها غير مرادة به . هذا هو الرأي الفاسد الموافق للهوى ﴿ وثانيهما ﴾ أن يفسر القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المهمة وما فيه من الحذف والاختصار والاضمار والتقديم والتأخير فن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلط . انتهى ملخصاً

فيا أيها الذكي انما أوردت لك هذا بناء على سؤالك لتطلع على طريق التفكير في التفسير عند أسلافنا الكرام وعلمائنا الفخام وما هو التفسير بالرأى وما التفسير بالفهم وما التفسير بالنقل ولست أكتب هذا لأخذ بكل ما فيه ولكن لتقف عليه وتعرف الحقائق وطرق المتقدمين فينشرح صدرك وتبلغ أملك

ففر بعلم تعش حياً به أبداً \* الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ فصل في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى آخر السورة ﴾

وهذا الفصل مفصل الى أربع جواهر

﴿ الجوهرة الأولى ﴾ في تقرير قوم وتوبيخهم من قوله - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى قوله - وما على

الرسول إلا البلاغ المبين -

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في وعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض ونحو ذلك من قوله - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الى قوله - ومأواهم النار وللبئس المصير -

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في آداب عامة كالاستئذان في الدخول وذم التبرج من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً وكالاذن بالأكل من بيوت بعض الأقارب من قوله - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله - لعلكم تعقلون -

﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ الأدب مع رسول الله ﷺ فأوجب عليهم أن يستأذنوه وانهم اذا دعوه فليكن ذلك بأدب خاص الخ وذلك من قوله - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه - الخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - لقد أنزلنا - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - ﴾ يقول الله تعالى بعد أن أبان جلال صنعته وبديع حكمه وحسن ابداعه وباهر نقشه ورقشه وأحسن خلقه من الأنوار الباهرات والمحاسن الظاهرات وأضواء الكواكب وجمال الشمس وسناء البرق وأنوار القلوب وجمال العلم وبهاء الأفئدة العامرة بالمعارف الساطع اشراقها وزينتها بالعلوم العالية وكيف كانت النفوس الانسانية مشتملة على جواهر هذه العوالم مقتطفة ما فيها من المحاسن وكأنها قائمة مقام المادة بحيث تحمل كل ما حلت من صور ونقوش وكأن الناس في الأرض خلفاء ربهم قد كفهم أن يعملوا ويعلموا متخلقين بأخلاق من خلقهم . لما ذكر ذلك كله سبحانه وتعالى شرع يذكرنا بأنه أنزل هذه الآيات مبینات للحقائق ودلائل الخالق وانه يهدي من يشاء بتوفيقه للنظر فيها والتدبر في معانيها ، وكأنه عز وجل يقول إن هذا المثل المضروب للمؤمن والمضروب للكافر وعمله وهذه الجباب في الطير والسحاب والبرق . كل ذلك ليس لكل انسان فهمه بل الناس ﴿ فريقان ﴾ فريق لا يرفع عقله الى هذا المستوى الرفيع ولا يعقل ذلك المعنى البديع وفريق استحق رتبة العلم فأعلمه الله وعلمه (والله يهدي من يشاء) هدايته لأنه على استعداد للهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام وادراك الحقائق ثم أخذ سبحانه يوضح طائفة كبشر المنافق الذي خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي تتحاكم الى محمد ﷺ وقال المنافق بل تتحاكم الى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فنزل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) من بعد قولهم - آمنا - وهم يدعون الى حكم غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبي ﷺ الذي حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم أنك لاتحكم إلا بالحق (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم (أفئ قلوبهم مرض) كفرأوميل الى الظلم (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام للذم والتوبيخ (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فالأمر يرجع في صدودهم الى النفاق أو الريب في أمر النبوة أو الخوف من الحيف ثم أبطل هذا الأخير بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون ظلمه ﷺ ولكنهم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم والنبي ﷺ يأبى عليهم ذلك فلذلك لا يريدون أن يتصاكموا اليه . ثم ذكر أخلاق المؤمنين في مثل هذه الحال فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) - قول - خبر كان وأن يقولوا اسمها أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك (وأولئك هم المفلحون) وأما من قبلهم فهم ليسوا بمفلحين لأنهم ظالمون (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمران به (ويخش الله) لما صدر منه من الذنوب (ويتقه) فيما بقي من عمره (فأولئك هم الفائزون) أى بالنعيم

المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مفعول مطلق لفعل محذوف أى يجهد اليمين جهدا ثم حذف الفعل وأضيف المصدر الى المفعول ف قيل جهد اليمين أى جاهددين أيمانهم فهو منصوب على الحال . يقول الله حلف المنافقون بالله جهد اليمين أى بذلوا فيه مجهودهم أى أقصى وسعهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى أقسموا لئن أمرنا محمد بالخروج الى الفزولخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لأنه حرام انما المطلوب منكم (طاعة معروفة) لا اليمين والطاعة الكاذبة (إن الله خير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى بقلوبكم وصدق نياتكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) على الرسول (ما حل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حلتكم) أى ما كلفتم به من الاجابة والطاعة (وان طيعوه تهتدوا) تصيبوا الحق في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ الواضح البين ﴿ لطيفة في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات ميّينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم - ﴾  
 إن تبين القرآن قد ظهر اليوم أشد الظهور عند علماء الغرب ولا كشفه الآن هنا بموضوعين

### الموضوع الأول محاضرة في القرآن الكريم

( وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق )

ألقاها في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية ومندوب الحكومة المصرية والمؤتمر كان فيه (٧٠٠) منهم (٢٠٠) تمثل الحكومات والجامعات العلمية والباقي أعضاء والمحاضرات التي أقيمت بشأن مصر والاسلام (٤٤) محاضرة والمراد بمصر قديمتها وحديثها وحضر من الألمان نحو (٧٠) عالما . والخطبة أقيمت في يوم الجمعة آخر أغسطس سنة ١٩٢٨ في مدينة (أكسفورد) بالجلترا وكانت العادة أن كل محاضرة تتلوها مناقشة في موضوعها فكان من المميزات انها قوبلت بالاستحسان العام إذ أن علماء أوروبا الرسميون أقرتوا ما في هذه الخطبة بالاجماع . وهاك نصها بالحرف لتعرف مقدار اعتراف علماء أوروبا بفضل الاسلام وبمظمة نبينا ﷺ وهامى ذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين \* والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

﴿ القرآن الكريم ﴾

(١) وصفه (٢) محتوياته (٣) أثره في اللغة العربية (٤) أثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية

(١) وصفه

القرآن الكريم - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - آية الله الدائمة وحجته الخالدة - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - . - ألم \* ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين \* الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون \* والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون \* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون -

(٢) محتوياته

احتوى القرآن ما يحتاج اليه الانسان في معاشه ومعاده - ما فرطنا في الكتاب من شئ - ويمكن حصر ذلك فيما يأتي

(١) (العقائد) وهي مبينة في الآيات التي توجب الايمان بالله واحد وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر مثل قوله تعالى - قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفوا أحد - وقوله تعالى - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا يفرق بين أحد من

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير -

(٢) (الفرائض الدينية) وهى موضحة فى الآيات التى توجب الصلاة والصوم والحج الخ مثل قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله - (البقرة)

وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون \* أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين - (آل عمران)

(٣) (الأوامر والنواهي الخلقية) وهى مفصلة فى الآيات التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون - (آل عمران)

وقوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون - (سورة النحل)

(٤) (الإنذار والتبشير) فى الآيات التى ذكر فيها ما أعد للكافرين والمؤمنين مثل قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - (سورة النحل أيضا)

وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين - (النساء)

(٥) (الجدل والتحدى) فى الآيات التى دعى فيها المخالفون إلى الإتيان بآيات ولومفريات فجهزوا مثل قوله تعالى - وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين - (سورة البقرة)

وقوله تعالى - أم يقولون افتراء قل فاتوا بعشر سور مثله مفريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين - (هود)

وقوله تعالى - قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - (الاسراء)

(٦) (القصص) كالذى ورد فى تاريخ الأنبياء والرسل وذى القرنين وأصحاب الكهف مثل قوله تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقدّر فى السرد وأعملوا صالحا إني بما تعملون بصير - (سبا)

وقوله تعالى - واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا \* فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا \* قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا \* قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا \* قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا \* قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعل له آية للناس ورجة منا وكان أمرا مقضيا \* حملته فاتخذت به مكاما قصيا \* فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا \* فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا \* وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا \* فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترى من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا \* فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم

لقد جئت شيئاً فريباً \* يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً \* فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً \* قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً \* وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً \* وبراً بالذي ولم يجعلني جباراً شقياً \* والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً \* ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون - (مريم)

(٧) (التشريع الاجتماعي) وهو في الآيات التي توجب الزكاة وإخراجها لمستحقها مثل قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم - (التوبة)

وقوله تعالى - يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فإني والله به عليم - (البقرة)

(٨) (التشريع السياسي) وهو في الآيات التي توجب الطاعة لأولياء الأمور والوفاء بالعهود والمواثيق مثل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً - (النساء)

وقوله تعالى - وأوفوا بعهدي إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون - (النحل)

(٩) (التشريع الجنائي) وهو ما جاء في الآيات المبينة للحدود والقصاص مثل قوله تعالى - وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص - (المائدة)

(١٠) (التشريع المدني) وهو ما تكفلت به آيات الربا والميراث وما أوماً إليها مثل قوله تعالى - وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون - (سورة الروم) وقوله تعالى - يحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم - (البقرة)

وقوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً \* ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين \* وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس \* فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم - (النساء)

(١١) (التشريع الحربي) وهو في الآيات التي تؤذن بالقتال وتشير بالسلم وتبين معاملة الأسرى وتوزيع الغنيمة مثل قوله تعالى - وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين \* ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يجزئون \* وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأتم لا تظلمون \* وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم - (الأنفال)

(١٢) (المواعظ والارشاد) وهي في الآيات المشتملة على الأمثال والحكم مثل قوله تعالى - ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون \* ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من

قرار - (إبراهيم)

وقوله تعالى - ولا يحق للمكر السيئ إلا بأهله - (فاطر)

وقوله تعالى - قل كل يعمل على شاكلته - (الاسراء)

وقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم

وأنتم لا تعلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - كل نفس بما كسبت رهينة - (المدثر)

وقوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - (البقرة)

وقوله تعالى - واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب - (الأنفال)

وقوله تعالى - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم - (آل عمران)

وقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه سوف يرى - (النجم)

وقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (الرعد)

(٣) ﴿ أثره في اللغة العربية ﴾

(١) كان لقريش عظيم الأثر وكبير الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية لأنها كانت تسكن بلاد الحجاز التي كانت محط رحال الحجاج والتجار فكان يجتمع فيها أكثر أشراف العرب والشعراء والخطباء من الرجال والنساء للماخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والفصاحة وغير ذلك فأخذت قريش المستعذب من لهجات العرب حتى لظفت لهجتهم وجاد أسلوبهم واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خير الكلام . وكان طبعيا أن ينزل القرآن بلغة قريش لأنها خلاصة اللغة العربية ولأن الرسول ﷺ قرشي وليكون هذا الكلام زعيم اللهجات كلها فقد امتازت قريش بكثير من خصائص الزعامة وأقر لهم العرب بذلك فأولى لهم أن يقرروا مثل ذلك في كلام الله تعالى

(٢) لو نزل القرآن بغير لغة قريش التي ألفها النبي ﷺ ما كانت تستقيم الموازنة بين أساليب القرآن وكلام النبي ﷺ ولكان ذلك مدعاة إلى أن قبائل العرب تجد كل واحدة منها مذهباً لا قول فيه فتنشق الكلمة (٣) انتلفت لغة القرآن الكريم على وجهه يستطيع العرب أن يقرؤهُ بلحونهم مع بقائه على فصاحته في الوضع التركيبي وتلك سياسة لغوية جعلت العرب على منطلق واحد ليكونوا جماعة واحدة

(٤) من أجل ذلك كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في توحيد اللغة ونشرها وترتيبها من حيث أغراضها وألفاظها وأساليبها وفوق ذلك ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً

(٥) قد جمع القرآن العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه اللغة فأصبح عندهم مثلاً كاملاً ومن شأن المثل الكامل أن يجتمع عليه طلبة مهمما فرقت بينهم الأسباب المتباينة . وقد كانوا قبل ذلك تنوهم كل قبيلة منهم أنها أسلم فطرة في اللغة وأوضح مذهباً في البيان لعدم وجود مقياس عام يرجعون إليه ولم يكن في طوق إنسان أن يقيس قدرة أقوام وعجزهم في أمر معنوي كاللغة إلا إذا كان بالفاحص الكمال ولما كان الكمال لله وحده كان كلامه جل شأنه هو المثل الكامل

(٦) لولا القرآن الكريم لما وجد على الأرض أحد يعرف كيف كانت تنطق العرب بالسنتها . وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها فتواتر أداء القرآن الكريم حفظ لنا كيفية الأداء العربي

(٧) إن الشعوب العربية في مصر وسورية وبلاد المغرب وغيرها يتكلمون باللغة العربية ولكن تختلف لغة كل شعب منهم عن لغات الآخرين اختلافاً قليلاً أو كثيراً بنسبة البعد بينهم والاختلاف في أحوالهم . ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية

والاسبانية والطيانية وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها فيما يكتبون ويخطبون جعل في لغاتهم المولدة مرجعا يجمع لغاتهم الى أصل واحد  
(٤) ﴿ أثر القرآن في الأحوال الاجتماعية ﴾

جاء القرآن والعرب قد وقعت بينهم الفرقة وتشتت الألفة واختلفت كلمتهم واضطربت أحوالهم فكانوا إخوان دبر ووبر أذلّ الأمم دارا وأجدبهم قرارا لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل ألفة يعتمدون على عزّها فأحوالهم مضطربة وأيديهم مختلفة وكانوا في بلاء عظيم من جهل مطبق وبنات مؤودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة . فلما استضاء بنور القرآن الكريم اجتمعت أملاؤهم واتفقت أهواؤهم واعتدلت قلوبهم وترادفت أيديهم وتناصرت سيوفهم وعقد بملته طاعتهم وجع على دعوته ألفتهم وأصبحوا ينعمون في ظل سلطان قاهر ثابت وصاروا حكاما على العالمين وملوكا في أطراف الأرضين قد ملكوا الامور على من كان يملكها عليهم وأمضوا الأحكام فيمن كان يعضيها فيهم

جاء القرآن وقد تمكنت من العرب عصبية الجاهلية فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم وذهب بجمل ما ألفوه حتى كأنما خلقهم خلقا جديدا وكأنهم على آدابه نشؤا وهم أغفال وأحداث بل كأنهم كانوا سلالة أجيال كان القرآن في أوليتهم المتقدمة وكانوا هم الوارثين لا الموروثين مصداقا للحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم »

كان من أثره فيهم أن أذهب عنهم العصبية المعقوتة وأحل محالها التعصب لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور وخلال الحد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البنى والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الأرض لهذا كله انعقدت عليه قلوبهم وهم يجهدون في نقضها واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها فكانوا يفترون منه في كل وجه ثم لا ينتهون إلا اليه . ذلك بأنه قد جاءهم بما لا قبل لهم به مما يشبه أساليب الاستهواء في علم النفس فغلب على طباعهم وحال بينهم وبين قديمهم

ولعمري لو كان القرآن غير فصيح أو كانت فصاحته غير معجزة في أساليبها التي ألفت اليهم خلا منه موضعه الذي هو فيه وكان سبيله بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ولقضوه كلمة وآية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أو تتراجع طباعهم

بين القرآن لهم أن الطبيعة مسخرة لهم فعليهم كشف ما فيها واستخراج أسرارها - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وكأين من آية في السموات والأرض يمرتون عليها وهم عنها معرضون - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وأرسلنا الرياح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين - (الحجر)

نادى فيهم القرآن الكريم أن النبي ﷺ ابن يومه وابن عمله وعقله . فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر وخاطبهم بالآية الكريمة التي هي روح الثبات في أمم العلم والعمل - وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون -

قد وصل العرب قبل نزول القرآن الكريم الى هاوية الانحلال الاجتماعي بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادئ السياسة والحياة الاجتماعية ولم يكن لهم فن يذكر أو صناعة تنشر ولم يكونوا يعرفون شيئا من العلاقات الدولية وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفز لشئ الغارة على جارتها . فما لبثوا أن جاءهم الكتاب الكريم حتى خالطت أحكامه قلوبهم وأيقظت أرواحهم وجعلتهم يتلمسون الحق وتصبون نفوسهم الى رفع مناره ونشره في أطراف الأرضين

قد بلغوا في العبادة مبلغا بذوا به أهل الرهبة والتنسك وصاروا أولى قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وحرص في علم وعلم في حلم وقصد في غنى وخشوع في عبادة وتجمل في فاقة وصبر في شدة وطلب في حلال ونشاط في هدى وتخرج عن طمع . ومع بلوغهم هذه الدرجة الروحية العالية لم يهجرُوا الدنيا وشؤونها بل عملوا لها بصدق وإخلاص فأبدلهم الله العزّ مكان الذل والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما

وان تعجب فحجب أن يتم ذلك المجد العظيم للعرب في أقل من مائة سنة . وفي هذا برهان قاطع على أن أحكام القرآن خير طريق إلى تنمية الملكات الانسانية واعدادها لكسب الحياتين الدنيوية والروحية فقد جعل الأئمة العربية تضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقا وأن تعطيه مع ذلك محض ضمائرها وتسلم له في تاريخها وعاداتها . إن نظرة بامعان فيما جاء به القرآن الكريم من الآيات اللينيات تدل على أنه ليس هناك في الانسان من نقص إلا والقرآن كفيل بإصلاحه فهو طبيب الانسانية وليس أحذق الأطباء من يدعى هذه الصفة لنفسه فحسب بل من يستطيع مداواة أعظم الأدواء في أكثر الحالات وكذلك فعل القرآن فقد بلغ من أثره في العرب أنه حوّل طبائعهم وغير أخلاقهم فلم يشهد التاريخ جيلا اجتماعيا مثل الجيل الأول في صدر الاسلام حين كان القرآن هو المنار الذي يهتدى به ولم تستطع الفلذة على اختلاف ضروبها في أي عصر من العصور أن تنشئ جيلا من الناس كالذي أخرجه القرآن الكريم فكانوا مثلا حسنا في علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة اليقين وطهارة الخلق وشدة الأمانة وإقامة العدل والخضوع للحق ومماثل إلى ذلك من أتمها الفضائل

﴿ محمد ﷺ أعظم مصلح ظهر ﴾

أما وقد بان أن الكتاب الكريم أحدث أوفر قسط من الإصلاح في أقصر زمن عرفه التاريخ فلا بدع أن كان الذي نزل عليه ذلك الكتاب أعظم مصلح . واليك البيان

(١) اقتضت حكمة الله أن يرسل إلى كل أمة آنا بعد أن هاديا يرشداهم ويصلح حالهم فيدوم النور الذي جاء به زمانهم يخبوا قليلا قليلا حتى إذا كاد ينطفئ أنقذ الله هذه الأمة برسول بعده يجدد لها الهداية وقد توالى الدهور والأعقاب والأمم منفصلة بعضها عن بعض زاعمة كل واحدة أن العالم كله فيها وأنها أفضل من سواها لأن الله خصها بالرسالة والهداية فنجم عن ذلك القول بأن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - جاني بعض الأمم وخصها بمزايا لم يمنحها غيرها

من أجل ذلك أرادت الحكمة الإلهية أن تقضي على ما خالج نفوس بعض الأمم من أنها أفضل من غيرها جنسا وخلالا ودينا وأن تجعل من الانسان جسما واحدا فنّ الله على الخلق جميعهم برسول عام معه رسالة عامة وهكذا كانت رسالته عامة لا يخصها زمان ولا مكان - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا -

كان مثل من سبقه من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم مثل المصاييح كل منها وضع في حجرة لا يضيء سواها . فلما ظهرت شمس الرحمة من البلاد العربية لم يبق هناك من حاجة إلى هذه المصاييح المحدودة المدى وليس في مقدور أي نور آخر أن يخلف هذه الشمس

بعث كل رسول ممن تقدموا المصطفى ﷺ لتهذيب أفراد أمته وجعلهم صالحين لتكوين أمة متجانسة . ولعمري هذا عمل جليل . غير أن محمدا وهو خير المرسلين أرسل ليجمع هذه الأمم ويجعلها أمة واحدة متكافئة مرتبطة برابطة الاخاء . جاء كل رسول لتقويم خلق معين في أمته فكانت حياته أسوة للخلق الذي أرسل لتقويمه . أما محمد ﷺ فقد جاء لتنمية الفطرة الانسانية جميعها واستخدام ملكاتها وتقويم غرائرها وكات حياته العملية ﷺ ملأى بالمثل الصالحة الكفيلة بتقويم أخلاق بني الانسان جميعها ولذلك كان مثلا كاملا

للإنسانية اجتمعت فيه الفضائل التي كانت في أنبياء بنى إسرائيل وغيرهم . تجمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام (٢) إن كانت العظمة تتحقق باصلاح أمة قد وصلت الى غاية الانحلال الاجتماعى فليس هناك من يبارى محمدا في أنه أنقذ الأمة العربية من هاوية الدمار وجعلها مصاييح الحضارة والعرفان . وإن كانت العظمة تتحقق بجمع شمل أمة قد تأصلت فيها الفرقة وتمكنت منها العداوة والبغضاء فمن يجارى محمدا في أنه جمعهم تحت ظل الاسلام إخوانا متساندين - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها -

كان مثل العرب في تفرقهم كمثل رمال بلادهم فلامم الاسلام بينها وجعلها من القوة بحيث لا تؤثر فيها الزلازل العنيفة . إن كانت العظمة تتحقق باقامة ملك الله في الأرض فمن يطمح الى منافسة محمد ﷺ في أنه نكس الأصنام وأبطل عبادة الأوثان وطهر الجزيرة العربية من الشرك وملأ القلوب بالتوحيد والنور إن كانت العظمة تتحقق بحسن الأخلاق فمن ذا الذى ينكر على محمد أن أعداءه وأصدقاءه أجمعوا على تسميته بالأمين

إن كانت العظمة تتحقق بالفتح وبسط الملك فالتاريخ أصدق شاهد على أن أحدا غيره لم يبلغ مبلغه فقد نشأ يتما لا قوة له ثم صار فاتحا عظيما أسس أعظم دولة لبثت تردّ مكاييد الأعداء أكثر من ثلاثة عشر قرنا إن كانت العظمة تتحقق بما لصاحبها من رفعة الاسم وانتشار الصيت فمن يجارى محمدا في ارتفاع اسمه الذى تحبه قلوب أربعمائة مليون من الناس منتشرين في أطراف الأرضين مرتبطين برابطة الاخاء مع اختلاف قوميتهم وألوانهم وألسنتهم

### ﴿ أثر القرآن الكريم في الأحوال الخلقية ﴾

لما كان المنزل هو المربي الأول الذى يتعلم فيه الانسان الآداب الخلقية ويألفها أوجب القرآن الكريم طاعة الوالدين - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما \* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - ولم يرخص في عصيانهما إلا اذا أرادا أن يحملاه على الإشراك بالله - وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا -

هذا الاحترام العظيم للوالدين هو الأساس الذى بنيت عليه فضيلة الطاعة لأولياء الامور - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - وليس المراد بأولى الأمر الحكام فقط بل يشمل كل من أعطى سلطانا ونفوذا . يشير الى ذلك قوله ﷺ « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته »

ومن هذا يتبين أن دين الاسلام يطالب الناس جميعهم بالطاعة لمن فوقهم ليجتنب بذلك أصول الفوضى والمخالفة ويثبت دعائم الطاعة . بنى القرآن الكريم الأخلاق على فضيلة واحدة هي التقوى وقد دلّ تصفح الآيات الكريمة التى وردت فيها هذه الكلمة وما اتصل بها من المشتقات على أن المراد منها أن يتقى الانسان كل ما كان فيه ضرر لنفسه أو لإضرار لغيره لتكون حدود المساواة قائمة في المجتمع الانسانى لا تحصل فيها تلمة ولا يطرأ عليها وهن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - \* وقد جاء في الحديث « لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » والآية صريحة في أن الغاية الاجتماعية للناس شعوبا وقبائل هي التعارف وتلك كلمة لا تشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع قاطبة ولا يمكن أن تدخل في مدلولها رذيلة اجتماعية . وفي هذه الآية الكريمة أقام القرآن الأساس الخلقى العظيم لجعل أكرم الناس المتساوين في الحالين الفردية والاجتماعية هو أتقاهم أى أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولا أكثرهم

رجالاً ولا أتقهم فكراً ولا أعظمهم علماً ولا شيئاً من ذلك مما لا يصح أن يكون سبباً للتفاضل إلا في إدار  
الدول واضطراب الاجتماع وفساد العمران . فالحقيقة أن التقوى هي الخلق الكامل . ومن أجل ذلك كان  
العدل في رأى القرآن أقرب شئ إلى التقوى إذ يقول الله جل شأنه - ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا  
اعدلوا هو أقرب للتقوى - وقد ردت القرآن مظاهر التقوى إلى ﴿ ثلاثة أشياء ﴾ الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر والإيمان بالله . وهذه الأشياء الثلاثة هي المبدأ والنهاية لكل قوانين الأدب والاجتماع قال تعالى  
- كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - والمعروف كل ما يعرفه  
العقل الصحيح حقاً ولا يتأتى الأمر بالمعروف إلا اذا توافر استقلال الإدارة ( كذا ) وقوتها . والمنكر هو ما ينكره  
العقل الصحيح ولا يمكن النهي عن المنكر إلا باستقلال الرأى وحرية والايان بالله هو الاعتقاد بوجوده  
ووحدانيته ولا يتم ذلك إلا اذا استقلت النفس من أسرار العادات والأوهام بالنظر والفكر في مصنوعات الله وهذا  
هو الايمان الذى يبعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بثقة إلهية لا يعترضها شئ من عوارض الاجتماع  
التي تعترى الناس من ضعف الطباع الانسانية كالجبين والنفاق وإثارة العاجلة وما إليها فان هذه الصفات لا تتحقق  
مع صحة الايمان بل هي أنواع من العبادة للقوى والمستبد والشهوات والنزعات وما شابهها وذلك لا يتفق والايان  
الصحيح بالله . ما تدبر أحد القرآن إلا وجده يمنح كل انسان ارادة اجتماعية أساسها الحرية - وقل الحق من  
ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها وما  
انا عليكم بوكيل - ولذلك لما اتخذ الجيل الأول في صدر الاسلام مثالا لهم واتخذوا آدابه الخلقية شعارا لهم  
حقق لهم هذه الارادة الاجتماعية . ولأن العلوم كلها والفلسفة وأهلها كانت لأولئك العرب مكان القرآن ما  
أغنت عنه شياً لأن الفضيلة العقلية التي أساسها العلم لا توصل حتما إلى الارادة العملية

أما الفضيلة الخلقية التي جاء بها القرآن فانها تسوق إلى الارادة العملية لأن هذه الارادة مظهرها ولا سبيل  
لظهورها غير العمل . ومتى صحت إرادة الفرد واستقامت له وجهته في الجماعة فقد صار بنفسه جزءاً من عمل  
الأمة والأمة التي تتألف من مثل هذا الفرد تشغل مكانة سامية في تاريخ الاجتماع

والتأمل في القرآن الكريم يرى أن جميع آدابه وعظائمه ترمى إلى بث الروح الاجتماعية في نفوس أهله  
فكانت هذه الروح هي السبب الأول في انتشاره حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالنتار والمغول  
وغيرهم ممن اشتدوا عليه ليخذلوه فكانوا بعد ذلك من أشد أهله في نصرته والغضب له . ليس للقرآن  
طرائق للدعوة إليه إلا الأسوة - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فالأسوة والقُدوة مظهر آدابه  
ولذلك كان كلما وجدت طائفة من أهله وجدت الدعوة إليه وان لم ينتحلوها ويعملوا لها وما استحث أحد  
بالعطايا لأنه الدين الطبيعي للإنسان تأخذ فيه النفس عن النفس بلا وساطة ولا حيلة في الوساطة . وما أفصح  
ما ورد في صفة القرآن من قول رسول الله ﷺ ﴿ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو  
الفصل ليس بالهزل ﴾

### ﴿ أثره في الحال العلمية ﴾

من يدرس تاريخ العلم الحديث لا يسعه إلا أن يستنبط أن القرآن الكريم كان أصل النهضة الاسلامية  
وأن النهضة الاسلامية هي التي لها الفضل في حفظ علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها وهي التي أوسعت المجال  
للعقل يبعث وينظر ويستدل . وبذلك كانت هذه النهضة أساس التاريخ العلمي في أوروبا . انفرد القرآن  
بأنه هو الذى حرر العقول البشرية من أصفاد الجود والرق وحفز النفوس البشرية وساقها إلى قراءة صحف  
الكائنات وتدبر ما فيها من الصنع البديع . القرآن هو الذى ساق النفوس إلى تقصى غوامض الكائنات  
والتنقيب عن دقائقها وبين لهم أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - ثم دلهم على

مواطن التفكير والبحث وبين للناس بضرب الأمثال فيم يفكرون فقال جلّ شأنه - ومن كل شئ خلقنا زوجين - سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون - وجعلنا من الماء كل شئ حيّ - الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ - كلّ في فلك يسبحون - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر - يوم تشقق السماء بالغمام - ألم نجعل الأرض مهادا \* والجبال أوتادا - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج -

القرآن هو الذى أعّد العقول لفهم الفلسفة الاغريقية ودراسة العلوم الكونية فتصافى العلم والقرآن بضعة قرون لم يقع بينهما نفور ولا مشادة فقد كرم العلم ونوّه بالعقل وذمّ الذين يعطلون عقولهم ويتبعون أهواءهم إذ يقول فى شأنهم - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون - إن شرّ الدواب عند الله البكم الذين لا يعقلون - ومنهم من ينظرك أفاأت تهدى العنى ولو كانوا لا يبصرون - ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أن نزلكموها وأتّم لها كارهون - نحن أعلم بما يقولون ومأنت عليهم بحجار \* فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - إن عليك إلا البلاغ - قد بينا الآيات لقوم يعقلون - لا إكراه فى الدين - إنما أنت مذكر \* لست عليهم بمسيطر - . القرآن هو الباب الذى خرج منه العقل الانسانى الكامل بعد أن كان طفلا فقد هداه الى النظر والاعتبار والاستنباط إذ يقول - إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب \* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار - وفى خلقكم ومايث من دابة آيات لقوم يوقنون - واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون - أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون - وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أّم أمثالكم -

كانت هذه الآيات وأشباهاها سببا فى اطلاق الحرية العلمية للعقول البشرية فلما اقتبست منها أوروبا نهضت وأصبحت تسوس العالم وترشده الى مافيه صلاحه . القرآن هو الذى أوجد العدد الجم من أعظم المؤلفين فى العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والفلكية وغيرها . ذلك بأن العلماء لما نظروا فيه تشعبت طرق تفكيرهم ففهم قوم عنوا بضبط لهجاته وتحريك كلماته ومعرفة مخارج حروفه وهؤلاء هم علماء القراءة وقوم عنوا بالمعرب والمبنى وما الى ذلك وهؤلاء هم علماء النحو . وقوم شغفوا بما فيه من الأدلة العقلية وهؤلاء هم علماء الكلام وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد ومنها ما هو مجمل الى غير ذلك وهؤلاء هم علماء الأصول وتلمست طائفة مافيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية وهؤلاء هم أهل التاريخ والقصص . وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ وهؤلاء هم الخطباء والوعاظ . وأخذ قوم علم الفرائض وحسابه من آيات الموارث . ونظر قوم الى مافيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهؤلاء هم علماء الميقات

من هذا يتبين أن القرآن الذى نزل فى البداية على أمّى وقوم أميين لم يكن لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم - وكانت فنون القول التى يذهبون فيها مذاهبهم لاتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم مكن العلماء من أن يخرجوا من كل معنى علما برأسه وعلى عمر السنين أخرجوا من كل علم فرعاً حتى وصلت العلوم الى ما وصلت اليه فى الحضارة الاسلامية التى أنجبت الحضارة الحديثة

## كفالك بالعلم في الأُمِّي معجزة • في الجاهلية والتأديب في اليم

لا يزال الباحثون في القرآن الكريم يستخرجون منه ما يشير إلى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم . فمن ذلك قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - مما يؤيد ما حققه العلماء من أن الأرض انفتقت من النظام الشمسي وقوله تعالى - وألقى في الأرض رواسي أن تُميدَ بهم - مما يدل كما أثبتته العلماء على أنه لولا الجبال لمادت الأرض ببيعارها واضطربت بأمواجها ولما طاب للإنسان بها مستقر

وقوله تعالى - وجعل الشمس سراجا - وجعلنا سراجا وهاجا - مما يؤيد ما حققه العلم من أن الشمس جسم مشتل تبت النور والنار من ذاتها وترسلها إلى سياراتها المرتبطة بها  
وقوله تعالى - يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان - مما يشير إلى حدوث الطيران وأنه سيكون منه نصيب للإنسان

وقصارى القول أن العقل هو القائم على فهم القرآن واستنباط ما فيه من الأسرار على اختلاف الأحقاب والدهور لأن الذي جاء بهذا القرآن كان آخر الأنبياء من الناس ولا حاجة بالكمال الإنساني لغير العقول ينه بعضها بعضا . ولذلك يقول الله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد - فلو محصت جميع العلوم الإنسانية ما خرجت في معانيها من قوله تعالى - في الآفاق وفي أنفسهم - . وكلما تقدم النظر وتوفرت طرائق البحث ظهرت حقائق الكائنات ناصعة وتجلت الاشارات التي انبثت في ثنيات القرآن - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - اهـ

هذه هي الخطبة التي تضمنها قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا هو التبيين القرآني الذي به أقره (٧٠٠) عالم من أوروبا في هذه السنة أن القرآن سبب نهضة أوروبا وأنه <sup>عليه السلام</sup> أعظم العالم . انتهى الموضوع الأول

(الموضوع الثاني) هو ما نشرته (المجلة الاسيوية الفرنسية) من اعظام هذا الدين وقرار هؤلاء العلماء بأنه دين الفطرة بمناسبة تقریظ كتابي (نظام العالم والأُم) وأنا اخترت أن أثبت هنا قبولاً لنعمة الله وقياما ببعض الشكر له سبحانه على نعمة العلم ونعمة الحكمة والتأييد العظيم . ذلك أن هذا التقریظ الذي سأكتبه هنا انما كتب سنة ١٩٠٨ أي منذ عشرين سنة وفي ذلك الزمن لم يكن لي تفسير للقرآن وانما هو كتاب (نظام العالم والأُم) وهو عبارة عن ملخص للعلوم العصرية ممزوج ببعض الآيات القرآنية فلقى من هؤلاء العلماء الآتية أسماؤهم اعظاما واجلالا للقرآن وتقریظا للكتاب . أفلا أجد الله عز وجل إذ عشت حتى وفقني هو لهذا التفسير فلا ثبت مقالهم هنا تفسيراً لقوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا التبيين في خطبة صديقي (جاء للمولى بك) واجماع علماء أوروبا الرسبيين على عظمة التبيين في القرآن والتبيين الذي جاء في كتابي (نظام العالم والأُم) كلاهما مصداق لقوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهالك نص هذه المقالة (تقریظ كتاب نظام العالم والأُم)

( الجمعية الاسيوية الفرنسية والشيخ طنطاوى جوهرى والاسلام )

دهشت الجمعية الاسيوية الفرنسية من ظهور الحقائق في كتاب (نظام العالم والأُم) فلذلك نشرت الجمعية المذكورة التي تدار بجمع من خول الذكارة العظام والفلاسفة الكبار من بينهم حضرات الآتية أسماؤهم (١) المسيوبار بيه منار (٢) بارت (٣) ريباسي (٤) شاقيه (٥) كليرمون جانو (٦) هالتي (٧) هيبارت (٨) ماسيرو (٩) ريبنس ريفا (١٠) سيتار بمجلتها التي صدرت في شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٠٨ نمرة (١) مقالة ضافية الذبول تحت العنوان الآتي

﴿ الشيخ طنطاوى جوهري أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم والأُم ﴾  
 ( أو الحكمه الاسلاميه العليا (المجلد الأول) وعدد صفحاته ٤٣١ نشر في القاهرة سنة ١٩٠٥ م )  
 إن كتاب ﴿ نظام العالم والأُم ﴾ الذي ظهر المجلد الأول منه هو أحد كتب عديدة ألقت للنشأة الحديثة  
 الاسلاميه. وهذه الكتب بناها المؤلف على ﴿ نظريتين اثنتين ﴾ أولاهما ﴿ أن الدين الاسلامي دين الفطرة أى  
 ملائم للعقول الانسانية وموافق للطباع البشرية ﴾ ثانيتهما ﴿ أن هذا الدين على مقتضى ما قرره المؤلف يسوق  
 الى استكناه جميع النواميس العلميه وسائر القوانين الطبيعيه الشاملة لهذا الكون كله الناطقه لعقده  
 ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله في مؤلف صغير سماه ﴿ الزهرة ﴾ وأبان فيه  
 أغراض الكتاب بجزأيه وهى (تسعة مباحث) شرحها شرحا وجيزا في زهرته التى هى خلاصة الكتاب حتى  
 تشمل الفائدة من لم يتسع له الزمن لدراسة الكتاب ونبتدى الآن بإيراد ما في الكتاب من المباحث باختصار  
 فنقول ان مباحثه ﴿ تسعة ﴾ الأول ﴿ ان الانسان مسوق بغريزته للعلوم عاشق للحكمة وكيف ان هذا الميل  
 الجيب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية في نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد  
 وايصالها الى أبعد غاية بل الى ما لا يتناهى مع ما اندرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتواليه ثم طبق ذلك  
 على حساب الخطوط والسطوح والأجسام وانتهى به الى الفلك فحسب الأجرام السماويه بهذا الحساب ثم طبقها  
 على النواميس الطبيعيه وانتهى منه الى الله عز وجل مبدع الخلاق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله ﴿ الثاني ﴾  
 بحث واسع في علم الفلك الحقيقى والهيئة ﴿ الثالث ﴾ درس علم الطبيعه مع ايضاح قوانين (نيوتن) و (كبلر)  
 ﴿ الرابع ﴾ مبحث واسع في علم النبات وأعجب الخواص الغريبه لحياة النباتات ﴿ الخامس ﴾ مبحث مسهب  
 فى الحيوان وسلسلة ارتقائه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب (داروين) من علماء الافرنج في  
 ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى انه لم يأل جهدا في ايضاح ما يسميه (داروين)  
 بقاء الأصلح والأدق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن  
 بعض بنسبة عجيبه . وقد ذكر المؤلف أن مذهب (داروين) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان  
 وأنه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا (المادة الأثيرية . العناصر . المعدن  
 النبات . الحيوان . الانسان . الملك) والله فوق الدائرة . وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى القرد والفيل  
 والبلبل والحصان ولكنه ليس بالاشتقاق الذى يذهب اليه (داروين) ويقول المؤلف ان مذهب (داروين)  
 محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو لذلك قوس من الدائرة التى شرحها العرب وأن (داروين) ربط ما بين  
 الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور (داروين) عن العرب من ﴿ وجهين ﴾ الأول  
 ضعف الرابطة ﴿ الثاني ﴾ قصور البحث على قوس من الدائرة ﴿ السادس ﴾ علم التشريح أى تشريح الجسم  
 الانسانى ﴿ السابع ﴾ علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكاتهما وتأثيرهما فى العالم فى جميع الأزمان ﴿ الثامن ﴾  
 الوحدة العامة فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الأمة ونظام الكون بمعنى أن هيكل الأمة منطبق تمام الانطباق  
 على هيئة نظام هذا الكون المتقن . وقد أثبت ذلك بإيراد آيات قرآنية وبآراء قدماء الفلاسفة كفيثاغورس  
 والعلامة الفيلسوف الفارابى ﴿ التاسع ﴾ فى العمران الاسلامى والسعادة والحرية وجدول للعلوم والفنون  
 التى يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على بساط البحث والتحصيل لتنتشر فى هذا العصر الحاضر بين المسلمين  
 وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم . وأهم هذه الواجبات هو الرجوع دائما الى القرآن والسنة  
 وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى التى تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا للدراسة أحوال الأمم شرقية  
 وغربية . وقد أنشأ المؤلف نظرية فى التوحيد أى (الوحدة العامة) عجيبه بظننا وحكمة وذكاء عجيب  
 ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادئ القرآن وملائمة كل الملائمة لما شرحه العرب من

دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والصور الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقى من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقة الوحدة العامة . وكما أن الواحد نشأ عنه جميع الأعداد التي لاتنتهي فهكذا نشأت الأنواع التي لاتنتهي من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة ٩٠ ومايلها) ولاجزم أن هذه منطبة تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات الطبيعية والمواليد الثلاثة . وللمؤلف عناية كبرى برّد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس ولقد أنحى المؤلف على جلة من العلماء المسلمين لا المحققين (صفحة نمرة ١٨) ورماهم بجهل مقصود القرآن وخواه لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي إذ ظنوا أنه وحده ينجي في الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحيين بنوعهم في العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والفرض الحقيقي منه . إن القارئ لهذا الكتاب يصادف عجا عجابا فيه وأمرأ مدهشا غريبا . يرى أن المؤلف يقارن ما بين معجزة خليل الله ابراهيم المذكور في القرآن وهي آية الطير و ابراهيم - واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم - (السورة الثانية آية ٢٦٢)

يقارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماويين للواء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليطمئن قلبه ويصدق بطريق الحس والمشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معلومة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بنداؤها فحيث بأذن الله فكان ذلك اطمئنانا لابراهيم عليه السلام فن مهارة المؤلف المدهشة مقارنته لهذا بالتحليل والتركيب الكيماويين . وحقيقة انه لافرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن يأمر به وبالجملة فإن المؤلف بتفسيره العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار تام لآيات القرآن يثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة العصرية ومعاني القرآن ويستدل على ذلك بآيات من الكتاب المقدس (القرآن) صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٦١) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادها ويفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشد الاثم لشدة حاجة المسلمين لذلك . وأكد في (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يظنون تنافي القرآن والنواميس العلمية هم أجهل الناس بالأمرين وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم تمنى المؤلف أن تفرس بذور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما أورثته المدنية الغربية لأبنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غاربها بلالجام يكبحها ولازاجير ردعها

وقد شبه المؤلف مجموع الأمة بالآلة ميكانيكية لن تظهر نتائجها ويدوم عملها إلا بصلاح كل جزء منها أولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا . فكما أن الآلة لا تدوم إلا بقوة كل جزء منها وبحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأمة لا دوام لها إلا بصلاح أفرادها أولا وبالنظام الشامل والدستور المنظم لأجزائها المبني على العلم وبالحكومة العادلة ثانيا . هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب

نحن لا يسعنا إلا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء . فانظركيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبرة عالية ثمينة وبلاغة باهرة تترقق حسنا وتقيه عجا تسيل سلاسة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاما مملوءة حياة وحكمة . وليس اجلالنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤلفي الانكليز مثل (أفبري) و (سبنسر) و (داروين) وبحث في الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجمع زبدة آراء

جميع العصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعبارة جيلة دقيقة كما وصفناها واتبع الفائدة أينما وجدها الشيخ طنطاوي جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جودا معيبا أدى الى انحطاط المدارك الاسلامية في الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الاسلامية . فهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ويحاول ازالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجلود الخيم عليها في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لا يخص مذهبا دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق لأن بحثه عام في الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية في المعارف والعلوم والمدنية والحضارة . انتهى

وبعد أن انتهت المجلة من تقريرها كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ كتبت كلمة عن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ ترجنا منها ما يأتي

هذا المؤلف أهدى الى (الميكادو) ليقدم الى مؤتمر الأديان الذى انعقد في سنة ١٩٠٦ م باليابان . إن احالة المؤلف بالاشارة ولسان الحال للقارى على كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ في كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتائين يريان لغرض واحد وأن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ كنتم ﴿ لنظام العالم والأمم ﴾ وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه الى اللغات الاوروبوية في حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا الى اللغة التركية ونشره في فارس والروسيا وختم مقدمته بنشر صورة الجواب الذى أرسله الى (الميكادو) وذكر موضوعه وسبب وضعه . ان القارى لهذا الكتاب يستنتج أن من اطلع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلا من الغرض والتعصب فانه يجدها منطبقة تمام الانطباق على الدين الاسلامي . انتهى التقرير . وقد ترجم من الفرنسية بقلم محمد أفندى عبد العزيز والمرحوم صالح بك حدى جاد

﴿ أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة ﴾

اعلم أن ما تقدم من الخطبة التى ألقيت في جماعة المستشرقين وما ذكرته الجمعية الاسيوية الفرنسية انما ذلك في التبيين العام ، أما التبيين في الارشاد خاصة فانه على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ تبين هو موعظة وتبيين هو مجادلة وتبيين هو حكمة كما قال تعالى في (سورة النحل) - ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فهل تحب أيها الذكى أن أحدثك عن هذه الثلاثة . نعم أحدثك لأن الله اختصر الكلام في القرآن وفي حديث رسول الله ﷺ كما ورد ﴿ أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا ﴾ فاذا أطلت الحديث فهو جيل وبيان قال تعالى - وأنزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - . أما الموعظة الحسنة فثل - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ ومثل آية الكرسي - الله لا اله الا هو الحي القيوم - الخ إذ ملخصها بيان عظمة الله من حيث قدرته ومن حيث علمه فعظمته من حيث قدرته في قوله - له ما في السموات وما في الأرض - الخ وعظمته من حيث علمه في قوله تعالى - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم - الخ وهذه تكفي للعموم . وأما المجادلة بالتي هي أحسن فثل قوله بعدها - ألم ترالى الذى حاج ابراهيم في ربه - فان ملخصها محاجة ابراهيم عليه السلام للنمرود ببابل ولما كان الجدال يجب أن يكون في موضوع يقربه الخصم اذا سمعه والقوم كانوا صابئين يعبدون الكواكب ذكر له ابراهيم عليه السلام سير الشمس فأعجزه إذ قال له اذا قتلت رجلا مجرما وعفوت عن آخر واعتبرت أن هذين إمامة وإحياء فافعل بالشمس ؟ إذ أتى الله بها من المشرق فلتأت بها أنت من المغرب . فهناك بهت

الذى كفر وهذه مجادلة والمجادلة ترجع لازام الخضم . وقد قال العلماء انها لا تكون إلا مع المعاندين وهم ليسوا في الدرجة العليا من التفكير ولم يبقوا مع العاتة يؤمنون بالتقليد . أما أهل الحكمة فالحجة تقام لهم فاعجب كيف ذكر الله ذلك في (سورة الأنعام) فقال - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - فذكر الكواكب والقمر والشمس وانتهى بقوله - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا - وانما وجهه له لأنه وجد الكوكب أفلا والقمر أفلا والشمس أفلة فقال أنا لا أحب الآفلين لأن الآفلين منتقلون وللمنتقل حادث فكيف أحب من يغيب عني والله لا يصح أن يغيب عني لأنه بمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك لأن المادة كلها عبارة عن عناصر ترجع الى ذرات كهربائية والكهرباء والنور حركات في الأثير والحركات أعراض فلولا أن هناك ممسكها لا يدجها ويثبتها لم يكن لنا وجود - كل شئ هالك إلا وجهه - فكيف أحب ما حركته وانتقله دالان على أن وراءه من له الحكمة والجمال والعلم والقدرة والتصرف والحب انما يتوجه الى القوة والجمال والعلم وأى قدرة أعظم وعلم أحكم وجمال أبهى وغنى اوسع مع البوام في ذلك كله إلا في الله . لنلك وجهت وجهي اليه ولنلك قال تعالى - وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم - فهذه الحجة المذكورة في الأنعام هي المعبر عنها بالحكمة في (سورة النحل) ولم يقل الله في محاجة الفروذ ذلك فلا ذكر انها حجة ولا قال بعدها - نرفع درجات من نشاء - بل قال - فهبت الذى كفر - وهذه من أعجب وأبداع ما جاء في القرآن من اللطائف وانما لم أكتبها في (سورة البقرة) أوفى (سورة الأنعام) لأن الله لم يفتح على بها إلا الآن في هذه الآية مع انها بالبقرة والأنعام أولى وأحق والله هو الهادى القائل في هذه السورة - والله يهتدى من يشاء الى صراط مستقيم - فلنسرعلى هدايته ونكتب ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين

ومن الحكمة التى لا تعرف إلا بعد البحث والاستقصاء والتى لم تظهر ثمرتها إلا في زماننا اظهارا لمجربات القرآن الحكيم وقد كانت مجملة غير مفصلة في الأزمان الغابرة ما جاء في (سورة البقرة) أيضا بعد آية الكرسي بوضع آيات إذ يقول الله في ثانيا الكلام على الاتفاق والتحرى عليه - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم \* يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فاعجب للقرآن الذى يبين للناس أمورا دقيقة مثل هذه المسألة . ألم تر أن زماننا ظهر فيه هذا بأجل بيان (اقرأ كتابي أين الانسان) الذى أرسلته لمؤتمر الأجناس . ألم تر أن البرهان قام على أن سعادة الناس كلهم بأن تكون العقول كلها قد وصلت الى أقصى ما يصل اليه الامكان وبأن الأرض كلها تستخرج منافعها وأن المجموع الانساني يكون كله متعاوناً وأن التقصير في هذا ضار بالمجموع . إذن اتفاق المال للفقراء الوارد في شريعتنا الغراء جزء من المساعدة العامة للانسانية فالشرقي والغربي يظهر آثار عقولهم وآثار منافع أرضهم يصبون في سعادة لم يحلم بها الأولون وهناك يظهر سرّ قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وسر أنه ﷺ رجة للعالمين وأى رجة أعظم من أن تنزل آيات محرضات على بذل المال للنافع العامة ثم يدخل في غضون تلك الآيات ما يفيد أن الحكمة هي الخير الكثير وأن هذه الحكمة لا يتذكرها إلا أولوا الألباب . فالحكمة أجل شئ يبتنى ولماذا يذكرها الله عند التحريض على الاتفاق ولم يذكرها في موضع آخر من القرآن مع ان الصلاة أفضل من الزكاة وقد قال في الصلاة - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - ولم يذكر الحكمة بعدها كجاء في آية الاتفاق ولم يقل ان الحكمة خير كثير ولم يمدح أولى الألباب بعدها . فلعمرك ما ذاك إلا لما اندمج في مسألة الاتفاق من المساعدة العامة والشيطان من عادته أن يفهم الانسان أن المدار على سعادته وحده وعلى منفعة الخاصة والله يحب منا منفعة العموم ومنفعة العموم ترجع لاسعادتنا أيضا فالنفع العام أدخل في اصلاح الأفراد من اقتصار الأفراد على النفع

اختصاص . ومن شخص هذا أن الناس ﴿ قسمان ﴾ قسم لا يحب الانفسه فيسبى لها وهو لا يبالي بالجموع وقسم يسبى للجموع مع محافظته على نفسه . فالأول خال من الحكمة والثاني متصف بها . والأول تعالجه شيطانية والثاني تعالجه حكمية والاسلام جاء للحكمة العامة لا للخاصة وقد نشر في الشرق والغرب في مدة قليلة ولكن لما اعتنق الاسلام أمم لا تعرف أسرار اللغة العربية خرج منهم ملوك وعلماء قنعوا من الدين ببعضه وعكفوا على شهواتهم وسخروا الأمم لما فقال الله لهم كفوا أيها المسلمون ودعوا حكم عبادى وسأنشر الاصلاح في الأرض على يد من أشاء فظهرت حركة الاصلاح في أوروبا وأمريكا واليابان وهناك جمعية تسمى جمعية الأمم باورويا وقد قدمت لك أن هذه لم تقم بالواجب لأنها جمعية لفظية لا معنوية وقد ذكرت هذا المعنى في أول (سورة الأنفال) وقد طابق ذلك ما أعلنه محافظ كابول من (أفغانستان) في خطبة له بمصر ذكرت عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون \* فتقطعوا أعضهم بينهم زبرا - فارجع اليه في (سورة المؤمنون) . فها هو ذا الزمان قد آن أن يستدير ويرجع الأمر للمسلمين ومن معهم ويقومون باصلاح النوع الانساني هم ومن معهم من الأمم . وهناك تظهر الحكمة في قوله تعالى في (سورة البقرة) - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - الخ الذي هو قسم من أقسام الحكمة المذكورة في (سورة النحل) الداخلة في قوله تعالى هنا - لقد أنزلنا آيات ميقات - . فهذا هو التبيين في القرآن . ففي القرآن تبيين ولكن الله ادخر كثيرا منه لأمم تعقله وتلك الأمم ترجع الدين لحاله في العصر الأول أولئك الذين كانوا يراعون المنفعة العامة حتى انهم اذا حاربوا أهل الكفر وقاتلوهم لم يراعوا إلا المصلحة العامة فقتل صناديد قريش في واقعة بدر وأمثالها يرجع الى اصلاح آلاف مؤلفة بقتل أفراد قليلة كما أن نهر النيل والفرات والهواء والبار والشمس نافعات للعموم ضاربات للقليل كإغراق ناسك وموت صبي بهواء فاسد واحراق مجوز وموت شيخ بضربة الشمس فهلاك هؤلاء لا يقدح في اسعاد المجموع . ومن عجب أن (بنتام) الانجليزى مؤلف ﴿ أصول القوانين ﴾ قد نحا نحو هذا فجعل القوانين مبنية على أن العموم مقتم على الخصوص وأن قتل القاتل وان آذى أهله فقد سرت الناس كلهم والمسرة العامة خير من الخاصة . ولم يكن هذا الاهلاك مقصودا بذاته من خلق الهواء والماء والشمس . كلا . بل المقصود النفع العام . هكذا قتل بعض الكفار في بعض الحروب قصد منه الحكمة التي قصدت في خرق السفينة وقتل الغلام كلاهما لاصلاح أهم غرق السفينة لتبقى في يد أصحابها الأيتام فلا يأخذها الملك غصبا وقتل الغلام لأن العلم بمصلحة أعم لذويه أوجب قتله وقد راعى المصلحة عمر رضى الله عنه فلم يقطع اليد أيام المجاعة بالسرقة في قصة سرقة الإبل المذكورة في سورة الكهف (راجع هذا المقام كله هناك) فسترى كلام علماء الاسلام وما كتبت مع كلامهم هناك لتعلم أن دين الاسلام جاء للحكمة العامة وأن فيه أسراراً يبينها الله في هذا الزمان وهذا هو الذى فتح الله به قلوب جريوم الخميس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وفى نفس صلاة الصبح عند قراءتي في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين - والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية من قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - وما أواهم النار ولئس المصير - ﴾ قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب لرسول الله ﷺ ولأئمة وأقسام (ليستخلفهم في الأرض) أى ليجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في عيالهم (كما استخلف الذين من قبلهم) مثل بنى اسرائيل إذ استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وأورثهم هم وقومهم بنى اسرائيل أرض الجبارة وديارهم (وليمكثن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتنبيه (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الأعداء (أمننا) منهم ثم استأف ليان المقتضى للاستخلاف فقال (يعبدونى لا يشركون بي شياً) الجملة حال من الواو في يعبدونى أى يعبدونى غير مشركين (ومن كفر) أى كفر هذه

النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم إذ كفروا تلك النعمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) في سائر ما أمركم به (اعلمكم ترجون) أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (لأنحسب الذين كفروا مجزين في الأرض) أي لأنحسب يا محمد الكفار مجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الأرض متعلق بمجزين (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا مجزين ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي المأوى الذي يصيرون اليه وهنا . ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الخ ﴾

قيل ان النبي ﷺ مكث بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبرون ويمسكون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال أحد منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية . ومعنى ليستخلفهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والجم جعلهم ملوكها وساستها وسكانها وقد أنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الأرض . روى البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلتزين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لاتخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى يارب فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ . وعن سفينة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا ثم قال أمسك ﴾ ولقد كانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر فتكون خلافة الخلفاء الراشدين إذن تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وثلث ثلاثين سنة بخلافة الحسن وهي ستة أشهر ثم نزل عنها معاوية

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال أهل التفسير في قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ان أول من كفر بهذه النعمة وجدها ولم يقم بواجبها أي بواجب نعمة النصر والتحكيم في الأرض والأمن الذين قتلوا عثمان . فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخوانا

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

أين وعد الله للمسلمين اليوم وهم في الأرض خائفون وجلون . لأذكرك ما كتبه في كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ على هذه الآيات تحت العنوان الآتي

﴿ الاسلام دين علم وعمل ﴾

أيها المسلمون . الاسلام دين علم وعمل . ولما ضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل لجهلت العلوم

الكونية والعقلية لم يصلحوا لهداية العالم المتعلم فبذهم الاسلام فلم ينصروا على أعدائهم من الاوروبيين وأصبح المسلمون يلتمسون العلوم من الأمم الاوروبية ويستضيئون بأنوارهم ويهتدون بهديهم ويرتوون من مواردهم ويكرعون من مشاربهم . أوليس ذلك دليلاً على أن الأمم الاسلامية الكبرى جهلت الحقائق وظنت أن المسلم لا يعنيه العلم والجهل يكفيه والقوت يرضيه وهو غافل عما أبدع الله في الأرض والسماوات وبرأ فيهما من البدائع وأحسن فيهما من صنع وأبدع وأجاد وذراً من كل زوج بهيج . لهذا السبب ذهبت الأمم الاسلامية فأصبحوا لا ترى إلا آثار آبائهم لأن الجهل بالعلوم خيم فيما بينهم وضرب عليهم سرادقاته فضر بهم الدهر ضرباته فذل العزيز وعزّ الذليل وخضع العظيم وعظم الحقير - قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير -

كنا الجهابذة الكبار \* كم قائد سلك القفار

وبجيشنا قطع البحار \* وطنى على أعدانا

إنا ملكنّا المشرقين \* إنا ملكنّا المغربين

إنا قرأنا الحكمتين \* العلم والإيمان \*

ألستم أتم السواد الأعظم في الكرة الأرضية . ألم يأمركم الله أن تأخذوا حذركم وتبنوا مجدهم وترفعوا رؤسكم وتتعلموا ما نشر الله في الأرض من علم وما أنعم به من صناعة

﴿ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها ﴾

ألم يقل لكم في كتابكم الكريم - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون -

أليس هذا كلام ربكم المنزل على نبيكم وأتم المخاطبون به . فبالله عليكم يا معاشر المسلمين في لقطار الأرض أتم اليوم أكثر عدداً وأعظم مدداً فإذا جرى حتى عجبنا كل العجب من أنا مسلمون وقد تخططنا هذا الوعد بأن يستخلفنا الله في الأرض ويمكن لنا في الأرض ويبدلنا من بعد خوفنا أمنا والتمكين فيها وتبديلنا من بعد خوفنا أمنا وعد من الله لنا والله لا يخلف وعده قال تعالى - ومن أوفى بعهده من الله -

يجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . المسلمون الذين يباغون ٥٠ مليوناً من بني آدم يحبون ويقولون نحن مسلمون ونحن نعمل الصالحات فأين استخلفنا في الأرض ؟ ونحن أينما توجهنا فالقتل على رقابنا والذل محيط بنا وأمم الفرنجة يطاردوننا

﴿ فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم ﴾

أقول على رسلكم يا معاشر المسلمين لا تظنوا أن عمل الصالحات قاصر على ما تعملون فانكم ينقصكم أمران الاتحاد فيما بينكم عريكم وعجميكم وأبيضكم وأسودكم وأصفركم والعلم بما نزل الله في السماوات والأرض من عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ونظام البرية وما أبدع في السماوات من كوكب ومابث في الأرض من دابة ونبات . ودليلي على ذلك قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - . بهذا أنذركم الله إذ قال - وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم - فكأنه وعد بالاستخلاف المتقدم للأمة الاسلامية الناضرة في ملكوت السماوات والأرض المفكرة فيما خلق الله المتعلمة كل صناعة وحرفة حتى لا يفوتها صناعة من المدفع الى الابرة ومن القطار الى المنشار ومن علم الطيب والبيطار الى صناعة الموسيقى . نعم وعدنا الله بالاستخلاف في الأرض اذا فقهنا وعقلنا كلامه

أوليس من العار أننا غفلنا عن السير في الأرض والأخذ بما هو أجل وأحسن وقد عقلت الأمم وتعلمت وجهلنا وارتقوا وانحططنا فلذلك جاء القرآن موبخاً ومنكراً على الجاهلين (بما أبدعت الأمم من الصناعات وما أنشأت من المصانع وما أحكمت من بناء وما عجمت من زراعة وما أحسنت من صناعة وما أقامت من سياسة وما نظمت من طرق وما أرسلت من قطار وما أطارت من بخار وما سيرت في الجوّ من طيارات ومناطيد وما بنت من مدارس وما علمت من تلاميذ وما رفعت من صروح) فقال الله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها -

ولما كان المسلمون كثيراً ما يسيحون في الأرض ويرجعون إلى أوطانهم بخفي حنين ثم هم لا يندرون قومهم إلا قليلاً ولا يعتبرون بما رأوا ولا يرسلون جاعات منهم تتعلم إلا قليلاً أردفه الله بقوله - فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور -

أيها المسلمون . انه لينقصكم ﴿أمران﴾ الاتحاد والعلوم فإذا اتصفت بهما تمّ وعد الله لكم في الأرض بالاستخلاف والتمكّن في الأرض وأن يبذل خوفكم أمناً في الآية المتقدمة . وها أنا ذا سأشرح لكم كيف تتحدون وكيف ينشر العلم بينكم

﴿ ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم ﴾

ألا إنما مثل المسلمين المستبصرين وغيرهم كمثل جماعة سافروا في طريق طويل فأخذ جماعة يركبون الابل والبغال والحير والحيل وأخذ جماعة آخرون يركبون القطار فتخلف الأولون وفاز الآخرون وحجة الأولين انهم يتبعون ماسنّ آبائهم ويتغنّون بمحدثهم ويتغنّون بأشعارهم فوق إبلهم . وحجة الآخرين أن العقل يقضي أن نأخذ بالأحسن والأقوى والأسهل ويقولون قال الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - فآله عز وجل بشر العباد الذين يتبعون أحسن القول . ولا جرم أن القول يركوب القطار أحسن من القول يركوب الابل . أفليس من العار علينا أن يسبقنا الأمم ونحن عاقلون . ففكرون

﴿ معنى الجهاد ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون \* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم \* وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب -

هذه الآية ذكر فيها الله لنا تجارة ودلنا عليها وجعل تلك التجارة تنجينا من عذاب أليم ؟ ما هي تلك التجارة ؟ هي أن تؤمن بالله ورسوله وتجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وضمن لنا بذلك أمرين الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . طلب الله منا أمرين وضمن لنا أمرين . طلب الإيمان والجهاد وضمن الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . أما الإيمان فعلوم وأما الجهاد فآنا أشرحه لكم . يظن الجهال أن الجهاد إنما هو حرب الكفار وحده . كلا . ان الجهاد كما نص عليه علماء الفقه لا يخص حرب العدو بل يشمل سائر الأعمال العاتية فترقية الصناعة والزراعة ونظام المدن وتهذيب النفوس وإعلاء شأن الأمة كل ذلك جهاد لا ينقص عن توجيه البندقية والمدفع إلى صدر العدو

إن الصف المجاهد المحاذي للعدو لن يقدر على هذا الموقف إلا إذا كان وراءه حكومة في بلاده منظمة فيها صناعات محكمة لتصنع له المدافع والبنادق وتزرع الأرض وتسمدها وترسل له الذخيرة فمن ظن أن زارع الأرض المستخرج ما فيها والحديد والصانع للدافع والقطار والتجار المكمل لكل منهما والخباز الخباز لهما

والجندى . من ظن أن هؤلاء أقل أجرا في الآخرة من الجندى الذى أحضرت له أعمال هؤلاء وهو فى معصية القتال فقد جهل الدين وطاش سهمه وهو من الغافلين

إن النبى ﷺ لما رجع من إحدى غزواته قال ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ أفليس ذلك بامعاشر المسلمين دليلا على أن جهاد النفس أرقى من جهاد العدو وجهاد النفس بترك الكسل وباحكام الصنعة وبترقية شأن الأمة وبالسباحة فى الأرض وبترك الشر وتهذيب النفس . فالهذب لنفسه مجاهد والمحكم لصنعتة مجاهد والمسافر ليعلم المسلمين ماشاهد مجاهد والعالم مجاهد . ولقد ورد مامعناه أن مداد العلماء كدم الشهداء . ولعمري لقد عظم أمر العالم وفاق شهيد المعركة . ذلكم العالم الذى يزرع العلم والبركة فى نفوس آلاف من الناس هو خير من آلاف من الشهداء

هاأنا ذا قد بينت معنى الجهاد والايمان واضح من نفسه . ولاجزم أن الله ضمن لمن جاهدوا هذا الجهاد أن يدخلهم الجنة وينصرهم على عدوهم . فليجاهد المسلمون وليعرفوا جميع العلوم والصناعات التى منها العدد الحرية والآلات الصناعية والحدع الحرية والسياسات المدنية فان الله ضامن لهم النصر . هذه ستة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا . وليس النصر مضمونا لنا ونحن غافلون . ان الله أمرنا بالنظر والتعقل والتفكير . أوليس هو سبحانه القائل للمسلمين وهم يصلون صلاة الخوف فى الحرب - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذ الذين كفروا لوتغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة - فاذا كان الله يقول لنا ونحن فى الصلاة وقت الحرب خذوا حذركم خذوا أسلحتكم فان الكفار ربما مالوا عليكم ميلا واحدة فقتلوكم . فهل منزل هذا يرضى عن أمة تنام عن العلوم والمعارف والصناعات . هل ينصر الله أمة غافلة إن الله وعدنا النصر بعد الجهاد الكامل بالعدد التى تناظر ما عند العدو التى صرح بها فى قوله - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - ولقد أطلت فى هذا المقام لتبين السبيل والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة . ايضاح قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ﴾

ليجب المسلمون من هذا القرآن الحكيم كيف أخبر أن الله سيمكن للمسلمين فى الأرض وقد تم هذا كما تقدم وكان الخلفاء الراشدون وغير الراشدين ثم كيف ملكوا أكثر المعمورة قديما وهذا معروف مشهور ثم انظر كيف كان الأمر بالعكس فى القرون الأخيرة وكيف أخبر الله أيضا بذلك إذ قال - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - . يخبرنا الله بما هو حاصل اليوم فى بلاد الاسلام . ولعلك تقول هل المسلمون كفروا أقول لك هذه النعمة هى السبب فى الجهل العام فى الاسلام . يحمل الناس الكفر على كفر الدين . ولكن الكفر هنا كفر النعمة . ألا ترى كيف قال المفسرون رحيم الله تعالى ان أول كفر للنعمة كان بقتل عثمان ولو أن الصحابة والتابعين رأوا فى هذا العصر لقالوا قد كفر المسلمون بنعمة ربهم لأنهم قد تركوا الملك الذى أعطاه الله لهم . تركوه وما حفظوه . لم يحفظوا الملك أى لم يحفظوا النعمة أى تركوا بلاد الله فلم يعمروها وتركوا ما فيها من الكنوز والمنافع وناموا على بساط الراحة . فيعجبنا للإسلام . أيظن أن الله يعطيه الأرض ويملكه إياها ثم هو ينام ولا يصلحها ولا يقوى عمرانها ويبقى فى يده . كلا . إن الله قيوم أى قائم بتسيير الملك فمن لم يكن متخلقا بخلقه خلعه من ملكه وأقصاه وهذا هو معنى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - سيقول جهول من الذين ينتمون للإسلام . حينئذ قد حكمت على أمة الاسلام اليوم بأنهم فاسقون أقول أنا لم أحكم وإنما أذكر أمثال هذا بما قاله علماءنا أن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية والمسلمون اليوم عالة على أوروبا فلا كفاية لديهم من هذا القليل وفرض الكفاية متى ترك كانت الأمة كلها آتمة لهذا الترك فاذن المسلمون اليوم آثمون بترك العلوم والصناعات وهذا الاسم قد عاقبنا الله عليه باحتلال الأمم الغالبة بلادنا واذلالنا

وهذا عذاب مهمل وسنكون جميعا في الآخرة مومنين . فهذا معنى كفر النعمة الذي سمي الله المتصفين به فاسقين ولم يسمهم كافرين كفرا مطلقا . فالسالمون اليوم متمتعون بنعمة الايمان الساذج وليسوا متمتعين بنعمة اصلاح الأرض والله عز وجل حكيم لا يعطى الشئ إلا للمستحقه ومستحقه هم العاملون لارتقائه فأصبحت الآية فيها (مجزتان) فصدرها مصدر الاسلام وعجزها للاثم المتأخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولكم في هذا القرآن من عجائب وغرائب وما كان ليدور بخلدى قبل كتابة هذا التفسير أن فيه كل هذه العجائب - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

وقبل أن أترك هذا المقام أشير الى أمر آخر ذلك أن الحديث أبان فيما تقدم كيف يكون الامن في الاسلام وقد تم ذلك كما تقدم وبقى هناك أمر وهو الذهب والفضة اللذان يعرضان فلا يقبلهما أحد فذلك لم يتم الى الآن ولعل المستقبل كفيل به فان النوع الانساني اذا أصبح وقد ترك النقود كما يقول (الباشفية) وأصبح التعامل بالمبادلة فان النقود إذن لازوم لوجودها . أقول ربما اضطرت الدول الحالية الى الاتحاد شرقا وغربا (فقد تنبه الشرق) وتعاملوا بالسوية وألقوا النقود كدولة البلشفيك وهناك يتم معنى الحديث إذ لا فائدة للذهب ولا للفضة بل الرجل يعمل لمصلحة الجميع ويأخذ ما يكفيه . انتهى الكلام على الجوهرة الثانية ﴿ الجوهرة الثالثة من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم - الى قوله تعالى - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون - ﴾

روى عن ابن عباس قال وجه رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزله الله هذه الآية وروى أيضا أن أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتى رسول الله ﷺ فقالت ان خدمنا وغلماطنا يدخلون علينا في حال نكرهها فأنزله الله هذه الآية . وملخصها أن العبيد والاماء والأحرار الذين لم يبلغوا الحلم ولكن عرفوا أمر النساء وهم في سن التمييز يجب \* وقيل يسق أن يستأذنا لأجل الدخول في ﴿ ثلاث أحوال ﴾ وهي من قبل صلاة الفجر وفي منتصف النهار حين يضع الناس ثيابهم للقيولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم . فهذه أوقات ثلاث عورات لأن كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يختل تستره فيها . ومعنى العورة الخلل ومنها الأعور المختل العين وهذا هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم) وهذا القول رجوع لتسيم الأحكام السابقة بعد ما ذكر من الاهيات ما يشرح الصدور ويوجب الاذعان ويفتح الأذهان والذين ملكت إيماننا هم العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الأحرار الذين ظهروا على عورات النساء ولم يبلغوا الحلم وهم في سن التمييز وبلوغ الحلم يكون بالاحتلام فان لم يحتلم وبلغ خمس عشرة سنة فقد بلغ عند الشافعي ولا يرى أبو حنيفة بلوغ الجارية إلا اذا بلغت سبع عشرة سنة ولا الغلام إلا اذا بلغ ثمان عشرة سنة . فأما أبو يوسف ومحمد وأحمد فقد وافقوا الشافعي في أن الغلام والجارية يحكم ببلوغهما متى بلغا (١٥) سنة وقوله (ثلاث مرات) أي ليستأذنا في ثلاث أوقات هي (من قبل صلاة الفجر) الى قوله هي (ثلاث عورات لكم) أي هي ثلاث أوقات يختل تسترهم فيها (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان ولا تظن أن هذا ناسخ لآية الاستئذان لأن هذا في الصبيان والمماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين . هم (طوافون عليكم) هذا مستأنف لتبيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهذا التعليل يبين أن الأحكام تعلل (بعضكم) طاقف (على بعض) أي يطوف بعضكم على بعض (كذلك) أي مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أي الأحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما يشرع لكم . واعلم أن هذه الآية غير منسوخة وان تهاون الناس بالعمل بها . ويقال ان ثلاث آيات تهاون

الناس بها وهي هذه الآية وقوله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - والناس يقولون أعظمكم بيتا وقوله تعالى - وإذا حضر القسمة أولو القربى - الآية . ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) أى الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) فى جميع الأوقات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الأحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) من الدلائل والأحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع وهذا يوجب أن يستأذن الرجل على والدته وعلى جميع محارمه . ثم قال تعالى (والقواعد من النساء) أى اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لكبرهن ولأن الرجال يستقذرونهن . فأما من كانت فيها بقية جلال فهي محل الشهوة فلا تدخل فى هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق أى لا يقصدن بوضعها التبرج . والتبرج تكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستعففن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن (خير لهن والله سميع) لما يعلق (عليم) بما يقصدن \* قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزل قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام غير ما تقدم فانه لما نزل قوله تعالى - ولأن تأكلوا أموالكم يديكم بالباطل - قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله - ولا على أنفسكم - (أن تأكلوا من بيوتكم) أى لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم ويدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيت اقله ﷺ ﴿ أنت ومالك لأبيك ﴾ وقوله ﷺ أيضا ﴿ إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه ﴾ (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو مملكتكم مفتاحه) عنى بذلك وكيل الرجل وقيمته فى ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخو وقيل بيوت الممالك والمفاتيح جمع مفتاح (أو صديقكم) أى أو بيوت صديقكم وهو الذى صدقك فى الموادة وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط . واعلم أن هذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة وخصص هؤلاء لأنهم اعتادوا التبسط بينهم فرجع الأمر فى الحقيقة الى الرضا واذن لا فرق بين هؤلاء وبين غيرهم فالمدار على الرضا ولا يذكروا فى الآية إلا لأن الرضا فيهم غالبا محقق . والخفية لما رأوا ما جاء فى هذه الآية حكموا بأن لا قطع فى سرقة مال المحرم . هذا ولقد كان بنوليث بن عمرو من كثانة يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فر بما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكلة أكل ضرورة . ويقال أيضا ان قوما من الأنصار اذا نزل بهم ضيف كانوا لا يأكلون إلا معه . وأيضا قد تحرر قوم عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزاة والنهمة لذلك أنزل الله هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أى ليسم بعضكم على بعض . هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته \* قال قتادة « اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة ترد عليه » وقال ابن عباس « اذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته » \* وعن ابن عباس فى قوله تعالى - فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم - قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وقوله (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه . ويصح أن يقال من عند الله متعلق بتحية التي هي منصوبة بسلموا لأنها مصدر بمعنى التسليم والتحية في معنى طلب الحياة وهي من عند الله تعالى وقوله (مباركة) أى ترجى بها زيادة الخير والثواب وقوله (طيبة) أى يحايب بها قلب المستمع \* وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأولين ﴾ وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرهه لمزيد التأكيد واعظام أمر هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) الحق والخير في الأمور . انتهت الجوهرة الثالثة ﴿ الجوهرة الرابعة - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع - الى آخر السورة ﴾

كان رسول الله ﷺ اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم وهذا قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) إيمانا صادقا (واذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور . وانما وصف الأمر بأنه جامع مع أنه سبب للجمع لا أنه هو الجامع للبالغة (لم يذهبوا حتى يستأذنه) أى حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم . ولما كان الاستئذان أمرا عظيما أكده فقال (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فالستأذن مؤمن لا محالة والذاهب بغير إذن اذا استحل ذلك كان كافرا (فاذا استأذنونك لبعض شأنهم) أى ما يعرض لهم من المهام (فأذن لمن شئت منهم) فوض الله الأمر الى رأى رسول الله ﷺ فأذن يكون بعض الأحكام مفوضا الى رأى رسول الله ﷺ وبعضهم يقول - فأذن لمن شئت منهم - اذا وثقت بصدقه في العذر . وهكذا الناس مع أئمتهم ومقدمهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم إلا باذن . ولقد كان المنافقون يوم الخندق يرجعون الى منازلهم من غير استئذان . وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده . قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بالاذن . واذا استأذن الامام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن وهذا كله اذا لم يكن حدث سبب يوجب عليهم الخروج والا فلا حاجة الى الاستئذان ثم قال تعالى (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولولعذر قصور (إن الله غفور) لفرط العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لاتجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يانبي الله أو يارسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض . وأيضا لا يجوز الاعراض عند دعائه لكم ولا المساهلة في الاجابة والارجوع بغير إذن . إذ المبادرة الى اجابته ﷺ واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) أى يتسللون قليلا قليلا من الجماعة (لو اذا) ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج فيروغ أحدكم في خفية فيذهب \* وقال ابن عباس يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يتقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتة) أى لثلا تصيبهم فتة أى بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجيع في الآخرة . هذا ثم ان الله ذكر في هذه الآيات انه يعلم الذين يتسللون لو اذا وذكر العلم هنا ايدان بالمجازاة على ما يفعلون فأعقبه الله بذكر أن علمه عام فكيف لا يعلم أحوالكم الخاصة فقال (ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه) من الايمان والنفاق والاخلاص وضده (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة

## ﴿ خاتمة ﴾

هذه هي (سورة النور) ولقد تبدى لى بعد ما أتممت الكلام عليها أن أذكر كلاما عاما يرجع لعموم هذه السورة فأقول

انظرأيها الذكى كيف ذكر الله فى هذه السورة الحد والقذف ورمى المحصنات الغافلات وملاءمة أخلاق الطيبين للطيبات والخبيثات للخبيثين والملاعنة والعفة وتحريم النظر للأجانب وحله للمحرم والاستئذان عند الدخول وغير ذلك من الأحوال العارضة للانسان . ولاجرم أن ذلك يدخل فيه علم القضاء فان الملاعة وحد الزنا وحد القذف وما أشبه ذلك لا يكون إلا بأمر القاضى الذى نصبه الخليفة للحكم بين الناس . فانظر كيف فصل هذه الأحكام بما هو غريب عنها وأدخل فى خلالها ما ليس منها وفاجأ القارى بقوله - الله نور السموات والأرض - وبين كيف يكون الكافرون وأعمالهم كظلمات البحار المائجت فوق موجهنّ سحب ثم أتبع ذلك بذكر عجائب السحاب والبرق وكيف اختلف الحيوان فى عدد أرجله وفى سيره فوق الأرض أو طيرانه فى الجو . أما الذى لا بصيرة له فانه يرى أن ذلك مجرد اتفاق وأن وضع هذه الآيات أمر لا يرجع الى مقصد خاص وانما هو من الآيات التى توضع وضعا لم يقصد فيه إلا مجرد الانتقال من حال الى حال ولكنى أقول لك ما أعلمه اعلم أن الله عز وجل لما خصّ هذه السورة بالأحكام الشرعية أراد عز وجل أن يبين لنا أن هذه الامور العادية المحيطة بنا لا ينبغى أن تكون هى المقصد الأسمى عندنا وكأنه يقول كيف تكون هى المقصد الأسمى وماهى إلا أمور يستوى فيها الكافر والمسلم والجاهل والعالم . وما الأحكام التى فى القرآن إلا مهنّدات لنفوس الناس حتى يعتدلوا فى شهواتهم ويقفوا فيها عند حدّ خاص فلا يقذفون المحصنات الغافلات ولا يرمون زوجاتهم إلا اذا تحقّقوا ولا يتركون أبصارهم ترتع فى شهواتها وتنظر لكل غادية ورائحة من النساء حتى تحفظ قواكم العقلية فان هذه النفوس الانسانية أشبه بشمعة قد جعل فيها فتائل كثيرة وكلما زادت الفتائل فيها وانقادت كان ذلك أسرع ذهابا وأبلغ ضياعا وأقرب نفادها . وكلما قلت السرج المتقدمة منها كانت أطول عمرا . والناس اذا لجوا فى طغيان شهواتهم وزادوا فى غلوائها واتبعوا خطوات الشيطان وأطلقوا ألسنتهم العنان ولعيونهم النظر وما أشبه ذلك كان ذلك أذهب لرجحان عقولهم وأضيع لنور أفئدتهم وأسرع هلاكهم لأبدانهم . فليحفظ الناس الألسنة وليغضوا الطرف الذى يشغل العقول بالصور الجيلة فتجول القوة العاقلة الى صور مضمحلة فيقلّ الادراك ويذهب نور الفطنة وتضمحل القوى العاقلة . وهكذا يجب على الناس أن يستأذنوا اذا دخلوا البيوت وأن يسلموا على أهل الدار وعلى أهل منزلهم هم أنفسهم لتزول الوحشة ويدوم الأُنس وتحصل الألفة فيقوم العقل بما خلقه الله له من التفكير وهكذا تزوجوا الصالحين والصالحات للنكاح أحرارا وعبيدا لتصرف الشهوات الى ما هو نافع وليقوم الناس بما أعدّوا له من النسل واكثره لتسعد الجمعية الانسانية . هذا هو المقصود من هذه السورة وفى أثناء ذلك قال الله تعالى إياكم أن تشغلّكم هذه الامور عن العلوم والحكم والنظر فى جالى وحسن صنعتى فان ما ذكر فى هذه السورة وغيرها من حفظ الفروج والآداب وحفظ النظر وما أشبه ذلك انما هو لحفظ مدنهم وحسن معاشرتهم . وهذه ماهى إلا مقدمات لما هو أعلى ﴿ وبعبارة أجلى ﴾ ان هذه آداب والآداب مقدمات للعلوم لأن العلم لا يكون إلا اذا صفت النفوس ولاصفاء للنفوس والعقل مضطرب بالجدال والخصام ونفور الجيران وشقاء النظرات وتفرّق الخواطر بما تجلبه النواظر فاذا أنزلت عليكم مابه تهادّ الخواطر وتقرّ النواظر ويستتب الامن فما أحرأكم أن تنظروا فيما زوّقت وأبدعت وزينت ورقشت ونقشت فذلك هو المقصود وما سواه فانما هو تمهيد ومقدمات والمقدمات غير المقاصد إياكم أيها الناس ان تظنوا أن القضاء وعلوم الشريعة كافيات لكم . كلا . إن هذه العلوم انما أنزلتها لحفظ النظام ولقد حفظت نظام النحل فى خليتها والزناير فى بيوتها والغربان فى أعشاشها وطيور الكراكي

في أسرارها والآساد في آجامها والجر الحبشية في جبالها ولم أذرع صغيرا ولا كبيرا في الخلق إلا جعلت له ناموسا معلوما وصراطا مستقيما يسير عليه - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أتم أمثالك - علمتها أمور معاشها وأفهمتها كيف تلد وكيف تبيض وكيف تبني لها الأعشاش وأفهمتها كيف تكون سبل الحياة فإذا ظننتم أيها الناس انكم بمعرفه هذه الآداب قد زدتم عن هذه الحيوانات فانكم واهمون فوعزتي وجلالي لن تفوقوها كمالا ولن تعالوها علما إلا بنظركم في جالي وإطلاعكم على بهائي وكجلي

إني أنا نور السموات والأرض ولن تعرفوا تنويري لهما إلا بأمثال ضربتها لكم وآيات بينها . فاتخذوا من ظلمات الحياة نورا ومن الآلام المتراكمة في دنياكم نعيما واقروا وجوه الكائنات وسطور المخلوقات وافهموا من السراج المتقد في المساجد أمثلة تضيء لكم مشكلات الدجئات فعرفوا أنوارى في ملكوتي فلا القضايا ولا اليبنيات ولا الملاعنات ولا الحدود مقصودة من حياتكم وإنما هذه آداب أوجبت أن تكون لتتفرغوا لمعرفة آياتي في خليقتي . ومن ظن أن المقدمات مقاصد فقد جنى على عقله وعلى الجنس البشرى أعظم جناية فإن الناس بهذه الشرائع لم يصلوا الى ما وصل اليه الحيوان في حسن نظامه فكيف يظن الناس أن ذلك هو مقصود الحياة . إن الانسان عليه واجب عظيم هو النظر والفكر وأن يطير بأجنحة الحكمة وطيّارات العلم الى جو من النور بهيج . اني اشتق النور من الظلمات . ألم أجعل النور البرقي يلعب من خلال السحاب ذلك السحاب الذي جعلته متمما لظلمات البحار في دجئات الحياة . السحاب الذي زاد ظلمات الأمواج ظلمات قد أمرت البرق فلمع من خلاله وأشرقت أرجاء الأرض بأنواره . هكذا حياتكم المملوءة بالأخطار المدلهمة في البر والبحر . اني لقادر أن أجعل النور يلعب من خلالها كما لمع البرق من خلال ظلمات السحاب

إياكم أن تشغلكم الأحوال المنزلية والشهوات البهيمية والقضايا في المحاكم الاسلامية عن اطلاعكم على جالي وحسن صنعتي وجمال أعمالي الباهرات في هذه الدنيا وبديع نظامها وحسن تقديرها وبهجتها فإن السحب المظلمات يلعب النور من خلالها ؟ فلم لا تشرق أفدتكم بنور المعرفة في وسط هذه الظلمات الانسانية والحدود الشرعية والقضايا الاسلامية والعلوم الفقهية

أيها الفقهاء . لماذا أجزتم التأليف في الملاعنة والحدود وأطلعتم تلاميذكم على حقائق القضايا وأنتم أجهل الناس بعلم السحاب والحيوان واختلاف أنواعه والطيور صفات في جو السماء . فلماذا أيها الفقهاء أجزتم تلك القضايا ووقفتم عندها مع أن القضاء فرض كفاية وتركتم النظر في معرفة أن - الله نور السموات والأرض - وتنوع الحيوان والطيور الخ . أليس هذا كله كلام الله . أليس العلم بهذه المجانب واجبا على كل مسلم اذا كان قادرا لازدياد الايمان وللشكر كما أوضحه الامام الغزالي وذكرته في (سورة المائدة)

ان علم القضايا ليس بواجب إلا على فئة قليلة . إن علوم الجبال الالهى غذاء للارواح والعقول وعلم الشريعة أشبه بدواء فكيف جعلتم الدواء في محل الغذاء والغذاء في محل الدواء

أما أن للمسلمين أن ينظروا فيما كتبناه . أما أن لهم أن يتدبروا ما ذكرناه . أما أن لأمة محمد ﷺ أن يرجعوا عن النهج الذي نهجوه . أما أن لهم أن يكفوا عن الجود ويوقفوا الأطفال على عجائب ما صنع الله في الأرض والسماء . أما أن لهم أن يقوّوا أنفسهم بأجنحة من العلم والحكمة ليطيروا بها في جو السماء الصافي . إن الله قد أذن للمسلمين اليوم أن يتبوّأوا منزلتهم بين الأمم وينالوا مكانتهم - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -

### ﴿ الجبال والنور في سورة النور ﴾

تناسبت السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في اظهار الحقائق العلمية والبدائع الحكمية . فيها جاء ذكر خلق الانسان وانه من نقطة فعلمته فضغة الخ . ذلك جاء في سورة الحج وفي المؤمنون . فأما في سورة

النور فقد فصل ما يحفظ حواسه وآدابه ﴿ويأنه﴾ أن هذا الانسان خلق من طين مغمورا في الهواء والضياء الأرض تحته والهواء يحيط به والضياء فوقه فكان من الحكمة أن لا يخلو عالم من هذه العوالم من فائدة له .  
فن الأرض أغذيته وفاكهته ومن الماء شرابه وطهوره وبالهواء تطهير دمه بواسطة النفس واعطاء دمه لون الحرة بما يخالطه من مادة الاكسوجين التي يجلبها النفس من الهواء وحاسة اللمس تشعر بالحرارة والبرودة اللتين يتصف بهما الهواء وحاسة الأذن قد اتخذته آلة توصل الصوت اليها من اللسان . فن اللسان حركات في الهواء وبالهواء وصول تلك الحركات الى الأذن . الانسان لم يذر عالما مما أحاط به إلا انتهز الفرصة للانتفاع به فلا أرض ولا ماء ولا هواء ولا ضياء إلا كان منه له منفعة لولاها لم يكن هذا الانسان ولا الحيوان . فترى الفم للغذاء وللماء فهو إذن معدة لاستعمال ما يصل من الأرض والماء والأنف للهواء وهكذا الأذن للهواء أيضا من حيث حركاته بأنواع الأصوات . والعين معدة لعالم النور الوارد من الكواكب ومن الأرض . اللهم إن هذا العالم جيل ومن أعظم انعامك علينا انك أريتنا هذه المجائب التي يجهلها أولايقربها كثير من العقلاء لأن أكثرهم غافلون . يعيش الانسان في الأرض ويرى الشمس والقمر والماء والهواء ولا يريد أن يدرس هذا الوجود ليعلم مركزه فيه وليعلم نعمك علينا في هذا الوجود العجيب . مخلوق طوله ثمانية أشبار استخدم الأرض والماء والهواء والكواكب . فرقت هذه العوالم على أعضاء حسه . ينظر الانسان الشمس اذا هي معدة للبصار في العين كما أن الهواء معدة لحاسة اللمس والشم والسمع وعالم الأرض الذي منه أغلب الأغذية جعلت له حاسة الذوق التي تميز الخبيث من الطيب في الطعام والشراب . هذه الحواس الخمس كأنها نوافذ وفتحات منها يطل الانسان على هذا العالم كله . كل ذلك تضمنه ما جاء في (سورة الحج) من خلقه من نقطة فعلقه الخ وما جاء في (سورة المؤمنون) كذلك وقد جاء في آخر وصف خلقه - فبارك الله أحسن الخالقين - فأحسن الخالقين هو الذي خلق الانسان على هذا النمط بحيث يجعله مستفيدا من كل ما حوله من العناصر والمركبات . ولقد كان من إحكام صنعه أن خلق له لسانا واحدا يعبر عما لديه من القوى فهو ترجان لكل ما يحس به ويعلمه ويزاوله ترجان السمع والبصر والذوق واللمس وكان له آلة الابصار بها يدرك كل صورة تقع عينه عليها وكان له أداة للتناسل وهي العورة في الذكران والاناث . إن أكثر الآثام في نوع الانسان يحدثها اللسان بالشتم والذم واذاعة الفاحشة والتعير وقذف المحصنات ويحدثها الفجور بالزنا . ومما يعين عليه ويدعوه طموح العين لما تراه من محاسن النساء . فكأن الله يقول في أول النور أيها الناس أنا صوّرتكم على أحسن صورة وأكمل تكوين . فهذه الحواس جعلتها أدوات صالحة لأن تتخذوها وسيلة للهدى بأضواء الشمس والكواكب والقمر ولتتناولوا ما يصلح لأغذيتكم واقامة بنيتكم وتشعروا بما حولكم من أصوات وصور وعوالم تحيط بكم ولم أحرّم منها كما حرمت السود الذي ألزمت أن يقنع بما حوله من الرطوبات . وهذا اللسان لم أجعله وسيلة للذم والقدح بل خلقته لينشر العلم بينكم وأنواع المحبات . وهذه البنية زوّقتها وهندستها وأكملتها وجعلتها صالحة لاحداث ذرية تبقى بعدكم حفظا لذكركم وعمرانا لأرضنا فليس من الحكمة أن تجعلوا الشهوة البهيمية مقاصد وكيف تجعلون الوسائل مقاصد وما هذه الشهوات مقاصد فن فعل ذلك ذلت نفسه وباء بالوبال . فأيكم والزنا بل إياكم وكثرة تعاطي هذه الشهوات باتباع خطوات الشيطان . ولم أخلق الأعين فيكم لتقصروا على هذه الشهوة الضئيلة . انما خلقت العين لتعرفوا بها أنوارى وتدرّكوا جمالي وبهائي ومحاسن أرضي وسماي فغضوا الطرف عن النساء واقنعوا بمن عندكم من الحلائل اللاتي يلدن منكم الذرية . أي عبادي أنتم ﴿فريقان﴾ فريق الأصفياء وفريق الأغبياء . أما فريق الأصفياء فهم أولئك الذين عرفوا أن نور السموات والأرض فبرهم الجلال والبهاء في مشرقات الدجى والاصباح . أما فريق الأغبياء فهم أهل النار أولئك الذين أعطوا الأعين والعقول والآذان فظنوا اني أطلقهم في أرضي كما أطلق الدواب فعكفوا على جنى الذات التي لم أخلقها فيهم إلا

لغاياتها فسارعوا اليها ووقفوا عندها وكلما نظروا في جبال النجوم وجبال الشمس وجبال القمر وجبال القمر والأزهار والأشجار والأنهار لم تحدثهم نفوسهم بأكثر مما يعرفه الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم سائحة نحو العلا سلطت عليهم زبانية العذاب الجائمين في جبلاتهم فضر بهم بمقامع الشهوات والعادات الحديدية فارتدوا على أديبارهم وعادوا لما نهوا عنه ورجعوا بخفي حنين فكانت نظراتهم لشهواتهم وألسنتهم عاكفة على أذى قومهم من رجال ونساء كأصحاب الإفك الذين ذموا أم المؤمنين وبعض صلحائهم . أى عبادى أنا كلفتكم بالصلاة وفى الصلاة تسبيح وتحميد والتسبيح تنزيه والتحميد ذكرى بنعمى فنعمى تحيط بكم فى الأرض وفى السماء . أنا نور السموات والأرض والأنوار ظاهرة لكم وباطنة فى قوى الحيوان والنبات فأينما تولوا فثم جبال ونور . ترون فى السماء بهجة النجوم وفى الجوق قوس قزح وفى الأرض أنواع الجبال فى كل حيوان ونبات . أنا لم أحسن الصور فى نوع الانسان لأجل التناسل فحسب . كلا . ألم تروا أن شهوة التناسل تفتقر بعد الوقوع وعند الفتور تذهب شهوة اللذة بجمال الوجوه . إني نصبت ذلكم الفتور (الذى يعتورك بعد فراغكم من تلك اللذة) علما ليهدىكم الى المقصد الأعلى من جبال الوجوه الانسانية والجبال فى العوالم العلوية والسفلية . إن بواهر الجبال فى تلك العوالم داعيات تحشكم أن هلموا الى وأقبلوا على . هذا ما تقوله الشمس عند اشراقها والقمر عند بزوغه والجم عند طلوعه والنهر وهو يجري والطير وهو يطير . كل أولئك يا عبادى يدعونكم الى العروج الى العلا . ولن ينال هذه المنقبة منكم إلا أناس أدركوا مقاصدنا فى حواسهم وغاية ما خلقت له فخصن لم تخلق العين لتعكف على النظرات الحيوانية والشهوات البهيمية . إذن لمن زينت النجوم ولمن عممت الأشعة النورية ولمن نصبت الجبال ومحاسنها والأنهار وجواربها والحقول وأزهارها . أنا قرنت التسبيح بالتحميد فى صلواتكم لتذكروا وتعلموا أنكم ان لم تنزهوا اللسان عن الطق بالقبيح والفرج عن الفاحشة والعين عن النظر المحرم فلا سبيل الى أن تعرفوا وتفقهوا أنى نور السموات والأرض . إن عقولكم خزنت فيها صور كثيرة لا تنحصرونها فاذا أخذتم تحدثون بكل ما لديكم شغلكم ذلك الحديث عن مواقع النجوم ومناهج العبر . هكذا اذا ظلتم تفكهمون بشهوة الفرج صرفتم عقولكم وأضعفتموها بسبب النقص الدائم المتوافر فى صحة أجسامكم بما تصرفونه لهذه الشهوة الضالة . ومتى ضعفت القوة العاقلة عجزت عن أن تدرك الجبال . لذلك شرعت لكم أن تقولوا فى الصلاة فى الجلوس بين السجدين ﴿رب اغفر لى وارحمنى﴾ والمغفرة التامة انما تكون بحفظ الألسنة وحفظ الشهوات فلا تصرف إلا بحساب إبقاء لصحتكم وحفظا لعقولكم فتكونون متخلفين بأخلاقى فأما منزّه عن الحوادث وأنتم منزّهون بقدر الاستطاعة عن العيوب . هنالك تتوافر الأسباب لادراك ما يحيط بكم من النور والجبال . أنا لم أحرم عليكم النظر الى المحرمات حرمانا لكم أو بخلا عليكم ولم أمنعكم من مقارفة الشهوات بخلا عليكم بخزان ملكى . كلا . أنا أعطيتكم عقولا وأعطيت الحيوان البرية غرائز وأودعت فى غرائزه أن لا يكون الوقاع إلا للولد ولم أجعل ذلكم فى غرائزكم بل أعطيتكم عقولا وحرمت عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأطلقتكم فى الأرض فيقول قائل منكم لم منع ربنا عنا لذاتنا وأطلق الحيوان يفتتح بما شاء وهو يشاهد أن الحيوان ممنوع بفريزته ولولا ذلك المنع لمات وضعف وهلك بكثرة الوقاع . ذلكم حاصل فى بعض الحيوان فى البرية . فأنا حرمت عليكم الفاحشة بل طلبت منكم عدم الاسراف فى جميع أحوالكم وجعلت عاقبة الاسراف ضعف أبدانكم وخسران عقولكم التى لا تستطيع عند الضعف أن تدرك الجبال الأهلئ الدائم . ومن حفظ جوارحه من العين واللسان والفرج المذكورات فى (سورة النور) فانى أحفظ له عقله وجميع قواه وأجعلها ذخيرة له فى هذه الدنيا يزداد بها علما ويدبر أموره ويكون ذكى الفؤاد قوى الذاكرة . إن فى افلات ما أخزنه فى عقولكم بلا فائدة أشبه بمن يطلق ماء النهر فيغرق القرى ويضرها وحفظها أشبه بحفظ الماء فى الأنهار حتى يصرف ماؤها عند الحاجة اليها . لهذا كان

الانسان مسؤولا عن عقله كما انه مسؤول عن أهله وعمه يملكه من المال وما يملكه من الولد وعمه يدبره من الممالك بل ذخيرة الانسان المكنونة في نفسه أقرب اليه مما عداها فان عجز عن حفظها وتركها تتسرب الى الخارج بلاضابط يضبطها ولاحافظ يحفظها تركته ملوما محسورا . إن آراء الانسان والصور المخزونة في عقله إن هي إلا أجنحة يطير بها الى سماء الكمال وباحات الجبال فاذا أهملها بقي مقصوص الجناحين ضائع القوى خاسر الصفة فيرى بعيني رأسه أناسا مثله قد ارتقوا في أعمال دنياهم وأعمال آخرتهم بحفظ قواهم الباطنة بترك ما لا يعنى والانكماش في الجد وحفظ القول فلا ينطق إلا بما يفيد ولا يتكلم إلا بما ينفع . هنالك يكون قوله حكمة وإشارته غنا وسكوته فكرا فلا يسكت ولا يتكلم إلا لفائدة تامة . إن الجنة والنار يتبعان الفكر والاعتبار كثرة وقلة . ألم تسمعوا قول الكفار - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير -

أى عبادى المسلمين . ربما يظن أحدكم انه خارج عن هذا القانون . كلا . - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - أتم جميعا مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد . فالقلب أمانة أودعتها عندكم وما العقل إلا نور انبعث من سماء الجبال وهو من نورى الذى انبعث منى في السموات والأرض فإياكم أن تعطلوه أو تشغلوا أنفسكم بالحديث عما خزن فيه إلا لفائدة نافعة فأتهم عنه مسؤولون والبصر جعلته بابا تلج منه الصور والواردات عليكم بنور المشرقات عليكم فاذا شغلتموه فيما يضعف قواكم البدنية من الصور الحسان لغير فائدة أو فيما لا فائدة فيه حرمت النظر الى بهجة جالى في سمواتى وأرضى فيكون أحدكم أيها المسلمون إذ ذاك قد خسر اللذة الدنيا وهى الحيوانية واللذة العليا وهى اللذة الملكية بالنظر الى جالى فيصبح الغافل منكم بالنسبة للعلم أشبه بالذرات (المكروبات) والحشرات التى تطونها بأقدامكم فهى وإن كانت تشارككم في الحياة لم تشارككم في مزايا عقولكم وفضائل علومكم وبهجة نجومكم هكذا المفرطون في أسماعهم وأبصارهم وشهواتهم يبصر الناس اليوم جالى وهم لا يبصرون ويبتهجون بمحاسن سمائى وهم لا يبتهجون فلهم أسماع ولكن لا يعقلون ولههم أبصار ولكن لا يبصرون . فاذا ظننتم أيها المسلمون انكم بمنجاة من الحجاب وأن الحجاب انما يسدل على الكافرين فقد أخطأتم المرمى ورجعتم بخفى حين . ألم تقرأوا فى كتابى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - . أى عبادى . أنا لم أنزل القرآن وفقا على اللعان المذكور فى آية النور ولا على إقامة الحد على الرانى والزانية . ان هذه أحوال تعرض لكم مانعات من نظراتكم لجالى فاذا تجاوزتموها فهناك أفتح لكم أبواب - الله نور السموات والأرض - وأعرفكم معانى ما تسمعون وما تبصرون . هنالك تفقهون تسبيح الطير فى جوارى السماء وتدركون عجائب الحيوان وأسرارى التى أودعتها فى غرائزه وبهذا تفرحون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - انتهى

هذا ما فهمته فى (سورة النور) يومى الخميس والجمعة وليلة السبت قبيل آخر سنة ١٩٢٨ والحمد لله

رب العالمين

## سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

( وهي ثلاثة مقاصد )

( المقصد الأول ) في اثبات النبوة وفي جزاء المكذبين من هذه الأمة والأمة السالفة من أول السورة الى قوله - أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

( المقصد الثاني ) في الجباب الكونية من قوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مّد الظل - الى قوله - أوأرأاد شكورا -

( المقصد الثالث ) في الآداب والأخلاق من قوله - وعباد الرحمن - الى آخر السورة

( المقصد الأول )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا \* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا \* وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْكِرَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُكْتَبَتْ بِهَا فَعِيَ ثَمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَقَالُوا مَا لِيْ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا \* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \* أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا \* تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْمَعُ لَكَ قُصُورًا \* بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا \* إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا \* وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا \* لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا \* قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلًا \* وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ

هِبَادِي هُوَلَاءَ أَمْ مُمْ صَلُّوا السَّبِيلَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ  
 مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا اللَّهَ كَرًّا وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا \* فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ  
 بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَعْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا \* وَمَا  
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا  
 بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا \* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا  
 أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا \* يَوْمَ  
 يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا \* وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا  
 مِنْ عَمَلٍ لَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا \* أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا \* وَيَوْمَ  
 تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا \* الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى  
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا \* وَيَوْمَ يَبْغِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ  
 سَبِيلًا \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا \* وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ  
 مَهْجُورًا \* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا \*  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ  
 تَرْتِيلًا \* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا \* الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى  
 وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا  
 مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا \* فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَاهُمْ تَذْمِيرًا \*  
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا  
 أَلِيمًا \* وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا \* وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ  
 وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا \* وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءَ أَفْلَمَ يَكُونُوا يَرْتَدُّوا  
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا \* وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ  
 رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا • أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا • أَمْ تَحْسَبُ  
أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

### التفسير النفلي

( بسم الله الرحمن الرحيم )

تكاثر خير الله وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ودام وكل هذا معنى (تبارك الذي نزل  
الفرقان) وهو القرآن مصدر فرق بين الشيثين اذا فصل بينهما فانه نزل مفرقا وهو يفضل بين الحق والباطل  
والحلال والحرام وتبارك كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي وحده والبركة تتضمن معنى  
لزيادة كما تقدم ورتبه على انزاله القرآن لما فيه من كثرة الخير وأدلالاته على تعاليه . ويقال أيضا دالم كما تقدم  
من برك الطير على الماء ومنه البركة لسوام الماء فيها (على عبده ليكون) أى العبد أو الفرقان (للعالمين)  
للجن والإنس (نذيرا) منذرا (الذي له ملك السموات والأرض) هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ  
ولدا) ردة على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) ردة على الثنوية وعلى عباد الأصنام (وخلق كل شيء)  
أحدثه (فقتله تقديرا) هياء لما أراد منه من الخصائص . وقد تقدم في هذا التفسير من عجائب الخلقة وبدائع  
الحكمة ما يدهش الألباب ومن الخصائص العجيبة للإنسان والحيوان والنبات والكواكب ما يظهر به ابداع  
الخالق وعجائب صنعه جل جلاله وعز كماله ولا إله إلا هو . ولما أثبت التوحيد والنبوة بما تقدم أخذ يرد  
على منكريهما فقال في المشركين (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وذلك لأن العابدين  
لهم هم الذين يفتونهم ويصورونهم (ولا يملكون لأنفسهم ضرا) دفع ضرر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون  
موتنا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون إماته أحد ولا إحياءه ولا بعثه ثانيا . وقال في منكرى النبوة (وقال  
الذين كفروا إن هذا إلا إفك) كذب مصروف عن وجهه (افتراء) اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم  
آخرون) وهم اليهود أو عبيد بن الخضر الحبشى الكاهن أوجبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل  
الكتاب فقال المشركون ان محمدا ﷺ يأخذ منهم وقد سبق في قوله تعالى - انما يعلمه بشر - (فقد جاؤا  
ظلمنا وزورا) أى فقد جاء قائلو هذه المقالة بظلم وزور إذ سمو كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير  
الاولين) ماسطره المتقدمون (اكتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها (فهي على عليه بكرة وأصيل) ليحفظها  
فانه أسمى لا يقدر أن يكرر من الكتاب (قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض) ألا ترون انه أهجركم  
جميعا بفصاحته واخباره بمغيبات مستقبلة وأشياء لا يعلمها أحد . أفذل هذا يكون أساطير الأولين . ولولا عفوه  
ورحمته لعاقبكم ولكنه حلم عليكم (إنه كان غفورا رحيمًا) ثم أخذ يذكر الرد عليهم فيما اعترضوا به على نبينا  
محمد ﷺ (وقالوا مال هذا الرسول) مال هذا الذى يزعم انه رسول (يا كل الطعام) كما تأكل (ويجشى في الأسواق)  
كما غشى لطلب المعاش . يقولون إن صح دعواه فما باله لا يخالف حالنا حاله (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه  
نذيرا) أى داعيا وبذلك نعرف صدقه (أو يلقى اليه كنز) فيستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة  
يا كل منها) أى اذا لم يلقى اليه كنز أغلا يعيش عيشة المترفين أهل اليسر في الدنيا فيكون له بستان كما لهم  
بساتين وهذا يستلزم أن يكون في عيش رغد وسعادة جسمية وخدم وحشم حتى يكون ممتازا ولما لم يكن  
متصفا بأحد هذه لم يكن ما يتبعه من النبوة صدقا قائما هو رجل سحر عقله وغلب عليه وهذا قوله تعالى  
(وقال الظالمون) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا للظلم عليهم (إن تقبعون) ماتبعون (إلا رجلا مسحورا) •  
انظر كيف ضربوا لك الأمثال) الأشياء التي لا فائدة منها وادعوا عليك الأحوال الشاذة النادرة (غضالوا) من  
الطريق الموصل لما يجب أن يكون عليه الأنبياء (فلا يستطيعون سبيلا) الى التل منك ولالى سبل الرشاد

(تبارك) تكاثر خير (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقوله (جنات) بدل من خيرا (تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) بيوتا مشيدة ورد أن النبي ﷺ قال (عرض على ربّي ليجعل لي بطحاء مكة ذهابا قلت لا يارب) وفي رواية أخرى (لوشئت لسارت معي جبال مكة ذهابا إلخ) وهؤلاء قوم لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فقصرت أنظارهم عن الآخرة (بل كذبوا بالساعة) فقصروا أنظارهم على ما ظنوه سعادة وهي الآخرة في الدنيا (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة يبتدىء في الدنيا سببها وهو قصر النظر على الأمور العاجلة فيصبسون في سجن الأعمال والآمال المحدودة (إذا رأتهم من مكان بعيد) أي إذا قابلتهم النار وكانت بمرأى الناظرين في البعد (سمعوا لها تقيظا وزفيرا) أي سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المتغيظ والزافر (وإذا ألقوا منها) من النار أي فيها (مكنا) في مكان (ضيقا) لزيادة العذاب عليهم (مقرنين) أي مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) في ذلك المكان (ثورا) هلاكا يمتنون الهلاك وينادونه ويقولون يا ثوراه أي تعال فهذا حينك ويقال لهم (لاندعوا اليوم ثورا واحدا) هلاكا واحدا (وادعوا ثورا كثيرا) لأنه كلما نضجت جلودكم بدت جلودا غيرها ولأن أنواع العذاب كثيرة (قل أذلك خيرا أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي الذي ذكرت من صفة النار خيرا (كانت لهم جزاء ومصيرا) أي كانت لهم في علم الله جنة الخلد ثوابا ومرجعا (لهم فيها ما يشاؤون) أي إن جميع المراتب إنما تحصل في الجنة وهناك لا تنتهي طائفة إلا ما يناسب حال كونهم (خالدين كان) ما يشاؤون (على ربك وعدا مسؤولا) موعودا مسؤولا سأله الناس في دعائهم إذا قالوا - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك - والملائكة إذا قالوا - ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم - وقوله - على ربك - يفيد معنى امتناع الخلف (ويوم يحشرهم) للبعث (وما يعبدون من دون الله) وهم المعبودون من الملائكة والمسيح وعزير والأصنام وغلبها في التعبير عما سينطقها الله الذي أنطق كل شيء كما ينطق الأيدي والأرجل (فيقول) للمعبودين (أأنتم أضلّتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل) لاخلالهم بالنظر والاعتبار بالعقول والأعراض عن الهداة . وقوله - ضلّوا السبيل - أي عنها وقد تركوا الجار كما تركوه في هده الطريق والأصل إلى الطريق (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم أو تنزيها لله عن الأنداد وايدّانا بأنهم مسبحون إما بالقول كالملائكة والأنبياء وإما بلسان الحال كالأصنام (ما كان ينبغي لنا) ما كان يصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) أي أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم (ولكن متّعهم وآباءهم) بطول العمر والصحة والنعمة في هذه الدنيا (حتى نسوا الذكر) تركوا توحيدك وطاعتك والمواعظ والإيمان وغفلوا عن ذكرك (وكانوا قوما بورا) هلكت غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) أي كذبكم للمعبودين أيها المشركون (بما تقولون) أنهم آلهة (فما تستطيعون صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) يعينكم عليه . ومعلوم أن المحارب تكون نجاته إما بالمهرب وإما بالنصر على عدوه وهؤلاء لانصر لهم ولا انصراف فهم معذبون لاحالة . ثم خاطب الله الناس كلهم قائلا (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) وهي النار الخالدة . وهذا القول عام لكل ظالم بكفر أو فسق . ولكن العلماء يختلفون في الفاسق فمنهم من يجعله كالكافر وهم الخوارج والمعتزلة وبقية العلماء يقولون « إن الفاسق بالتوبة يغفر له بشروطها كلها وكذا بالعفو » (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) هذا جواب لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام - إلخ . يقول الله - وما أرسلنا قبلك - يا محمد إلا رسلا - أنهم ليأكلون الطعام - إلخ خفف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه أي إن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن - وما أنا إلا رسول - وما كنت بدعا من الرسل - وهم كانوا بشرًا مثلّي يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضهم) أيها الناس (لبعض فئة) ابتلاء فابتلينا الفقراء بالأغنياء والمرسلين

بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايدأتهم (أتصبرون) أى وجعلنا بعضهم لبعض فتنة لنعلم أيكم صبر وفيه حث على الصبر على ما افتتنوا به (وكان ربك بصيرا) لمن صبر ولمن جزع \* فى البخارى ومسلم أن النبي ﷺ قال ﴿ اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فليتنظر الى من هودونه فى المال والجسم ﴾ لفظ البخارى ومسلم ﴿ انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ﴾ (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يأملون الوصول الى جزائنا (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهداء على نبوته ﷺ (أونرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمرُوا الاستكبار عن الحق (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) أى انهم بلغوا غاية الاستكبار إذ عاينوا المعجزات الظاهرة فأعرضوا عنها وطلبوا ما تشاق الىه الأنفس القدسية . واذكر (يوم يرون الملائكة) وهو يوم الموت ثم أخبر فقال (لابشرى يومئذ للمجرمين) أى لهم وانما وضع الظاهر موضع المضمر لوصفهم بالاجرام (ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله البشرى حراما عليكم وانما البشرى للمؤمنين وهذا من المصادر المنصوبة بأفعال متروكة اظهرها (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) أى وعمدنا الى ما عملوا من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر (جعلناه هباء منثورا) باطلا لا ثواب له . والهباء ما يرى فى السكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدى ولا يرى فى الظل والمشور المتفرق وكذلك ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار يقال له هباء (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أى خير مكانا يستقر فيه من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أى مكانا يستروح فيه بالأزواج والتنع بهن وذلك مجاز من مكان القيولة وفى ذلك رمز الى ما يترين به مقيلمهم من حسن الصور وغيره من المحاسن \* ويقال ان أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر ما هو من أول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة \* ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (ويوم تشق السماء بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور فى قوله تعالى - هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة - (ونزل الملائكة تزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى الأرض من الانس والجن . ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى السماء الدنيا ومن الجن والانس . ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التى تليها ، ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة فلا ملك يقضى غيره يوم القيامة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعص الظالم على يديه) عصا اليمين كناية عن الغيظ والحسرة لأن عصا اليمين من روادف الحشرات وآل فى الظالم للجنس فيتناول عقبة بن أبى معيط الذى كان سبب نزول الآية وغيره (يقول يا ليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (يا ويلتا) \* وقرئ - يا ويلتى - لأن الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك (ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام والمراد كل خليل يصد عن الهدى ويوقع صاحبه فى الردى . فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه . ومن الأخلاء الشياطين فلا فرق بين شياطين الانس وشياطين الجن ومن هؤلاء الأخلاء أبى بن خلف . وذلك أن عقبة بن أبى معيط كان يكثر محاسبة النبي ﷺ فدعاه الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبى ابن خلف صديقه فعاتبه فقال صبات فقال لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستصيت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتية فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجدته ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله .

وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد . ثم قال الله تعالى (لقد أضلني) أي الخليل (عن الذكر) أي عن ذكر الله أو القرآن (بعد إذ جاءني) من الله (وكان الشيطان) أي خيله لأنه واحد من شياطين الانس والجن (للانسان) المطيع له (خذلوا) يواله حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه (وقال الرسول) محمد ﷺ يوم القيامة أوفى الدنيا يث شكواه الى الله (يارب إن قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بأن تركوه وصدوا عنه . مأخوذ من المهجران وفيه تخويف لقومه وماشكا نبي قومه إلا حل بهم العذاب ثم أقبل الله عليه مسلها فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبي الخ والعدو يحتمل الواحد والجمع أي لا يكبرن عليك ذلك فان الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصرک وهاديك وهذا قوله تعالى (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة) أي هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت التوراة والانجيل والزبور (كذلك) يقول الله إجابة لهم أنزل كذلك أي مفرقا في ثلاث وعشرين سنة (لنثبت به فؤادك) لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب السابقة نزلت على أنبياء يقرؤن ويكتبون وهذا القرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ فلو ألقى عليه جلة واحدة لم يستتب له فان التلقف لا يأتي إلا شيئا فشيئا . وأيضا نزل القرآن بحسب الوقائع فذلك يوجب زيادة البصيرة وغوصا في المعاني وبنزوله منجما يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته فيزيد ذلك قوة في قلبه ومن ذلك معرفة الناسخ والمنسوخ . ولقد عرفت حكمة الناسخ والمنسوخ في هذا التفسير في سورة البقرة فاقراء هناك . ثم قال تعالى (ورتلناه ترتيلا) قرأناه عليك شيئا بعد شيء على تودة وتمهل والترتيل التبيين في ترسل وتثبت ويقال فرقاه تفريقا آية بعد آية (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان أي يضربونه لك في ابطال أمرک (إلاجتنالك بالحق) الدافع له في جوابه (وأحسن تفسيراً) وبما هو أحسن بيانا أومعنى من سؤلهم وقال تعالى (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أي يساقون ويحشرون على وجوههم الخ مبتدأ خبره (أولئك شر ماكانا) أي منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أي أخطأ طريقا وكأنه قيل انه ما حلهم على هذه الأسئلة إلا تحقير مكانه ﷺ وتضليل سبيله وهم لا يعلمون حالهم فليعلموا أنهم - شر ماكانا وأضل سبيلا - وقوله تعالى - يحشرون على وجوههم الى جهنم - الخ قد ورد في الحديث مايناسب ذلك وهو قوله ﷺ ﴿ يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاكم على أقدامكم يحشرون على وجوههم ﴾ . ولما كان من عادة الله تعالى أن يذكر نبيه ﷺ أحوال الأمم السالفة مع أنبيائها ليكون ذلك أنسا لقلبه ونبراسا للمصلحين من أمته أردف ذلك بذكر موسى ونوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وأصحاب الرس قوم شعيب وذلك لأنه ذكر انه جعل - لكل نبي عدوا من المجرمين - وأن الله يهدي الأنبياء وينصرهم . فهنا أخذ يبين كيف نصرهم الله على أعدائهم وهداهم الى ذلك النصر ولارشاد أمهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة مع مشاركته له في النبوة والشرى كان في النبوة متوازنان فيها (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه (فدمرناهم تدميرا) أي فذهبا اليه فكذبوهما فدمرناهم . هكذا هؤلاء أرسلتك اليهم يا محمد فان كذبوك فاني أدمرهم تدميرا وقد تم كل ذلك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) لأنهم بتكذيب نوح قد كذبوا سائر الرسل لأن دعوتهم واحدة (أغرقناهم) بالطوفان وجعلنا اغراقهم أوقستهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) من كل أمة (عذابا أليما) كما عذبنا هؤلاء (و) أهلكنا (عاد وثمود وأصحاب الرس) هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس ﴿ البئر المطوية ﴾

انهلوت غصف بهم وبديارهم (و) أهلكنا (قروا) أى أعما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لا يعلمها  
 الا الله أرسل اليهم أنبياء فكذبوهم فأهلكوا \* قيل القرن سبعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة (وكلا  
 ضربنا له الأمثال) يناله القصص العجيبة من قصص الأولين انذارا واعذارا فأصروا على الاستكبار والكفر  
 فهلكوا وهذا قوله تعالى (وكلا تبرنا تنيرا) فتتنا فتيتا ومنه التبرفتا الذهب والفضة (ولقد آنوا) يعنى  
 قريشا صرنا صرارا فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت مطرا سوء) وهى سنوم التى هى أعظم  
 قرى لوط وقد أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) اذا صرنا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا .  
 ولا جرم أن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) لا يخافون  
 بئنا أولياء ما لون نشورا كما يأمله المؤمنون (واذا رأوك ان يتخذونك إلا هزوا) ما يتخذونك إلا موضع هزق  
 أو مهزوا به إذ كان أبوجهل اذا مرّ مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا \* إن كاد) أى انه  
 كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها أولولم نصبر على عبادتها  
 لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا  
 (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى من أطاع هواه فيما يفعل وفيما يترك فهو عابده وجاعله إلهه . يقول الله لرسوله  
 ﷺ هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى وتحفظه من متابعة هواه وعبادة  
 ما أدّى اليه هواه فتكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى فاعليك إلا البلاغ وهذا قوله تعالى  
 (أفأنت تكون عليه وكيلًا) \* يقال ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد حجرا فاذا مرّ بحجر أحسن منه  
 ترك الأوّل وعبد الثانى \* وقال الحسن « هذه الآية فى كل من اتبع هواه » ثم قال تعالى (أم نحسب أن  
 أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أى بل أنحسب أن أكثرهم يسمعون  
 ما نقول سماع طالب الافهام أو يعقلون ما يعاينون من الحجج . وهذا النعم أعظم مما تقسم فكأنهم لا سمع لهم  
 ولا عقل حتى شبههم بالأنعام فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكير بل هم أضل من  
 الأنعام لأنها تهتدى لمراعيا ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق  
 الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم \* ويقال ان الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى  
 يجمع الكل فان غلبته النفس والهوى فضلت الأنعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام . انتهى  
 التفسير اللفظى للقصد الأوّل من السورة وفيه لطائف

- (١) فى قوله تعالى - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الخ
- (٢) وفى قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا -
- (٣) وفى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا -
- (٤) وفى قوله - وقالوا ما هذا الرسول بأكل الطعام -
- (٥) وفى قوله - لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا -
- (٦) وفى قوله - أأنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل \* قالوا سبحانك - الى قوله - ولكن  
 متعصم وآبائهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -
- (٧) وفى قوله - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أصبرون -
- (٨) وفى قوله - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -
- (٩) وفى قوله - ويوم تشقق السماء بالغمام -
- (١٠) وفى قوله - ويوم يعض الظالم على يديه - الخ
- (١١) وفى قوله - وقال الرسول ياربّ إن قومى اتخّلوا هذا القرآن موهجورا -

(١٢) وفي قوله - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّا من المجرمين -

(١٣) وفي قوله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم -

(١٤) وفي قوله - أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا -

(١٥) وفي قوله - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا -

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا - )

تقدّم أن معنى تبارك يشمل تكاثرا للخير والدوام والتعالى على كل شئ فهو عال في صفاته وأفعاله ودائم .

فانظر الى الصفات التي ذكرت في حيز هذا الفعل اذا هي

(١) انه نزل الفرقان على النبي ﷺ لينذر الناس

(٢) وانه له ملك السموات والأرض

(٣) ولا ولد له

(٤) ولا شريك له

(٥) وانه خلق كل شئ

(٦) وانه قتره تقديرا وجعله على أبداع وأتمن الأوصاف

فهذه الأوصاف هي الخير كله والبركة من نور ينزل الى الأرض وهداية الناس وملك يعم سائر الكائنات

وجميع الملوكة خاضعة له وليس له ضد ولا ولد لأن الولد لمن يفتى فيقوم مقامه والشريك يدل على قوة مقاومة

وليس الانفراد بالملك وعدم المنازع وعدم الفناء الذي دل عليه انه لا ولد له بمعنى عن انه قادر على خلق كل شئ

فربما كان مالكا لكل شئ دائم الوجود لا ضد له ومع ذلك لا يقدر على خلق كل شئ بل ربما كان هذا الملك

قد أخذه اغتصابا فقال - وخلق كل شئ - فكل ما يملكه في السموات والأرض هو خلقه لا أنه أخذه عن

غيره ولم يخلق الأشياء اعتباطا بل جعل لكل شئ قدرا مقدورا وحدّا محدودا ونظاما ثابتا وهذا هو السبب

في بقاء ملكه ودوامه لأن دوام الملك على مقتضى النظام . فكلما اختلف النظام كان زوال الملك أسرع وكلما

كان النظام أتمّ كان الملك أدوم ولذلك يقال « ان العدل أساس الملك » ويدل على ذلك الدائرة المشهورة

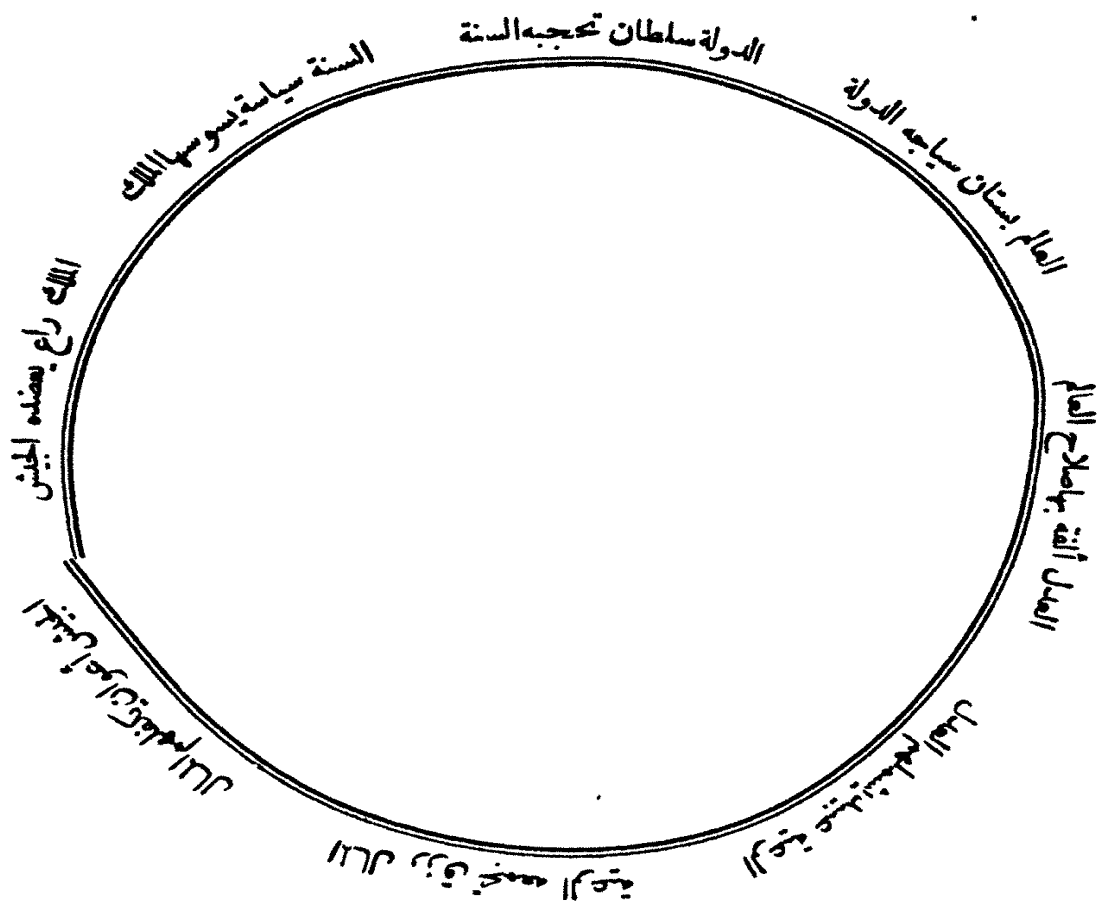
الثمينة الكلمات التي أرسلها (أرسطاطاليس) الى الاسكندر المقدوني تلميذه لما فتح بلاد فارس ورأى أن الناس

تقدم للاسكندر الهدايا المالية والتحف الغالية والذخائر الثمينة من الجواهر والأحجار الكريمة فرأى أن هديته الى

تلميذه الملك يجب أن تكون أرقى من كل شئ وذلك هو العلم فكتب له دائرة فيها ثمان كلمات يرجع آخرها

الى أولها وأولها الى آخرها كما يرجع هذا الكون كله الى دائرة يتوقف أولها على آخرها وآخرها على أولها

وهذه صورتها



وقد تقدمت هذه الدائرة في (سورة آل عمران) وأعدناها هنا لما تراه من الشرح عليها . ويقال أيضا ان (أرسطاطاليس) أوصى أن تكتب هذه الكلمات الثمان على مدفنه في جهاته الثمان . هذه هي الكلمات الثمان وهذه هي الوصايا التي عرف الناس قديما أن لبقاء الملك إلا بها . فتأمل أيها الدكي وانظرو تفكر وقل لي أأست ترى أن الملك مضطر الى شريعة والى جيش والجيش الى مال والمال الى رعية والرعية الى العدل والعدل الى دولة والدولة الى سلطة وقوة والسلطة والقوة محتاج الى قانون والقانون الى الملك . فانظر أأست ترى أن الفلاح محتاج الى رئيس الدولة ورئيس الدولة محتاج الى الفلاح . أأست ترى أن الناس في الحقيقة كجسم واحد . وكما أن العين لا بد لها من رجل ويد فاليد لا تكون والرجل لا تنتقل بلا عيون مبصرة . إن الأمم لأحياة لها إلا بنظام تام ودوام الملك على حسب نبات النظام ولذلك نجد الأمم كلما اختلف نظامها أسرع فناؤها هذا في ممالكنا الأرضية . ولتعلم أيها الدكي أننا لم نكوّن دولا ولم نقيم ممالك إلا على مقتضى القانون الإلهي فان الأدنى تبع الأعلى ولما كنا عبيدا لله وضع في نفوسنا قوانين الحياة والنظام ولكنه أعطانا القوانين على حسب قابليتنا . فكلما ارتقت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أكمل . وكلما ضلت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أضعف وأقرب الى الزوال . انظر بعقلك الى نظام النمل والنحل والزناير وكلاب البحر والغربان وكثير من الطيور والسمك في البحر وكثير من الحشرات . ألم تر أن الله أعطاهما نظاما ثابتا بإلهام لابتعليم فدام نظامها على مقتضى إلهامه . أما الانسان فانه هو الوحيد الذي أمر أن يقتني آثار الحكماء والعلماء ويفكر فان شاء صار أقل من تلك الحيوانات وان شاء صار قريبا من الملائكة

## ﴿ اعتراض على المؤلف ﴾

لما وصلت الى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال يا عجبا كل العجب نحن في مقام ان الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وانه خلق كل شئ فقدره تقديرا . فحالنا وما لأرسطاطاليس ونظام دول الأرض ونظام النمل والحشرات والطيور . يا عجبا كل العجب . إن الناس يقولون فيك انك مغرم بالبحث في الحيوان وفي الكواكب . فأنت في كل مقام وبأدنى مناسبة ولأقل سبب ترجع الى ما اعتدته ويظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع الى أذهان المفسرين والمؤلفين لا الى القرآن والا فلماذا نراك دائما تخوض في مواضع لا علاقة لها بتفسير القرآن

فأين الثريا وأين الثرى \* وأين معاوية من على

سارت مشرقة وسرت مغربا \* شتان بين مشرق ومغرب

غيره

فقلت له يرحمك الله لاتجمل علىّ قبل أن أبين لك ما أريده . هاأنا ذا ذكرت لك نظام الدول وأنها كلها كانت أقوى نظاما كانت أدوم . وأقرب شاهد على ذلك كلام (أرسطاطاليس) وهذا ملكنا الصغير فانظر الى ملك الله الكبير . أأنت ترى انه دائم . أولست ترى أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانسان والحيوان بين يديك . أأنت تقرأ في الكتب أن هذه الدنيا كانت من أزمان قديمة مسكونة بأهم وأن هذه الشمس وهذه النجوم كانت موجودة . قال بلى . قلت فهذا الدوام ناشئ من حسن النظام وقد جعلنا الدوام راجعا لحسن النظام فلولا حسن النظام في هذا الوجود لاختل ولا نهدمت الأرض والسموات كما تخرب الدولة بسوء سياستها . فكيف يمكننا أن نعرف أن نظام الله لا يضارعه نظام إلا بهذه الموازنة إذ أننا نرى دولا تسقط سريرا بسوء نظامها وأما تبقى مئات السنين لحسن نظامها والتاريخ وعلوم السياسة كافلان بذلك . ثم اننا نجد نظاما ثابتا لا يتدهور ولا يتداعى ولا يسقط فاذا هو نظام الله فقلنا ان هذا النظام بديع فوق كل نظام . اننا ونحن على هذه الأرض ضعاف مساكين جهال فاذا ادعينا أن نظام الله عظيم يقال لنا وكيف تحكمون بذلك وأنتم عبيده قصار الأعصار فلنحكم بالتنازع ونوازن ملكه بملكنا ونظامه بنظامنا فاذا وجدنا دولنا تتسارع الى الفناء وملكه قائم شخ لا ينقضى ولا يهدم ولا يتساقط ووجدنا شمس وقمر وكواكب ساطعة راتحة غادية دائرة ساهرة جادة لانتم ولا تغفل عرفنا أن ذلك الملك الدائم دال على نظام فوق كل نظام وبهذا وحده تفهم هذه الآية . فاذا قيل لنا انه له ملك السموات والأرض ولاولده ولاند له وانه خلق كل شئ فهذا كله لا يعطينا أن الملك دائم فلما قال - فقدره تقديرا - عرفنا دوامه ولا يستبين لنا ذلك إلا بما قدمناه وبهذا نعرف قوله - تبارك الذي بيده الملك - فهذا معنى تكاثر خيره ومعنى دوام خيره

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد أحسنت صنعا وأجدت معنى وأريتنا مالم نكن لتوقعه وكأنك بذلك ترينا أن مثل هذه الآية داعية الى النظر في أمور الأمة . قلت ولم لا يكون ذلك ونحن أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله وقد جاء في القرآن - إن ربي على صراط مستقيم - فهذا من صراطه المستقيم وقد أمرنا أن نقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فكأننا أمرنا أن نسير على صراط الله المستقيم . ولقد صرح بذلك في آية أخرى فقال - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله - فهذه الآية تدعو حثيثا الى أن نحذو حذو خالق العالم في حسن النظام والتقدير واعلم أن فهم مثل هذه الآية يحتاج الى علوم الأولين والآخرين فان قوله - وخالق كل شئ فقدره تقديرا - تدعو الى البحث في كل شئ . تدعو الى البحث في الأنهار . في المزارع . في أضواء الشمس . في نفس الشمس وفي القمر وفي الكواكب . انظر . انظر وتجب . انظر الى الدائرة التي سبق ذكرها في كلام (أرسطاطاليس) فانظر كيف جعل الأمة قد ارتبط بعضها ببعض وأنت متى تأملت العالم كله وجدته على مثل هذا النظام والتقدير

تري ضوء الشمس يحرك البخار من البحار ويحرك الهواء في الجو فيصير الهواء ريحا هابة ويحمل البخر ويسير به بين جبلين ليصفاء وهو جار حتى يحمل البخر الى عشرات الأميال بعيدا عن البحر فيسقط مطرا على الأرض ويكون هناك الحب فينبت . والشمس التي أثارت البخر وحركت الرياح هي بعينها تلخ على الحبة وعلى الأرض فتنبت وتخرج حبا آخر والشمس لا تزال تلخ بأشعتها فيخرج الحب فيأكله الناس . ولا حياة للناس ولا للنبات ولا للحيوان إلا بالماء والرياح التي تهب من وقت لآخر ثم يصير الماء الذي في أرض الزرع وفي أجسام الناس بخارا يصعد الى الجو فيرجع مطرا وهكذا تلك الرياح لا تزال دائرة . ولقد قدّم أن تنفس الحيوان لا بد منه في بقاء النبات وتنفس النبات لا بد منه في بقاء الحيوان فهناك تبادل سبق ايضا به حيث لا يعيش الحيوان ولا يعيش النبات إلا اذا كان كل منهما موجودا على الأرض . وهكذا أيضا غذاء الحيوان لا بد من أن يكون نباتا والا هلك وساد النبات يكون من الحيوان والانسان متوقف عليهما والجميع متوقفون على الرياح والماء وهما متوقفان على الشمس والشمس لا بد من سيرها وسيرها متوقف على شمس أخرى تدور حولها والشمس الأخرى تدور حول أخرى وهنا انقطع علم الناس . فاذا قال (أرسطاطاليس) هنا ثمان كلمات قلنا هناك كلمات لاتحصى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا -

بمثل هذا فليدرس هذا القرآن وليدرس الناس هذا النظام العجيب والافلامنى للحياة . فبمثل هذا فليعرف الناس تقدير الله لملك وكيف قال تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فالتقدير يعرف في الكلمات وفي الجزئيات . فأما الجزئيات فقد تقدّم في هذا التفسير ما فيه مقنع لليب . ولقد ذكرنا فيه نظلم الانسان والحيوان والكواكب وكتبنا فيه من كل فن ولم نذكر النحل ولا النمل ولا العنكبوت إلا كتبنا في مجانبها فبعضها قد كتبناه فيما مضى وبعضها سيكتب إن شاء الله ان دامت الحياة في حينه متى وصلت اليه ومن درس الدوائر التي في الانسان من دائرة العقل الى دائرة التنفس الى الدائرة الدموية الى الدائرة الغذائية رأى تعاونها بديها جدا فان العقل به يدار نظام الجسم فاذا مست الارجل لجلد أسرع الانسان الى مجانبته وذلك بالحواس وهي هنا حاسة اللمس واذا جاع الانسان احتال في طلب الغذاء وذلك بالعقل والحواس والجوارح . ثم ان دائرة التنفس تدخل الهواء في الرتين فيصلح الدم ثم يخرج من الفم حاملا الكربون أى المادة الفحمية ليدفعها الى الهواء وهذه المادة الفحمية تذهب الى النبات فتغنيه فهي ضرر في الانسان منفعة في الحيوان . ثم ان الدائرة الدموية التي أصلحها التنفس عبارة عن دم يجري في الأذين الأيمن والبطين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيسر في القلب فالقلب عبارة عن ( أربع تجاويف ) اثنتان أعليان واثنتان أدنيان ويقابل في الرتين الهواء الجوى فيصلح ويرجع للقلب ويتفرع للشرايين الممتدة في أعلى الجسم وفي أسفله لكل منهما بعرق غليظ مفرّع الى فروع تمتد وتغور في سائر أطراف الجسم . فانظر كيف احتاجت الأعضاء الى الدم لتأخذ منه ما يعوض ما فقدته من المواد التي صارت غما وكيف احتاج الدم الى الهواء لينقى من المواد الفحمية وكيف احتاج الهواء في دخوله الى أن يكون في الرتين وكيف كانت الرتان لا يدخلهما الهواء إلا بعد مروره بالقنطرة الهوائية ولا يمر بها إلا بعد دخوله في الخنجر ولا يدخل فيها إلا بعد دخوله من الخيشوم ثم إن الدم لا يكون إلا من خالص الغذاء وخالص الغذاء يكون في الامعاء وخالص الغذاء في الامعاء يكون آتيا من المعدة والغذاء في المعدة جاء من المريء والمريء أخذه من الفم والفم قد مضغه بالأضراس وقد تلقاه عن الشفتين وهما عن اليد واليد تناولته من المائدة والمائدة مدينة للخباز والطباخ وهما مدينتان للفلاح والفلاح يزرع الأرض . فالزرع متوقف على الفلاح المتوقف على الطعام فصار الطعام متوقفا على الطعام والفلاح متوقفا على الفلاح وهذه الدائرة هي عين التي قالها (أرسطاطاليس) إنما هذه أطول وأطول . وقد قدّمنا لك أن هذه الدائرة لانهاية لها بل هي متسلسلة تسلسلا يفوق ادراك البشر . فدوائر الناس في مدنهم على مقتضى دوائر الله في نظام ملكه

بهذا فلتفهم كيف قال تعالى هنا - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - الخ ثم قال - الذي له ملك السموات والأرض - كأن الله يقول لنا أنا أنزل القرآن على محمد ليفرق بين الحق والباطل والحرام والحلال وإذا كنت أنا الذي أنزل القرآن على محمد فأنا الذي قدرت كل شيء تقديرا ووزنته بميزان عدل . فأنا الذي وزنت السموات والأرض فلتزنوا نظلمكم على نظامي . فأنا إذا أنزلت الفرقان على عبدي فاني أقصد أن تجعلوا نظامكم على وفاق نظامي أي أن تجتهدوا أن يكون نظامكم أكمل نظام على قدر الامكان . ألسنت أنا القائل - والسماء رفعها ووضع الميزان \* ألا تطفوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - فأنا وزنت السموات والأرض لأجل أن تسيروا على نظامي في الوزن والعدل أي لأجل ألا تطفوا في الميزان أي لا تزيدوا فيه وليكن وزنكم بالحق ولا تنقصوه على مقتضى نظامي . هكذا هنا يقول الله تعالى أنا أنزل القرآن على عبدي ليكون للعالمين نذيرا . ثم وصف نفسه سبحانه بصفات الملك الدائم الذي هو على أحسن تقدير وبهذا تجلي المعنى في أحسن زينة وأبهى جلال وأبدع صلة وأوفى بيان

( حكاية عجيبه بديعة سارة شارحة للصدر في اللطيفة الثانية وهي قوله تعالى - فقره تقديرا - )  
لقد سبق الكلام على التقدير في اللطيفة الأولى بما لا مزيد عليه . ولأذكر لك حكاية بديعة شارحة لصدرك وإن كانت دقيقة المعنى فأقول

بينما أنا أكتب في هذا التفسير إذ قرأت في الجرائد المصرية يوم الثلاثاء (٣) فبراير سنة ١٩٢٥ الموافق (٩) رجب سنة ١٣٤٣ هجرية خبر رجل أفرنجي ألقى محاضرة في بلادنا المصرية وهو ألماني الجنس . وتلك المحاضرة مناسبة لهذه الآية فأردت أن أثبت المقصود منها لتكون من عجائب العلم وبدائع القرآن والمصادفات التي تدهش القارئين الأذكياء فأقول

إن هذا العالم اسمه البارون (ولدمبراوسكول) ألماني الجنس وهو روسي المنشأ وقد ساح العالم وألف كتباً عن بلاد شتى . وقد دعاه أهل القوقاز وهم مسلمون فعاش بينهم أمدا طويلا وأعجب بهم ثم توجه الى إسوج ووقع في يده كتاب في جامعة (استوكهلم ولوند) عن مصر مشتمل على حكم (توت) المعروف باسم آخر هو (هرمس تريس ماجستس) والحكم التي وردت في ذلك الكتاب جاءت في اثنتين وعشرين صورة رمزية كانت مرسومة على جدران هيكل بمنفيس تهتم ولكن بقيت أوصافه فألقى محاضرات شيقة من هذا الكتاب في إسوج وفي ألمانيا وفي الدانمرك وجعلها في كتاب . ولهذا الصور اتصال بعلم الأرواح والمهم ما ذكره في إحدى محاضراته بمصرنا مما يوافق هذه الآية . قال

(إن المصريين القدماء كان عندهم من الحساب (توعان) نوع عام يعرفه الناس ونوع خاص لا يعرفه إلا رجال الدين . أما النوع العام فهو الجمع والطرح والضرب والقسمة . وأما الذي يختص برجال الدين فهما الجمع المقدس والطرح المقدس . وبيان ذلك أن واحدا ليس من الأعداد وإنما هو خاص بالله تعالى لأن العدد كلمة دالة على التعدد والواحد لا تعدد فيه فهو خاص بالله تعالى وجميع الأعداد مركبة من الواحد فإذا زال الواحد زال العدد وإذا زال العدد لم يزل الواحد وهكذا الكسر لا يكون إلا بالواحد فلا نصف ولا ربع ولا جزء من (١١) ولا جزء من مئات الآلاف إلا إذا كان الواحد فالواحد هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو كل شيء . ثم اتنا إذا أضفنا الى الواحد ٣ ثم ٣ على طريقة المتوالية العددية التي تكون بزيادة ٣ فنقول (١ - ٣ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ١٦ - ١٩)

هذه المتوالية العددية فيها سرّ تكوين هذه الدنيا عند قدماء المصريين بل فيها سرّ المبدأ والميعاد . فيها سرّ الأولين والآخرين . فيها سرّ الدنيا والآخرة . فيها الرفع والخفض والموت والحياة والعمارة والخراب فيها سرّ الله وسرّ الخلق . فيها سرّ كل شيء . وبيانه انك إذا أضفت ٣ الى واحد بطريق الجمع المقدس فإن

ذلك اشارة الى آثار الله في الطبيعة . فترى الفصول الأربعة وترى الصباح والظهر والعصر والمغرب يكون من مجموعهما الليل والنهار . وترى أكثر الحيوان الظاهر على أربعة أرجل . وترى هناك جهات أربعة ورياحا أصلية أربعة وهكذا من كل ما هو أربع . فإذا أضفنا (٣) أخرى صار العدد (٧) وهو السكّال في كل شئ في الفرد وفي المجموع . فأما عشرة فهو رمز الى متقلبات الحياة من رفع وخفض في الأفراد والأُمم ورقم (١٣) اشارة الى الموت موت الأفراد وموت الأُمم ورقم (١٦) اشارة الى الدمار العام والهلاك التام ورقم (١٩) اشارة الى الحياة التامة ورجوع جميع الاحياء الى حياة كاملة . هذه هي الرموز التي كانوا يقولون انها تدل على هذه المعاني وكأنها صور رمزية دينية تقرّب المعاني البعيدة . وأما أزيدك على ما قلناه ان هذه المتواليات العددية اذا أضفنا أولها الى آخرها صار المجموع عشرين نصفها عشرة أى ان الحد الأول والحد الأخير منها يساويان الحد الأوسط مضروباً في اثنين إن كان واحداً أو الحدّين الأوسطين مجموعين معا اذا كانا اثنين كما اذا ابتدأنا بواحد وختمنا باثنين وعشرين فانك تضيف الواحد فيكونان (٢٣) وهما يساويان الحدّين ١٠ و١٣ متضامين الى بعضهما لأن الحدود في هذا عددها ثمانية فيكون الوسط حدّين فأما فيما قبله فان عدداً الحدود سبعة ووسطها عدد (١٠) فيضرب في اثنين . ولعلك تقول وما للآية وهذه المحاضرة أقول إن الآية أفادتنا أن الله واحد لا شريك له وانه لا ولد له . وكل هذه المعاني يرمز لها بعدد واحد لأن الواحد منه كل شئ وأما قوله - نزل الفرقان على عبده - فقد رمزوا له بآثار الله في الطبيعة . ومعلوم أن لله أثرين اثر في الخلق والتقدير وأثر في الهداية فهذا له الرمز عندهم بعدد أربعة . وأما كونه تعالى له ملك السموات والأرض وخلق كل شئ فقدره تقديرا . فذلك رمزوا له بالعدد سبعة كما تقدّم وبالعدد (١٠) لأن الخفض والرفع من أنواع التقدير وبعدد (١٣) وبعدد (١٦) لأن الهلاك والدمار من نوع التقدير وأما عدد (١٩) فهو المرموز له بإعادة الخلق بعد العدم ﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - وفيه ثلاث ياقوتات ﴾ الياقوتة الأولى ، في قوله - ليكون للعالمين نذيرا - مع قوله - ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك - ﴾ الياقوتة الثانية ، في نظام الآية من حيث ترتيب جملها إذ قتم تنزيل الفرقان في الذكر على خلقه للسموات والأرض مع أن الترتيب العظمى يخالف ترتيب نظام الآية ﴾ الياقوتة الثالثة ، في قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - ﴿ الياقوتة الأولى في قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيرا - مع قوله - ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك - ﴿

اعلم أن الحكماء من الأمم العظيمة أجمعوا أن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وبرهنوا على ذلك بأن الزمان انما جاء من دوران الشمس والكواكب والمكان انما حصل بترتيب هذه العوالم . إذن الزمان يحكم علينا أما خالق العالم فالزمان حادث بفعله ولا حكم له إلا علينا . إذن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وقد تقدّم هذا في بعض هذا التفسير والزمان بالنسبة للأفراد يعدّ بالسنين وبالنسبة للأُمم يعدّ بالقرون . إن الله يعدّ للطفل قبل ولادته كل ما يحتاجه حسب زمانه فلا يكاد يكمل خلقه في الرحم حتى ترى دم الأم يأخذ في التوجه لتدبيرها وهناك يأخذ ذلك الجهاز الثدي في تحويل الدم الى لبن شياً فشيئاً وترى هناك أهل الطفل قبيل ولادته قد أعدوا له القابلات والشباب التي تكون وقاية له والحجرة التي يعيش فيها . فهنا يكمل الاستعداد لاستقبال ذلك الضيف الحبيب فالمال يبذل والدم يصير لبنا والحكومة تعدّ الدفاتر لقيده . كل ذلك لطفل قادم من الرحم نازل بهذه الأرض المباركة الطيبة . هذه أفعال الله في طفل قادم اليها . إذن الحكمة التي دبرت هذا العالم لا تنفردا إلا أحاطته برجة لاحد لها . فلننظر للأُمم فنقول

علم الله قبل أن يخلق هذا العالم أن هذا الانسان الذي يخلقه على وجه الأرض لا يقدر عقله أن يفهم أن

إله العالم بعيد عن المادّة متعال عنها فأنزل أنبياء وعلم حكماء قديما وقال لهم قولوا اننى لآترانى العيون ولا تحيط بى  
الظنون فقال ذلك (بوذا) و (خريستا) بالهند وقلها (يو) و (كونفسوس) بالصين وقلها موسى  
وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فما كان من الأمم إلا أن اخترعت ﴿أميرين \* الأول﴾ انه خيل لهم أن  
الإله كالآب والمادّة كالأم وأن أحد القديسين كالابن فقالوا إن الله له ولد وولده بين ظهرائنا وقد أرسله  
وصلب لأجلنا ورفع وذلك ليسهلوا للناس أن لهم إله والافكيف يكون إله لا زراه ولا نرى له ابنا . أليس الله  
مثلنا يلد . أليس يجب أن يرسل ابنه لنا كما يرسل الملوك أولياء العهد فى البلاد التى يحكمها ﴿الامر الثانى﴾  
انهم لم يقدروا أن يتصوّروا موجودا لا يرى فعبدوا الكواكب ثم الأصنام التى ملأت السهل والوعر فى العالم  
الآن . وقد تقدّم هذان الأمران فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا - وفى (سورة  
المائدة) فى آخرها وفى (سورة ابراهيم) عند ذكر الأصنام وفى (سورة مريم) عند ذكر المسيح وفى (سورة  
الأنبياء) عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه - الخ

علم الله أن الانسان هذه ستكون حاله وعلم أن دين المسيح الذى أصله توحيد سيقبله أهل الأرض  
ويجعلونه كأديان الآشوريين والبابليين وقدماء المصريين وأهل مكسيكا القدماء وهكذا إذ جعلوا أباء وابنا  
وروح قدس . العالم الانسانى كله كجنين فى بطن أمه وهذا الجنين عاش فى هذه الأرض إما (٥٠) ألف سنة  
وأما أكثر الى (٣٠٠) ألف سنة . هذه الآلاف يمكننا أن نحسبها شهورا بالنسبة للأمم فنقول لإذن الأمم لا تزال  
طفلة وهذا الطفل يريد أن يتعلم فسمع حروفا من كلمات العلم قديما وبقى جاهلا لأنه لم يستحكم عقله ودخل  
معابد الأصنام النابتة عن الإله وفرحوا بما عندهم من العلم . فإذا فعل الله للناس ؟ أرسل لهم رسولا من  
أمة جاهلة وهولم يتعلم مثلهم فقال لهم لأصنام ولا أبناء وكسر الأصنام وذم عقيدة الأنبياء ورفع سيفه آونه وأعلن  
السلام فى الأرض ثم طارق هذه الأرض الى ربه . مضى على ارسال هذا الرسول ﷺ ١٣ قرنا فلما أن نحسب  
هذه القرون أعواما باعتبار آخر غير الاعتبار السابق ونقول إن هذا الانسان لا يزال مرافقا وأن أهل هذه  
الكرة لم يتم التواصل بينهم ولا عرفوا تمام المعرفة حقائق الأشياء وهامهم أولاء الآن أخذوا يدرسون . فإذا  
تم فى ذلك . نقول أذكر لك ﴿حادتين اثنتين﴾ لا ثالث لهما ﴿الحادثة الأولى﴾ معابد بلاد الصين  
والاسلام المنتشر فيها ﴿الحادثة الثانية﴾ كيف انتشر الاسلام فى جهات أفريقيا المظلمة على نهر النيجر فنقول  
هذا الطفل الذى أرسل الله له معلما بعد الأزمان السابقة قد صنع الله معه ما صنعه مع الطفل المولود حديثا .  
فكما أن الطفل الحديث الولادة نرى الاستعداد له على ساق وقدم . هكذا هذا الانسان الذى أخرجه الله فى  
هذه الأرض قد هيا له اليوم نبيا ليخرجه من جهالته لأنه علم انه أخذ يستعد للارتقاء فقد مضى ١٣ عاما  
فقط بعد نزول القرآن باعتبار أن القرآن عام . وهذه الأعوام بالنسبة لعمر هذا الطفل قليلة جدا لأنه سيعيش كثيرا  
الآن أخذت الحقائق تظهر فى أهل الأرض فانظر الى أمة الصين . إن للصين آلهة معبودة يقدها الشيوخ  
ويحقرها ويستهزئ بها الشبان . فترى هناك فوق جبل (تايشان) فى تلك البلاد القاصية معابد يحج اليها  
المتدينون بها بمشقة عظيمة لأن ارتفاع الجبل (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وترى السلم الموصل الى المعبد  
له (٧٠٠٠) درجة وترى الحاج لا يبلغ هذه القمة إلا بمشقة عظيمة ولذلك ترى هناك جالين يحملون الحاج الى  
الأصنام فوق الجبل وفى الطريق زوايا صغيرة للآله الصغيرة وزوايا كبيرة للآله الكبيرة ويمجد الحاج بيوتا  
للشاي ليسترىح فى الطريق من مشاق الصعود ، فهذه الآله (التي اذا حج اليها المؤمن بها رجع بعد طول  
الشقة ووعثاء السفر والجهد والنصب قرير العين لا يخشى الموت) قد باتت معابدها اليوم معرضة للاحتقار والاستهزاء  
والسخرة من الشبان الذين قرؤا الحكمة والعلم وتنوّرت بصرهم إذ يرون انها أبحار لا تضر ولا تنفع كما نطق  
به القرآن وتراهم يذهبون اليها لتجسسها تحقيرا لشأنها وذلك العقل مطابق للقرآن

### الحادثة الثانية . كيف ينتشر الاسلام في أفريقيا المظلمة

جاء في الأخبار المنشورة في الصحف في أيامنا هذه أن (تشارلس ريد) السائح الانجليزي يقول انه وجد زنجوا في (نيجيريا) يعرفون اسم (أرسطاطاليس) ويجادلون في فلسفته . وذلك بسبب ما قرؤوه من الكتب الاسلامية التي دفعهم الاسلام الى قراءتها وأن الاسلام بدخوله بين القبائل يزول نظامها المجحف القديم والعسف والظلم بسبب نظام اسلامي جيل فيه الولاة والمحاكم وكل امرئ من هؤلاء الحكام يشعر بأنه مسؤول أمام ربه . وهؤلاء الزنوج في حال همجيتهم ووثنيتهم يقيمون على عادات جاهلية فيأكلون لحم الميتة ولا يبالون بالأقنار ولا يعرفون المحارم في الزواج وقد يأكل الابن أمه اذا ماتت فاذا دخلوا في الاسلام رأيت الأمر غير ذلك فيعرفون معنى النظافة ويتفقهون في الدين ويقرؤون الكتب التي ألفها المسلمون

فهانان الحادستان من الحوادث الكثيرة اخترتها لتقف أيها التكي على مقدار جهل هذا الانسان اليوم . فهاهوذا الصيني العربي في المدنية والصناعة والعلم لما ظهرت بوارق اشراق شمس العلوم أخذ يدنس الأصنام محترقا بها معابده . وهاهوذا الافريقي المتوحش لما بلغه دين الاسلام بطريق مقبول تدين به واتق ربه وهذا في آخر الدنيا شمالا وهذا في آخرها جنوبا . ثم ان هؤلاء المسلمين عند (نهر النيجر) لا يخلاو اسلامهم من خرافات زبعا له واثدهم . ولقد يسمع الانسان كثيرا بحجاج يسمون (التكارنه) فهم هؤلاء أنفسهم يعيشون على أقدامهم الى مكة يسألون الناس تكففا ويموت أكثر من نصفهم في الطريق . ثم ان سلطان الزنوج في (برموه) في (نيجيريا) الفرنسية مسلم لا تفوته صلاة ولا يهمل فرضا ولكنه مقيم على عواثده الافريقية فهو يأكل تحت شجرة من أشجار (المنجة) ورعاياه لا ينظرون اليه ولا يخاطبونه إلا اذا ولاهم ظهره والجوقة الموسيقية كذلك لاتعزف إلا اذا ولت ظهرها اليه

هذا هو الاسلام يهدي الافريقي . وهاهوذا في بلاد الصين الكثيرة الأصنام . تلك الأم التي عند أهلها آثار من العلم وقد اتضح العلم لهم الآن خفروا الأصنام . فيا ليت شعري ماذا يصنعون الآن . أقول ان لهم ملجأ يلجئون اليه كما أن لاطفل عند ولادته ملجأ يلجأ اليه . فملجأ الطفل القابلة وابن أمه والعطف العام عليه وملجأ هذه الأم الوثنية وحشية كانت أو متدينة إن ربها ليس بغافل عنها كما لم يغفل عن الطفل . وهؤلاء الأطفال وهم أبناء آدم في الشمال والجنوب قد أعد لهم الله اللغات قبل ظهورهم أو الأساندة قبل زمن تمييزهم غاية الأمر اننا نعقل عمل الله في الطفل لأنه أمر سهل ولنا نعقل عطفه على الأم فنظن أن عطف الله على الطفل قد بلغ النهاية وعطفه على الشعوب قليل ولكننا عند النظر بالحكمة نرى عطفه على الأم أبلغ من عطفه على الطفل لأن الأم مجموع أفراد . أفلا ترى انه أنزل القرآن وقال للمسلمين اقرووه وانشروه ففرووه ونشروه . ولما انتشر في بلاد الصين لم يف هذا الدين الاسلامي بحاجات تلك الأم لأنهم قوم علماء وحكماء حكماء قديمة غامضة والمسلمون هناك (٧٠) مليوناً ودين الاسلام الشائع بينهم لم يخرج عن الأحكام الشرعية التي اجتهد فيها أبو حنيفة ولذلك تحب الوثنيين الذين يحرقون هذه الأصنام يقولون للمسلمين إن دينكم لم يخرج عن كونه دين طلاق وفسخ وإجارة وعقد وما أشبه ذلك . أما الحكمة والعلم ونظم الله في الأرض وهجائب الشمس والقمر وما أشبه ذلك مما نعرف نحن فان دينكم خال منه فلا فكر لكم معاشر المسلمين إلا في الصلاة والوضوء والفصل والحيف والنفس والولادة وأحكام ذلك كله وأتم أيها المسلمون عن العلم محجوبون

هذا هو الذي أخبرني به العالم الصيني المسمى (وان وين كين) حينما زار مصر وقد ذكرت خبره في مواضع من هذا التفسير وقال ان أربعة قواد من قواد الجنود الصينيين المسلمين أرسلوني لأبحث في أقطار الاسلام لعل هذا الدين حقيقة صدق للعلم كما يقول علماء الصين وهم حنفية المذهب أم الأمر على خلاف ذلك ولقد قال لي « لقد وجدت في مصر حركة عظيمة وقد اطلع والحمد لله على تفسير (سورة الفاتحة) وعلى تفسير (سورة البقرة).

بأنه قال لي انه سترجم الشافعية وكتاب القرآن والعلوم العصرية ، وسافر وأنا لأدري الآن ما فعل  
 إن هذا الدين الاسلامي لما انتشر في الأرض وأخذته أمم بعد العصر الأول لم تفهم ما يراد منه فأخذوا  
 يتلونه بلا عقل وحسروا العقل الانساني في أحكام الفقه وفروعها . إذن هذه الأم التي حلت هذا الدين بعد  
 العصر الأول ليسوا كقوا لهذا الدين . ولما أدرك الحقيقة الامام الغزالي في القرن الخامس الهجري ألف كتاب  
 ﴿ الاحياء ﴾ وقال انني أريد أن أحبي به عصر الصحابة أولئك الذين كانوا يفهمون من الاسلام ما لا يفهمه  
 من بعدهم . ذلك أنهم كانوا يعلمون أن معرفة الله بالنظر في الجوانب والمخلوقات هي أصول هذا الدين وهكذا  
 علم الأخلاق وتهذيب النفس تهذيباً عملياً وذم أهل زمانه ذمّاً شنيعاً ونقل ما قاله ابن مسعود يوم موت عمر  
 ﴿ قد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فقالوا له نحن أصحاب رسول الله نحمل العلم فقال لست أريد هذا ولكن أريد  
 العلم بالله تعالى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في معضلات هذا التفسير فقال لقد  
 أطلت المقال فما ملخصه . فقلت

- (١) ان الأمم كلها أطفال
- (٢) وأن رجة الله تشمل الأمم كما تشمل الأفراد
- (٣) وأن الله مهد ل هؤلاء الأمم بدين الاسلام كما يمهّد للمسيح نبي نبي الله
- (٤) ومن ذلك انه نشر الاسلام في الصين عابدة الأصنام وفي نيجيريا المتوحشة
- (٥) وأن المسلمين في الصين كبقية المسلمين ليسوا يعرفون من الدين إلا ألفاظ القرآن فهم له قراء والا  
 الأحكام الخفية والشافعية الخ

(٦) وأن هذه الأمم استعدادهم لحل هذا الدين ضعيف فلم يكونوا كالصحابة في العصور الأولى ولا التابعين  
 (٧) وأن الامام الغزالي رحمه الله أدرك هذه الحقيقة فنأدى في الناس بكتابه الاحياء يقول : أيها الناس  
 دين الاسلام أن تعرفوا جميع العلوم في هذا الوجود وأنتم ما علمتم اليوم إلا القليل جملة وبلاهة ، وقد مضى  
 بعد قوله ما يقرب من ألف سنة والمسلمون نائمون ولذلك لم يقدرُوا أن يهدوا أكثر الأمم الضالة التي تعبد الأصنام  
 فقال وما دواء هذا الداء . فقلت دواؤه في ﴿ الياقوتة الثانية ﴾ وهي انه ذكر تنزيل الفرقان قبل قوله  
 - له ملك السموات والأرض - . فقال وأي شيء في هذا التقديم والتأخير وهل لهذا أهمية في هذا الموضوع  
 فقلت إن السواء في هذا التقديم والتأخير . فقال اذكر حادثة توافق هذه حتى نستأنس بها . فقلت قد تقدم  
 في هذا التفسير أن أبا بكر رضي الله عنه وقف خطيباً في سقيفة بني ساعدة وقال للأَنْصار أسلمنا قبلكم وقدمنا  
 في القرآن عليكم ففمن المهاجرون وأتم الأنصار ففمن الوزراء وأتم الأمراء . فبهذا التقديم في الآية حكمت  
 قرش العرب وأتم الاسلام قرونا وقرونا فكان منهم العباسيون والأمويون والعلوية وهكذا . كل هذا لتقديم  
 كلمة على كلمة . وهكذا ترى الامام الشافعي يقول ﴿ يجب في الوضوء تقديم الوجه على اليدين ﴾ ولماذا هذا لأن  
 الله قسمه في الذكر في آية الوضوء واستدل بالحديث ﴿ ابدؤا بما بدأ الله به ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك قال أما الآن فقد آن أن أسمع ما تقول في هذه الآية من حيث التقديم والتأخير  
 لأن الحجة قائمة . فقلت ان الله خلق السموات والأرض قبل أن ينزل القرآن . قال نعم . قلت ولذلك يقول  
 - الذي له ملك السموات والأرض - وهذه جملة اسمية تقتضي الثبوت والدوام أما نزول القرآن فقد ذكره  
 بجملة فعلية تقتضي الحدوث . قال هذا حق . قلت فلماذا نظم القرآن مشي على سائر آية الوضوء وعلى سائر  
 آية المهاجرين والأنصار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لو أن نظم الآية هنا اعتبر فيه مجازة ما هو موجود لكان هكذا  
 تبارك الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء ففتره تقديراً

ونزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الله لم يفعل ذلك هنامع انه مقتضى الترتيب الوجودى وانما عدل الله عن ذلك بسرّ ظهر فى عصرنا وحكمة بهرت فى أيامنا . ذلك هو ما عليه المسلمون الآن . المسلمون الآن يقرّون القرآن ولا يعرفون إلا التنزيل فهم يبتدؤن بحفظه عن ظهر قلب ثم يقرّون الأحكام الشرعية فلذلك صاروا أجهل الأمم مع أن القرآن من كلام الله وملك السموات والأرض فعله وقول القائل يفسره ويبيّنه فعله ونحن نسمع حديث النبي ﷺ وتنبع فعله وقوله . أفلا نفعل مع الله ما فعله مع نبينا ومع الناس . نحن ننظر لأفعال الناس أكثر مما ننظر لأقوالهم . أفلا نجد فى تتبع أفعال الله كما قرأنا أقواله . وبناء عليه يجب فى اصلاح المسلمين أن نخرج قول الله بفعله فى التعليم . ان قول الله أشبه بما يحى الجسد الانسانى من الدم وهذا الدم الجارى فى جسم المرأة لتغذية الجنين يفيد الجنين ولكنه لا يفيد الطفل كما قدّمنا آنفا فاقضت الحكمة أن يكون هناك جهاز يصنع فيه الدم فيكون لبنا ليشربه الطفل الذى كان جنينا . هكذا الأمة الاسلامية التى كان أهلها أجنة يحىون بالقرآن حياة الجنين فى رحم أمه فلذلك لم يصلحوا لقيادة الأمم العظيمة ولا تفهم الناس الحكمة حتى ان المسلمين فى الصين لم يغيثوا عباد الأصنام بمعرفة حقائق الدين الحكيمية لجهلهم بها فهم يتخبطون فى عبادة الاصنام يائسين من دين حق فى الارض

المسلمون أصبحوا اليوم غيرهم بالأمس . فاذا كانوا بالأمس أجنة فهم اليوم فى حال الرضاع خلق لهم أن يعطوا الدين مصحوبا بالعلم وذلك هو المعبر عنه بدين الفطرة وهو الوارد فى الحديث إذ خير ﷺ بين الخمر واللبن ليلة الإسراء فاختار اللبن لأنه الفطرة وانما عبر بأنه الفطرة لأن الفطرة تقتضى التسريع فى الترية . فقال صاحبى هذا القول غامض أى تدرّج تريد وكيفيه هذا التدرّج . فقلت إن الأمة إما أن تحفظ القرآن وتعرف الأحكام وهى تجهل العلوم كلها فهذه أشبه بالجنين واما أن تعرف ذلك كله بمنزلة بالعلوم . فهذه أشبه بالطفل يرضع ثدى أمه وهذه ليست حالا غريبة على الطفل فقد كان بالأمس يتغذى بدم أمه فلما ولدته أخذ يتغذى بنفس اللبن الذى كان يتغذى منه بالأمس ولكنه بحال جديدة فهو لم يغير غذاءه إلا عرضا ولوانه أعطى بعد الولادة خبزا لمرض ومات . هذه حال الطفل فاذا كبر أخذ يأكل الخبز وغيره . هكذا حال الأمة

(١) حفظ عن ظهر قلب

(٢) ثم دين مع العلم

(٣) ثم دين مستقل عن العلم وهذه هى الحال الثالثة

فدين الفطرة أن يمزج العلم بالدين وهى الحال الثانية . فأما الخيرة فهى غير موافقة لمزاج الجسم فهى ضارة به . فهذه الأحوال الثلاثة أشبه بأحوال الانسان الثلاثة فى التغذية . فقال صاحبى إذن أنت تقول ان قوله - له ملك السموات والأرض - بعد قوله - نزل الفرقان - أشبه باللبن وذلك يمزج العلم بالدين بالطريق التى اتبعتها أنت فى التفسير (وبعبارة أخرى) انك الآن تقول تنزل الفرقان أشبه بحال المسلمين العادية ومزج العلم بالدين هى الحال التى ينقلون اليها الآن . فقلت نعم . فقال ولكن فأتىك أن مصطفى كمال باشا نقل تركيا من حال الى أخرى وقال (العلم شئ والدين شئ) أعنى انه فصل العلم عن الدين كما فعلت فرنسا ويظهرانه نجح فى ذلك بدليل أن الأمم كلها تنابه الآن . فقلت هذه طريقة نافعة ولكنها خطيرة والطريقة التى أقولها الآن لا خطريها وما هذه الطريقة إلا كطريقة أطباء عصرنا الذين يستعملون المسهلات والمركبات فى الأدوية ولا يسيرون على النظام الطبيعى وأحسن الطب ما كان جاريا على الناموس الطبيعى فاذا أكل الانسان الفواكه والخضر وترك ما يضر استعماله وبرز فى الهواء والشمس فان ذلك أفضل من استعمال الادوية التى تنفع مؤقتا ثم ترك أثرا فى النفس تتبعه آثار ثم ينتهى بالموت . ومماثل المسهلات والأدوية المركبة فى المرضى إلا كمثل الانكسار فى الدين على المجزأت وخوارق العادات كما تقدم فى (سورة طه) فكما أن الشفاء فى المسهلات والمركبات وقضى

يعقبه مرض آخر هكذا الاتكال على خوارق العادات يعقبه رد فعل ويقول الله تعالى - أُولَئِكَ يَكْفُهُمْ إِنْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ - إذن فإلهم يطلبون خوارق العادات . قال صاحبي إذن هنا ﴿ ثلاث مسائل ﴾ مسألة فصل الدين عن السياسة كما فعلت فرنسا وتركيا . ومسألة الأدوية المركبة والمسهلات . ومسألة خوارق العادات . ولقد جعلت هذه المسائل الثلاث من وأد واحد . وهنا مسائل ثلاث مقابلات لها وهي اعطاء الأمة الدين مع السياسة فهو إذن كاللبن وهو موافق للفطرة كما في الحديث واعطاء المريض الأغذية اللطيفة بدل المسهلات وتعليم الأمة العلوم العقلية مع الدين بدل الاتكال على خوارق العادات كالمسألة الأولى . فقلت نعم هو كذلك وأريد أن أوضح مسألة هنا وهي مسألة الطب فقد قال

(١) الدكتور (غرانيشتان) الذي هو من أقطاب الطب في ألمانيا ﴿ إن الضعف في درجاته إنما هو نتيجة العلاج بالعقاقير سواء أكانت رديئة أم طيبة فهي إذا استعملها الطبيب بحذق ومهارة تغلبت على المرض حقا ولكن ترك هناك بقايا تظهر عاجلا أو آجلا في الجسم فلا تقبل الشفاء ﴾ فهذا هو الضعف العلاجي ونسب ذلك الضعف إلى المركبات مثل (حض البروسيك) والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ  
(٢) ويقول الدكتور (كيسر) ونقله عنه الاستاذ (باز) ﴿ إن الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شر من المرض هي صحيحة في أكثر الأحوال ﴾  
(٣) وقال نحو ذلك (الدكتور سميث) الذي قال ﴿ إن كل دواء يدخل الجسم يعطي الدورة الدموية سما كما يعطيها السم تماما ﴾

(٤) وهناك نحو ثمانين عالما من الأطباء الرسميين نقل عنهم الاستاذ (ولز) وقد قالوا مثل هذه الأقوال فقرر هؤلاء جميعا أن الصحة في الاقتصار على استخدام قوى الطبيعة كالهواء الطلق والغذاء الجيد الصحي وترك اللحم والمهيجات وأن يعمل الانسان عملا جسديا معتدلا وأن يستحم بالماء الفار والبارد وهكذا مثل ماتقدم في (سورة طه) في أواخرها

فقال صاحبي ما الذي أصاب الناس من استعمال الأدوية . فقلت يقول (كيسر) المتقدم ذكره ﴿ إن الأطباء يرضون المرضى ويتبعون شهواتهم ويحققون نظر ياتهم ووسوستهم فيعطونهم الأدوية ولا يقفون عند حد أبعاد المؤثرات القاتلة للمريض فلذلك تحدث أمراض مزمنة بهذا الفعل وسببها هم نفس الأطباء ﴾ فقال وما الذي يناسب ذلك من أمر سياسة الأمة إذا عزلت الدين عن السياسة . فقلت ان عزل الدين عن السياسة دواء خطر كالأدوية المركبة يستعمله المستجبل لرقى أمة ولكنه يكون عرضة للاعتراض عليه وقيام طائفة وراء طائفة كلهم يريدون أن يثوروا في وجهه فمن الملوك من يفوز ومنهم من لا يفوز وإذا تم الفوز فالأمر لا يزال خطرا يعقبه رد فعل بعد حين وخير السياسة ما كانت بطريق الطبيعة . فالأمة الإسلامية اليوم تقرأ الدين ولا علم عند كثير منها فليمزج العلم بالدين كما فعلت في هذا التفسير فيكون لبنا خالصا سائغا لا يشار بين وبه ينتهج العلماء في أمة الاسلام ويحبون رقى أمهم ويعاونون الملوك والأمراء ولا يشيرون الشعوب عليهم . فهذه هي الطريقة المثلى لاسيما أن علماء الاجتماع يقولون ﴿ إن الإصلاح الديني أعظم أثرا في رقى الأمة من الإصلاح السياسي ﴾ فإصلاح مصطفى كمال باشا نافع ولكن هذا الإصلاح الذي اتبعناه عاقبته جيدة وهو سريع الأثر بعيد المدى يرجع الملوك والأمراء ويجعل الأمة روحا واحدة . هذا هو الذي هداني الله إليه وأريد به إراحة ملوك الاسلام والمصلحين منهم بعدنا فذلك خير من الثورات والدسائس - وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب - ومن المجانب أن الأخبار وردت اليوم ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ أن ملك الأفغان المتقدم ذكره لاسراعه في الإصلاح تنازل عن العرش . وقد قدمت في (سورة الحجر) منذ سنة انه زار مصر إذ ذاك واني أشعر بكراهة الشعب له لاسيما العلماء وقد حصل هذا فعلا الآن

فقال صاحبي وأى دخل لمسألة خوارق العادات هنا . قلت إن خوارق العادات تقدم شرحها في (سورة

طه) وأن فعلها وقى إذ عبد بنو إسرائيل الجهل بعد أن رأوا العصا والحية والله يقول - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - والتخويف إنما يكون للأطفال والقرآن يراد بنزوله أن يكون لأمر تعقل وتفهم لا أنها تخوف كالصبيان

﴿ حكاية ﴾

كان لى صاحب وهو مجاور لى فى المنزل وهو شيخ طريقة مشهور فى مصر وكنت أجلس معه فى بعض الأيام وقد علمت أنه إذا توجه إلى بلاد الصعيد تلقوه أفضل مما يتقبلون الملوكة ويجمعون يومه عيداً ولاعتقادهم فيه كان اللصوص يخافون منه فلا يسرقون . وقد حدثه أحد أخوانى فى ذلك فقال انى إذا وصلت إلى البلد فانه يأتى إلى واحد فيقول لى ياسيدى أنا أخطأت ويسرد له كل ما حصل من السرقة ويذكر جميع الذين كانوا معه فإذا حضر واحد منهم قال له أرجع لا تدخل على فيعتقدون أنه يعلم الغيب فهذه الحال اشتهرت تخاف الناس من الشيخ لامن الله . وهذه حال لا تنفيذ الأمة إلا مؤقتاً وإنما هي أشبه بالخطرات أو المسهلات أو الأدوية المركبات وإنما السبيل لرقى المسلمين حقاً أن يعمل العلماء بمعنى هذه الآية فانه قال - نزل الفرقان على عبده - وأتبعه بذكر أنه له ملك السموات والأرض - . فبنزج العلم بالدين ترتقى الأمة . أما الأدوية الوقية للأمة كذكر معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء حقاً كانت أو باطلاً كما فى صاحبنا الذى ذكرناه سابقاً وكالتأثير بالخطابة وحسن البلاغة بدون اقناع عقل فانه لا يدوم أثره فى الأمم مالم تصبح الفضيلة لها عادة ولكن يبقون فى العلوم والمعارف عالة على الأمم فلا بد حتماً مما قلناه . وإلى هذه الحال يشير قوله تعالى - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه - فعبّر بـم للإشارة إلى تأخر زمن البيان عن زمان التنزيل وبيان القرآن حق البيان قد ابتدأ فى هذا الزمان الذى عبر عنه بـم فى الآية . وكذلك قدم الله تنزيل الفرقان هنا على قوله - له ملك السموات والأرض - وعبر بالفرقان ولم يعبر بالقرآن لأن الفرقان للفرق بين الحق والباطل ولن يكون كذلك إلا بإدراك الحقائق التى تعرف بملك السموات والأرض فالأمر الاسلامى السابقة أكثرها قرآنية والأمم الاسلامية اللاحقة أكثرها فرقانية . فاقراً هذا التفسير وبعده تعرف هذه الحقائق والحمد لله رب العالمين

كتب ليلة الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

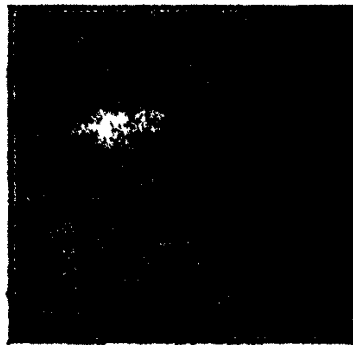
﴿ الباقوتة الثالثة فى قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديراً - ﴾

من اطلع على هذا التفسير أو أكثره استقرّ فى ذهنه أن الله عزّ وجل مشرق نوره مطلع بعلمه على كل مادي وجليّ وما مثل الحكمة والنظام والتقدير فى هذا العالم إلا كمثل ضوء الشمس واشراقه . اننا نرى كل بيت فى هذه الأرض ان لم يشرق عليه النور ويشمل جميع حجراته تكون سكناه ضاربة بالصحة ، فعلى مقدار اشراق نور الشمس فى أركان البيت تكون صحته سكاكه . وعلى مقدار ابتعاد نورها عن الحجرات فى المنزل أوعنه جميعه يكون المرض والموت . وعلى قدر المرض تكون قلة العلوم والعبادات والأعمال والرقى والفلاح هذا حكم نور الشمس . فلتنظر إذن لنور الله وحكمته . الله عزّ وجل كما جعل نور الشمس عاماً وجعله محيطاً بالكرة يدخل فى كل منزل وقب وحجرة . هكذا نراه فى الاحكام والاتقان بل الاتقان أعم وأبدع وإذا أردنا أن نذكر هنا مثلاً تواردت آلاف وآلاف من الأمثال . فأى الأمثال نضرب والعالم كله مضرب أمثال من ذراته الصغيرة إلى شموه العظيمة ومن الدقائق والجواهر الفردة إلى المجرات وأنواع السدم فى أقطار السماء فلا كتف ﴿ بمثلين صغيرين ﴾ مثل النحلة ومثل العنكبوت وإنما ضربت هذين المثلين لتعجب من جمال واتقان وإبداع وحسن وجمال وكمال ونظام وما شاء الله كان فى حيوانين حقيرين منبوذين صغيرين قد اختلفا وصفاً وتباعداً طبعاً وفيهما من دقة الصنع ما يحير العقول

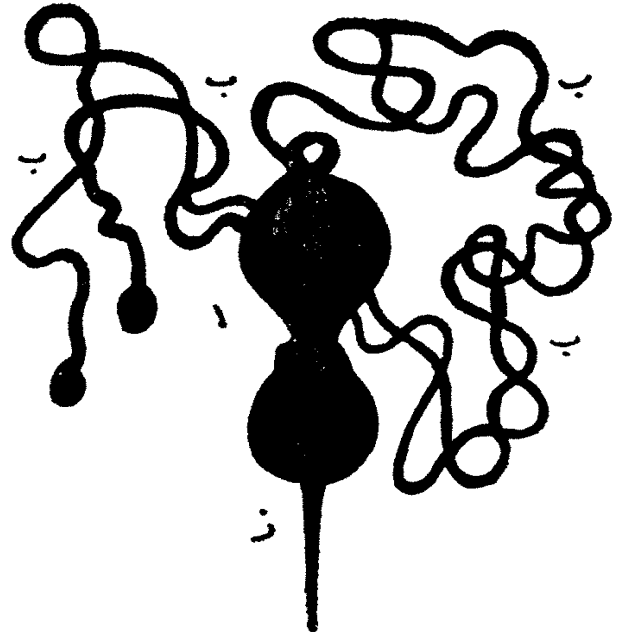
﴿ حكاية ﴾

لنا مزرعة ببلدة (البركة) فى الارض التى تقرب من الجبل الشرقى المصرى فاقضت الحال أن أخرج من القاهرة أنا فأتنا لأجل هذه المزرعة والنظر فى أمرها . ولقد هزمت يوماً أن أتوجه إليها ماشياً على القدم من

بلدة المرج لأتجه بمنظر أرض واسعة خالية في طريقى الى المزرعة . فهناك آلاف من الفدادين لآزرع وانما  
هى مسرح البهائم ترعها فلما توسطت تلك المزارع وجدت أرضا ذات حشائش قد عمها كلها نسيج العنكبوت  
هنالك أدهشنى هذا الصنع وقلت فى نفسى اذا ترك الناس هذه الأرض فلا بناء ولا زرع أرسل الله لها سكانا  
نصبوا خيامهم فيها وأخذوا يصطادون أنواع الذباب وهم فى أمن ودعة وسعود . فهنا أذكر صفة العنكبوت  
وصفة النحل أجالا . أما العنكبوت فانها هى والعقارب لها ثمانية أرجل . وأما النحلة وما مائلها وهو جميع  
الحشرات كالذباب والناموس فلكل منها ٦ أرجل . إذن العنكبوت ليست من الحشرات ثم أكثر الحشرات  
غير سامة وأقلها كالنحلة والزنبور سام . ولكن العناكب والعقارب وأبو شبت كلها ذوات سم وإبرة الحشرة  
السامة تكون من خلف . أما إبرة العناكب فمن الأمام . وحيوان العنكبوت ينسج بيته ومتى مرت به ذبابة فعل  
معهما « أمرين » أولهما انه ينسج خيطه عليها لئلا تفلت منه « ثانيهما » انه يفرغ فيها سمه بطريق الحقن  
فيخدرها أو يميتها . والشبث سم قوى ولكنه غير مميت كما هو المشهور . أما النحل فوظيفته صنع العسل .  
فهنا « حيوانان » حيوان يتغذى بالذباب وهو غزال نساج وحيوان يتغذى بالنبات وهو يعطينا العسل .  
هذان الحيوانان فى كل منهما مصنع . هذا للعسل وهذا للنسج . وفى كل منهما مصنع آخر أيضا للمادة السامة  
إذن الحيوان الصغير قد أعطى صناعة المواد السامة قبل أن يصنعها الانسان فى الحرب العامة الكبرى وذلك  
لمنفعة هو وكل منهما قد ألهم صناعة تنفعه فهذا له مصنع للعسل وهذا له مصنع للغزل والنسج . إذن الحيوان  
سبق الانسان الذى استخرج العسل والسكر من القصب والبخير وأوجد مصانع للغزل وأخرى للنسج . كل  
ذلك فى حشرات حقيرات ملأت بيوتنا وحقولنا . هذه العنكبوت التى تراها فى المنزل متى قل كمنسه وتنظيفه  
ورأيتها فى الحقول التى فى ضواحي القاهرة أعطيت هذه الصناعات قبل الانسان . يراها الجاهل فلا يفهمه ولكن  
الحكيم المستبصر يرى فيها جالا كالذى يراه فى الشمس والقمر والزهر والشجر بل يرى الحكمة هنا واضحة  
بعد الدراسة . فللنحل « مصنعان » مصنع لجلب المنافع ومصنع لدفع المضار وهكذا العنكبوت . ولا جرم  
أن الأرض اليوم امتلأت بالمصانع وهى إما لدفع المضار وهى مصانع الذخيرة والآلات الحربية من مدفع  
وسفينة حربية وطيارة وسوائل أو غازات ضارة وما أشبه ذلك . وهل هذا كله إلا تكرار لمصنع السم فى النحلة  
والعنكبوت . واما جلب نافع كصانع النسج والغزل والخبز وما أشبه ذلك . وهل هذا إلا تكرار لمصنع العسل  
والنسج فى النحل والعنكبوت . فهل لك أن ترى رسم لإبرة النحلة مكبرة وجهاز الغزل فى العنكبوت مكبرا  
كذلك ( انظر شكل ٢٧ ) و ( شكل ٢٨ ) و ( شكل ٢٩ )



( شكل ٢٧ - رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا )



( شكل ٢٨ - رسم إبرة النحل مكبرة جدا )



( شكل ٢٩ )

( شكل ٢٩ - رسم العنكبوت وله إبرتان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة وإلى يمينها الغدة التي تفرز السم )

انظر الى هذين المصنعين . مصنع السم في جسم النحلة ومصنع الغزل في جسم العنكبوت واعجب تخزن النحلة الذي امتلأ سباً وللأنايب التي تفرز السم وترسله اليه ثم لإبرة دقيقة منها يخرج السم . أنايب خمسة خارجات من الجهات الثلاث وهي تفرز السم ثم ترسله الى المخزن والمخزن يوصله الى الابرة والابرة تدخله الجسم عمل والله عظيم واحكام وتدير ليس له نظير . وأى فرق بين هذا المخزن ومعداته وبين مخازن الذخيرة ومصانعها إن هذا والله أدق وأدق وأعجب فان هذا كله لا يشاهده البصر ولا تصل اليه آلاتنا مع دقتها ورقبها وانتظامها وانظر الى جهاز الغزل ؟ فماذا في جسم العنكبوت من الابداع الذي حول الغذاء الى غزل ينسج ؟ وما الذي في هذا الجهاز حتى قلب الغذاء فجعله خيوطا بديعة . ثم ماذا في مصنع السم الذي تشاهده الآن في جسم النحلة وما هذا الذي جعله يحول الغذاء الى سم . فانظر لمصنعين أمامك . مصنع لسم ومصنع لغزل . هذا مهلك وهذا معين على الحياة بها يصطاد الذباب . فياليت شعري ماذا جرى في أجسام تلك الحيوانات وما هذا التدبير ؟ ذلك التدبير الذي به قدرت النحلة أن تؤذى عدوها وقدرت العنكبوت أن تنسج بيتها وكيف ألهمت كل منهما أن تفعل على مقتضى ما وهبت من المصانع . فهذه ألهمت اللدغ وهذه ألهمت النسج . ومثل هذا يقال في مصنع العسل في النحلة ومصنع السم في العنكبوت . هذا شرح الحكمة الالهية المعدة في هذين الحيوانين

### ( الحكمة العملية )

علمت بما تقدم معنى قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فهذا هو التقدير . هأنت ذا يا صديقي أصبحت تراه بعينك . هأنت ذا تراه فافرح بالعلم . إن الأمم حولنا درست هذه العوالم ونحن نزل القرآن بلساننا فقرأناه وقد كنا عند قراءته كسائر الأمم عند نظرهم العنكبوت والنحل فكنا نقرأ - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - ونعمر عليها مرور الجهلاء على أمثال الحقل الذي قلت لك انه ملأه عناكب . فاذا كنا نحن نمر على هذه الجلة مرور الجاهلين فهكذا نحن وجميع الأمم كان أكثرنا يمر على العناكب وأمثالها غافلين . ولكن هذا هو الزمان الذي فيه ظهرت أنوار الله - وأشرقت الأرض بنور ربها - ونشرت العلوم . فالآن نفهم آي القرآن على قدر الامكان ونرى حكمة بديعة وآيات جليلة جليلة . هذا ملخص الحكمة العلمية

أما الحكمة العملية التي عقدنا لها هذا الفصل فاعلم أن أعظم الأمم هي التي تقتدى بالله عز وجل . فإذا كان الله قد علم العنكبوت النسج فلم تتكل على نبات ولا حيوان بل كانت صنعها من نفسها هكذا يجب أن يكون الانسان . وأعظم الأمم اليوم هي التي تستغنى بصنعها واتقانها . فهم يكونون في نوع الانسان كنوع الانسان في سائر الحيوان . والأمم الصانعة تستعبد الأمم التي لاصناعة عندها وقد اكتفت بالزراعة . إن الحرير اليوم يصنع من الخشب ويبيع في القاهرة أنسجة حريرية رخيصة مصنوعة من خشب التوت والقطن وهي أرخص من الأنسجة المصنوعة من دود القز . وإذا دامت هذه الحال انقرضت دودة القز من الدنيا . إذن الانسان يقدر أن يستغنى عن دود القز بصناعاته . والناس عادة يصفون (بالنيلة) وهي مادة تستخرج من نبات في الهند يزرع في مليون فدان فابتدع الألمان طريقة بها استخرجوا مادة الصباغة من الفحم ونحوه فبارت تلك الأرض . إذن الصناعة أغنت عن الزراعة وكأن الله يقول أيها الناس ان رقيقكم يكون بعملكم لا بما أودعته أنا في الطبيعة . وإذا قام قائم واستخرج مادة قطنية كالقطن المصري أصبح قطننا لا فائدة منه الله الآن يسوق الناس الى استخراج ما يحتاجون اليه بالصناعة ويقول لهم افعالوا ما يفعله الحيوان يستخرج منافعه بمصانعه فأنا فعلت ذلك له فلتفعلوا ذلك أتمم باجتهادكم . أنا قدرت كل شئ تقديرا وإذا تشبه في الناس في التقدير والنظام كان قربهم مني على مقدار ما نالوا من دقة في العمل واتقان في الصنع وفي الأثر ﴿ إن الله يحب الصانع المتقن عمله ﴾ وفي القرآن - إن الله يحب المحسنين - وفيه أيضا - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - وإذا كان الله يرى عملنا فهو لا يجب إلا ما كان متقنا

﴿ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما ﴾

قلت لك إنني شاهدت آلافا من الأفدنة في ضواحي القاهرة ليس فيها من السكان إلا تلك العناكب قد نصبت خيامها لأنها لما خلت من عمل الانسان شغلها الله بجنوده فنصبوا خيامهم واستعدوا لاصطياد الذباب . علم الله العنكبوت صناعة الصيد وأعطاه جهازا يستخرج منه الحيوط وأعطاهها فكرا به تدبر ما فيه من صناعة ولم يهمل ذلك كله بل خلق له الذباب . هذا الذباب انما خلق ليطهر الأرض من القاذورات والرطوبات والعفونات فتحال تلك في جسمه من حال الضرر الى حال لا تضر وهذا الذباب ضرره على الانسان أقل من ضرر الرطوبات التي تحال فيما بعد الى جسمه ولكن لا تزال بعض المضار عالقة بتلك الحشرات . ألم تر أنها هي التي تنقل العدوى من المريض الى الصحيح . ولقد تقدم شرح هذا في (سورة الأعراف) وأن الذباب ينقل جراثيم (الرمم) (الصدیدی) من العين المريضة الى الصحيحة وجراثيم الاسهال و(الجي التيفوزية) و(الطاعون) و(السل) و(الدودة الوحيدة) . إذن الذباب وان منع ضررا كثيرا وهلاك عاما هو والحشرات باحالة الرطوبات والعفونات الى جسمه بقي حافظا لأصله ناقلًا للرض فسلط الله عليه أمثال العنكبوت ليقتنصه . إذن العنكبوت نعمة لأنه أزال عنا شرا وببلا والذباب نعمة لأنه أزال عنا شرا كثيرا . إذن العنكبوت مساعد للانسان في حياته الله أكبر . يا الله أنت جعلت هذه الدنيا جنة للمفكرين ونارا على الجاهلين . اللهم اني وأنا أكتب هذا أحسن بأن نفسي في جنة عرضها السموات والأرض . وكيف لا يكون كذلك وأنا أنظر الجبال واضحا في الحشرات الحقيرات فضلا عن الكواكب في السموات . يا الله ها أنا ذا وهاهم أولاء قراء هذا التفسير معي هانحن أولاء نشاهد التقدير والابداع فيما يزدريه الناس ويحقرونه ولا يباهون له

يفشى الطالب حلقات العلم ويرى خشوعا وكالا وأدبا عند المستمعين . ولكن العجب أن يكون طلب العلم في مضرة هذه الحشرات المنبذات عند المفكرين أعظم أثرا وأبهج حكمة وأقوى تصديقا . وكأنهم يشاهدون المبدع في ابداعه ويرون الحكيم في حكمته . يضحك الناس منهم وهم ينظرون - وإذا مروا بهم

يتخاضون • وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين • وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون - • كلا • كلا • نظام محكم وإبداع متقن • ذباب يحيل الرطوبات • وعنكبوت تقتل الذباب وخيام فيها آلات صيد الذباب • بهذا يخاطب الله الناس وكأنه يقول أيها الناس كل امرئ منكم له (حالة الأولى) وهو طفل يرضع ندى أمه (الحالة الثانية) الاستقلال في طلب الرزق وأكل الحلال وآخرها خيرها هكذا للأمة (حالة) حال الارضاع من أئداء الطبيعة • فن الزرع يلبسون ومنه يأكلون • وحال الاستكمال في الصناعة إذ يكون الإنسان في تمام كلاله كالحیوان في نشأة حاله

هاهم أولاد أهل الأرض الآن (فريقان) فريق عرف الصناعة وفريق بقي على الزراعة والمواد الأولية وقد غلب الفريق الأول الثاني • انى أنا الذى سلطت الأولين على الآخرين فغلبوهم وأمرتهم فقهرهم • ها هي ذه الأمة المصرية وأمثالها من الأمم الزراعية التى لاعلاقة لها بالصناعة إلا قليلا • هذه أم بقيت في حضنة الطبيعة كما تحضن الأم ولدا ولكنها لا تريد منكم أن تكونوا أطفالا بل تريد أن تكونوا رجالا وذلك بالصناعات • لذلك أنزلت لكم فى القرآن - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - • فكل من كان أقدر على النظام والاحكام وكان أقرب الى العمل بهذه الآلة فهو منظم مقتر محكم عمله وأنا أحب المتقن عمله وأسلطه على من بقي فى حضن الطبيعة لا يبرحها • لذلك غلبت الأمم الصناعية الأمم الزراعية • ومما مثل الأمم الصناعية إلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا • وهذا البيت وإن كان أوهن البيوت وأضعف الحصون قد علمكم درسا متقنا • إن أهل الصناعة يطلبون من لاصناعة عندهم • فتكت العنكبوت بالذباب • هكذا فتكت الأمم الصناعية بالأمم التى لاصناعة عندها • أفلا تعقلون

ليس كل من كان موفور الغذاء مكرما • وليس كل مكدود منهمك فى العمل شقيا • كلا • بل الأمر بالعكس • إن الذباب موفر الغذاء فى كل مكان ولكنه مهان • الذباب لا يوزره صناعة ولا زراعة ولا تجارة • يأكل من رطوبات الأرض ولكنه ذليل • والعنكبوت حكم عليها أن لاتأكل إلا من كدت يدها وأن لاتعيش إلا من صناعتها لذلك مدت الشباك فاصطادت الذباب

لله (كتابان) كتاب مسموع بالوحى وآخر مشاهد بالبصر والكتاب المسموع يوحى للأنبياء على مقدار عقول الأمم فيكون فيه الكناية والمجاز والإيجاز • وأما الكتاب المشاهد فهو نص صريح يشهده المقرَّبون فيعقلون عن النحل والذباب والنمل من العلم ما تحرَّ له العقلاء سجدا وهم موقنون الله أكبر • إن الأمم التى أضحت فى خفض العيش ودعته موفورة الرزق تصبح ذليلة كما ذكرناه سابقا فى خطاب أرسطاطاليس والاسكندر • والأمم التى تألب عليها الأعداء وذات أنواع النصب والتعب يظهر فيها المخترعون والمفكرون • أولئك الذين لا ينبغيون إلا حيث تكون الأحوال مضطربة والأجواء مكهربة وقد أحيط بالأمم من كل جانب وبهذا يظهر سرُّ قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن • وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن • كلا - فالذباب ابتلاه ربه بنعمه ولكنه مهان والعنكبوت اضطرت الى صنع البيت لصيد الذباب وهى أرقى من الذباب • الذباب لا صنعة له والعنكبوت صانع ماهر وآخرها أرقى • هكذا فتكت الأمة الاسلامية أمة صناعة زراعية تجارية والا ذلت للصائغين وخضعت للغاصبين

لقد عرف هذه الحقيقة (السلطان سليم) لما حلَّ بساحات مصر فاغتصب منها رجال الصناعة وهم نحو ألفين وأخذهم منها كرها لبلاد الترك فرجعت الأمة المصرية زراعية لاتعرف الصناعة • ذلك لتبقى ذليلة للترك كذلك الذباب للعنكبوت

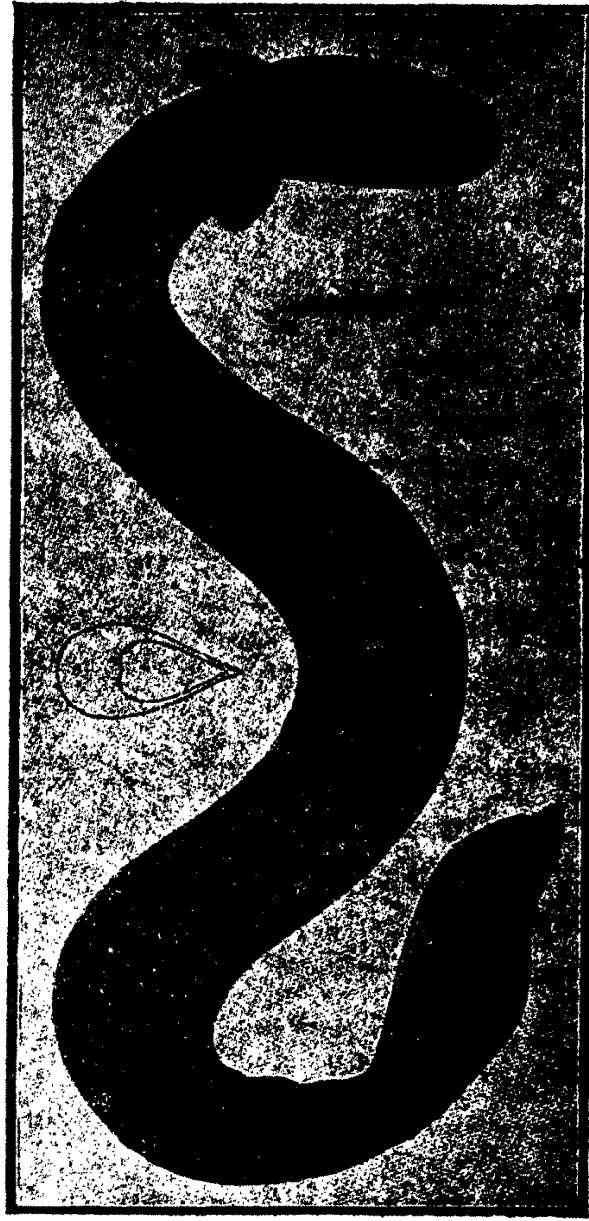
أيها المسلمون • ألم تقرأ نبا إبراهيم عليه السلام إذ وجم قومه على ما يعبدون فاحتجوا بأنهم وجدوا

آباءهم لها عابدين فكسر الأصنام احقاقا للحق ونبذا لأراء الآباء . هكذا فليفعل الجيل المقبل من أم الاسلام  
 فاذا وجدوا آباءهم عكفوا على جهالة أو نبذوا أمرا ناقما أقلعوا هم عن الضلال . - فهاذا بعد الحق إلا الضلال -  
 هذه عجائب العلم والحكمة في حشرات ثلاث النحل والذباب والعنكبوت . علم الله ذلك قبل أن ينزل  
 القرآن . وعلم أن المسلمين ستمضي عليهم قرون وهم مغمضون عيونهم عن هذه العجائب في هذه الحشرات  
 فقال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم  
 وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين -  
 وقال في (سورة العنكبوت) - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام ردا على  
 الكفار الذين كانوا يقولون ماذا أراد الله بذكر الذباب والعنكبوت . يشير بذلك الى ما تراه في هذه العجائب  
 في النحل والعنكبوت فان هذه لا يعقلها إلا العلماء الدارسون لهذه الدنيا العارفون بنظامها . ومن عجب  
 انه سبحانه سمي سورتين باسم النحل والعنكبوت ولم يسم سورة باسم الذباب مع ذكره في القرآن نذيبها على  
 أن المسلمين يجب أن يكونوا أمة ذات صناعة وذات بأس وقوة فان كلا من النحل والعنكبوت لهما قوة  
 بأس كما تقدم ولهما صناعتان قد علمتهما فيما ذكرناه - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - هذا ما فهمته  
 اليوم من قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - انتهى ليلة الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨

( نور على نور في قوله تعالى أيضا - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - )

هذا تقدير الله وخلقه فوق الارض بالعنكبوت وفي الجوّ بالنحل . ويقول الله تعالى - ما ترى في خلق  
 الرحمن من تفاوت - فالتقدير الذي نراه على وجه البسيطة هو بعينه الذي نراه في قاع البحار وعلى سطح الماء  
 وفي الجوّ . فهناك لذلك أمثلة ثلاثة حتى تكون لنا نموذجا ودليلا على غيرها فنقول كما نرى النحل قد أعطى  
 قوتين قوة للنفع وقوة للدفع أى العسل والسم وكذا العنكبوت الغزل والسم . هكذا نرى الحيتان في قاع  
 البحار أوتى بعضها قوة الكهرباء بحيث يهجم على فريسته فيقتلها بها وذلك مخلوق فيه قبل أن يعرف الناس  
 الكهرباء على وجه الأرض وأوتى قوة الجرى حتى يفرّ من عدوّه اذا فاجأه . وهكذا نرى هناك حكمة وعلمها  
 بهما ظهر التدبير والنظام على وجه الماء في الحيوان (صاحب السفينة) المسمى (نوتياوس)

ها هو ذا صاحب السفينة الذي يديرها على وجه الماء كما تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - قال  
 ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فقد ذكرت لك هناك نحو (٤٠) نوعا من أنواع الحيوان قد  
 أعطيت صناعات تعلمها الانسان ومنها هذا الحيوان الذي اتخذ له سفينة في البحر قبل أن يصنع نوح عليه  
 السلام سفينته . ولكن القول هناك كان بالرسم فلا ترك هنا شكل السمك الذي جعل سلاحه الكهرباء  
 وشكل الحيوان صاحب السفينة (انظر شكل ٣٠) و (شكل ٣١)



سمك كهر بائی من نهر الكنفو      سمك كهر بائی يكون في البرازيل ويشبه الانكليس

اعلم أن السمك الرعاد قليل جدا ومنه ما يسمى عند الفرنجة بالترديد وهو كثير في بحر الروم والافقيانوس الهندي والاتلانتيكي وهو قد يصرع الانسان بقوة الكهر بائية . ومنه ما يسمى (الانكليس الكهر بائی) وهو أقوى السمك الكهر بائی ويكون في البرازيل وغينا ويقتل السمك والحيوان الصغير بكهر بائته . ومنه سمك القط الكهر بائی وهو في النيل ويكثر في بحيرات افريقية . والكهر باء المذكورة في السمك تتولد من صفائح عضلية منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالسطر المستدة الأضلاع بعضها منضم الى بعض بينها نسج ليفي وأوعية دموية وأعصاب وهذه القوة أعدت لقتل الحيوان الصغير لآكله هذا السمك . وتذكر ما تقدم في سورة الرعد فقد شرحت لك هناك البطارية الكهر بائية . فانظر كيف ترى هناك شكل البطارية وانها طبقات بعضها فوق بعض مرسومة هناك أشبه بهذه الطبقات التي في هذا السمك . فانظر وتجب كيف وصل الانسان بعد

الجهد الجهد في العلم الى ما أعد للسماك فان البطارية هناك تراها مشروحة كالبطارية هنا طبقات بينها مواد موصلات كما هنا سواء بسواء . والعجب كيف يسطى كل حيوان سلاحا يوافقه . وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . فلعنكبوت شبكته المناسبة لاصطياد الذباب ولكن السمك للرعاد لاتنفعه الشبكة فأعطى قوة الكهرباء ذات البطارية المتقدمة . أفليس هذا من العجب أن يظهر سرّ قوله تعالى . وخلق كل شئ فقدره تقديرا . في سمكة في البحر وفي نحلة في الجوّ وعنكبوت فوق الأرض . وترى الأمر غير ذلك في صاحب السفينة (انظر شكل ٣٢)



( شكل ٣٢ - صورة التوتيلوس أو صاحب السفينة )

هذا الحيوان المرسوم أمامك من الحيوانات التي لا فقرات لها . إن الفقرات تكون في الانسان وفي البهائم والسباع والأنعام والسمك والزحافات . والذي لا فقرات له كالحوام والدود والحيوانات الرخوة . وهذه الأخيرة لها كساء من الخارج وهذا الكساء قد يكون جليدا يتصل به عضلات الحركة ونحوها وقد يكون غضروفا وقد يكون (كلسيا) أصلب من العظم . فهذه هي الحيوانات ذوات الصدف ومنها الاخطبوط والقواقع التي منها الخنازير الصغيرة والبوق العظيم الهائل . فن ذوات الصدف (صاحب السفينة) المرسوم أمامك فيه استقرّ الحيوان المتقدم المسمى باليونانية (نيوتس) أى سفينة . ومعلوم أن صاحب السفينة بالعربية يسمى (نوتي) فهما متوافقان يونانية وعربية . وهذا الحيوان يستخدم هذه الصدفة كالتوتى سواء بسواء . فبها يعم على سطح الماء ويديرها بأصابعه الست فيرسلها الى الجانبين كالمجاديف وقد استعمل العضوين الغشائيين كأنهما شراع السفينة . ففى أراد السير جندف بأصابعه هذه وأدار السفينة يمينا وشمالا وحول الشراعين نحو الريح كما يفعل الربان سواء بسواء فإذا أخطق به الخطر بأن أتاه النوء مثلا قبض بأصابعه وشراعيه ودخل الصدفة وغاص في قاع البحر فينجو من الخطر . ومن العجب أن يكون جسمه غير ملتصق ببيته . وهذا الحيوان يكون في بحر الهند بالقرب من (جزيرة ملقا)

فانظر كيف كانت سفينة نوحا له في أسفاره ودرأ للخطر عنه وهذا قوله تعالى . وخلق كل شئ فقدره تقديرا . فلم يعط صاحب السفينة نسج العنكبوت لأنه لا ينفعه ولا الكهرباء كالسمك ولا العسل لأن هذا كله لا يلائمه بل أعطاه ما يناسب سطح الماء وما هو إذن ؟ هو السفينة . إن ربك هو الخلاق العليم . وكما رأيت في البحر ماله سفينة فان فيه ماهو طيار حتى تم الحكمة فله في جنبه زعانف كالأجنحة وهو

أشبه بشكل أسفل السفينة وزعافه كالشراع وطوله يزيد على نصف متر وهو في البحار الجنوبية من أوروبا وفي البحار الأخرى وعلى شواطئ البرازيل والولايات المتحدة وبعضه لونه زاه بين أزرق سماوي وفضي وتطير أسراباً ثم تخوض الماء وتعود فتطير ولجه لذيذ وصيده سهل لأنه كثيراً ما يطير ويقع في المراكب أفليس هذا من العجب أن يكون النظام في قاع البحر وفوق سطح الماء وفي الجو . ومن العجب أن العنكبوت كما ينصب بعضها الخيام على الأرض فتقتنص الذباب هكذا ترى مئات منها في يوم العواصف طائرات في الجو في طيارات من غزلها قد صنعتها كما تصنع الشبكات على الأرض . ومنها ما تتخذ من الورق ومن غزلها سفناً تجري بها على وجه الماء ومتى لحت حشرة فوق سطح الماء أسرع لتقاطها وجعلتها في سفينتها وأكلتها بهدوء وسكينة

هذا هو التدبير والنظام العجيب . فاعجب لسماك يطير ولاخر يصنع السفن ولعنكبوت كذلك صنع السفن وصنع الطيارات قبل أن يعرفهما الانسان . وللعنكبوت شأن عجيب استعملت سفن الصيد في البحر قبل أن يصنع الانسان سفن صيده . فاذا رأينا نحن الصيادين بجوار الاسكندرية قد اخذوا سفنهم وجدوا بها في الصيد فقد سبقتهم بها العنكبوت . وهكذا اذا رأينا الأمم الحاضرة تصنع القواصم لا هلاك سفن العدو فقد سبقها السمك فصنع ذلك وأخضع فريسته

فهذه نبذة يسيرة جيلة في قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديراً - فاقرأها واقرأ ما تقدم في قوله تعالى - الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وانظر مواضع أخرى تناسب هذا المقام كالذي تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - ونظيره في آخر (آل عمران) في نفس هذه الآية هناك وهكذا في (آل عمران) أيضاً عند قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - وفي (سورة الأنعام) عند قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون - وفيها أيضاً عند قوله تعالى - انظروا إلى ثمرة اذا أثمر وينعه - وفي (سورة هود) عند قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي سور أخرى . كل ذلك مناسب لما كتبناه هنا في آية - وخلق كل شئ فقدره تقديراً -

ولما اطلع صاحبي على هذا المقام قال لقد أبنت في هذا المقام الخلق والتقدير في قاع البحر وفوق سطح الماء وفوق الأرض وفي الجو واستبان السمك ذوالكهرباء والحيوان صاحب السفينة والعنكبوت وشبكاتها في البر وسفنها في البحر وطياراتها في الجو والنحل وما أودع فيه من عسل وسم زعاف . وهذه المجموعة التي كتبتهنا هنا بديعة وصورها مشوقات للباحث العلمية فهل خطر لك هنا خواطر تدعو إلى هدى أو ترد عن ردى فإني أرى هذه سطوراً سطرت في لوح الطبيعة والله اني ليحيل إلى تلك الطيارات التي طارت بها العنكبوت وتلك السفن التي أدارها بأصابعه الست صاحب السفينة وبالشرعين اللذين بهما تجرى في البحر وذلك السمك الطيار في الجو بلونه الزاهي الزاهر الفضي . أقول انه يخيل إلى انها تحمل حكمة تلوح لأولى الألباب فهل خطرت لك خطرات في هذا الجبال . فقلت نعم ههنا

﴿ بهجة العلوم المسطورة في لوح الطبيعة ﴾

وهي ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في خطاب الله للأمم ﴾ (الفصل الثاني) ﴿ في خطابه تعالى للمسلمين ﴾ (الفصل الثالث) ﴿ في خطابه تعالى للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكان ﴾ فلما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن في مقام جلال العلم والحكمة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ في علم اليقين لاني ظنوت وأوهام . فقلت ما الذي رايت في قولي هذا . قال رايت انك قلت خطاب الله للأمم وخطاب الله للمسلمين وخطاب الله لمن لا يفرقون بين الأولياء والسكان . فهذا التعبير يوهم أن الله يخاطب الناس مع

أن هذه أفعال الله وأفعال الله ليست خطايا . فهذا التعبير من أول وهلة يشعر بخروج عن المؤلف . فآله انما يخاطب بالكلام الموحى به على الأنبياء ولاوحى هنا . فقلت خير لك أن تصبر حتى أتم هذه الفصول الثلاثة ثم أبرهن لك على أن ما أقول مأخوذ من القرآن . فقال - ستجدنى إن شاء الله صابرا - حتى تتم هذه الفصول الثلاثة . فقلت .

### ﴿ الفصل الأول فى خطاب الله للأسم ﴾

الله خلق الحيوانات الفقرية كالسمك والانسـان والزواحف وما أشبهها وخلق الحيوانات الصدفية التى منها (صاحب السفينة) وخلق النحل والعنكبوت . كل هذه فى هذه المقالة . وهذه جمعت أنواع الخلق ان الناس اعتادوا أن يبنوا بيوتهم محاطة بحائط متين قوى يدفع عنهم الطوارئ والحيوانات المفترسة وأقرب الحيوانات الى بناء منازلنا ذوات الأصدا فكان القياس أن يكون على هذا المنوال كل حيوان ولكن الله بحكمته خاطب الناس قائلا أيها الناس : اننى لا يحكم على نظام ولا حال فانكم اذا فكرتم بعقولكم وجدتم أن الحيوان إما أن يشتمل جسمه على جسم صلب أو لا يشتمل فان لم يشتمل على جسم صلب فهو الحشرات ونحوها فكلها أجسامها مغلخلة لا عظم لها من داخلها ولا من خارجها جسم صلب والذى له عظم إما أن يكون من داخله وإما أن يكون من خارجه فالذى عظمه من داخله هى ذوات الفقرات كالانسـان والسمك وذوات الأربع والطيور وهكذا . والذى يكون جسمه الصلب من خارجه فهى ذوات الأصدا ومنها ذوات السفينة المتقدم ذكره وهذه قسمة عقلية . فاذا ظن الناس أن حياة الحيوان تتوقف على جسم صلب قلنا لهم كلا فهذه النحل ونحوها لاصلاية لها فان قالوا إن الجسم الصلب يكون من خارج كما فى منازلنا قلنا لا فهذه عظام ذوات الأربع فانها من الداخل واللحم والجلد من الخارج والحكمة العليا هى التى قضت عكس ما صنع فى بيوتنا وقيل لنا انظروا هذه بيوتكم وبلدانكم يحيط بها حوائط وأسوار متينة البناء لحفظها من الخارج ولكن أجسام الانسـان وذوات الأربع ونحوها جعل الجسم اللطيف خارجا وحافظنا عليه بالحواس والحفاظة عليه مع ان القياس كان يقتضى أن يكون يحيط الجسم صلبا كهية ذوات الصدف حتى يتسنى للجسم أن يقاوم الجو والطوارئ وهذا هو السر فى قوله تعالى - خلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما - الخ ثم أعقبه بقوله - فتبارك الله أحسن الخالقين - وانما قال - فتبارك الله أحسن الخالقين - بعد قوله - فكسونا العظام لحما - الخ لأن كسوة العظام باللحم تخالف المؤلف من أعمال الخلق لأنه أشبه بمن يبنى منزله ويجعل مخزن الطعام والملابس وحجر النوم خارج سور المنزل . فالعظام الصلبة يجب أن توضع محيطة بالجسم لتحفظه كالحيوانات الصدفية لا أن يجعل اللحم الطرى والجلد الرقيق حافظين للعظام . كلا فلما كان هذا الوضع خلاف للمؤلف المتعارف وكان مع ذلك متقنا وأفضل من العكس علم أن هذه الصنعة أكثر اتقاناً من صنعة البنائين فى الأرض فلذلك جاء فى القرآن - فتبارك الله أحسن الخالقين - وبهذا تبين أن الأحوال الثلاثة للخلق قد ظهرت فى عالم الخلق وكأن الله عز وجل يقول أى عبادى أنا لم يعنى عن الخلق شئ فلا عظم العظام معنى عن الخلق ولا وضعها داخل الجسم مع لطافتها وصلابتها . ولقد فعلت فى أجسامكم وأجسام الحيوانات هذه التنوعات كلها كما فعلت فى ثمرات الشجر فتارة أجعل الشحمة فى التمرة وهى طرية خارجا والنواة الصلبة داخل الخلق السمك والانسـان . وتارة أعكس فأجعل الصلب خارجا واللطيف داخل كاللوز والجوز فأنا لا يحببني شئ . وهذا درس لكم لتعلموا أن سعادتكم لا تتوقف على حال . فاذا كانت الحياة لم تتوقف على وضع ما بل جميع الأوضاع ظهرت فيها الحياة فهكذا سعادتكم لا تتوقف على حال واحدة فكونوا ملوكا أو سوقا وكونوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء فكونوا كما تشاؤون . فهذه الأحوال لا تحجب السعادة عنكم كما لا يحجب الحياة نوع من أنواع الصور والأوضاع . انتهى الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثاني في خطاب الله للمسلمين ﴾

يقول الله للمسلمين ها أنتم أولاء رأيتم العنكبوت قد صنعت لها طيارة في الهواء وسفينة في البحر ورأيتم السمك يطير في الجو والصدف يسير سفينة في البحر . فيا أيها المسلمون أنا لم أرسل رسولا إلا ليرشد عبادي إلى الأفعال الصالحة وأبذع الحكم فإذا رأيتم لطف في ابداع الحرير في جسم العنكبوت وتعليمها أن تطير به وفي جسم النحل في ابداع العسل وفي جسم السمك في اظهار الكبرياء وفي حيوان السفينة في اعطائه سفينة فعناء انكم يجب أن تبرهوا في الصناعات لاسيما اذا رأيتم الأمم حولكم قد برعت فيها فأنت نبي من أنبيائي يأمر أوبيح لعبادي أن يحرموا على أنفسهم انبأهم في الابداع وفي اتقان الصنعة . فليلبس المسلمون لكل حال لبوسها وليبرزوا للناس صناعات تناسب أزمانهم والا فهم الأخسرون أهمالا - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا -

برعت الأمم في غزل المنسوجات وفي تدبير الحرب وفي نظام الحياة . فعلى المسلمين أن يكونوا أرق في سائر الصناعات . انتهى الفصل الثاني

### ﴿ الفصل الثالث في خطاب الله للأمم الاسلامية المتحدين في خوارق العادات ﴾

#### فلا يفرقون بين الأولياء والكهان

إن الله يخاطب المسلمين بهذه المخالقات وصنعها . يقول أيها المسلمون ليس امتياز طائفة من أهل دينكم بالاخبار بالغيب فرضا أو بظهور بعض الخوارق على أيديهم تفضيلا لهم عن سواهم . ان الاخبار ببعض الغيب مشوب بالكذب لم تخل منه أمة . ألم تروا المؤمنين تنويعا مغناطيسيا . ألم يثبت يقينا انهم يخبرون ببعض الغيب ألم تظهر بعض الخوارق للعادات في مجالس تحضير الأرواح (اقرأ في كتاب الأرواح تأليني) وتقدم بعضه في (سورة البقرة) وفي سور أخرى وأن غلاما صيرفيا جاهلا أتم رواية ديكنس بعد وفاته والانشاء هو هو لم يتغير وهذا الغلام غي لا يعقل شيئا مما كتبه ، فهل هؤلاء الوسطاء في التنويم المغناطيسي أفضل من أنبيائكم وعلمائكم . كلا . ثم كلا . ومماثل هؤلاء إلا كمثل المدهد إذ قال سليمان - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبيا يقين - فهل هذا المدهد أفضل من سليمان ، أو كمثل الخضر مع موسى فالخضر عرف حال السفينة وأمر الفلام والجدار وعلم موسى ولكن موسى أفضل من الخضر وهكذا محمد ﷺ يقول الله على لسانه - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء - . إذن الأنبياء لا يعلمون الغيب وعلمهم بالغيب في مثل هذا قصص وكيف لا يكون قصصا وهم اذا علموا الغيب أصبحوا ولا عمل لهم ولا فكر . إذن كيف يقتدى الناس بمن لا يفكر لهم ولا تدبير وأين العقلاء إذن . فالأنبياء مكلفون وهم لا يعلمون الغيب وانما يوحى اليهم الشرائع والتوحيد وما عدا ذلك هم فيه مجتدون . ومماثل الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وجرت على أيديهم بعض الخوارق فرضا أو أخبروا ببعض الحوادث (إن صح) إلا كمثل العنكبوت طارت في الجوّ بلا أجنحة . فهل أدعش هذا سائر الحيوانات فعدها سيدتها جيعة . كلا . إن امتياز بعض السمك بأن يطير أو بأن يكون فيه كهرباء وبعض العنكبوت بأن تطير وأن تجري المراكب يشابهه امتياز بعض المسلمين بخوارق العادات إن صح ذلك فليس لمن خوقت له العادات فضل إلا كفضل العنكبوت على سائر الحيوانات مثلا . فهذه صناعات وخواص لا أثر لها في الفضل . وكأن الله يقول أيها المسلمون لما علمت انكم تركتم سبيل وجهلتم قدرى ولم تعقلوا قولى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة - سلطت عليكم شيونا جاهلين فجعلوا الدين شركا واتخذوكم ذبايا وامطادوكم بهذا الشرك فهم عنكبوت وأنتم صيدهم أيها المسلمون مادمتم جهالا فاني أرسل هؤلاء ليمتصوا دماءكم لأنكم نسيتموني فأنا أيضا أنساكم وأترككم

في أيدي الجهال منكم وهم لكم أعداء وجعلتهم قناطيرهم عليها المستعمرون لبلاد الاسلام فيكون أولئك الشيوخ سلما يصل عليه المستعمرون رقاب أهل البلاد واستعبادهم . ألا ساء مثلاً المساكين المغفون الجاهلون (اقرأ ما تقدم في سورة الحج عند قوله تعالى - وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي - إلا إذا تمى - الخ من كلام الشيخ الخواص والشيخ الدباغ)

إن من فتح عليه بسبب العبادة ثم نصب نفسه لقيادة الناس وجعل هذه الخوارق باباً للرزق فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهو عند المستعمرين لبلاد الاسلام أشبه بالمثل المشهور ﴿أكل ييد القط﴾ وسببه أن القرد يستعمل يده القط في أخذ الفاكهة المسماة (فروة) من النار المتقدة فصرخ القط فسمع صاحبه الصراخ والولولة فجاء فوجد هذه الحال فذهبت مثلاً افرنجياً . فهؤلاء الشيوخ استعملهم الفاتحون لبلاد بعض أمم الاسلام ويأمرونهم بالأوراد ليلاً ونهاراً ولا يأمرونهم بالتفكير والتعقل ليظنوا لهم خاضعين . هنالك قال صاحبي لقد تمّ القول الآن في الفصول الثلاثة فأرجو اجابتي على ما سألت من قولي لك كيف تقول قال الله مع ان القائل أنت . فقلت قد آن أن أجيبك عليه . اعلم أن الله عز وجل يقول - ووضع الميزان \* ألا تظفوا في الميزان - فآله وضع النظام في السماء والأرض المعبر عنه بالميزان لنزن نحن بالصدق بلا زيادة ولا نقص وقد وضع هذا في أول (سورة يونس) فارجع اليه فانك ترى هناك حساب هرم مصر الأكبر وكيف كان حسابه على مقتضى حساب الدائرة الشمسية السنوية وهذا الحساب على مقتضاء بنى الهرم وعلى مقتضى الهرم عرفنا الوزن والكيل والمساحة بالدقة . إذن الناس يقلدون ربهم في فعله ولولا هذا ما عرفوا رطلا ولا فداناً ولا أردباً . قال صاحبي هذا حسن ولكني أريد أقرب من هذا . قلت في موضوعنا . قال نعم . قلت قال الله تعالى في (سورة هود) - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فها هو ذا سبحانه بعد أن ذكر تريته لكل حيوان وانه آخذ بناصيته أبان أن هذه التريية في غاية النظام ولم يقف عند هذا الحد بل أمرنا في (سورة الفاتحة) أن ندعوه فنقول - اهدنا الصراط المستقيم - والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فهو يقول اهدنا صراط الله المستقيم المعروف وكيف نهدي الى طريقه إلا بدراسة نظامه في خلقه . فكما درسنا نظام الأفلاك وسرنا في سفننا على مقتضاء في البحر وفي القطرات على وجه الأرض ووزنا ومسحنا وكننا . هكذا ندرس نظام الحيوان لتتسع عقولنا لنظام حياتنا . إن الحياة الحيوانية مقدمة للحياة الانسانية ومن جهل المقدمة جهل النتيجة إن العلامة (سبنسر) يقول ﴿إن الناس قرؤوا قبل أن يكتبوا﴾ فليعلم الأساتذة التلاميذ القراءة قبل الكتابة مشاكلة للطبيعة ليكون النجاح . فعلى المعلمين أن يبتدئوا بالقراءة ثم بعد ذلك يكتبون . هكذا نرى الله خلق الحيوان قبل الانسان . فليدرس الناس الحيوان وتشريح الانسان وتاريخ حياة الأمم وتاريخ أعمهم أنفسهم . فمن جهل تاريخ أى علم فقد جهل نفس العلم ومن جهل علم الحيوان وعلم النبات فقد جهل نظام الانسان لأن دراستهما أسهل من دراسة الانسان ومتى درسهما الانسان استحق أن يفهم عالم الانسان إذن الله تعالى بخلق هذه العوالم يخاطبنا كما قلت لك لأنه أمر أن تقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهو نفسه على صراط مستقيم في خلق عالم الحيوان وغيره فلا بد من دراسة هذا الصراط ثم ندعو الله أن نسير عليه . إذن ظهر لك أن قولي إن الله يخاطبنا بمصنوعاته حق فكيف ندعو الى صراط مستقيم نجعل بعضه وصراط الله المستقيم يتبع

فلما سمع صاحبي ذلك قال أنا لا أجادلك في هذا القول بل أقول انك أثبت بحجة وقطعت بصدق وقول حتى ظن قوله تعالى - والسماء رفعها ووضع الميزان - الخ وقوله - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - بعد هذا البيان دلالة على أن هذه العوالم كلها طرق ذلت لتنهجها وسبل لنسير عليها

ولكن هذا كله كلام اجالى فان مسألة العنكبوت والنحل والسمك الكهربي وكل ما ذكر فيها كلام عام واستنتاج اجالى فاذا ذكرت لنا مثلا بعض هذه العوالم وتشرحه شرحا جيدا من العلم ثم نجد القرآن نص عليه نصا فان ذلك يكون نمونجا لجميع العلوم ويصبح المسلمون بعد قراءة ذلك مسرعين الى أن يتخصصوا في العلوم ويوقنوا ايقانا تاما بأنهم في قراءة الحشرات والذرات في أجلّ عبادة ويكفون على أعمال الصبر في الأعمال الكيانية والأعمال التشريعية وهكذا . فقلت ان الله تعالى يقول في قوم فرعون - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين -

انظر العجب . انظر كيف يقول الله في الطوفان وفي الجراد وفي القمل وفي الضفادع . ماذا يقول ؟ يقول - آيات مفصلات - فجعل الماء الذي يفرق أرض مصر وغير أرض مصر آية مفصلة وجعل الحشرات التي منها الجراد والقمل - آيات مفصلات - وجعل الضفادع من الحيوانات الزاحفة ذوات الفقرات - آيات مفصلات - ألا تعجب من كيف جهل المسلمون هذا الدين . الله يقول - كتاب فصلت آياته قرآنا عرييا لقوم يعلمون - فهو كتاب مفصل الآيات باللغة العربية ولكنه انما يفهمه أهل العلم والله هو نفسه يجعل الماء والحشرات والضفادع - آيات مفصلات - . إذن الآيات المفصلات كما تكون قولاً تكون فعلاً ومن الفعل الحشرات والماء وهكذا ولم يكتف الله تعالى بذلك بل قال عند الكلام على العنكبوت - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - ( بكسر اللام ) فالعالمون جمع عالم . إذن الله يقول ان القرآن وآياته المفصلة نزل لأولى العلم ويقول ان العنكبوت وأمثاله ضربت أمثالا لأولى العلم . إذن ظهر الأمر واتضح وأصبحت الحشرات وأمثاله الحشرات آيات كما ان القرآن آيات . فقال صاحبي هذا أمر عجيب وبديع . إن الناس يشاهدون الجراد والقمل والضفادع ويحسون بالدم في أجسامهم ويشاهدونه في ذبائحهم فلا يبهون لها ولا يقيمون لها وزنا وغاية الأمر ان يدفعوا الجراد والقمل عن زرعهم وأجسامهم . أما كونها تحتاج الى علم وانه لا يفهمها إلا العلماء فهو غريب على المسلمين وهكذا الآيات المقررات المتقدمات فاذا سمع المسلم قوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ مر عليها كما يمر على أكثر القصص يحترمها احتراماً دينياً . أما انها تحتاج الى تعقل وفكر فهذا بعيد وغريب . سل عامة المسلمين من علماء وجهال وقل لهم ؟ هل الجراد والقمل والضفادع والدم المذكورة في القرآن تحتاجون في فهمها الى عقل وعلم ؟ وهل نفس هذه الحيوانات يحتاج الناس في فهمها الى علم وعقل فانهم جميعا يجيبونك بلسان واحد . هذا أمر معقول مفهوم نحن نعرفه ونفهمه ولا نحتاج الى علم ولا تعقل . فقلت سترى الآن كيف يحتاج ذلك كله الى علم وأن أكثر المسلمين مخدوعون وأن مثلهم مع أمثال هذه المباحث كمثل رجل سار في أرض عراء فلمح جبلا فظن انه يصله في عشر دقائق ولكن الجبل المرتفع يوهم الانسان انه قريب وهو بعيد كما يرى الناس أن الشمس قريبة رأى العين وهي بعيدة فيظل المسكين سائرا أكثر يومه حتى يصل اليه بعد طول الشقة . فالمعلومات قد أبرزها الله للناس وجعلها تحيط بهم فظنوها معلومة كما ظنوا انهم عرفوا حقيقة الشمس بالنظر الى ظاهرها ولكنهم عند الامتحان يتحققون انهم جاهلون وأن هذه أمثال والأمثال لا يعقلها إلا أولوا العلم

فهاك الطوفان المذكور في الآية . يقول الله في قصة موسى اني أرسلت الطوفان على أهل مصر ؟ لماذا ليخافوا الله ويؤمنوا . فهنا ﴿ أمران ﴾ اعظام الله بسبب ظهور جبروته وسلطوته والايان به فارسل الطوفان يهلك الأمم فهذا القهر يورث القلوب اعظاما واجلالا لله وينتج منه الايمان به والتصديق وهذا مثل من الأمثال التي لا يعرفها إلا العلماء فلم ينزل الله القرآن إلا لنا نحن ونحن ننظر فنقول ان الماء ينزل من السماء في خط الاستواء ويجري في النيل سائرا الى البحر الأبيض المتوسط فاذا زاد زيادة فوق العادة أغرق البلاد فكان آية مفصلة . هذا ظاهر الآية ولكن الحقيقة أن هذا النيل وأمثاله كدجلة والفرات وسبحون وجيحون والتيجر

في السودان وأمثالها وكالطونه وقلجا والتميس في أوروبا . كل هذه اذا تركت وشأنها أهلكت الحرث والفسل في كل سنة فلولا أن الناس يعملون لها جسورا وقناطر لكانت وبالا عليهم فتفرقهم تارة وتجعل أرضهم قفراء تارة أخرى ﴿ والدليل على ذلك ﴾ أولاً ﴿ ان نهر النيل الذي يجري في بلادنا المصرية ما كان ليعيش به قبل أيام محمد علي باشا أي نحو سنة (١٨٠٠) ميلادية وما قبلها الا نحو ألفي ألف انسان (مليونين) لا غير وذلك بسبب اهمال الحكام وجهلهم إذ ذاك أيام انحطاط الأمم الاسلامية فكان هذا النيل يفرق البلاد تارة ويتركها أرضا قفراء تارة أخرى . فأما في هذه الأيام (سنة ١٩٢٨ م) فان البلاد تعددها نحو (١٤) مليوناً وماء النيل لا يزال قابلاً لسقي أرض أوسع مما يسقي الآن فيفتدى بالزراع عشرة ملايين أخرى على طول الزمان . إذن الله عز وجل ذكر الطوفان في الآية وقال انه آية مفصلة وقال انه لا يفهمه إلا العلماء لهذه الحكمة العجيبة أليس من العجب أن تكون أرض اليمن ملك أمة اسلامية وقد سمي الله سورة باسمها وقال انه كان فيها سدّ العرم وانه كان فيه جنتان . فيأيت شعري أين ذهبت الجنتان الآن وأين السدود الأخرى هناك . إن هذه البلاد وبلاد حضرموت وغيرها قد أنزل الله لأهلها مطراً في فصول السنة وهم لا يحفظونه فترك الأرض قاعاً صافصفاً لا تنبت نباتاً . أليس من العجب ومن المؤلم أن تكون هذه الأمة الاسلامية لم تصل في عمران بلادها الى ما وصل اليه أمم قبلهم عباد أوثان في اليمن وفي حضرموت وفي غيرها والله يذكر الطوفان في الآيات ويذكر سد العرم ويقول - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - وما الاعراض المذكور إلا جهل العلوم التي بها اصلاح السد كما حصل في مصر قبل أيام محمد علي باشا كما تقدم . فهل يتفكر المسلمون حتى يكونوا من الذين قال الله فيهم - وما يعقلها إلا العالمون - . اللهم انك أنت المعلم والهادي وعلى من اطلع على هذا أن يرشد الأمة الى سواء الصراط ﴿ ثانياً ﴾ ان الحشرات التي ذكر منها الجراد والقمل في الآية ليس يعرف الناس منها إلا أن الأول يهلك الزرع والناس يطاردونه ﴿ ويقول شاعرهم

مرّ الجراد على زرعى فقلت له ﴿ لا تأكلن ولا تشغلن بافساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة ﴿ انا على سفر لا بد من زاد

وأن الثاني يؤذى الناس في فراشهم فينظفون ثيابهم ليعبده عن أبدانهم لأجل صحتها . ويقرؤون في كتاب ﴿ كليله ودمنة ﴾ أن البرغوث حلّ ضيفا عند القملة في فراش رجل غني فلدغته البرغوث ليلاً ففرّ البرغوث وبحث الرجل فلم يجد إلا القملة فقتلها وجعلوه مثلاً لمعاملة الرجل المجهول فانها ترجع على الانسان بالوبال هذا ما يعرفه الناس في القمل واخوتها البراغيث ولكن الآية لا تنقف عند هذا الحد فان هناك فرقاً بين الخيال والحقيقة . فالذي في ﴿ كليله ودمنة ﴾ ضرب مثل خيالي والقرآن يقول إن هذه حقائق علمية أي انه لا يعرف هذه الا العلماء . وأما هذه فهي أمثال سهلة يعرفها العلماء والجهال متى ألقى اليهم . فقال فما علم هذا عندك . فقلت ان البراغيث المذكورة يظنّ الناس ايذاءها قاصراً على لدغهم في الفراش ولكن العلم اليوم أثبت بعد البحث والتنقيب أن البراغيث تجلب الطاعون والأمراض العاتية . ولا جرم أن القمل المذكور في الآية لا يراد بها خصوصاً بل المراد هي وأمثالها من مؤذيات الحشرات وأقربها اليها البراغيث التي قرنت بها في كتاب ﴿ كليله ودمنة ﴾ فأمثال القمل كالطوفان سواء بسواء . فكما أن الطوفان يهلك آلافاً دفعة واحدة هكذا البراغيث تفعل ذلك . وكما أن ماء النيل وأمثاله معرض في كل وقت اذا أهمل أن يكون اهلاً كما علمنا وأن يكون طوفاناً هكذا نحو البراغيث تفعل ذلك اذا تركت وشأنها . قال فاذ كر لي برهان ذلك من العلم . قلت اعلم أن الله عز وجل قد أمّد هذا التفسير بالعلم وأيدني فيه تأييداً لم يكن ليخطر لي . ومن عجب اني لا أنكلف ما أكتبه بل تساق الى الجحائب من حيث لا أحسب . فانظر كيف أصدرت مصلحة الصحة المصرية نشرة في هذه الأيام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء كتابة هذا المقال وفيها أن البراغيث رسل الموت إذ تنقل

الأمراض المهلكة من الفيران الى الانسان تبيانا لما قلناه وهذا نصها

### ﴿ خطر الفيران ﴾

( تاريخ حياتها )

تعيش الفأرة سنتين تقريبا وتبلغ سنّ الحمل قبل أن تصل الى الشهر الثالث من عمرها ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلحق بعد بضع ساعات من الولادة والفأريولد عاريا من الشعر وأعمى وأذانه مغلقة ويستمر كذلك مدة أسبوعين ويكبر حجمه في الاسبوع الرابع من عمره . وتحمل الفأرة من ثلاث الى خمس مرات في السنة وفي كل مرة تلد من ٦ الى ٩ فيران وقد يصل عدد ما تلده في المرة الواحدة الى ٢٣ فأرا ويتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعندما تضعه في كل مرة

### ﴿ طبائع الفيران ﴾

الفار لا يخرج من بجره إلا بالليل ويقضى معظم يومه نائما داخله . والفيران تخزن ما كولاتها داخل جحورها حتى اذا وجدت صعوبة في الحصول على قوتها في وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت . وهي تحفر جحورها قريبا من الجهات التي تحصل منها على طعامها ولكنها في بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتبقى في رحلاتها طريقا خاصا لا تحيد عنه عادة . ومن طبائعها التنقل في فصول السنة المختلفة فقد تهجر المنازل في الربيع الى الفيضان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده في المنازل في ذلك الوقت ثم تعود الى المنازل في الخريف لتقضى فيها مدة الشتاء . وهي كثيرة الدهاء وشديدة الاحتراس من وقوعها في المصائد وتصبح أحيانا مفترسة سببا اذا قلّ مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها وقد تهجم في بعض الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا اذا كان نائما وتنهش الجثث في مقابرها وتهجم على بعض الحيوانات فتتهش لجها . وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتعض أرجلها ومع الخنازير فتأكل من آذانها وأذناها . وهي تقتل صغار الأرانب في جحورها وتستولي على بيض وصغار الطيور لتأكلها ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت الدجاجة بدون أن تشعر بها

### ﴿ الخسائر التي تسببها الفيران ﴾

ان الأضرار المادية التي تسببها الفيران لا تحصى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأر الواحد في اليوم يقترب ربع ملم فقط وأن عدد الفيران الموجودة بالقطر المصري (١٤) مليونا أى بنسبة فأر لكل شخص (وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع) بلغ مقدار ماضيع سنويا في غذاء الفيران فقط مليون ونصف مليون جنيه تقريبا . هذا فضلا عما تسببه من الخسائر والأخطار بحفر جحورها في جدران المنازل وبين السقوف فقد تداعت مبان كثيرة الى السقوط لهذا السبب وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث خطيرة . ومن أضرارها انها تحمل عيدان الكبريت الى جحورها وتقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة

### ﴿ الفيران والأمراض ﴾

فضلا عما تسببه الفيران من الخسائر والأضرار والحوادث الخطيرة تحمل جراثيم عدة أمراض فتاكة تنتقل الى الانسان بواسطتها . وأهم تلك الأمراض الطاعون وهو الأصل يسبب الفيران ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منها الى الانسان بواسطة لدغ البرغوث . وداء الاسبيرونيما المصحوب بيرقان ونزيف والتولاريميا والمرض بالسودة الخيطية وعدة ديدان معوية أخرى والحى المتسببة من عضة الفأر

### ﴿ طرق إبادةها ﴾

(١) يجب احراق القمامة (الزباله) والفضلات المنزلية يوميا أو وضعها في وعاء له غطاء محكم

(٢) يجب بناء المحلات التي تخزن فيها المأكولات والتي تغشاها الفيران عادة من مادة تمنع دخولها اليها كالأسمنت

(٣) يجب سدّ الجحور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الحجارة والأسمنت حتى لا تقوى الفيران على قعبها

(٤) يجب سدّ نوافذ البديرات السفلى والفتحات الصغيرة التي تدخل منها الفيران بقطع السلك أو الزنك

(٥) استعمل مصائد الفيران في المحال التي تغشاها هذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعد كل

مرة وتغيير الطعم يوميا

(٦) استعمل طرق التسميم للفيران وأحسنها خلط ملح كربونات الباريوم بقطع من الخبز أو الدقيق أو

السردين أو البيض أو البطيخ أو الطماطم . ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم الى الحيوانات

والطيور أو الأطفال

(٧) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيد الفيران وأهمها الكلاب والقطط فانها تقتل عددا كبيرا منها

(٨) انشرقطعا من الفتائل أو مسحوق الكبريت في الأماكن التي تغشاها هذه الحيوانات فان الفيران

تكره رائحة هذه المواد ولا تقترب من الأماكن الموجودة بها انتهى

فانظر الى مرض اليرقان والذئب ومرض الدودة الحيطية والديدان المعوية والطاعون فهذه كلها أمراض

مهلكة تنقلها البراغيث الى الانسان . فالبراغيث من الحشرات ذوات الأرجل الستة كالجراد والقمل والفيران

من ذوات الفقرات والدم والعظام . فانظر كيف اتحدت كلها على اهلاك الانسان

ألا ترى أن هذا لا يعقله غير العلماء به . كلا . وهل تظن أن الناس وهم على حالم بدون قراءة العلوم

يعرفون خطر الفيران وخطر البراغيث . كلا . إذن هذا هو الزمان الذي تظهر فيه حقائق القرآن ويعلم الناس

لماذا ذكر الله الجراد والقمل والطوفان والعنكبوت والذباب ثم لماذا يقول ان هذه الأمثال لا يعقلها إلا العلماء

إن هذه الأسرار هذا زمان ظهورها . والفضل كل الفضل لظهور هذه الأسرار في زماننا انتشار العلوم في

الأمم حولنا . فهذا هو الزمان الذي يظهر فيه معنى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون -

فهذه من مبادئ العلوم التي سيعرفها المسلمون بعدنا وهم الذين يدرسون هذه الدنيا ويعرفون أن هذه

المخلوقات آيات مفصلات . فاذا درسوا حشرة كالذبابة أو النحلة أو الجراد أو أمثالها تبينوا ﴿أمرين﴾ الأول

أنهم يتقون الخطر الناشئ من الحشرة بسبب دراستها كما يتقون عذاب الله بالإيمان فلا يفرقون بالطوفان في

الآية ولا تسلط عليهم الحشرات ﴿الثاني﴾ انهم بسبب هذه الدراسة قد وقفوا على الحقائق وأدركوا عجائب

الحكمة فعرفوا ربهم وبهذه المعرفة غرسوا لهم روضات في جنات العلم والحكمة وعاشوا في سعادة علمية

لا يحظى بها سواهم - فلانعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون -

وهاك مثالا آخر وهو

### ❦ مرض الدنج ❦

( أعراضه . جراثيم المرض . أسباب انتشاره . وصف السيتوجوميا . أدوار حياتها . مقاومة الدنج )

( بقلم الدكتور سامي بك كمال )

لم نعتز على وصف لهذا المرض قبل (الشيخ الجبرتي) الذي ذكره في تاريخه المشهور وصفا دقيقا حيث قال

بالحرف الواحد ما يأتي

﴿ في منتصف شهر رجب سنة ١١٩٣ هجرية الموافق سنة ١٧٧٩ ميلادية ظهر بمصر وضواحيها مرض

سموه (بأبي الركب) وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال وهو عبارة عن حمى ومقدار شدته ثلاثة أيام وقديريد

على ذلك وينتسب بحسب اختلاف الأمزجة ويحدث وجعا في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ويبقى أثره أكثر من شهر ويأتي الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الإنسان دماغه وركبه ويذهب بالعرق والحمام وهو من الحوادث الغريبة ﴿ انتهى ﴾

وكلمة الدنج هذه لا يعرف أصلها وكل ما قيل فيها تخمين . ويغلب على الظن أن وطنه الأصلي (عدن) وماجاورها . وربما سموه الدنج تحريفا واشتقاقا من عدن . ثم انتشر هذا الوباء الى جميع العالم في المناطق الحارة والدافئة ولم تخل قارة منه . لذا سمي باسماء كثيرة وجعلوا له في كل بلد اسما . أما في مصر فسموه (بأبي الركب) ومن بعدها (بحمي البلح) حيث يتفشى في أوانه واستوطن بمالك مختلفة ويمكن اعتبار مصر موطنه . ومن خواص هذا الوباء سرعة انتشاره وتعطيله في أسابيع قليلة لحركة الناس وأعمال الشركات والجماعات والحكومات ويأتي زمن لا يخالونه بيت فيه مريض أو ناقة من مرض

### ﴿ أعراضه ﴾

آلام بالرأس والمفاصل وارتعاش الجسم ثم حى مرتفعة مصحوبة بطفح أو باحمرار في الوجه ومن خواص تلك الحمى انها لا تسير على وتيرة واحدة ولذا يمكن اعتبارها متقطعة ومدتها أسبوع يظهر على الجسم في خامس أو سادس يوم منه طفح ثان عبارة عن نقطة رقيقة حمراء على الأيدي والذراعين والساقين وقد ينتشر على كل الجسم وقد يصحبه قميل وحكة . وقد تختلف هذه الأعراض من مريض الى آخر اختلافا جوهريا فلا يرى الطفح مثلا وقد لا تظهر الحمى مطلقا أو تكون مدتها بسيطة أولا تبدأ بارتعاش الجسم وتفقد شهية الطعام وتنضخم العقد اللمفاوية أو يعترى المريض أرق أو نزيف وقد تتورم المفاصل . انما الذي لا يختلف في جميع الحالات هو شدة الآلام في المفاصل والعضلات . يعقب كل هذا انحطاط في القوى في الاسبوع الثاني للرض وفقد شهية الطعام يدخل بعدها المريض في دور النقاهة الصحيحة

### ﴿ جرثومة المرض ﴾

لم يعثر لآن على جرثومة هذا الوباء وهي موجودة بالفعل حيث أخذ دم المريض وحقن به الصحيح فأحدث المرض (تجارب كريج) وهذه الجرثومة دقيقة جدا للدرجة انها تمر بالمرشحات الدقيقة التي تحجز غالب الميكروبات حتى الدقيق منها . وقد اتضح ذلك بإمكان احداث المرض بعد ترشيح دم المريض وحقنه الى السليم بواسطة (الدكتور كريج)

### ﴿ أسباب انتشاره ﴾

برهن بعض العلماء على أن البعوض هو ناقل المرض وقد أظهر ذلك بوضوح الدكتور (كلياند) الذي لقي أنواعا مختلفة من البعوض بتغذيتها من دم المرضى ثم اطعمها من أحماء فنجحت العملية ونقل مرض الدنج بواسطة النوع المسمى (ستيجوميا فاسياتا) وهو كثير الانتشار في مصر . والبعوض الملقح يحدث الدنج بعد خمسة الى تسعة أيام من اطعمه دم المريض به . وتظهر على المصاب علامات الدنج في مدة تتراوح بين خمسة وثمانية عشر يوما ووجد أيضا أن دم المصاب يجري فيه جراثيم الدنج مدة أسبوعين كاملين من ابتداء المرض يمكن البعوض أثناءها أن ينقل مرض الدنج الى الأحماء

### ﴿ وصف الستيجوميا وحياتها ﴾

هو بعوض أسود أرجله بيضاء مسكنه البيوت ويعيش من دم الانسان وفي حالة سكونه يوجد في مواضع الظلام خلف ستار أو باب أو تحت الاسرة . يمضي حياته بقرب من المياه وفي درجة حرارة تزيد على (٢٣) ستيجراد ولا تقل عن ١٧° وله طيران قوى بدون أزيز ويقع بغثة على فريسته ويحدث ألما أشد من الألم الذي يحدث من البعوض العادي . لا يطارده الريح . يعيش على الفاكهة وقد ينقل بواسطتها الى مسافات

بسيطة فينتقل معه المرض . يتغذى هذا البعوض من دم الانسان في الصباح وقت شروق الشمس وفي النهار داخل المنازل أو خارجها اذا احتجبت أشعة الشمس وليل في النور . والستيجوميا تتعاطى طعامها كل ثلاثة أيام تقريبا من دم الانسان والا فن دم الحيوان

### ﴿ أدوار حياتها ﴾

لانبض الستيجوميا بعد تلقيحها إلا اذا تغذت بالدم وتضع بويضاتها في أى آنية أو حوض فوق سطح الماء بقليل فاذا علا الماء فقس البيض . ويوجد البيض في الآبار والبراميل وفي أى شئ ملقى كعلبة صفيح أو غلاف فاكهة وفي دور المياه والمراحيض وفي بقايا الزجاج أو في أواني الأزهار وتجويقات الأشجار وبجوار الأنهار وفي تجويقات الأرض بعد الأمطار . وعدد البيض يتراوح من ٧٠ الى ١٥٠ بيضة لكل بعوضة ويمكنه أن يعيش ثمانية أشهر كاملة أو يزيد وقد يقاوم البيض مدة الشتاء فيفقس في الربيع وربما كان الفقس حاملا جراثيم المرض فينقلها بدوره الى الانسان . أما مدة حياة العلق (فقس البعوض) الى أن يصير بعوضا كاملا فتتراوح بين ١١ الى ١٨ يوما في درجة ٢٦ سنتيجراد وهذا العلق يعيش في الماء ولا يموت اذا نزل الى قاعه . أما حياة البعوضة فتزيد على خمسة أشهر وربما كانت حاملة جرثومة المرض أثناءها

### ﴿ مقاومة الدنج ﴾

ذكرنا حياة البعوض بالتفصيل لتقدير مقاومتها فالاحتياطات التي تتخذ لمنع انتشار الدنج هي منع انتشار ذلك البعوض . وحيث ان هذا المرض صار مهتدا لمصر في كل عام فيجب على مصلحة الصحة اصدار تعليمات خاصة بحياة وعادات ذلك البعوض بعد درس عميق ثم استصدار قانون يجب اتباعه في جميع المنازل لإبادةه تماما وتقرير غرامات لمن يخالف تلك القوانين ويوجد البعوض في منزله بعد التفتيش الدقيق . انتهى

وقد نشرت مصلحة الصحة العمومية المصرية بلاغا عن حى الدنج وهاهوذا

### ﴿ بلاغ عن حى الدنج المعروفة للجمهور بأبى الركب ﴾

ليكن في علم الجمهور أن البلاد مهتدة بمرض الدنج وأن معاونة الأهالى لمصلحة الصحة هي من أفعال الوسائل في مقاومة هذا المرض . فعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يسترشد بالتعليمات الآتية في أداء واجبه نحو نفسه ومواطنيه

﴿ مرض الدنج ﴾ إن مرض الدنج هو من الأمراض المعدية وهو ينتشر بسرعة فائقة وربما كان أسرع الأمراض المعدية كلها انتشارا

﴿ الأعراض ﴾ وأعراض هذا المرض تظهر فجأة وهي وجع في الرأس وقشعريرة وآلام حادة في المفاصل والعضلات والظاهر مع ارتفاع في الحرارة ووسخ في اللسان وفقد الشهية للطعام واحتقان في العينين وآلام شديدة في حثبيهما وفي بعض الأحيان يحصل نزيف من الأنف أو من فتحات الجسم الأخرى . وتستمر هذه الأعراض مدة تتراوح بين يومين وأربعة أيام ثم تنخفض الحرارة وابتدى المريض في التحسن مدة يومين أو ثلاثة . وبعد ذلك تعثره نكسة فتعود اليه أعراض المرض ثانيا وتستمر يومين أو ثلاثة ويظهر على الجسم في بعض الحالات طفح يشبه طفح الحصبة . ومتوسط مدة الإصابة بهذا المرض هو نحو أسبوع وبعد زوال أعراضه يظل المريض مدة طويلة ضعيف البنية منهوك القوى الجسمية

﴿ طريقة نقل العدوى ﴾ ينقل عدوى المرض نوع خاص من البعوض المنتشر بكثرة في أنحاء القطر المصرى

﴿ طرق الوقاية ﴾ لما كان نقل عدوى المرض لا يحصل إلا بواسطة البعوض فانه من الواجب توجيه

جميع الجهود لمقاومته وإزالة أماكن توالده . وهو يتوالد في الماء الراكد كماء البرك والمستنقعات وخزانات المراحيض ونحوها ولكي تقى نفسك شر هذا المرض يجب عليك اتباع الارشادات الآتية

(أ) أبذل كل الجهد في عدم تمكين الناموس من الدخول في منزلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك دقيق أو بشاش رفيع

(ب) وجه كل عنايتك لإعدام جميع الناموس الذي يدخل منزلك

(ج) غط سربرك بناموسية كلما أمكنك ذلك وضع أطراف الناموسية تحت الفراش بإحكام

(د) لا تترك مياها راكدة في البراميل أو الأزيار أو الأواني الأخرى دون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع

﴿العلاج﴾ اذا أصبت بالأعراض السابق وصفها فلصالحك أن تستشير أحد الأطباء . ويجب أن يعزل المريض في غرفة خاصة متوفرة فيها شروط التهوية والضوء مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع وصول الناموس اليه وذلك بتغطية النوافذ بسلك دقيق أو شاش رفيع كما سبق القول . وبقاء المريض على الدوام داخل ناموسية حتى تتيسر وقاية الأشخاص الذين يقيمون معه في منزل واحد من تسرب عدوى المرض اليهم وانما نقلت لك كلام الأطباء ونصائح الحكومة للوقوف على ابداع الله وحكمته . أفلا تجب من حيوانات لانراها تدخل في أجسامنا لاعدد لها ولا تراها العيون والذي ينقلها هو البعوض (الناموس) فهذا الناموس الخاص هو الذي ينقل تلك الحيوانات من جسم الى جسم . ولا منجى من خطر الحامل ومحموله إلا بالدراسة وبارتقاء الطب ولا ارتقاء للطب إلا بدراسة كل علم ومنه علم الحشرات الذي لا ارتقاء له إلا بالآلات دقيقة والآلات الدقيقة لا بد لها من صناع يصنعونها وهكذا . فالعلوم والصناعات دائرة واحدة والأمة التي يجب عليها الدراسة والصناعة أمة واحدة والناس أشبه بجسم واحد على الأرض - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - ﴾

قد علمت في تفسير الآيات أن الله ذم الكفار لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة لم يخلقوا شيأ بل هم مخلوقون ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا يجلبون نفعا ولا يحيون ولا يميتون ولا يعيدون الأموات للبعث فهذه سبع صفات جردتهم من كل كمال يليق بالالوهية . فالإله يكون خالقا لا مخلوقا ولا يضره أحد ويحي ويميت واذا أمات أحدا أعاده هذا هو الإله وهذه الأصنام لا قوة لها على ذلك والذي بهم في هذا المقام قوله - ولا نشورا - ومثل هذا القول يمر على أكثر الناس وهم نائمون كأنهم لا يعلمون . يذم الله الكافرين لأنهم عبدوا أصناما اتصفت بصفات لا تليق بالالوهية ومنها أنهم لا يحيون ما مات من المخلوقات . ولعمري إن هذه هي بيت القصيد انظر وتجب كيف يذكر ذلك في هذه الآيات . ذكر الله ذلك ليفتح لنا باب الفسك في الألوهية . لا يثبت إله في العالم يخلقه مالم يكن حكما والحكيم لا يفعل العبث . ومن العبث العظيم أن يخلق خلقا ثم يعدمه بلا فائدة فهذه فسوة ولا حكمة فيه . وأي حكمة في عمل لا قيمة له . يخلق مخلوقات ثم يهلكها ويتركها ولا فائدة منها إلا انها تعذب وتهان لغير ذنب جنته ولا ظلم اقترفته فان لم يكن لهذا العالم وجود بعد العدم وكان العدم هو النهاية فلا إله للعالم وانما هو تركيب وتحليل لا غير يأتي بالمصادفات . فالالوهية تستلزم البعث فيبين الالوهية وبين البعث تلازم اذا ثبت الإله ثبت البعث لأنه يكون حكما واذا لم يثبت فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب ولاجنة ولا نار ولا حكمة في وجود العالم ولذلك تبحر القرآن يقرن فيه الله باليوم الآخر فتسمع فيه - الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر - في آيات متعددة وسور كثيرة من القرآن . فانظر إذ في عدد (١٩) الذي مر ذكره في اللطيفة السابقة إذ جعله قداماء المصريين رمزا للبعث . فانظر كيف جعلوا مبدأ العالم والعهلة الأولى مرموزا له بالواحد وجعلوا بقية الأعداد ما بين ارتقاء للعالم وموت وفناء ثم رجوع وهذا الرمز بعينه هو ملخص هذه الآيات من

قوله - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - قالذى له ملك السموات والأرض الخ

كل هذا قد اتضح فى هذه المقالات و - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - فانظرأيها الذكى كيف جاء عند قدماء المصريين نفس ماجاء فى الفلسفة القديمة والحديثة والديانات جميعها أن الموت يتبعه البعث والقدماء والمحدثون على هذا متصدون . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة - وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق - الخ ﴾

اعلم أن النوع الانسانى درج على هذه الطريقة وسار على هذا الناموس فلايعظم إلا من كثر ماله وحشمه وخدمه ولايعلم من أمر هذه الحياة أعظم خطرا إلا ما كان نادر الوقوع مخالفا للعادة وذلك لقلة فطنة هذا الانسان الساكن هذه الكرة . تراه لغفلة وعدم فطنته لا يأبه بالامور المعتادة ولايعقل إلا ما هو غارق للعادة إذ أتاح الله لهم أنبياء فأتوا لهم بالغرائب والمجائب . ولما دار الزمان دورته وأراد الله أن يخلق أمة حديثة العهد عظيمة النفع عالية القبر مفكرة أرسل محمدا ﷺ فطلب القوم منه أن لا يكون كاللعمودين من الناس فلا يأكل الطعام ولايمشى فى الأسواق أو يأتى لهم ملك من السماء فيقول للناس هذا نبي الله وينذر الناس معه أو يعثر على كنز حتى يكون غنيا غنى غير معتاد حتى يقول الناس إن الله حبه له وتعظيمه وتقريبه منه أمده بهذا الكنز فلايحوجه الى معالجة التجارة ولا يضطره الى مزاوله الأعمال مع الناس وهذا من تلك الشائنة المعروفة فى الانسان إذ رأى أن نعم الله على عباده تكون على مقتضى المال والولد والغضب من الله على مقتضى قلة المال والولد والنعم . ومن أتى للناس بحال معروفة لهم ولم يكن معه أمر نادر حقروه وقالوا أنت مثنا . وذلك لأنهم يتركون مواهبهم وآراءهم وهذا الأمر اليوم هو السارى فى نوع الانسان . فالناس على وجه هذه الكرة كلهم على هذه الحال لا يستمعون القول إلا بمن يروونه بحال تدهشهم فان كانوا من العامة صدقوا المجاذيب وأمثالهم وان كانوا من الخاصة لا ينقادون الا لرجل أوروبى معه السلاح والحرب والظفر على الأعداء . ولذلك قرّر ابن خلدون ان الناس تابعون لدين ملوكهم وهم أبدا مولعون بالغالب لأن الغالب بهر عقولهم بالجيوش الجاراة . فلذلك ترى المصريين أهل بلادى أى المتعلمين منهم لا يبالون بالعبادات ولا الامور الدينية إلا قليلا منهم لأنهم ينظرون الى الدين والمتدين نظر كفار قريش الى رسول الله ﷺ فيقول الرجل منهم لو كان هذا الدين حقا لم يدخل الفرنج بلادنا وهم لا يعتقدون هذا الدين . فتراهم بهذا البرهان العامى الجاهلى السفسطائى يلبون وجوههم عن الدين ويفترون منه فرارهم من الأسد ويصبح فى نظرهم كما كان صاحب الشرع ﷺ فى نظر كفار قريش . فهم يقولون أليس الشيوخ الذين يقرؤون هذا الدين بين ظهرائنا . ألسنا نحن القائمين بأمر هذه البلاد . فما شأن هؤلاء وما شأن دينهم بمثل هذه القضايا الكاذبة . يترك المتعلم أعمال دينه جهلا وغبوة لأن أهل دينه لا سلاح بأيديهم ولا قوة عندهم فكأن الدين لما كان أهله أقوياء كان حقا فلما ضعفوا صار باطلا . وهذه هى القضايا التى ضل بها نوع الانسان وعلى ذلك يسمى ﴿ السيف فى يد الجبان عصا فى يد الشجاع سيفا ﴾ وهذا القول لا يعقل ولكنه يعقله الجهلاء الذين لا يعقلون . ولقد أجاب الله على ذلك هنا بإجابة عامة فقال - انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - فوصفهم بأنهم ضالون وهذا وصف عام يشمل الخلل فى القضية التى احتجوا بها كما قتمناه وانما لم يذكر خلل هذه الحجّة لأن الضلال كما يشملها يشمل غيرها كما سيأتى فى هذه السورة إذ يقول الله للأصنام - أأنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل ﴾ قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكروا كانوا قوما بورا -

فانظر كيف قال الله للعبودين - أأنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل - فتبرأ المعبودون وأسندوا

الضلال لما تمتعوا بهم وآباؤهم من قبلهم - حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - هلكي . فانظروا كيف جعل المعبودون الضلال ناشئا من التمتع الحاصل لهم ولآبائهم من قبلهم حتى أنساهم ذكر الله وهذا التمتع هو الذي ذمّه الله في قوله - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - فالتمتع يورث الفسوق والهلاك في هذه الآية ويورث الهلاك في آياتنا التي نحن بصدددها مع الضلال ونسيان الذكر فيكون الأمر هكذا نسيان ذكر فضلال وهلاك وفسوق وهلاك وهذا هو قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمن \* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن \* كلا - الخ - وقوله تعالى - أنهبت طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون -

فانظروا وتجب من آي القرآن ومجائبها وارجع الى مانحن بصددده من الآيات فان قوله تعالى - فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - لم يعين فيه الضلال بفساد الحجة الذي يظهر عند النقد بل ترك الأمر لفطنة القارئ ثم أعاد ذكر الضلال لما سأل الأصنام فقالوا له نحن ما أضللناهم بل هم ضلوا وذلك الضلال لتمتعهم بالخيرات وغفلتهم والغفلة متى استحكمت بكثرة اللذات والشهوات أوقعت الناس في المهالك . فاتباع الناس لأهوائهم وجهالاتهم ناشئ من الترف والتنعم . فترجع الى الأنبياء فلو أنهم كانوا مترفين منعمين لكانوا ضالين وحينئذ يقال انه لو أنزل على الأنبياء كنز أو استغنوا عن الأسواق وكانوا أغني من كثير من البشر لم يكن ذلك دليلا على رفعة قدرهم بل هذه الامور تورث الغفلة فهي ان لم تدنسهم بالغفلة فليست برافعة لهم شأنًا وليس أكثر الأنبياء بأصحاب ملك كداود وسليمان بل أكثرهم كانوا يزاولون الحرف والصنائع ويرعون الغنم تنشيطا لهم وتقوية لأبدانهم وتدريباً لهم على الأعمال الملقوة للبدن المنشطة للفكر المبعدة عن الكسل المترتبة على المشاق حتى اذا سادوا الناس ألزموهم العمل وساسوهم سياسة تحفظ جامعهم . انظروا وتجب من بدائع القرآن كيف يقول الله تعالى بعد ذلك بآية واحدة - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - ثم قال - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا -

فانظر كيف أتى الله أولا بالاجابة على قولهم بأنهم ضالون ثم أتبعه بفصول انتهت بالجواب الثاني وتلك الفصول ان الله قادر أن يعطيه جنات وقصورا وانهم كذبوا بالساعة وأن لهم السعير وأن جهنم تنغيظ وأن لها زفيرا وانهم اذا ألقوا في مكان ضيق منها دعوا بالهلاك وانهم من اللاتي لهم أن يدعوا هلاكا كثيرا ثم وازن بين الجنة والنار وأن الجنة للتيقن ولهم فيها ما يشاؤون ثم يحشر المعبودين والعابدين ويسألهم ما سبب ضلال العابدين ؟ فهذه أحد عشر فصلا ختمت بفصل هو الاجابة الثانية لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - وكان ينبغي أن ينزل اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فقال لهم هنا إن التمتع باللذات ينسى الذكر ويورث الهلاك فليس في ذلك مجزة ولذلك قال بعد آية كما تقدم - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - وأما قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - الخ فهو في

### ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

وذلك أن قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - أجاب عنه بقوله تعالى - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - الخ فانظر كيف كانت الاجابة على المشي في الأسواق وأكل الطعام وانزال الكنز وأن يكون له بستان بأنهم ضالون وبأن التنعم ينسى الرب فليس من شأن الأنبياء . وكيف كانت الاجابة على انزال الملك بقوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الخ وقوله تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - معناه انهم ليسوا أهلا لمقابلة الملك ولا لمقابلة الله وهل يقدر الناس وهم في أجسامهم وفي شهواتهم وفي أضوائهم أن يلاقوا الملائكة فضلا عن الله تعالى ، إن الملائكة

منزّهون عن المادّة والناس في الأجسام فكيف يقدرون أن يقابلوهم والمقابلة بين العالمين اللطيف والكثيف متعفّرة مالم يصبح الكثيف لطيفا فإذا لطف أمكنت المقابلة وذلك لا يكون إلا حيث يصبح الناس مسلوخين من البشرية عارّين عن أحوال الجسمية . ويقول علماء الأرواح في كتبهم ﴿ إن الأرواح العلوّية لا يتسنى لها أن تكلم إلا نفوسا تنزّهت عن المادّة وتعالّت عن أحوال هذه الأرض وصارت علوية النزعة ميالة للأمور العالية الشريفة . شفقتها عامّة ورحمتها عامّة وشهواتها ممنوعة ولذاتها مفقودة لامطّمع لها ولا مطمح إلا في الأمور القدسية والمعارف الإلهية ومقابلة ربّ البرية ﴾ فهذه هي التي تشاق إليها الأرواح العالية وتنزل عليها في المنام تارة وفي اليقظة أخرى وترى علماء الأرواح يحتالون على محادثة الأرواح بطرق منها المائدة بحيث يجلس جماعة واضعين أيديهم عليها فتطرق طرقات على حسب المصطلح عليه بين الروح الحاضرة وبين الحاضرين من الانس . ومنها أن تكتب الحروف الهجائية في ورقة وتوضع كأنها إطار أودائرة محيطة بالمائدة أي فوق دائرتها ويضعون أيديهم على فنجال وذلك الفنجال يمرّ على هذه الحروف متحرّكا بالسيال الذي ينزل من الأيدي وأصحابها لا يعلمون من الروح الحاضر ويمتزج السيال الحيواني الآتي من الأحياء بالسيال الآتي من الروح وبهذا الامتزاج يدور الفنجان ويمرّ على الحروف وباجتماعها تكون كلمات ذات معنى كما رأيته بعيني رأسي . ومنها أن يضع الانسان قلما في يده ويستمرّ ربع ساعة كل يوم حتى تحضر روح وتكون سببا في انتقال يده بالكتابة فيكتب جملا مفيدة وهكذا من الطرق التي تقدم بعضها أو أكثرها في الذي مضى من هذا التفسير وهي كلها مذكورة في الكتاب الذي ألفته في هذا العلم المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وآخر الطرق طريقة التنويم المغناطيسي بحيث ينوم (بفتح الواو) انسان وتأتي روح فتكلم بلسانه وهذه كلها تقدّمت في (سورة الاسراء)

هذه هي نموذج الطرق التي يكلم بها الناس عالم الأرواح وهذا علم منتشر في الأرض ولكن كلام الناس معهم ظهر أنه يدخل فيه الصدق والكذب والحق والباطل والصحيح والفساد فتبين حقانه لافائدة إلا في علو الأخلاق وكلما علت الأخلاق اقترب الناس من الملائكة والملائكة - إذن يقتربون من الناس بالالهام مثلا . أما أكثر هذه الأرواح التي يخاطبها الناس خطايا صناعها فأنما هي أرواح سفلية قريبة عقولها من عقول البشر فيكذبون كما يكذب البشر ويضحكون كما يضحكون وهكذا . فأما الأرواح العالية فإنها ملثمة الفكر لا تحب إلا ما كان عاليا شريفا ولا تخاطب إلا نفوسا بعيدة عن الشهوات قدسية النزعة . ولا سبيل لهذه الصفة إلا بمحاسن الأخلاق والآداب والمقاصد النبيلة وحب العلم وحب الإنسانية . فالنفوس المتصفة بهذه الصفات هي التي تستأهل للتكلم مع الملائكة ومن سواهم منهم ليسوا أهلا لهؤلاء وهذا هو معنى قوله تعالى هنا - لقد استلبوا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - فلقاء الملائكة لهم لاهلاكهم لا لارشادهم ﴿ اللطيفة السادسة في قوله تعالى - أأنتم أضلّتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل - ﴾

قد تقدّم شرحها في اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - الخ ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلقنا في الأرض ليرينا . ولقد جعل التربة ﴿ بأمرين ﴾ نعمة وفتنة فلا نرى نعمة إلا كان معها فتنة وقد جعل الضدين يتسابقان خيرنا سواء أعلمنا أم لم نعلم وفهمنا أم لم نفهم . فانظر كيف جعل الضدين في كل شيء الليل والنهار والصيف والشتاء والشباب والشيب والموت والحياة والإيمان والكفر وترى الزرع يصلحه الانسان والماء والشمس ويفسده الآفات العارضة . وترى الانسان يعثره المرض والصحة والفقر والغنى والعلم والجهل . وهكذا نرى له العدو والصديق ويظنّ أكثر الناس أن العداوة ضرر محض وما علموا أن الآفات والموارض مقويات لمن ترد عليه جسما أو عقلا وروحا . فكم من مريض كان المرض

سبب توبته أو سبب اتقائه الماء كل الضارة فعاش سعيدا قرير العين . وكم من فقير صار الفقير من أهم أسباب ثروته وغناه أو تهذيبه أو تقوية عضلاته أو تقوية ملكاته الفكرية أو ما أشبه ذلك . وترى الأرض تنبت حشائش مهلكة للزرع تكتفى بالهواء والماء والأرض وتكون وبالا على القمح والقطن والذرة فيسحق الناس في ازالتها بتعب وشقاء وذلك دلالة على أن كل ما فيه نفعا لا يتم كماله إلا بعد الشقاء والتعب في المحافظة عليه والدأب في حفظه وإبقائه سالما . ومن عجب أن المزارع التي نحتاج إليها ضعيفة يعوزها قيامنا عليها وحفظها وتسميدها وسقيها . فأما التي هي ضارة فانها لا يعوزها شيء من ذلك بل هي قوية متينة . هكذا نرى أجسامنا فيها حيوانات صغيرة في الكرات الدموية الجراء والكرات البيضاء . وهذه الحيوانات التي تعد بالآلاف الألوف حافظة لأجسامنا معدة لمقاتلة كل حيوان داخل لأجسامنا من حيوان الوباء والجدرى والحصباء والتيفوس والتيفود وأنواع الحى الكثيرة . فاذا دخلت تلك الحيوانات الضارة المهدنة لهذه الأمراض لتسكن أجسامنا وتخربها وتلفها وتهدمها قابلتها تلك الجيوش الجراءة خاربها فحصل في أثناء العراك والصدام واشتداد الوطيس والتقاء الجيوش واحتدام الوغى أن ترتفع الحرارة في الجسم من ذلك الصراع فيقال ان المريض ارتفعت حرارته . فاذا غلبت الجيوش الهاجة المهلكة مات المريض وان غلبت الحيوانات التي في كرات الدم الجراء والكرات البيضاء شفى المريض . ولذلك تجد الأطباء يعمدون الى الأطفال والى بعض الرجال والحيوان فيلقحونهم . ومعنى التلقيح أن يؤتوا بمادة تشتمل على حيوانات صغيرة تعد بالآلاف فيدخلونها بالابر في الأجسام كالمادة التي فيها حيوان الجدرى . فاذا سرت تلك المادة في جسم الطفل أخذت تلك الحيوانات تحارب ما في الجسم من الحيوانات الذرية في الكرات الدموية فترتفع الحرارة ويموت بعض تلك الحيوانات أو أكثرها فتقوم ذريتها حافظة ما كان لأبائها من قوة على النضال وجراءة على القتال وشدة في الحرب حتى اذا جاء مرض الجدرى حقيقة كانت ذرية تلك الحيوانات واقفة له بالمرصاد لأن أجسامها قوية بمحاربة الأعداء وقد ورثت تلك القوة عن الأجداد وأجداد الأجداد

هذا ما يقوله العلماء في الحيوانات الذرية في أجسامنا وفي حيوان المرض الذي يفتك بنا . فانظر كيف أصبح العدو هو النافع المقوى وكيف كانت الراحة هي السبب الأقوى في الضعف والجول وانظر كيف يقول الشاعر الحكيم

عدائى لهم فضل على ومنه \* فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا  
هم يحشوا عن زلتى فاجتنبتها \* وهم نافسونى فاجتنبت المعاليا  
فلست بهيباب لمن لا يهابنى \* ولست أرى للره ما لا يرى ليا  
كلانا غنى عن أخيه حياته \* ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وقد خست هذه الآيات وذكرتها في سابق التفسير . فانظر في الطير في جوار السماء ففيه الصائد والمصيد فالصقر يصطاد الخطاف والخطاف يصطاد العصفور والعصفور يأكل الدود والدود يأكل الانسان والانسان يأكل الأنعام . فالعالم كأنه دائرة يأكل بعضها بعضا والعداوة متواصلة والصداقة كذلك . فانظر كيف خلق الله الضدين وخلق بينهما عداوة وصداقة في كل شيء . فالعداوة كنار محرقة والنار مهيتة لكل شيء فتراها تطبخ اللبنة فتجعلها أجرا هكذا العداوات مكملات لنوع الانسان فهو إن قام جسمه باللبن والغذاء وتربية الوالدين فانه تقوى عضلاته ويقوى بالخصامات والصبر في المشاحنات والمنافسات . فعلى الرحمة انشاؤه وعلى القوة الغضبية النارية بالتنافس والعداوات تقوية ملكاته . هذا هو السر في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - فانظر كيف أمرنا بالصبر فالصبر هو المطلوب من هذه كلها وهذا هو السر في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين - لأن عداوة المجرم للنبي تقوى نفسه وترقى أخلاقه بالاحتمال والصبر

ولذلك سمي بعض الأنبياء أولى العزم . وهذا هو الجواب الثالث عن قولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - الخ فقد أجابهم بأن التمتع بالخيرات يذهب إلى الهلاك كما تقدم وختمها بقوله ان المهتدين فتنه للضالين والضالين فتنه للمهتدين فكلاهما امتحان للآخر . فأنتم أيها الكفار قد فتنتم بمحمد ونبوته وامتصتم لنظره لتصبرون في التفكير والتعقل فتعرفون أن المشي في الأسواق وأكل الطعام لا يدخل بالنبوات وفتن محمد وامتصن ليسبر على شدايدكم وكفركم وايدائكم هذا هو قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنه أتصبرون - فالنبي أمر بالصبر على أذاهم وهم مأمورون بالصبر على التعقل والتفكير وعلى أن يصلهم من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . انتهت اللطيفة السابعة

( اللطيفة الثامنة في قوله تعالى - وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - )  
يقول الله ان الكافرين يعد سبحانه إلى عملهم فلا يقيم له وزنا ويجعله مفترقا لقيمة له . وسبب ذلك أن كل شيء لانفع فيه إلا بالعزيمة ولا عزيمة إلا حيث يكون الصبر وحفظ القوى النفسية ( وبيان ) أن الذي لا عقيدة له في إله لهذا العالم تكون أعماله موزعة على حسب المرامي التي يرمى إليها فيكون عمله تارة رياء وتارة خوفاً وتارة شهوة وتارة لغضب وتارة لأنه جبان وتارة لأنه متبع للعادة وهكذا . فأما إذا جعل الاتجاه لأمر واحد فان جميع أعماله تتجه إلى وجهة واحدة فان نال خيراً صرفه لله أوقوة صرفها في عمل نافع أو خاف التجأ إلى الله وهو يجتهد في عمله وهكذا في كل أطوار حياته وما هذه القوى النفسية الانسانية إلا كضوء الشمس فانه يكون في الجوّ متفرقا مشتتا لا ظهور له في الهواء ولا ضوء له في الأجواء والطبقات العليا فاذا ملامس الأرض اجتمعت ذراته وقويت حرارته وأنعش الانسان والحيوان والماء . ذلك شأن ضوء الشمس . فلولا اجتماع ذراته الضوئية على الكرة الأرضية ما أثمر ولا أزهر زرع ولا درّ ضرع ولا كانت فيه منافع . هكذا نيات الانسان اذا تركت وشأنها وهكذا كل ما يعتريه اذا لم توجه رغائب الانسان ومقاصده فيها إلى وجهة واحدة تطايرت وذهبت كل مذهب ولم يبق لها منفعة ولا خير ولذلك يقول علماء النفس وعلماء الأرواح ( إن الانسان اذا وجه فكره إلى الامور التي يقصدها بهمة فان همة تستبق إلى المقاصد متى كانت على ثقة بمقاصدها ) ولذلك كان أشرف الأنبياء يسمون أولى العزم لأنهم يجتهدون للفرض الذي يقصدونه ويسمون بأنفسهم إلى ما يقصدون . وهكذا يقولون ( إن الانسان متى وضع صورة ما أمام عينه واتجه بقلبه إليه فان تلك الهمة تحرك من صاحب تلك الصورة همة تتجه إلى من قصدها ) وعلى هذه النظرية بنى فن من العلوم السحرية ويقول الله تعالى - يحبهم ويحبونه - ويقول ( من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ) ويقول - فاذكروني أذكركم - فأصبحت القاعدة واحدة في نفسها من اتجه بقلبه للخلق فنيته صادقة فيما اتجه إليه وهكذا من توجه لله كان الله عوناً له . وعليه يكون التوجه لله حافظاً للأعمال من التفرق والتشتت . فأما ترك الآراء والأعمال بلا عنان يسكها فذلك ضياع لها والله هو الولي الحميد

( جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا - )  
كنت على شاطئ النيل الشرقى يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٩ فرأيت شاباً بيده كراسة فيها دروس يقرؤها فسلمت عليه وأخبرني انه من مدرسة ( دار العلوم ) وأخذ يسألني في أمور يشك فيها وأهمها ( مسألتان \* المسألة الأولى ) إن الله خلق العالم وكيف تتصور وجوده وعقولنا لا تعقل كيف كان هذا الوجود ( الثانية ) كيف يعدّ بنا وهو المقدر لجميع ما نفعه . فقلت أما سؤالك الأول ففي الحديث « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » . فقال نعم ولكن أودّ أن أكون حراً معك فلا تقيدني بالحديث لأن عقلي لم يقف عند الحديث وهو يطالبني فأنا أطلب منك ايقاف هذه الحركة الفكرية . فقلت له ما نتائج ضرب في ٥ قال ٢٥ فقلت و ٢٤ ليس حاصل ضرب ٥ في ٥ قال . كلا . بل هو مستحيل . قلت إذن هنا ( أمران ) واجب وهو

٢٥ . ومستحيل وهو ٢٤ وغيره من جميع الأعداد فكلها يستحيل أن تكون حاصل ضرب ٥ في ٥ . قال نعم قلت ما الذى تساويه زوايا المثلث الثلاث . فقال زوايا المثلث الثلاث تساوى قائمتين . قلت أيقين هذا . قال نعم . قلت ما تقول فى الامور الهندسية ؟ أبالذهن تقوم أم تقو به بالخارج . قال بالذهن . قلت هل أنت فاهم ما تقول . فقال أفهمه اجالا . قلت اعلم أن علماء الهندسة يقولون ان الأشكال الهندسية تقوم بجسم معنوى ينطبق على الجسم المشاهد فهمى صور فى النفس تظهر آثارها فى الخارج وهكذا جميع العلوم الرياضية ترجع فى تصوورها الى الذهن ولا تتوقف على الخارج بخلاف العلوم الطبيعية كهذا البات وهذا الحيوان فهذا لا نتصوره إلا فى مادة خاصة . أما المثلث والمربع والكرة فهمى لاحتياج الى مادة خاصة فأى مادة تصوورها أدر كنا بها تلك الأشكال . إذن العلوم الرياضية نحتاج فى تصوورها الى مادة تقوم بها فى الذهن لافى الخارج لأننا نتصور الأشكال ولا يهمننا من أى نوع تكون صورة الشكل بخلاف نبات القطن أو القمح أو هذا المعدن فانا لا نتصوره إلا بمادة خاصة نحضرها فى أذهاننا . أما المسائل الإلهية فهمى لا تتوقف على مادة أصلا لافى الذهن ولا فى الخارج . فقال هذا كلام الفلاسفة وهو عسر الفهم وان كنت أنت أوضحت فانى لم أستفد فائدة فى موضوعى . فقلت هذه مقدمة لموضوعك . ألم تر أنى سألتك فى زوايا المثلث . قال بلى . قلت هذا المثلث أنت تصوّرتة فى ذهنك وانه يجب أن يكون مساويا لقائمتين . قال نعم . قلت هل هذه النظرية موجودة . قال نعم فانها ان لم تكن موجودة كيف تتصورها . ثم قلت أواجبة هى أم جائزة أم مستحيلة . قال بل واجبة . قلت إذن هناك أمور واجبة فى ذاتها فقضايا الحساب والهندسة والجبرهى قضايا صادقة فى ذاتها ولذلك يقولون حقائق الأشياء ثابتة ، فهذه أشياء ثابتة فى أنفسها . فاذا كانت أمثال القضايا العلمية ثابتة فى أنفسها أفلا تكون هذه مقربة لموضوعنا أى اذا تصوّرنا نوعا من الوجود للقضايا العلمية وقلنا ان هذه القضايا ثابتة فى أنفسها ؟ أفليس هذا سهل لنا أن نفهم وجود الله بدون موجد . ثم انى أذكرك ﴿ بأمرين \* الأول ﴾ ان عقولنا بالنسبة لهذا العالم أشبه بالعدم بالنسبة للوجود . ألا ترى رعاك الله أن أرضنا أصبحت اليوم بعد الكشف الحديث ماهى إلا جواهر فرد اذا نسبت الى جميع العوالم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن الارض لو صغرت الى جواهر فرد وصغر العالم كله على نسبتها لوجدنا الكواكب والشموس التى تصوّر وجودها العلماء تساوى (ألف مليون أرض) إذن أرضنا أشبه بالعدم ونحن جزء صغير على هذا العدم ؟ فاذا تصوّر فى عقول قوم أمثالنا ؟ هل يعقل أن هذه العقول تقدر أن تحيط علما بهذا الكون فضلا عن خالقه . إن هذا غير معقول فاذا كانت أرضنا ماهى إلا أشبه بالصغر ونحن (جزئ) صغير جدا على هذا الصغر فكيف يقف عقل هذا المخلوق المعلوم على خالق هذه العوالم كلها . قال حقيقة أنا مقتنع بما تقول وحقا ان العقل يقضى أن هذا الضعيف وهو الانسان لن يقدر أن يعرف حقيقة الله . قلت هذا قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - وقوله ﷻ ﴿ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فان التفكير فى ذات الله إشراك ﴾ وقوله تعالى - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - فاذا كان هولم يشهدنا خلق أنفسنا فهل أشهدنا وجود ذاته . إن هذا مستحيل ومستحيل لعدم الاستعداد وللضعف المستمر فى الانسان هذا هو الأمر الأول ﴿ الأمر الثانى ﴾ إن هذه الدنيا التى نسكنها لم نعرف فيها عدما البتة فأين هذا العدم . إن هذا العالم كله وجود لاعدم فان كل نبات وكل حيوان وكل معدن وكل كوكب اذا انحلت أجزاؤها رجعت فى نبات آخر وحيوان آخر وكوكب آخر وهكذا كما هو معلوم فى العلوم التى نقرؤها اليوم . فالنبات والحيوان ترجع أجزاؤها الى مخلوق آخر منها والشمس والقمر والنجوم كلها اذا انحلت ترجع الى كواكب أخرى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار - . يموت الميت فيكون عليه ولم يكن الميت عند الناس وهو حى إلا بالصورة الجسمية المفكرة فاذا مات جسمه موجود لم يخرج من ملك الله . إذن هو موجود لامعدهوم

وبكاؤهم عليه لأنهم لا يشاهدونه بعد ذلك والبكاء في الحقيقة على روحه التي لم يشاهدوا إلا أفعالها وأقوالها بواسطة هذا الجسم والروح أيضا موجودة فأين العدم إذن . فقال لقد تقلت أنت عن العلماء في هذا التفسير أن المادة تنعدم وانها ترجع الى عالم الأثير . فقلت وعالم الأثير موجود في نفسه وان لم تره حواسنا إذ رؤية حواسنا ليست شرطا في الوجود فليس العدم مالم تشاهده حواسنا ولا الوجود موقوفا على رؤية حواسنا وإذا حكمنا بأن عالم الأثير موجود ونحن لم نشاهده بل عرفناه استنتاجا في زماننا بسبب آثار الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة القائمة به فلم يصعب علينا فهم أن القضايا العلمية والنظريات الرياضية موجودة في أنفسها وكيف يصعب علينا بعد ذلك أن نسلم بأن هناك موجودا قائما بنفسه هو موجود هذه المخلوقات وان كنا نحن ضعفاء في الأرض . فقال حقا انه قد نلج صدرى وانشرح لهذا البيان المحكم في المسألة الأولى . فقلت إذن أجيبك على المسألة الثانية وهي كيف يعد بنا الله وهو يعلم أفعالنا . أولاتذكر انه رحيم ولكن هذا التذكر لا يفي فيه أن تقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم ، لأن القراءة شيء والعلم شيء آخر . القراءة مبذولة للعالم والجاهل وللغبي والذكي والله قبل أن ينزل القرآن خلق هذه الأرض ومن عليها والسموات العلى فلا تغنى القراءة بل لا يغنى معنى اللفظ وحده بل لابد من التفكير ولا تفكر في أمثال هذا إلا بدراسة نفس الأجسام الانسانية التي هي أقرب اليها من السموات والأرض . اذا درسنا أجسامنا أدركنا لماذا كرر الله الرحة في أول كل سورة ولماذا كررت الرحة في ثانيا القرآن ولماذا يقول - كتب ربكم على نفسه الرحة - ففهم الرحة في أجسامنا هو الذي به نعقل معنى بسم الله الرحمن الرحيم . وأقرب شيء لما نقوله الآن نظام العين المركبة من (٧) طبقات ومن ثلاث رطوبات موضوعات كلها وضعا منظما . فترى القرنية محدبة الشكل وترى العدسية محدبة الوجهين وكلتاها مطبوعة على جمع النور . ذلك النور الذي يجري من الكواكب الى الأرض وأقربها اليها الشمس التي يحتاج نورها الى (٨) دقائق و (١٨) ثانية حتى يصل اليها وهناك كواكب اطلعنا عليها بالمنظار المعظم وصات في تباعدها عنا الى أن نور بعضها لن يصل الى أعيننا إلا بعد مضي (١٠٠) ألف سنة بسير النور وهذا الكشف جاء في سنة ١٩٢٨ م قبيل كتابة هذه المقالة . أقول فاذا وجدنا أن طبقات العين وضعت بهذه الدقة والحكمة والوضع البديع الذي به تمكننا من رؤية الشمس التي تبعد عنا بسير قلة المدفع (١٢) سنة و بسير القطار (٣٦٠) سنة و بسير النور (٨) دقائق وتمكننا من رؤية كواكب متباعدة بحيث يصل بعدها الى (١٠٠) مليون سنة بواسطة الآلات المهيئة على الابصار . اذا ثبت هذا فقد دل على رحمة لاحد لها . فأى رحمة وأى رافة من أم وأب وحبيب وصديق توازي هذه الرحمة . هذه رحمة تفوق الوصف . قال أنا الآن موقن بهذه الرحمة ولست أشك فيها بعقلى لا بمجرد السماع ولا بفهم المعنى بل بدراسة جسمي . قلت فالآن أنسلكم معك على الجنة والنار والثواب والعقاب فأقول الله خلق فينا اللذة والألم والمحبوب والمكروه فلمكروه مهمما يسوقنا الى فعل المحبوب . وما مثل الناس مع ربهم إلا كمثل المعادن في أيدي أرباب الصناعة من حداد وصائغ . فهؤلاء يذبيونها في النار لتكون طوع أيديهم فيما يقصدون منها . انظر رعاك الله الى ماسيمر عليك في آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهناك سترى أن الناس من قبل لم يكن عندهم إلا نار الفحم وبنار الفحم تصرفتوا في المعادن الى حد ما . أما الآن فان الكبر بائية قد مكنتهم من أن يصنعوا فرنا يسمى (الفرن الكهربائي) والفرن الكهربائي تصل درجة الحرارة فيه الى (١٤٠٠٠) درجة وقد رأى (فرنهيت) أن درجة الصفر تقف عند الدرجة التي وصل لها مزوج الملح مع الثلج وهي (٣٢) درجة تحت درجة الثلج وهو الذي كشف ذلك . ولكن سترى هناك أن الفرن الكهربائي قد تصرف القوم به في المواد فنزلت درجة حرارتها متى أرادوا عن الدرجة التي وصل اليها (فرنهيت) نحو (٤٤٩) تحت الصفر الذي عينه هو وبهذه

السرجات الواسعة البالغة (١٤٠٠٠) ونحو نصف ألف أصبحت المادة في أيدي الناس أشبه بالشمع يفعلون بها ما يشاؤون حتى أنهم أسكنهم فصل (الاوزوت) وهو (النيتروجين) من الهواء ثم جعلوه متحدا مع (الهيدروجين) فصل لهم نشادر كما اتحد الاكسوجين مع الاودروجين فصارا ماء

هنا بان لنا جلال الله ورجته . هواء نحس به أصبح جزاء يتصرف الناس فيهما بالحرارة . جزء نجعله نشادرا باتحادهم عنصر آخر وهذا النشادر يدخل في السجاد فينمو الزرع وتكون المفرعات والمهلكات الحربية . من أين هذا ؟ من نفس الهواء . إذن الهواء أمكننا أن نفعل فيه ما فعلت البرودة بالماء إذ حوّله الى ثلج . فهكذا هذا الهواء جعلناه جامدا واستعملناه سجادا لزراعتنا واهلا كاللقرى وللدن

هذه هي الحرارة وهذه هي العناصر والمعادن . الحرارة ارتقت والعناصر ذلت وخضعت بسببها وبهذا كانت قدرتنا على ارتقاها أوسع وأعظم . قاله عز وجل خلقنا في الأرض وخلق فينا ﴿ غريزتين ﴾ لذة ولما وجبا وكراهة واستعمل الالم واللذة لسوقنا الى الكمال . فقال إذن كل صائر من الكمال لجميع أهل الأرض صائر من السعادة . فقلت ماذا تريد بهذه الجملة . فقال إذن الله هو الذي يتصرف كما قلت لك ونحن في يده كل معدن في يد الصانع في القرن الكهر بائي وهو بهذه الآلام وازديادها يهذبنا ليعتدنا الى أحوال أخرى وعوالم لا ندريها ، إذن فلماذا يعتد بنا يوم القيامة ، إذن فلنتشكل . قلت له هذه المسألة لم تقب عن أصحاب رسول الله ﷺ فانه قال لهم ﷺ ﴿ جفت القلم بما هو كائن أو كان ﴾ قالوا له يا رسول الله إذن نتشكل فقل ﴿ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴾ وأيضا ما دخل الكلام على القضاء والقدر في أمة إلا كان سببا في هدمها وسرورها ، وقد قال ﷺ ﴿ اذا ذكر القدر فأمسكوا ﴾ الخ فكان يتحاشى ما تقوله أنت الآن . فقال ولكن أنا بدأت حديثي معك بأن أكون حرا والحديث معك مع طوله أرجعنا الى ما كنا فيه . قلت ستسمع الساحة ما هو أقرب الى الطمأنينة وسرور النفس . قال نعم . قلت يقول ﷺ ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ قال نعم . قلت ﴿ وبيانه ﴾ انا في هذه الأرض بالبحث عرفنا أن كل مخلوق قد أعطى كل ما هو في حاجة اليه فالطيور والحشرات والانسان سواء في هذه القضية (وقراء هذا التفسير موقنون بهذا) قال نعم . قلت والأمثلة كثيرة على ذلك . قال نعم قرأتها في تفسيرك وفي غيره . قلت وأنت موقن به . قال نعم . قلت الحمد لله إذن ندخل في المقصود أن مما يحتاج اليه هذا الانسان أن يكون معه سوطان سوط من الجنة وسوط من النار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن يكون مع كل انسان جنة ونار فالجنة والنار العاتقان يمتد منهما فرعان لكل امرئ في هذه الدنيا فبفرع الجنة يهتثون وبفرع النار يعتدون . فقال وكيف يعقل هذا ، أنا والله لم أر الجنة ولم أحسن النار . فقلت له لا تخلف ستقر الآن حالا فاصبر ولا تهمل . قال اذا ثبت هذا يكون عجبا . فقلت أأنت أنت بمدرسة دارالعلوم . قال بلى ولكني أدرس في الخارج . قلت أفأنت ترى أن لك أصدقاء واخوانا . قال بلى . قلت فاذا كسبت وتأخرت فاذا ترى . قال أحزن ويحزن أهلي وأخجل . قلت حسن ، إذن عندك شيء موجود يحزنك ويحزنك على تقصيرك . قال نعم . قلت أرأيت لو أنك لعبت وكسبت طول السنة ثم سقطت في آخر السنة ثم رأيت ضميرك يزججك ويوبخك فهل يسكتك أنك أن نجيبه بقولك ان الله قضى على بذلك أفأنت تسمعه يكلمك بلا حرف ولا صوت بكلام مستمد من كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولا صوت فيقول لك لمذا نمت عن دروسك واتبعت شهواتك وقد سبقك اخوانك ولم يحتجوا بالقضاء والقدر كما احتججت أنت أأنت لك قدرة وذكاء . ألم يرسل لك والدك النقود . قال بلى والله يحصل ذلك كله ولا تنفع الحج ولا الأقوال ولا الاحتجاج ولا الاتكال على القضاء والقدر . وهذا التأنيب والتوبيخ لن يحصل لمن هو بليد ولا لمن هو لامال عنده يتفرغ به لطلب العلم . قلت إذن عرفت أن العذاب مقدر بقدر الذنب فكل من قدر مكلف بما قدر عليه لا يكاف الله نفسا إلا وسعها وهذا هو قوله تعالى جوابا على احتجاج المشركين على القضاء والقدر

كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - فهذه المسائل فرغ منها القرآن ولم يتركها مشركوا العرب اليها بل تكلموا فيها فأجيبوا بما سمعت . فقوله ﷺ ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ معناه ما نحس به في نفوسنا فهاهي ذه ضائرنا توبخنا وتضني أفئدتنا اذا قصرنا . قال نعم . قلت فمن أي البلاد أنت . قال من مديرية أسيوط . قلت قوم أهل شهامة وصروة وكرم . أفرايت ان وقعت في فعل فاحشة وشاعت عنك هذه في قريتك وأنت شاب ومن أسرة شريفة ومن أهل العلم فاذا ترى من أمرك إذن . قال أتعني الموت وأختفي عن أعين الناس اذا قدرت . قلت فاذا عصمك الله من هذا العار جلة ثم رفعك بالعلم وجعلك من عظماء بلادنا . قال أجد في نفسي سرورا وغبطة وأسرأ أهلي بذلك . قلت فهل تحس بذلك الخزي الذي تحس به النفس في الحال الأولى . قال لا ومن أين يأتي . قلت هذان هما الفرعان الممتدان من النار والجنة في عقول الناس الآن . وهذا التوبيخ وهذه العترات على الخيبة وعلى النجاح بلاحرف ولا صوت هما المستمدان من كلام الله الذي ليس بحرف ولا صوت . يكلم كل امرئ بكلام خفي - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابعهم ولاخسة إلا هوسادسهم ولاأدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم -

### ﴿ غرائب تبكيث الضمير ﴾

كان خياط اسمه (شيوارد) في مدينة (نورويثش) بانجلترا قتل زوجته (وكانت تكبره بأعوام كثيرة) باحدى آلات مهنته سنة ١٨٥١ ثم فرق ما بين لجها وعظمتها ودفن الرفات الباقي في مكان بضاحية البلدة وبعد ذلك ببضعة أشهر صادف أن كلبا نبش مكان الرفات واستخرج منه عظمة آدمية ظهرت على أثرها بقية العظام فذاغت الاشاعات في البلدة عن أن رفات زوجة (شيوارد) قد كشف . ولكن أحد أطباء البلدة وكان على شئ من الشهرة صرح مؤكدا بعد فحصه العظام أنها ليست من رفات المسز (شيوارد) في شئ بل هي لامرأة في ميعه الشباب قد لاتتجاوز العشرين من عمرها فذهب هذا الرأي القطعي بكل الشكوك التي حامت حول (شيوارد) وانقضت عشرون سنة كان (شيوارد) قد أثرى في خلالها وأصبح في بلهنية من العيش وقد تزوج مرة ثانية بعد تلك الأعوام الطوال فصادف انه ذهب الى مدينة لندن لقضاء بضعة أيام وفيها هو يطوف بها في إحدى الليالي ولاغرض له يرمى اليه إذ تصادف انه مرّ بالشارع الذي كان قد تعارف فيه لأول مرة منذ ثلاثين سنة بزوجه التي قتلها ومثل بجثتها أشنع تمثيل فاستولى عليه تأنيب الضمير فجأة ولم يستطع له دفعا ولاعليه تغلبا وفي نفس تلك اللحظة أبصرت عيناه أحد رجال البوليس واقفا في الجانب الآخر من الشارع فهرع اليه واعترف له بجريمته اعترافا مفصلا فقاده الجندي الى مخفر البوليس ولكن (شيوارد) بعد اعترافه هناك أيضا بساعات قلائل أراد أن يجمد اعترافه بيد أن الوقت قد فات إذ أن الاستعلامات التي قام بها البوليس في خلال تلك الساعات كانت قد أثبتت لرجاله أن لابد في الأمر من شئ . وعلى الأثر استخرج رفات زوجته الأولى وفحصه جهابذة الأطباء بكل وسائلهم الطبية المستطاعة وكان تقريرهم يقضي بإدانة (شيوارد) بالجريمة لإدانة لا افلات له منها . وكان لابد من أن يدفع ثمن الجناية فأعدم شنقا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٨٧٠ م

فقال حسن جدا ولكن عندي سؤال واحد ليتم به الموضوع . قلت قل . فقال إن الله جعل العذاب في الآخرة ولم يجعله في الدنيا . فقلت . كلا . العذاب في الدارين معا وهذه غفلة دخلت على المسلمين أدخلها الجهل وقلة العلم . قال أفى كتاب الله تعالى . قلت نعم بل كتاب الله هو الذي أوضحها . ألم تر الى قوله تعالى - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون - انظر أفليس التعذيب في الدنيا بعضه هو الذي قرره معك . قال نعم . قلت ان الانسان متى كانت وجهته المال والولادة

وليس لنفسه سوى المال والولد كانا سبب ذل نفسه في الدنيا وهذا عذاب آخر غير العذاب الذي تكلمنا فيه .  
 إن نفس الانسان خلقت في الأرض لتعلم وتعمل ولكن الجاهل يفهم المرء أن الحياة في الدنيا للتمتع بالشهوات  
 وهذه الشهوات نفسها تؤذيه لأنه سجن نفسه فيها مع اسها من السماء أى من عالم أوسع فأنحصارها في المال  
 والولد ذل لها فيسلطان عليها فتذل بهما كما ذلت بالكسل في حديثي معك . قال ثم ماذا . قلت ان جميع  
 قصص القرآن أتت بالعذاب في الدنيا أولاً مثل - أغرقوا فأدخلوا ناراً - ومثل - لهم عذاب الخزي في الحياة  
 الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - ومثل - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -  
 وجميع الخسف والفرق وارسال الحاصب المذكورات في القرآن عذاب دينوى وهكذا قال في الثواب - وآتيناه  
 أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين - والقرآن كله طافح بذلك ، وكفى دليلاً على ذلك أنه ﷺ  
 وقف على قلب بدر ونادى قاتلاً يا أيا جهل يافلان يافلان - لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد  
 ربكم حقاً - فقال الصحابة له ﷺ كيف تكلمهم وهم قد جيفوا (بتشديد الياء) فقال انهم لأسمع لما  
 أقول منكم ولكنهم لا ينطقون . فهذا منه ﷺ ليفتح لنا باب العلم في هذا الزمان لأن هذه آية في القرآن  
 - ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم  
 فأذن مؤذن بينهم - الخ وهذه الآية مسوقة للآخرة لا للدنيا . فوقوفه ﷺ على قلب بدر ومناداته لقتلى  
 قریش تعليم منه لنا أن الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة والمناداة في الدارين بدليل انه ﷺ ناداهم وهو  
 في الدنيا وأصحابه معه . ذلك كله دليل على أن الثواب والعقاب يبتدئان من الدنيا بالعقل والنقل والنبوة هي  
 التي وضعت ذلك . ومن ذلك مسرات المجتهدين باجتهدهم وحزن المقصرين من أجل تقصيرهم ومن ذلك  
 بواعث الجد والاجتهاد بما في الأفئدة من الولوع والخوف من التعبير والدم والخجل أمام الناس في هذه الدار  
 كما أوضحناه هنا . ولذلك يقولون اليوم كما قدمناه في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم  
 من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر - أن النابغين في الأمم تحدث لهم صفة تورثهم الضعة فيجتدون في العلم  
 والعمل حتى يزيلوا تلك الوصمة فذلك انما هو خزي وضع لهم في أفئدتهم امتد لهم في أنفسهم فخرهم للرفق والسعادة  
 فقال أريد ايضاح مسألة الخزي على شريطة أن تكون من نفس القرآن بما هو أوضح مما تقدم . قلت  
 يقول الله تعالى في (سورة آل عمران) - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فنعنا عذاب النار - فذكر عذاب  
 النار بعد بيان أن هذا العالم ليس مخلوقاً باطلا بل بحكمة وذلك يستدعي أن تقف النفس على عجائبه وبدائعه  
 فأردفه بطلبهم من الله أن يقيهم عذاب النار . وقد قال علماءنا كما أوضحته هناك في تفسير هذه الآيات ان  
 عذاب الخزي أشد على النفس من عذاب النار . ولذلك تسمع العاتية يقولون في أمثالهم ﴿ النار ولا العار ﴾  
 وتقول مريم - ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً - فالحياة بلا شرف يكون العدم أفضل منها والجهل  
 أقبح شئ عند الناس وهذا واضح هناك فاقراء فانك ستجد أن نفوسنا خلقت لتعرف هذا الوجود وتدرسه  
 وأن الجهل عار عليها ولا تزال مضطربة للجهل به حتى تعرف والا فهي في عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولهذا  
 قال بعدها - ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت - فكأنه أبان أن عذاب الخزي أشد من عذاب النار  
 ثم أظهر الحقيقة واضحة بعد ذلك فقال - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة لأنك لا تخلف  
 الميعاد - وهذا كقوله - لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى - كما ذكرنا عذاب الخزي  
 الآن ظاهر في أمم الاسلام . أحاط بها الخزي لأنها جهلت ما خلق الله في السموات والأرض فلم تعلم ما أبدع في  
 الكائنات فنعمها الخيرات المخبوءة في أرضه لأنه تعالى لا يرضى أن يعطى النعمة إلا لمن يطلبها باستحقاق ويشاق  
 إليها . فانظر كيف تلازم العذابان عذاب الخزي وعذاب الأجسام ، فقلوبنا نحن المسلمين نخزي أمام الاوروبي  
 بسبب الجهالة وبسبب أنهم ينظرون إلينا نظرك الى الحيوان لجهلنا وأجسامنا متعبة معذبة لأنهم أحاطوا بأبناء

العرب من كل ناحية يرسلون اليهم طياراتهم ومدافعهم ويقولون لنا في مصر إياكم أن تحملوا سلاحا إياكم أن تعملوا مالا نامركم به والاضر بناكم بالسلاح وقد قتلوا منا قوما وأخذوا منا ألف ألف أيام الحرب العاتية فعرضوهم للنار وقتلوا منهم كثيرا فقتل هذا عذاب جسمي مضاف لعذاب الخزي بجهل ما أبدع الله في السموات والأرض فلما أتممت هذا القول رأيت هذا الشاب ظهرت عليه أمارات السرور والانفعال وقال الحمد لله قد نلج صدري وأسأل الله أن يطيل حياتك ومن ذا الذي كال يخيل له أن مانسمعه سماعا سنصبح ونحن نحس به في أنفسنا عملا كأنه مجسم أمامنا . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩

### ﴿ جوهرة باهرة في ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح ﴾

اللهم لك الحمد . قد تجلى نورك في الآفاق وظهر وبهر في حسنه واشراقه وجماله . ضربت لنا الأمثال في أنفسنا وفي الآفاق وأبدعت عالم الصور وعالم الأرواح على وفاق ونظام ابتهجت به القلوب وأشرقت به النفوس فلاح له فجر الفلاح في عالم الأشباح ولحمت من ظواهر الأنوار خوافي الأسرار

#### ﴿ البناؤون والجوهريون ﴾

رأينا يا الله أن فطرنا تجلت لها مواهب من لديك فعرفت كيف تضع الأشياء مواضعها . نظرت في الجبال فرأت في ظواهرها الاحجار وأنواع الجير والكسكس والى الأرض فوجدت فيها الطين والرمل فألهمت أن تجمع هذا وذاك وأن تبني بها المساكن والحصون لحفظها من الحر والبرد والعدو والوحش في القفار . ثم هي نظرت نظرا أدق فوجهت نظرها الى مافي باطن الجبال وأعماق البحار فاستخرجت الأحجار الكريمة والمعادن الطريفة من الماس والياقوت والزبرجد والذهب والفضة والدر والمرجان فرأتها جيلة بهية وعلمت أنها قليلة الوجود لاتناولها إلا بمشقة فأدركت هذه الأنفس التي أنرتها بنورك وأفضت عليها من سنائك وشموس اشراقك لأنك نور السموات والأرض ان هذا الجبال لا يناسبه إلا الجبال وأن ما عوزة العناء والنصب في الجدة والطلب عزيز ثمين فلم تضع تلك الأنفس هذه النفائس إلا فيما يوافقها ولم تهدها إلا لمنافعها . فإذا صنعت ؟ أهدها للغواي وزينت به الجوارى الحسان . هذه أفعال البنائين وأعمال الجوهريين كل اصطفى ما يوافق مشربه ويوافي صنعته فوضعه في موضعه وقرأ - وكل شئ عنده بمقدار -

#### ﴿ رجال السياسة ونظام المدن ﴾

ثم رأى رجال السياسة وعلماء الديانات من سائر الأمم والأجناس أن بناء الأمم وحفظ كيانها واستقامة أمرها لا يتم إلا بظواهر التشابه والتشاكل فأمروا الجمهور أن يتباعد عن الزنا والسرقة والدم والقتل والايذاء والإضرار بالناس وأن يكون الجميع على مشرب واحد ورأى متناسب فكان مثلهم كمثل البنائين الذين يضعون الأحجار مع ما يناسبها والطين والآجر كذلك غير ناظرين الى مافي بواطن الجبال من الجواهر ولا الى مافي أعماق البحار من الدر والمرجان فيسجنون السارقين ويقتلون القتاتلين وقيمون الحق و يعدلون بالقسط ويفعلون مع الشعوب فعل البناء مع الأبنية بحيث اذا اختل حجر من أحجار البناء أولبنة من لبناته أو مدرة أو آجرة من حائط أسرع في اصلاحه وضبطه أورعى به وكسره وأتى بأسر غل محله . هنالك يقوم الحائط وهكذا يقوم نظام الأمة وتبقى الى حين حتى اذا غفل الحكام ونام الوعاظ وعلماء الدين تداعت الأمم الى السقوط وهوت الى الخفيض كما يتداعى البناء الى الانهيار ويسقط اذا أهمله القائمون بأمره وهم ساهون لاهون

#### ﴿ حكماء الأمم والجوهريون ﴾

وهنا جاء دور الحكماء والمفكرين من الأمم الذين نسبتهم الى علماء ظواهر الديانات ورجال القضاء والفقهاء ورجال السياسة كنسبة الجوهريين الى البنائين . فكما أن البنائين يكتفون في بنائهم بوضع أحجارهم

وتناسبها وضبطها بالملاط أو بانتظام اللبنة بضبطها بالطين المخلو بالطين الحافظ لها من الاختلال والسقوط هكذا رجال الشرائع الدينية ورجال السياسة المدنية يكتفون من أهمهم التي هم قوامون عليها بطواهر الأخلاق وبوادر الأحوال وحسن المعاشرات وترك المنازعات والقتل والسرقة وهتك الأعراض وما أشبه ذلك وأن يروههم قد اجتمعوا في الأعياد والمواسم والمواكب والصلوات والجماعات فيكتفون منهم بذلك ولا يطالبونهم بأكثر منه ولا يفتشون عن قلوبهم ولا يسألونهم عما في ضمائرهم يقولون ﴿ لنا الظواهر والله يتولى السرائر ﴾

أما الحكماء والمفكرون فأنهم يقولون أيها الناس نحن لانكتفي منكم بالظواهر ولكننا نذكركم بأن الجواهر غير الأحجار، ومن ذا الذي يقيس الصدف بالجواهر أو القشر باللب أو الحجر بالمعدن والأحجار الكريمة . فكما لاتناسب بين الجواهر التي تتحلل بها الحسان وأحجام الأحجار هكذا لاتناسب بين عالم أرواحكم وظواهر أخلاقكم لأن اكتفى البناء بتناسب الأحجار وضبطها والرجل السياسي والقاضي بطواهر المدنية والمعاشرية ليطلب الحكيم مطلباً أسمى من هذه النفوس الانسانية وليقول لكم ماصورته ﴿ إن عالم الأرواح بعد مفادرة الأبدان أشبه بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة فهذه لها مقام أجل وأبهى ولن تكون إلا فيما يناسبها وما يشاكلها ثم يقولون لهم ستفرزون فرزا ويصطفى كل من كان أجمل وأصنى ويجعل في أجل مكان وكل من كان منكم غير مصطفى ولا منتقى ولا نبه في ولا جال يرجع القهقري إذ لاتناسب بين البهرج والذهب العرف

وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟ والجمال هنا والصفاء ﴿ بأمرين • اثنين ﴾ لثالث لهما ﴿ أحدهما ﴾ العلم ﴿ وثانيهما ﴾ العمل . فالأرواح التي جلت بالعلم وصفت بالفهم وانتظمت بالحكمة وأشرقت بنور ربها وتجلى لها هذا العالم على قدر طاقتها فهذه تكون شموسا مشرقة تجاور الملائكة والنبين للشاكلة والمناسبة - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الخ - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - ويشترط مع ذلك أن تكون أعمالها مطابقة لذلك العلم قائمة بواجبها . فالعمل مطابق للعلم والظاهر للباطن فهؤلاء هم الذين يصطفون ليكونوا أبرارا ويعيشون مع الملأ الأعلى - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - ﴿ هذا هو الذي تجلى لنفسي وانشرح له صدرى يوم الثلاثاء ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

ولقد رأيت مقاما يناسبه في كلام (عمانوئيل) الذي حدثت عنه أيها الذكي في سورة التوبة وأسمعتك تاريخ حياته وإن أباه كان أسقفا في الدين المسيحي وأنه هو كانت له منزلة رفيعة في الدين وفي الدولة ولكنه لما اطلع على عالم الأرواح تغيرت عقيدته في نظام هذا الوجود وأخذ يهدم ما بناه الجهل في أوروبا بأيدي صغار رجال الدين الذين شوهوه فقال يا قوم والله لاتثليث وإنى رأيت المسيحي بعد الموت يبحث عن إله ثان وثالث فلا يجد اليهما سبيلا . ولقد تقدم ذلك في (سورة التوبة) وفي غيرها فارجع اليه إن شئت . ثم انظر ما يقوله في كتابه المسمى ﴿ السماء والعالم ﴾ مما يناسب هذا المقام فقد جاء في صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب وما بعدها ما ملخصه أن الانسان يجب أن يعرف العلوم الإلهية والعلوم الدنيوية وعلى مقدار ذلك يعرف ذكاؤه وحكمته وقسم الذكاء ﴿ قسمين ﴾ قسم كاذب وقسم صادق فالذي أدرك الحقائق ادراكا نفسيا لاتقليديا وأحب وامتلاّت به نفسه وأشرقت بها اشراقا وصارت من جوهرها فهذه أرواح حكيمة تكون مع الأرواح العالية أما الأرواح التي قرأت ظواهر العلوم وإن كثرت وروتها أوفهمتها ولكن لم تتأثر بها ولم تعشقها ولم تخرج بها نفوسها فهؤلاء وإن اشتهروا بالحكمة فهم ليسوا من الفضلاء ويكونون كالعامة ويوضعون في منازل الجهلاء وهكذا أولئك الذين يفعلون الخير لا لنفس الخير بل لأجل الصيت والذكر أو من خوف الفضيحة والعار والخوف على المال ونحوه ولو خالوا وأنفسهم لأهلكوا الحرث والنسل . فهؤلاء يوضعون هناك في المنازل التي تناسب نفوسهم لا ظواهرهم لأن المدار على البواطن لا الظواهر فالعلم بهذه الدنيا وجالها وعمل الخير إن لم يكونا محبوبيين حبا حقيقيا متمزجين بالنفس بحيث يصحان بصفة لها فان صاحبهما لا يكون من المقربين .

ولما اطلعت على هذا القول وجدته يناسب ما في ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للإمام الغزالي من حيث خواصه وتذكرت ما قاله في الإحياء ان عليين لأولى الأبواب وهم الذين هذا وصفهم . أما المحبة المحسوسة فانها تكون لقوم ظهروا بالصلاح وبواطنهم مشغولة فهو لاء يدخلون الجنة ولكن أولئك يرفعون الى الملأ الأعلى وقد تقدم في (سورة البقرة) في أولها عند ذكر الجنة والنار فقد نقلت النص هناك فارجع اليه ان شئت فلما سمع صاحبي ذلك قال ان هذا القول وان كان في ذاته حسنا وجيلا فقد ذكرت العلم والعمل وأبنتهما ولكن مقام الكلام انما هو أمر الضمير قد جاء الرجل الانجليزى قاتل زوجته الذي أزعجه ضميره فقلت ان ما كتبتة الآن انما هو مقدمة لما سيأتى . اعلم أن هذا الانسان حين تضعه أمه من بطنها لا يحب إلا نفسه فهو يطلب كل شئ لنفسه وكلما شدا قليلا أدرك أن غيره له حقوق . فكل ما تراه في نوع الانسان من حقد وغيظ وطمع فهو راجع الى حال الطفل الأولى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هذا النوع الانساني كله فيه أخلاق الأطفال وعلى مقدار الترقى في العلم الحقيقي لا المزيف يعرف الانسان هذا العالم ويحب الانسانية . هذا أول الأمر وآخوه . هذا النوع الانساني لو كشف الغطاء عن عقول أفراده لأدركوا أن الذي غرس الكراهة والطمع انما هو الجهل وأن الذي ينقذهم انما هو العلم الحقيقي إذ لاسعادة لهم إلا بأن تستخرج ثمرات قواهم وعقولهم . فانظر الى رزق الانسان لماذا لم يكن من الأرض وحدها ولماذا نراه مأخوذا من السماء والأرض معا - قل من يرزقكم من السماء والأرض - ولماذا نرى له عينين بهما يبصر السماء والمطر حتى يعرف أن رزقه اشتركت فيه السماء والأرض - أتمن بملك السمع والأبصار - . أقول أيضا لماذا كان رزقه منهما وحواسه ترى ذلك فأذنه تسمع الرعد المؤذن بالمطر وعينه ترى نفس المطر والزرع . نحن علمنا علما لاشك فيه مما ذكر في هذا التفسير أن صانع هذا العالم حكيم متقن . فانظر الى شجرة التين المرسومة في سورة الحجر وتأمل فيها وفيما شرحته هناك . ألم تر أن كل خس ورقات كوّنت دائرة وبين كل ورقتين (٧٢) درجة من الدائرة ؟ فلماذا لم يحصل خطأ في هذه الهندسة ولو في درجة واحدة من درجات تلك الدائرة المشتملة على دائرتين حلزونيتين . هذا هو فعل صانع الكون في أمر نراه أمامنا في نبات ؟ فهل يكون حكما متقنا في هذا ثم هو يفضّل عن الاتقان في رزق الانسان . أى لماذا لم يجعل رزق الانسان من الأرض وحدها على قدر طاقة الانسان كما فعل في (حشرة الأرضة) المرسومة المشروحة في (سورة النحل) فيما تقدم . ألم تر أنها خلقت عمياء فالملكة والرعايا جميعا عمى العيون وهنّ مع ذلك يعملن أعمالا تهجز العقول وجعل الله قوتهنّ من داخل بيوتهنّ ولهنّ قدرة أن يستخرجن الماء بحيث يستنبطن من الاكسوجين المنديج في المواد الغذائية مع الادروجين السكامن فيها ماء فلا احتياج الى ماء السماء قالوا بدليل انها تعيش في الصحراء والجداى التي لانبات فيها ولا حيوان ولا ماء ولا مطر وتبنى أما كن تعلو على الأرض نحو (٨) أمتار وتمتد أميالا لا يقطعها إلا الديناميت . فهذه رزقت مما بين يديها فلا تحتاج الى مطر من السماء ولا الى أعين بها تبصر المطر . إذن فلماذا رزق الانسان من السماء والأرض معا ولماذا أعطى الأعين التي بها يبصر الانسان السماء والأرض . عجبا أليس نفس هذا الخلق وهذا التقدير في جسم الانسان وحواسه ورزقه دليلا على أن هذا الانسان خلق ليعرف العوالم كلها . وأيضا يرى الانسان انه كما استفاد رزقه من السماء والأرض لن يتم له ذلك إلا بمساعدة الانسانية كلها لاسبابى هذا العصر الذي ظهرت فيه الطيارات والطرق الحديدية والكهرباء والتلغراف (البرق) والتلفون وهكذا . إذن خلق الانسان وتركيب العالم الذي خلق فيه يوجب أن يعرف العالم الذي هو فيه وأن يحب الانسانية كلها والا فهو مذنّب ظالم فهذه حكمة قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض أتمن بملك السمع والأبصار - كما تقدم . وهنا تنظر الى جزاء هذا الانسان . جزاؤه أن يعطى على الخير خيرا ويعطى على الشرّ شرّا . وكما أعطى قوّة بها يتناول الغذاء وينظر السماء والأرض أعطى قوّة كلمته فيه تؤنبه على التقصير

وتحته على العمل الصالح وهذه القوة مستمدة من عوالم أخرى يعبر عنها بالجنة والنار . فهذه القوة الكامنة فيه تظهر آثارها في الحياة الدنيا وفي الآخرة . أما في الحياة الدنيا فاننا نحسّ بوخس الضمير وبالمذلة على جهلنا بما حولنا وعلى تقصيرنا وهذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير . وأما فيما بعد الموت فاعجب كيف ترى في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذي حدثتكَ عنه هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير فان مؤلفه رجل من علماء الأرواح فتراه يقول ﴿ إن الانسان إما أن يكون متصفا بالعلم والعمل المطابق له وإما أن يكون خاليا منهما وإما أن يكون عمله مطابقا لعمله كثيرا أو قليلا ﴾ وهذه الصورة جامعة لكل أحوال الانسان فان كان عالما بالخير عاملا بالفضيلة فانه بعد الموت يرفع الى الجنة ولا يسأل . وان كان مولعا بالشر ولا يعمل سواه أخذته الملائكة الى جهنم بلا سؤال . فان كان على هيئة الصورتين الأخريين بحيث يعلم ولا يعمل ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تكون أقواله وظواهره خلاف باطنه فينطق بالحكمة ويضمرا الشر فهذا يتمتع ويبقى في عالم البرزخ مدة حتى تعرف أخلاقه وهناك تطلق له الحرية في الكلام فتغلب عليه الحقائق التي في نفسه فيستكم أولافيلابما في باطنه ثم يزداد تكلمه بحقائق نفسه قليلا قليلا تدريجا بحيث يكون ذلك كالجنون المتقطع في الدنيا . فمن الأحوال التي هي أشبه بالجنون بين كل مافي نفسه ومتى أفاق ندم وحزن وعجب كيف يفضح نفسه وهكذا تزد حاله حتى يعرف باطنه تماما وحينئذ يحكم عليه المفتشون من الملائكة الذين يتمتعونه ومتى تم الامتحان جعلوا فيه غلب عليه إما في جنة إن غلبت على قلبه الفضائل أو في نار إن غلبت عليه الشرور والامتحان يكون من دقيقة الى شهر الى ثلاث سنين الى ثلاثين سنة . ويقول انه لا روح هناك يزداد امتحانها عن ٣٠ سنة وطول الامتحان راجع الى الخبث المستكن في النفس فعلى مقدار المكابرة والكتمان تبقى الروح بعيدا عن الجنة والنار . هذا مايقوله ذلك العالم الروحاني ومدار الكتاب كله على ذلك . ويقول في صفحة ٢٧٦ ما نصه

﴿ إن أعمال الانسان متى كشفت له بعد موته فان الملائكة التي أعطيت وظيفة التفتيش تنظر الى وجهه وتفقشه وتفتش جميع جسده وتجد الأعمال مرسومة على جميع الجسد وأوائلها مرسومة على الدماغ . قال وهناك يظهر كل شيء في ذاكرة الانسان وليس المرسوم هناك الامور العامة فقط بل الامور الخاصة أيضا فكل فكرة وكل حكمة تسطر في دماغ الانسان وعلى جسده ﴾ انتهى ما أردت تلخيصه من هذا الكتاب فقال صاحبي وهل كلام هذا الروحاني الافرنجى منطبق على ديننا . فقلت انه مجزة للقرآن أرسلها الله في آخر الزمان . يقول الله تعالى - خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون - وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فانه عز وجل يرينا الآيات في كل شيء . قال وما الآيات هنا . قلت انظر الى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار - فانظر كيف غاب على عدم التبصر في النظر وفي العمل في الدنيا وفي الآخرة . أما في الدنيا فانه يقول - فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - وقال في الثواب - وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين - فهذه أركان كتاب الله أرانا أن عذاب الناس في الدنيا راجع لجهلهم وتقصيرهم وهذا العذاب الدنيوي يحس به المسلمون ويحس به الفرنجة وأهل الأرض اليوم قاطبة لأن أهل الأرض الغالب والمغالوب كلهم جهلاء بالحقائق وعلى قدر الجهل هم جميعا معذبون عذابا دنيويا ثم انظر الى الانسان بعد الموت فهذا علم الأرواح يحدثنا بما جاء به القرآن . ألم تر الى قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون \* ولقد جثمتونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الى قوله - وضل عنكم ما كنتم تزعمون - . فانظر أليس معنى هذا أن العذاب

كما يقع في الدنيا يقع بعد الموت مباشرة والملائكة هم الذين يتولون هذا العذاب الذي قاله ذلك العالم الروحاني الأوروبي . ثم ان هذا الانجليزى الذى قتل زوجته قد وقعت له حال نادرة فأقرّ بقتلها لما وصل الى المكان الذى رآها فيه أول مرة وأحبها فانتقل الى عالم الروح ونسى الجسد كما يحصل بعد الموت إذ يظهر الانسان خفياها شيئا فشيئا واذا فطن بعد الاظهار ينكر ما قاله ويحجب كيف جنّ بهذه الدرجة . فهكذا هذا الانجليزى القاتل لزوجته بعد ما أقرّ أمام الشرطة رجوع وقال أنا لم أقتل وذلك كما يحصل بعد الموت في أول الأمر إذ ينكر الانسان بعد الاقرار ثم يتزايد الأمر وبعد ذلك يتعد الظاهر مع الباطن . إذن ضاثرنا في هذه الحياة عمولة بالآراء المخزونة فيها وقد ختمت بنحام وطبع على القلوب حتى يأتي يوم تظهر فيه الحقائق وهذا نفسه قوله تعالى - فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا مما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة \* ولولأني معاذيره - وقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون \* يومئذ يوفيه الله دينهم الحق - الخ

الله أكبر . إذن هذه العلوم الروحانية أصبحت في هذا الزمان تفسيرا للقرآن . إذن هذا هو الزمان الذى أخبر به القرآن إذ قال - سنريهم آياتنا - الخ وقال - سأوريكم آياتي - الخ . واذا قال قائل من الفرنجة ومن المسلمين ان هذا القول من هذا الافرنجى خرافة . نقول له انظر بعقلك هذه الهندسة والنظام فكيف يرزق الانسان من السماء والأرض وكيف يعطى العقل والحكمة ؟ فهل هذا الصانع للعالم يتقن الحشرة وحواسها ويجعل كل حاسة محكمة ثم هو يجعل رزق الأرض على النهج المتقدم وحواسها ورزق الانسان على ما ذكرناه من السماء والأرض وهكذا حواسه أقدر وأجدر ولانكون هناك نتائج لها على مقدار حالهما . إذن الانسان تحيط به عوامل وفي داخله غرائز كلها متصدرات على انه ملزم أن يرقى رقىا متوصلا وأن تقصيره يرديه ويهلكه في كل مرحلة من مراحل حياته . هذا مافتح الله به صباح يوم الأربعاء ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين

### ﴿ المقال الذى ألقته على مسامع ذلك الطالب ﴾

فقال لقد قرّرت عيني بما سمعت منك في أمر الجنة والنار عقلا ونقلا ولكنى لم أزال أطلب الافاضة في أمر الله سبحانه وتعالى فأنت قلت في أول الحديث ان الله عز وجل ثابت وحق واستدللت بأن القضايا ثابتة مثل القضايا الهندسية مثلا . وأيضاً قلت لى ان الانسان والأرض التى هو عليها عالم ضئيل . كل هذا حسن ولكن لماذا يعاودنى الفكر فى كل حين للبحث ؟ ولماذا أجد عقلى لا يقف عند حد ولا عند ما سمعته منك . فقلت ان هذا رسول من الله تعالى لقلبك أن يستمرّ في البحث حتى يقتنع . قال ولكن ليس عندي اقتناع للآن . فقلت فاسمع إذن . لقد علمت كما قدمنا في (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - في مسألة قطرة الماء التى وجد العلماء انها تحوى من الذرات عدد (٥) على يمينه (٢٠) صفرا تقريبا وأن هذه الذرات متباعدات جدا ويكون مكان الذرات خاليا فيبينها أبعاد كأبعاد ما بين الشمس والأرض أى بالنسبة لأحجامها وقد تقم هذا هناك وأن هذه الأعداد تقرب من أعداد كواكب السماء التى عدت بقدر (٢) على يمينه (٢٤) صفرا . إن هذا العالم كله يرجع للجواهر الفردة والجواهر الفردة ترجع لأنوار كهر بائية غاهى إلا ذرات ضوئية تدور منهنّ واحدة حول الأخرى كما تدور السيارات حول الشمس والذرة الضوئية الدائرة يسمونها كهر بائية سالبة والذرة الضوئية الثابتة يسمونها موجبة وهذه الدائرة تجرى فى الثانية (٦) ملايين مرة حول الثابتة . وباختلاف مقادير هذه الذرات مع اختلاف مقادير الحركات فى الثانية تختلف العناصر المركبات منها وهذه العناصر يبينها نسب عجيبة سترها في (سورة العنكبوت) قريبا

وهذه العناصر منها هذه المركبات من شمس وسيلرات وأرضين وأقمار وإنسان وحيوان ونبات ومعادن فكل ما نشاهده حولنا ويحيط بنا يرجع لأنوار تجرى في أماكن خاليات وكأننا نبش في خيال وكأن الوجود الحقيقي ماهو إلا موجود لانراه لأن ما نراه ظهر لنا من كلام علماء المادّة أنفسهم أنه لا معنى لوجوده بل هو قحط ضوئية في أماكن خالية وما هو الضوء؟ الضوء ليس شيأ سوى حركات في شئ سموه (الأثير) وما هو الأثير؟ هو عالم عرفه الناس بعقولهم لا غير . أما حواسهم فانها لم تقدر على تصوّره . إذن اجتماع علماء العصر الحاضر أظهر أن كل ما نراه ونسمعه ونشمه ونذوقه ونلمسه ان هو إلا حركات لعالم لاندركه وأن أسباب هذه الحركات وراء عقولنا . إذن الموجود الحقيقي غير ما أدركناه بحواسنا . إذن هناك وجود حقيقي أورت وجودا ظاهريا وهو الموجود الحقيقي . وهنا نقول أيهما هو الأصل العدم أم الوجود . فقال العدم هو الأصل فقلت الناس اعتبروا التفريق عدما فاذا رأوا إنسانا مات وتفرقت أجزاؤه ورأوا حيوانا هلك وأكله غيره سموه معدوما وما هو معدوم بل هو مفرق الأجزاء والأجزاء موجودة لا معدومة . وإذا كنا على حسب اصطلاح الناس بمقتضى حواسهم قد حكمنا بخطئهم في عدهم ما تفرقت أجزاؤه معدوما فليكن كذلك حكمنا على حكمهم على الموجود الحقيقي الذي هو السبب في الوجود الظاهري المجازي . فاذا أخطوا في قولهم ان الميت معدوم وجوابه أن يقولوا مفرق الأجزاء فقد أخطوا في حكمهم على الموجود الحقيقي بأن وجوده من الأزل يحتاج الى البرهان لأن العدم هو الأصل . فقال نحن اذا حكمنا بخطأ الناس في قولهم عدم الميت لانحكم بخطئهم في قولهم وجد الانسان بعد العدم فانه كان معدوما فاذا حكموا بأن الأصل هو العدم فقد حكموا بما يشاهدونه فاذا قالوا إن الموجود الحقيقي الأصل فيه هو العدم والوجود يحوجه دليل فهم على حق . فقلت هذا الظن أيضا منهم خطأ فان الذي وجد بعد العدم كالإنسان والحيوان والكواكب والشمس فهؤلاء جميعا كانوا موجودين وانما الأجزاء كانت مفرقة فاجتمعت . فأجزاء الطفل التي نراها كانت موجودة قبل وجوده فهذا اجتماع فقط بعد التفرق . فقضية أن العدم سابق على الوجود ناشتة من اشتباه الناس في الأمر يظنون اجتماع الأجزاء وجودا وتفرقها عدما . والوجود والعدم راجعان للأوصاف والأوصاف أعراض . فقال إذن أنت تحكم أن العدم لا يسبق الوجود . فقلت نعم . فقال وماذا تقول في أن العالم حادث . إذن في رأيك هو قديم . قلت له لقد نسبت ما قلناه في هذا المقال . ألم أقل لك ان التحقيق في عصرنا الحاضر انه لا عالم موجود وانما هذا العالم عبارة عن صفات لعالم يسمى الأثير إذ هو نور وما النور إلا حركات في الأثير فالعالم حركات لا غير إذن العالم وجوده تبع لغيره وهو الموجود الذي عرفناه بعقولنا فرجع الأمر الى مذهب أفلاطون القائل بعالم المثال أو هو الذي يسمى اليوم (عالم الأثير) وهو يقول ان كل ما هو حاصل الآن في عالمنا ماهو إلا ضرب أمثال لعالم المثال (اقرأ جمهوريته فان هذا واضح فيها) . فقال اذا لم يكن العالم له وجود فكيف تقول ان النبات أو الحيوان كانت أجزاؤه موجودة قبل وجوده هو . فقلت ذلك باعتبار مرتبة الحواس ومرتبة الحواس مرتبة غير حقيقية فهذا التعبير راجع للوجود المجازي كما قدّمته لك . فقال إذن أنت ترى أن العالم اليوم وجوده باعتبار آراء علماء العصر الحاضر راجع لحركات لعالم لانراه . فقلت نعم والموجود الذي لانراه الأصل فيه الوجود لا العدم لأنه لا دليل على عدمه فاذا كان موجودا من الأزل فهذا هو الأصل . قال ولكن أنت قلت ان العالم حركات لعالم لانراه . إذن الله متحرك وهذا كفر . فقلت الله لا يتحرك وانما هو خالق للحركة في الأثير . فقال إذن الأثير عالم قديم . قلت هنا يقف عقلي فعلى لا يدري ذلك العالم واذا كان ذلك الأمر موجودا فلا أدري كيف يوجد وكيف هو وأنا لا أتعدي طوري ولكن أقول الذي ثبت من أقوال علماء عصرنا الحاضر أن عالمنا لا وجود له باستقلال والأثير الذي قالوه أنا لا أعرفه ولاهم يعرفونه فلنرجع الى نفوسنا ولنشهد عليها بالهجر (الهجر عن الإدراك ادراك) لا يعرف الله إلا الله فالأولى أن نعبر بجزئنا . قال فاضرب لي مثلا إذ

هزئت عن الحقيقة . قلت نعم أضرب لك مثلا لله في خلقه بنا فلقد ضرب الله مثلا لنوره بالقنديل والمشكاة . اعلم أن الانسان منا في كل وقت يتصور صوراً بحيث يخيّل له السماء والأرض والشموس والأقمار . قال نعم وهذا خيال . قلت نعم هو خيال ولكن أهذا الخيال موجود . قال . كلا . قلت بل هو موجود . ألم يكن للخيال نتيجة في الظاهر . أليس كل ما نفعله لا نتحرّك له إلا بعد الصور التي أبرزتها نفوسنا في خيالنا . قال بلى . قلت وهذه الصور على مقتضاها نعمل فنبنى بيوتنا ونتقن صناعتنا . قال نعم . قلت فهل المعدم ينتج الموجود . قال لا . قلت إذن هذه صور موجودة ولكن وجودها ضعيف لسرعة زوالها . قال إى وربى انه لحن . قلت إذن ثبت لك بالبرهان أن الخيال صور لها وجود بدليل ظهور آثارها . قال نعم ولكن قد حكمت بأن عالمنا لا وجود له . قلت نحن الآن في الوجود المجازى فلا تخلط أحدهما بالآخر . إذن فلنجعل نفوسنا مع خيالها ضرب مثل وضرب الأمثال جائز شرعا وعقلا ونقول إن هذا العالم هو نفحة من نفحات الله تعالى وقبسة من نوره فنسبتهما إليه تعالى . والله المثل الأعلى . كنسبة خيالنا إلى نفوسنا . فإذا كانت نفوسنا الضئيلة أمكنها أن تحدث صوراً ثبت بالبرهان أن لها نوعا من الوجود المجازى وهي انما ضعفت لضعف سببها القريب في نفوسنا . فهكذا تكون نسبة العالم إلى الله تعالى فإذا قدرت نفوسنا على صور خيالية لآثارها حواسنا فالله لعظمته وحكمته التامة وقدرته العظيمة يخلق صوراً عظيمة تراها حواسنا وتعظم عندها فضعف خيالنا نسبته إلى قوة صور السموات والأرض كنسبة ضعف نفوسنا إلى عظمة الله خالقنا وهذا المثال ينتج لنا أن العالم موجود وجوداً مجازياً وانه مستمد من الله كل حين وانه اذا تركه الله لحظة لم يبق له وجود كما أن صورنا الخيالية اذا غفلنا عنها طرفة عين لم يبق لها وجود . إذن العالم العاوى والسفلى والجنان والسيران عوالم لا استقلال لها وهي بيد الله فنحن الآن موجودون وجوداً كوجود الخيال للتخيل . وهذا يوضح لنا قوله تعالى . لا تأخذه سنة ولا نوم . لأن من تصور صورة وأخذته سنة أو نوم ذهبت تلك الصورة ويوضح لنا أيضاً . ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده . أى كما أننا نتخيل صوراً خيالية لا وجود لها إلا باستحضارنا فإذا تركنا هذه الصور أو غفلنا عنها فلامسك لها بعدنا (وهذا التمثيل جائز كما مثل الله لنوره بالمشكاة والمصباح كما سبق) ويفسر لنا هذا أيضاً قوله تعالى . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم . ويفسر لنا قوله تعالى . وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرهم وجهركم ويعلم ما تكسبون . ويفسر لنا . وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين . إذن العلم الحديث وفق ما بين المذاهب كلها وأصبحت الفلسفة والتصوّف وعلم الطبيعة كلها علماً واحداً . فنحن الآن موجودون في وجود مجازى وهذا الوجود المجازى نحن فيه مأمورون بالجد والانصل إلى الوجود الحقيقي إلا اذا نصبنا وتعبنا وحصلنا كل علم وكل فن واتحدنا وسخرنا كل ما أمامنا من الوجود المجازى وأصبحت الأمم اخواناً فاتحدوا ولو اتحاداً مجازياً هنالك يرجعون إلى ربهم ويشاهدونه وما داموا ناقصين يحبسون في هذا الوجود المجازى ويعذبون ويذلون وهم في جهنم خالسون وجهنم في قبضته والنار في قبضته وهو لا ينام ولا يغفل . هذا ما فتح الله به يوم السبت ٢٦ يناير سنة ١٩٢٩ م

هذا وسأتبع هذا المقام ايضاحاً في آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى . وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون . فهناك سأذكر ﴿مسألتين الأولى﴾ تاريخ الفلسفة الذي اعتاد الناس في زماننا أن يدرسوه أى انى أذكر النموذج الذي كتبه الاستاذ (سنتلاته التلياني) في كتاب ﴿تاريخ الفلسفة﴾ وأبين فيه مذهب أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس وكيف كان سقراط يرى أن العلم لا يتم إلا بالتصديق والتعريف وأن السعادة للانسان لا تتم إلا بالعلم وأن الشقاوة لا تكون إلا بالجهل . إذن لا بد من العلم الصحيح والعلم الصحيح بشدة العناية بالتعاريف . ثم أذكر أن أفلاطون تلميذه قال ﴿لا يعقل العلم إلا بأمر ثابت

والحدود والتعاريف لاثبات لها في ذواتها ﴿ فهناك قال لا بد من عالم يسمى عالم المثال فيه جميع صور الموجودات وعالمنا أنشئ على منوال ذلك العالم وحينئذ يمكننا أن نفهم كيف ثبت العلم لأننا وجدنا له شيئا ثبت فيه . ثم نذكر مذهب (أرسطاطاليس) بعد (أفلاطون) واعتراضه على مذهب أستاذه وأن ذلك العالم المثالي لا يصح أن يكون محلا للعلم لأنه لا وجود له ولكن الذي يركن اليه ويستند العلم عليه هي الصورة القائمة بالمادة كصورة الكرسي والمزلة والشجرة والحيوان فهذه الصور هي المحل الثابت للعلم وأبين بعد ذلك كيف كان هذا الرأي أدخل في الضعف والعسف من سابقه ثم أذكر الحقيقة واضحة إن شاء الله بالعقل ثم أعرض عليها المذاهب بحيث يكون الرأي السائد في زماننا ثابتا على قرار مكين من العقل في هذا الزمان

هذا ماسأذكره في المسألة الأولى هناك ان شاء الله ﴿ المسألة الثانية ﴾ تقسيم العالوم المعروفة في القرون الوسطى بحيث تمت الى العالوم المستحدثة بسبب وهناك يكون أمام الأذكىاء صفحة من العلم تبدو ظاهرة تفسيرا لقوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهذا العلم مما في أنفسنا وقد أبرزه الله في زماننا وأدخلناه في تفسير الآية والله هو الولي الجيد انتهى

﴿ اللطيفة التاسعة في قوله تعالى - ويوم تشق السماء بالغمام - ﴾

لقد علمت فيما سبق من هذا التفسير أن الكواكب التي تبلغ مئات الملايين لها فيما يظن له البشر ويظهر في العالوم سيارات حولها والسيارات لها أقمار كما هي حال شمسنا وسياراتها وأقمارها وأن هذه الشمس العظيمة التي هي أعظم من شمسنا كانت قديما عبارة عن غمام طائر في الجو يعبرون عنه بالسديم جمعه سدم وأن هذه الشمس يوما ما سترجع الى سيرتها الأولى أي انها تهدم وتحلل وترجع في الجو كما كانت وتخلق بعد الملايين من السنين خلقا جديدا وتتكون بهيئة كواكب جديدة يخلق الله فيها خلقا جديدا . ولقد سبق في بعض السور السابقة دليل العلماء على ذلك أنهم شاهدوا في هذا العصر ستين ألف كوكب تتخلق من جديد فبعضها قارب أن يتم تكوينه وبعضها مبتدأ في تكوينه وبعضها بين بين وكلها تجهز لتكون عوالم كما نرى عالم شمسنا وسياراتها وأقمارها . فهذا هو الذي دل العلماء على أن هذه الشمس ومحوها كانت قديما عبارة عن غمام طائر دائر كما يرون ذلك اليوم . ولقد ذكرت ذلك في (سورة ابراهيم) عليه السلام عند قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - وكذلك في (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - فهكذا هنا يقول الله - ويوم تشق السماء بالغمام - أي ان شمسنا وكواكبها وبعض الشمس الأخرى وسياراتها تصبح أشبه بالغمام لأنها صارت نارا متفرقة في الجو . والسماء هي التي نشاهده من هذه العوالم اللطيفة التي تنتهي باللون الأزرق الذي نشاهده . ومستحيل أن يكون اللون إلا في المتلون والمتلون هو هذا العالم المسمى بالآثير الذي شرحناه في (سورة البقرة) وقلنا ان من ينكر السماء قائما هو جاهل يجهل علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين فان المتقدمين والمتأخرين جميعا ينكرون وجود الخلاء بل هم جميعا يقولون ان الفضاء مستحيل بل هو مملوء بما يسمى بالآثير وهو الذي يحمل ضوء الكواكب الينا فارجع اليه هناك ترابهاين القدماء والمحدثين عند قوله تعالى - ثم استوى الى السماء وهي دخان - الخ فانظر وتجب كيف سماها دخانا وغماما وقال انها كانتا رتقا ففتقتهما وكل ذلك دائر على هذا المعنى فتجب من القرآن وحكمه وعجائبه وانظر كيف يقول هنا - ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن - الخ

﴿ اللطيفة العاشرة في قوله تعالى - ويوم يعرض الظالم على يديه - الخ ﴾

هذه الآية مقابلة للآية المتقدمة في اللطيفة السابعة إذ جعل هناك سبعائة الناس بعضهم لبعض فتنة وأن العدو فتنة وامتحان لعدوه . فأما هنا فانه يقول - ويوم يعرض الظالم على يديه يقول باليتنى اتخذت مع

الرسول سبيلا \* ياويلتي ليتني لم آتخذ فلانا خليلا - وهذا القول ينطق به الشاعر العربي إذ يقول  
عدوك من صديقك مستفاد \* فلا تستكثر من الصحاب  
فان الداء أكثر ما يكون \* تراء من الطعام أو الشراب

وفي المثل « عدو عاقل خير من صديق جاهل » واعلم أن الانسان اذا كانت فتنه بعدوه عظيمة فهمى  
بصديقه أعظم وترى الناس مولعين بالأصدقاء جاذبين في مرضاتهم فيقعون في التهلكة والأصحاب هم الذين بهم  
يتشبه الانسان في عاداته وأخلاقه وأحواله وأعماله وطباعه فالأصحاب هم جنة الانسان وناره . ولا ترى لصا  
ولا زانيا ولا فاسقا إلا وهو من تشبه بصاحب له أو صديق قد تخلق بأخلاقه وسار على منواله . وترى الأصحاب  
اذا وقعت الواقعة وظهرت الحقائق يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا كاللصوص والقتلة وما أشبه ذلك  
فكل هؤلاء يصبحون أعداء متى وقعوا في الضيق وهذا قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو  
إلا المتقين -

الصداقة على ﴿ أربعة أقسام ﴾ صداقة تأتي سريعا وتذهب سريعا وهي التي سببها الشهوات فان الشهوة  
سريعة الاتقاد فاذا ما انقضى أمرها ذهبت حرارتها وانطفأت فلا صداقة إذن كما نراه في الزناة والسراق وقطاع  
الطرق . وصداقة تأتي سريعا وتذهب بطيئا وهي الصداقة العقلية فانك تحب العالم أول ما يهيجك قوله ولا تذهب  
الصداقة إلا بعد أمد طويل وأسباب كثيرة . وصداقة تأتي بطيئا وتذهب سريعا كالصداقة مع التجار  
فان الانسان لا يثق إلا بعد معاملة واختبار ولكن متى ظهر الغش حصل التنافر سريعا . وصداقة تأتي بطيئا  
وتذهب بطيئا كالصداقة المركبة أسبابها من أشياء مختلفة فانها تأتي ببطء وتذهب ببطء فاذا أحب امرأة لامور  
كثيرة كالجاه والمال والجمال وكان لكل واحد من ذلك حظ من الحب فلن يذهب الحب إلا بطيئا  
فتبين من ذلك أن صداقة الشهوة تذهب وأن الغش متى ظهر بين الأصدقاء فرقههم وذلك كله في الدنيا  
وأحوال الآخرة تضارع أحوال الدنيا في أمور كثيرة . وعلى ذلك ترى الناس يتبع بعضهم بعضا في الأخلاق  
والأعمال واذا ماتوا وعرفوا الحقائق أصبحوا كاللصوص اذا وقفوا أمام القضاة في الدنيا فان كلا يجعل الذنب  
على صاحبه فيصبح الأخلاء أعداء . أما المخلصون الصادقون فلا ذنب ولا لوم فيقول الظالم الذي ظلم نفسه بترك  
التعقل واتباع صاحبه - يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا \* ياويلتي ليتني لم آتخذ فلانا خليلا - وهذه الحال  
كحال الرؤساء والرؤسيتين التي صرت في (سورة البقرة) - إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب  
وتقطع بهم الأسباب - . فهمنا يقول الله تعالى إن الصداقة تنقلب شقاوة وحزنا وأسفا كما تنقلب اللذات  
آلاما . وترى الانسان اذا مات اتقدت في قلبه نار الحسرات على قوات الشهوات التي اعتاد عليها فانقلبت  
الشهوات آلاما هكذا هنا انقلبت المودات والمحبات شقوة وحسرة وندامة لأنها ضلال والضلال يتبعه الخسران  
والهلاك فلا رؤساء يوم القيامة بنافعين ولا أصدقاء بشافعين بل كل مسؤل عن نفسه

﴿ ضعف السياسة في الأمة الاسلامية اليوم ﴾

واعلم أن قوله تعالى - ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا - الخ هي الحاصلة  
اليوم فان لم يكن بلفظها فبمعناها ﴿ وبيانها ﴾ أن أمم أوروبا أصبحت عريقة في اصطناع السلاح والكراع  
والأعمال الحربية وأضافت الى ذلك قوة دعاتها ومكرها وخداعها فلما رأت أمم الاسلام نائمة جاهلة استعملوا  
الصداقة خير سلاح لهم فترسل الدولة سفيرها الى الأمير المسلم فيوحى اليه أن قائد جيشك خائن وترسل رجلا  
آخر الى القائد فيفهمه أن أميرك خائن ولا يزال الفريقان يجذآن ويحتالان حتى يفرقا بينهما ثم تتدخل الدولة  
الأجنبية بالسلاح وتحتل البلاد فاذا تم الأمر ظهر الحق وعلم الأمير والقائد أنهما كانا مخدوعين فيعض الظالم أي  
الأمير والقائد على يديه يقول يا ليتني تعقلت ونظرت في الأمر بدقة ياويلتي ليتني لم آتخذ فلانا الفرنسي خليلا

## ﴿ حكاية ﴾

لقد جاء في الجرائد المصرية أن الأمير عبدالكريم ببلاد المغرب الذي يحارب الأسبان قد سلب الأسبان عليه رجلا من أمته يسمى الرسول له شوكة وقوة فقام الأمير عبدالكريم على الرسول وحاربه وغلبه وأسره فوقف وزير الأسبان في قومه خطيبا وقال نحن لا يهمننا الرسول ولا هو له قيمة عندنا فسواء خذل أم نصر فلا نبالي . هذا كلام الوزير الاسباني فكأنه لما كان قويا انتفع به فلما سقط في حومة الوغى خذله ولم يبال به وهذا هو تفسير قوله تعالى - وكان الشيطان للانسان خذولا - فهذا نوع الخذلان وهذا المثل يكفيك فقد ساقه الله لتفسر به هذه الآية والله هو الولي الجيد

ولكن بعد ذلك سلم الأمير عبد الكريم نفسه لفرنسا لما عرف أن قومه قد أحيط بهم من كل جانب والله الأمر من قبل ومن بعد

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ﴾ ومعنى هجره تركه وانصد عنه \* وجاء في الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه ﴾ هذا ما ذكره علماء التفسير رحمهم الله

ومن معاني الهجر الغوفية اذا سمعوه أزعجوا انه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجورا فيه والمعنى الأول ألقى بحال المسلمين اليوم وما بعده ألقى بحال الكفار . والمهم اليوم أن أحدثك أيها الذكي في حال المسلمين وكيف هجروا القرآن . واعلم أن المصحف قد شكاف فعلا الى الله وقد تعلق بالمسلم وشكا الى ربه وقال اقض بيني وبينه وبالفعل قد قضى الله بين المصحف وبين المسلمين وعجل العذاب لكثير من الأمم الاسلامية هذا هو العذاب المجل . سلب الفرنجة علينا وأخرنا في مصاف الأمم وسيكون هذا من أسباب عذابنا في الآخرة وتأخرنا هناك عن دخول الجنة لأن المسلم اليوم محروم من القيام بشعائر دينه على الوجه الأكمل . محروم من التفكير . محروم من العلم وذلك لأنه لم يعقل ما في المصحف وزاد الطين بلة دخول أهل أورربا في بلاد الاسلام واستيلائهم على الأوقاف وعلى الامور الدينية فضعف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهذا عقاب مجل قبل المؤجل . إن الأنبياء اذا شكوا أمهم الى ربهم عاقبهم وهذه شكوى من رسول الله ﷺ شكأ أولا أهل مكة فغضبوا بغزوة بدر وأسلم أبناءهم وانتهى الأمر وشكنا نحن وإهمالنا التفكير في معاني المصحف . ولأذكر لك ﴿ مسألتين اثنتين ﴾ مما أهمله المسلمون قبل ايضاح المقام فأقول

لماذا لا ينظر المسلمون في أول سورة نزلت . إمت أول سورة نزلت - اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الانسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم \* كلا إن الانسان ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن الى ربك الرجعى \* أرأيت الذي ينهى \* عبدا اذا صلى \* أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى - الخ

أفلم ينظر المسلمون الى الابتداء كيف كان . ألم تكن أول كلمة بعد البسملة - اقرأ - فكأن أول مطلوب لنبى هذه الأمة ﷺ ولأمت القراءة . وبماذا يقرأ . يقرأ باسم الرب والرب فيه معنى الترية المذكورة في أول الفاتحة ثم أوضح الترية فابتدأها بقوله - الذي خلق - فالتحق كلهم في ترية الله تعالى والخلق إما بمعنى التقدير وإما بمعنى اليجاد وهذا يم سائر المخلوقين من ملك وانس وجنّ وسموات وأرضين ثم خصص فقال - خلق الانسان من علق - وخلق الانسان نتيجة عوالم تقدمته أى نتيجة عوالم الشمس والقمر والأرض والسيارات والنبات والحيوان والماء والأرض والجبال والأنهار . كل ذلك مقدمات لخلق الانسان . والتعبير بعلق إشارة الى ما ذكرنا في هذا التفسير من سلسلة الحيوانات للمتة من أدنى مخلوق حتى الى الانسان والى

الكشف الذى أظهر أن أصل الجنين علقه صغيرة جدا . وقد تقدّم إيضاحها وإيضاح تكوين الجنين وعلاقته بسلسلة الحيوانات وأن علم الجنين من العلوم الطبيعية الجبّية التى حضّ الله عليها فقال سبحانه - وفى أنفسكم أفلا تبصرون - والنظر فى النفس يتقدّمه النظر فى الجسم والنظر فى جسم الانسان هو العلم العجيب والحكمة البديعة والآية الربانية والحكمة الصمدانية . إن جسم الانسان هو لوحه المقصود وآياته البينات فاذا عاش المسلمون وماتوا ولقوا ربهم وهم عمى عن أجسامهم جهلاء برهم فكيف يلقونه وقد أنزل عليهم أول ما أنزل - اقرأ باسم ربك الذى خلق \* خالق الانسان من علق - وذلك يجرّ الى علوم الطبيعة كلها . علوم الطبيعة التى يقرؤها أهل أوروبا كلهم فى المدارس التجهيزية والمسلمون نائمون . علوم الطبيعة التى أنشأها الله بيده ونظمها بحكمته وألقاها لنا كتابا مقروءا وأنزل كتابه اللفظى مصداقا لكتابه العلمى

يا عجباً للمسلمين كيف يكون أول ما أنزل على نبيينا ﷺ طاب القراءه وفهم التربية والبحث فى الخلائق كلها والبحث فى الانسان ثم يعقب ذلك بقوله - اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم - فآله كريم لأنه خلق الخلق ورباه كما قال تعالى - يا أيها الانسان ما غرّك ربك الكريم \* الذى خالقك فسوّاك فعذلك \* فى أى صورة ما شاء ربك - ولكنه أكرم لأنه - علم بالقلم - فكرم الله عام على الانسان والحيوان فنعمة الشمس والقمر والنبات والحيوان وتسوية خلقنا ونظامنا . كل ذلك منه كرم ولكن الكرم الدائم هو نعمة العلم والحكمة لأن نعمة العلم والحكمة غذاء للأرواح وغذاء الأرواح أبقى من غذاء الأجسام والعلوم والمعارف صابرة عن جنات وأعنان وفواكه مما نشتهى وفوق كل لذة فى عالم الأجسام فبقاء العلوم بقاء الأرواح فى هناء وبكثرتها قربنا من الله وهذا هو مقصود قوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم - نخلقه للعالم كرم ولكن القراءة والكتابة والعلم من الله زيادة فى الكرم فالمسلمون اليوم رضوا من الله بكرمه ولكنهم أبوا أن يتقبلوا زيادة الكرم وزيادة الكرم بالعلوم . فقوله - علم بالقلم - إشارة الى أن القراءة والكتابة ينبئ أن تعلم وقوله - علم الانسان ما لم يعلم - إشارة الى تعميم العلوم فاذا كان أهل أوروبا يعلمون أبناءهم جميعا تعليما اجباريا الى سن (١٤) سنة فالمسلمون أولى بهذه المكرمة وأحق بهذه النعمة وأولى بهذه المنّة . وكيف نام المسلمون آمادا طويلة وكيف نسوا القرآن وهجروه وكيف ظنوا أن القرآن أغفل العلوم

#### ﴿ القرآن وتقدير المسلمين فيه ﴾

اعلم أن المسلمين فى غابر الأزمان أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم نظروا فى أحوال العصر الذى هم فيه فوجدوا الأرض يعوزها العدل والأخلاق والسيرة الحسنة فنظموا الدول وأقاموا الممالك وثبتوا العدل وبثوا حسن المعاملة بين الناس بقدر امكانهم ففتحوا باب الحرية فى الديانات ونظموا الأمم وفعلوا ما أمكنهم فعله فنشط علماءهم للتأليف وحكماؤهم للتدوين وقام الأئمة رضوان الله عليهم للتصنيف والتأليف وكان هناك مذاهب ومذاهب فى الاحكام الشرعية والعلوم الفقهية وساروا شوطا بعيدا فى العدل الى أن انقرضت الدول العربية وجاءت الحروب الصليبية . فى أثناء ذلك فرّت الحرية من الشرق الى الغرب واستيقظت أوروبا من مرقدتها وهذبت تعاليم المسلمين الدين المسيحى فرجعوا الى عقولهم ونظموا مدنها وانتقل العلم من الشرق الى الغرب وهنا رجعوا الى الطبيعة وقرؤوها والمسلمون فى انحطاط

كانت فى العصور الأولى ﴿ دولتان ﴾ فارس والروم وقد دالت الدولتان وانحلّتا وحلّ الاسلام محامها وأظهر العدل ونام الناس فى عدالته وأمنوا . فالقرآن إذن أقام العدل الذى وجده بعد أن أراد أن ينقضى أقام الاسلام جدار العدل الذى أراد أن ينقضى فى الدولتين العظيمتين فارس والروم . أقامه وقضى أمدا طويلا وفتح باب الحرية كما قلنا فاستيقظت الأمم الشرقية والغربية فقرأت العلوم . فعلى الاسلام اليوم بعد تأليف هذا التفسير أن يقوم بسطوته ويهذب الأمم ويعلمها العلوم الطبيعية . فكما أقام العدل أيام الصحابة

والتابعين فليقم الاسلام العلم اليوم . فاذا قرأ العلوم أهل أوروبا على أنها واجبات فليقرأها المسلم اليوم على أنها قرى الى الله وليكن عدل المسلمين في العصور الأولى نبراسا لهم في العلم اليوم . إن الاسلام مهذب للأمم هذبهم في إقامة العدل سابقا فليهدبهم اليوم في نظام العلوم وليقم المسلمون بما عليهم ولتقم أمة العرب قبلى الأمم بالحكمة ولتدرس الوجود حبا في ربها وأنسا بخالقها وقرى الى الله

ألا ليقم المسلمون بما عليهم وليسمعوا قول الله - اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم - فقوله - علم الانسان ما لم يعلم - كلام عام يقتضى البحث والتنقيب وترقية العقول بالعلوم ثم أتبعه بقوله - كلا إن الانسان ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن الى ربك الرجعى \* أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى - فانظر كيف ذكر الصلاة بعد أن شرح العلوم . انظروا أيها المسلمون كيف جعل الاسلام مؤخرا عن الايمان . لم يذكر الصلاة إلا بعد ما استوفى العلوم . سيقول جاهل وما هذا التقديم والتأخير . أقول انه لم يعل هذا القول إلا لجهالة الكتعاء . واذا كنا نرى الأئمة رضوان الله عليهم يذكرون في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم - أن ما قدمه الله يقدّم وما أخره الله يؤخر ويرجعون في ذلك الى ما ورد في بعض الأحاديث فأوجب بعض الأئمة كالشافعى رضى الله عنه الترتيب فكيف صح التدقيق في غسل الأعضاء وأيها يقدّم ولا يصح التدقيق هنا وأن قراءة علوم الطبيعة مقدّمة على غيرها وتعليم القراءة والكتابة له القدر المعلى في الاسلام على غيرها . إن العبدول عن مثل هذا جاء من اعراض العلماء في الاسلام عن هذه المباحث . ومن عجب أن تكون هذه السورة أول ما أنزل على رسول الله ﷺ فكيف يكون هذا أول ما أنزل على نبينا ﷺ ولا نفكر فيه

### ﴿ سورة الفاتحة ﴾

واعلم أن هذا النظام بعينه هو الذى جاء في (سورة الفاتحة) فانه بدأ بالحمد لله لأنه ربي العالمين لأنه خلق العالم ورباه وهو كما قال - خلق \* خلق الانسان من علق - وانخلق من علق ثم الترقى شيئا فشيئا هو معنى الترية فكأن هذه السورة تفسر معنى الترية المذكورة في الفاتحة والمذكورة في هذه السورة ولم يذكر العبادة ولا الهداية للصراط المستقيم ولا الاستعانة بالله في ذلك إلا بعد ما ذكر الترية ونظام العالم . فالفاتحة سار القول فيها على نظام أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ وكأن الله أمر بقراءة الفاتحة في كل صلاة لتذكرنا بأول سورة نزلت إذ أمرنا فيها بالقراءة والقراءة منصبة على أن نعرف ما رباه الله من المخلوقات وكما أخوت أحوال العبادات في الفاتحة أخرت أيضا في (سورة اقرأ) وملخص هذا كله تعميم التعليم

فيا ليت شعري كيف نام المسلمون عن قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - . لقد علمت أن آباءنا هذبوا الأمم بعلم الفقه وأقاموا العدل وذلك من مائة وخمسين آية من القرآن ونحن اليوم رأينا الأمم تقرأ العلوم كلها وتنظم دولها فلنتم النظام الأرضى ولنقم بتعليم العلوم بنظام أشرف وهو أن يكون ذلك تابعا لأمر الدين أى أن يكون العلم عندنا أرقى مما عندهم كما قال ﷺ ﴿ اذكر الله عند كل حجر وشجر ﴾ فليعمم المسلمون العلوم اليوم وليكن لهم نظام أشرف من نظام أوروبا وليقم فيهم علماء يهذبون الأمم في علومها كما هذبوها في عدلها وأن تأخير المسلمين اليوم عن الأمم في العلوم لحكمة انهم هم المهذبون للأمم . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين رحم الله به الناس في العلوم الفقهية وإقامة العدل وسيرجهم بالنظام العلمى الأعلى الذى سيكون على أبدي المسلمين . سيقراً المسلمون هذا التفسير وسيعملون بوصايا القرآن في سبعمئة آية وخمسين نصريحا وفي غيرها تلويحا أن يقرؤا علوم العالم كله . سيقروا ذلك كله وسيقومون بما عليهم من نظام هذه الأرض ويحققون - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

### ﴿ القرآن كالبهر الملمح ﴾

القرآن أشبه بالبحر فيه الماء وفيه السمك وفيه الدر والمرجان وفيه مخلوقات بدية عجيبة وقد أخذ منه أسلافنا علم الفقه وهو بعض ما فيه وما علم الفقه إلا كالسمك . فأما الدر والمرجان والماء الذي به حياة كل شئ فيكون في المستقبل . إن في البحر جوهرا وإن في البحر در . إن في البحر ماء يكون بخارا بحرارة الشمس فيرتفع للجو فيصير سحابا ممطرا فيحيي به الله الأرض بعد موتها ويصكون منه الحيوان والنبات والانسان . هذا هو البحر وهذا هو القرآن . فليفسكر المسلمون بعقولهم وليستخرجن العلوم من مكانها كما استخرجت الحرارة الشمسية القطرات المائية من البحر المحيط فصارت أنهارا سقت كل شئ . أخذ أسلافنا السمك منه وهو علم الفقه فلنأخذ نحن من العلوم التي بها حياة العقول كما أن ماء المطر به حياة كل شئ ولنغص على الدر والمرجان كما غاص أكابر آبائنا ولكن بقی ذلك مدفونا في الكتب بعيدا عن الأمة فليُنشر ذلك للأمة ولتقم الأمة بما عليها لنفسها وللأمة وليقرؤا - وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - انتهت اللطيفة الحادية عشر

﴿ اللطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين - ﴾

قد تقدم شرحها في اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون -

﴿ اللطيفة الثالثة عشرة في قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - الخ ﴾

اعلم أن الناس أشجار مقلوقة فروسنا مرفوعة الى أعلى تتعاطى بها الطعام والشراب ورؤس النبات الى أسفل ورؤس الحيوان متجهة الى الجهات الأربعة وانما كنا على هذا النمط لأن النبات لاحظله من الاستقلال إلا كحظه من الانفصال عن الأرض فرأسه ملازم للطين لا حراك له ظاهرا . فأما الحيوان فانه يتحرك الى سائر الجهات ويختلف في قبول الفرائز اختلافا عظيما وهو في ارتقاء درجاته على أقسام كثيرة يبتدىء من أدناه الى أعلاه . فانظر الى خلق الله وعجائب صنعه وتفكر في حكمته سبحانه وتعالى وانظر كيف خلق وكيف صور خلق النبات لازما للأرض وخلق الحيوان على أنواع كثيرة وكلما ازداد غرائز وقوى كان أبعد عن الانكسار على الأرض وكان أقدر على السعي وترى السباع والفور أرقى من الظباء والغزلان فهي تأكلها وترى القرد أرقى من الجمل لما لها من الذكاء والفهم والتقليد للانسان وترى الانسان انتصب قائما فكانت رأسه أعلى ويداه ورجلاه لأسفل بعكس كل نبات فصدق قولنا ان الانسان نبات معكوس وهذا معنى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فنحن نبات ارتقى ارتقاء تاما ولكن نظرنا معنى الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وهي - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - فالحشر على الوجوه الى جهنم يراد به ميل النفوس الى الامور الأرضية وذلك أن الانسان يعيش في هذه الأرض ويصادف فيها لذات وآلاما فاذا عاش ومات وهو لم يفهم منها إلا لذاتها وجهل اللذات العالية وهي حب هذا النظام العام وتكميل النفس الانسانية فان مثل هذا بوضع بعد الموت في عوالم منمطة على قدر عقله لأن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون فقل هذا يحشر على وجهه فليس من الذين ترتفع رؤسهم الى أعلى لأن ميلهم حيواني وشهوتهم نباتية فكأنه ما فهم الانسانية ولا عقل لذاتها العالية وعكف على الشهوات المعتادة عند الحيوان والنبات فترى من الحيوان ما يحب على الأرض حبوا فهو لاه تكون نفوسهم راجعة منكوسة الى أسفل . والأخلاق الشهوية النباتية ترجع الى الماء كل والملبس والسكن والزينة والنساء والمال وجميع ما هو من هذا القليل والأخلاق السبعية ترجع الى القوة الغضبية من الحسد والكبر والظلم وما أشبه ذلك . فهذه الصفات كلها التي تبلغ ما يقارب المائة كافي علم الأخلاق تحيط قيمة المرء في الآخرة ويرى نفسه متعلقة بتلك الأخلاق فتبقى محجوبة فيها عن ربها كما قال تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لجبورون - وكل امرئ يعرف

من نفسه اذا فكر هل نفسه متأهله للقاء الله فان عرف أن هذه الدنيا ولذاتها تبهجه وتنسيه ذكر الله فليعلم أنه بعد الموت يكون معلقا بما كان معلقا به في الدنيا ويبقى محجوبا عن ربه ظالما لنفسه وذلك جزاء الجاهلين وهذا من نتائج قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - اى انهم يملأون الى أسفل الامور فلا ينالون أعلاها ويحجبون عن ربهم وهم الذين خسروا أنفسهم لأن النفوس الانسانية عالية الرأس مرفوعة لها خسيصة منحة منخفضة وانما وجوههم - يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - وأما الآخرون فليست وجوههم ناضرة ولا الى ربها ناظرة لأنهم يحشرون عليها وتلصق بالأرض كما يلصق النبات لأنهم يملأون الى العوالم الأرضية محبولون على حبها لم يعشقوا ما أدركته العقول من الجبال

﴿ جوهره في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تقيرا - ﴾

اعلم أن الله ضرب الأمثال لهذه الأمة وللأثم السابقة . فأما ضربه الأمثال للأثم السابقة فهو المذكور في هذه الآية . وأما ضربه الأمثال لهذه الأمة فمثل قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت لبنت البيوت لبنت العنكبوت لو كانوا يعلمون - الى أن قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون -

يقول الله في الأمثال لا يعقلها إلا العلماء ويقول في اختلاف الألسنة والألوان لا يعقلها إلا العلماء كما سيأتي في (سورة الروم) إذ يقول تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - (بكسر اللام) ويقول في سورة أخرى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض - الى قوله - انما يخشى الله من عباده العلماء - إذن الذين يعرفون اختلاف الألوان والألسنة ونحو ذلك هم الذين يعرفون آيات الله وهم الذين يخشون الله فهكذا لا يعرف الأمثال إلا العلماء بها . واعلم أن الأمثال كثيرة في كل لغة وعند كل أمة ولها مقاصد تقال لأجلها ألف لها (الميداني) كتابه ﴿ الأمثال ﴾ ولأذكر لك مثالا سهلا لتقيس عليه ونشرح هذا المقام شرحا بقدر الطاقة وبما يفتح الله فأقول

(١) من الأمثال قولهم « قال الحائط للوند لم تشقني قال سل من يدقني فان من ورائي لم يتركني ورائي » ومعلوم أن الحائط لم يقل للوند شيئا ولا الوند رد عليه شيئا وانما هذه جملة يراد بها اظهار العجز عن اقترب ذنبا باكره غيره عليه . إذن المثل هو قول منقول من معناه الى معنى آخر وهو في علم البيان استعارة تمثيلية وهذا معلوم لمن درسوا ذلك العلم ولذلك كان هذا العلم وأمثاله من العلوم التي لا بد منها لمن يريد تفسير القرآن

(٢) وقولهم « الصيف ضيعت اللبنة » فهذا قول نطق به رجل كبير السن لامرأة كانت زوجته فأجبت شابا وتزوجته في زمن الصيف وجاءت لهذا الشيخ تطلب اللبنة على عادتها في زمن الشتاء فأفادها انك ضيعت اللبنة في زمن الصيف . ولكن هذا القول نطقه نحن الآن على من ضيع فرصة فاقته فأتى ليطلبها بعد أن فانت . فاذا طلبنا من رجل أن يشاركنا في أرض ايزرعها أو في تجارة ليدبرها ثم تنحى عن ذلك وشاركنا غيره ثم جاء وقال أريد ما كنت طلبته فانا نقول له ﴿ الصيف ضيعت اللبنة ﴾ نخاطبه بهذا وهولم يطلب لبنا ولم يكن ذلك التضيق في زمن الصيف بل مرادنا انك أضعت الفرصة فعليك وحده يكون اللوم لاعينا . اذا فهمت هذه المقدمة فاسمع لما ألقيه عليك الآن . اعلم أن الأثم السابقة كانت تضرب الأمثال بالقصص والأحاديث المستملحة وتعطى أبناءها الحكم تارة على السنة الحيوانات وآونة على السنة الأنبياء وأخرى على السنة الملائكة وطورا على السنة الملوك وهكذا فترى

(١) كتاب ﴿ كيلة ودمنة ﴾ يجعلها على لسان الحيوانات

(٢) وكتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ على السنة الملوك والجن والعفاريت

(٣) وكتب اليهود على السنة الملائكة تارة والأنبياء تارة أخرى

وهكذا أهل بابل وأهل الهند وأهل أوروبا يجعلون الأمثال على السنة العشاق كما في كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ ومن عجب أن الأمم كلما توغلت في القدم كانت أمثالها غالبا ترجع الى الملائكة أو الآلهة التي اخترعوها على مقدار تلك العقول وليس عندهم في ذلك مضمض وكلما اقترب زمان الأمم كانت أمثالها أقرب الى العالم الأرضي كالأنبياء والملوك وأهل زماننا لما أصبحوا أقرب الى (الديموقراطية) جعلوا الأمثال على السنة العشاق فالمدار في كل عصر على ماغلب على أهله فان كانوا صابئين أو ما أشبههم كالأمم القديمة ذكروا الملائكة والآلهة المخترعة وان كانوا شديدي الخضوع للملوك أو متعلقين بالأنبياء ضربوا بهم الأمثال وهكذا وسأبين ذلك واضحا الآن . واعلم أن ضرب الأمثال منهج عجيب ومقام عزيز يظنه العامة طريقا معبدا وأمرها سهلا وما هو بمعبد ولا سهل ولكنه يحتاج الى أعمال الروية والفكر والنظر وليس يدركه إلا أهل العلم والدراسة والحكمة وسأريك برهان ما أقول الآن فهناك أسمعك ﴿ ثلاثة أمثال ﴾ تجمع أهم أمثال الأمم الشرقية والغربية لتطلع على الأمثال التي ضربت لتلك الأمم حتى تعرف كيف كانت عظاتهم ولتفهم بنوع ما قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تكثيرا - ولأقتصر لك من أمثال الهنود على ﴿ مثلين ﴾ ضربوهما ليفهموا النوع الانساني كيف تتخذ عنا الشهوات وتضلنا اللذات وتغويننا الأهواء وتسحرعقولنا فنون الجمال وزينة الحياة الدنيا ثم أقفى على ذلك بمثل ضربه أهل (بابل) ونقله اليهود عنهم . وهذه الأمثال ضربت على نمط القدماء في توجيه النصيح على السنة الملائكة كما هو دأب تلك الأمم لأنهم لا يجدون في هذا ذنبا ولا خروجا عن الأدب بخلاف ديننا القويم فانه فيه لا يجوز وان كان القول مجازا وانى أردت بهذا

(١) أن أبين حقيقة الأمثال

(٢) وأن يفتح للسلم مجال اتساع دائرة العقل

(٣) وأن يفهم المقصود من الكتب القديمة اذا اطلع عليها

(٤) وأن يعرف أن الاسلام يتفق في المعنى مع العلوم ومع كل دين وان اختلفت الظواهر

(٥) وأن يكون المسلم مستأنسا بكل علم فلا يأنف من قراءة العلوم القديمة التي نقلت عن الأمم لأن حصر

العقول يصحح مجد الأمم ويذلها

واعلم أن الله عز وجل طبع هذا الانسان على خصلة لا تفارقه وخلة تلازمه وهي أنه لا يتعلق إلا بما بعد عنه ولا يحب إلا ما تمنع عليه وهو يحتقر كل مبذول له ولا يرغب فيما عنده . ألا ترى رعاك الله أنه قد بذلت له نجوم السماء كي ينظرها كل ليلة وهي أجمل وأبهى من الجواهر والحلى ولكنك تراه يفضل قطعة (الماس) على هذه النجوم الجيلة . لماذا هذا ؟ لأن النجوم له مبذولة ولو أنها كانت غير مبذولة لدفع عن النظر اليها غالبا ولكانت النظرة اليها تشتري بمال وفير . ومن هذا ما نشاهده من تمهات التجار على الآثار القديمة المدفونة تحت التراب فما ذلك إلا لندرتها . ومن ذلك اننى في هذا اليوم أعني يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ زرت (دار الآثار العربية) بمصر فأخبروني هناك بأنه يؤمها كل يوم من السائحين (٤٠٠) نفس كل واحد يدفع (١٠) قروش . لماذا هذا ؟ لأجل أن يشاهدوا شيئا ممنوعا عنهم ولو كان مبذولا لهم لاختفروه . من ذلك أنى رأيت (سجادة) تاريخها (٥٠٠) سنة اشتراها أحد أغنياء مصر بثمانية آلاف جنيه . ومنه أيضا قطعة قماش من ثوب ابن هارون الرشيد رأيتها بعينى رأسى ببلغ ثمنها (٣) آلاف جنيه . وهكذا انما من العقيق رأيت أنه هناك كان يأكل فيه بعض ملوك الممالك في مصر فدفع فيه الحاكم الانجليزى (١٦) ألف جنيه فلم ترض الحكومة المصرية . هكذا أخبرنى العمال في المصلحة . فهذا التغالى في الأثمان للغرابة لا غير اذا عرفت هذا فلتنظر في الأمثال انها انما جعلت أداة للتعليم لغرابتها وبدائع تنوعها والتصرف فيها

حتى ان الانسان اذا سمعها وفكر في أصل المعنى وفي المقصود منه كان لهذا أثر في نفسه . ففرق بين قول القائل فلان كريم وبين قوله كثير الزماد وجبان الكلب رجب الذراع وهكذا فغضب الأمثال أبلغ من الحقائق هذا أهم الأسباب في قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وذلك لأن الجهال من سائر الأمم اذا سمعوا أى قصة صدقوا لفظها ووقفوا عنده ولكن العقلاء هم الذين يفهمون الحقائق وما يقصد من الكلام

الآن سأخبرك أن أقص عليك قصص اليهود لتعلم كيف كانوا يضربون الأمثال لتعليم شعوبهم وكيف يحترسون من خداع الدنيا . ولأذكر لك قبل ذلك كما تقدم في هذا التفسير وشرحته في غير ما موضع أن الأمم القديمة كلها موحدة بالله باطننا وسرا ومشرقة أمام الشعب فعند اليهود كما عند قدماء المصريين كان التحدث من طبع العامة وهكذا جميع الأمم السالفة

فلما وصلت الى هذا المقام قال لي ذلك الصالح العالم الذي اعتاد أن يحدثني في التفسير فيها مضي ؟ لم كل هذه المقدمة . الأمثال جعلتها ولم تريد ضرب ثلاثة أمثال من أمثال الأمم القديمة في هذه الآية . فقلت أردت بذلك إزالة تلك الغشاوة التي طمست على عقول كثير من الأمم الاسلامية إذ حرموا من العلم الذي طبق آفاق الشرق والغرب والناس جميعا انتهوا منه . فقال ما هذا العلم الذي تزعم أن الناس انتهوا منه وحرم منه المسلمون فقلت علوم الأمم القديمة والحديثة في رواياتهم التي أودعوا فيها علومهم . ألا ترى رعاك الله أن بنى اسرائيل ذكروا قصصا أودعوا فيها حكمهم وضمونها علومهم ومواعظهم وهكذا اليونان وأهل الهند أودعوا قصصهم الحكمة وحشوها في حكاياتهم فلما قرأها العلماء أنكروها وقالوا هذه خرافات . واني لأعجب كل العجب من أمة تقرأ علم البيان ولا تطيقه . قال وكيف ذلك ؟ فهل علم البيان يعلم الناس الخرافات . إن الخرافات ضلال العقول . فقلت على رسلك إن علم البيان فيه الاستعارة التمثيلية كما تقدم والاستعارة يقصد منها المعنى المنقول اليه اللفظ لا غير فحجت كل العجب من أمة تفهم قول القائل ﴿ الصيف ضيعت اللبني ﴾ وتخطب به جماعة الرجال ولا ترى فيه بأسا ثم تراهم يهلعون ويجزعون اذا سمعوا ما سأقصه من قصة هاروت وماروت التي وضعت بهيئة مثل أو رواية لم يقصد منها إلا مغزاها على طريقة الاستعارة التمثيلية والخرافة إنما تكون فيها اذا قصد لفظها فأما المعنى المنقول اليه اللفظ فليس خرافة بل هو موعظة حسنة . اللهم إن هذا هو الذي قصده النبي ﷺ في قوله ﴿ حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ﴾ كما في البخاري وقال الشراح لأن سند أحاديثهم منقطع فنحن بلا سند . ولعمري لم يقصد ﷺ أن يعلمنا الخرافة بل قصد أن يجعلنا أمة نعرف أحوال الأمم ومواعظها فترتقى . إن الأمم جميعها لم تقدر أن تصور الفضيلة والزيلة إلا بهذه الوسيلة وهي تشويق القراء بطريق القصص بهيئة تأخذ بلب القارئ والله يقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطرا سوء أهلك يكتونوا برونها - وهذا في هذه السورة ويقول سبحانه في آية أخرى - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تسمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور -

ولاجرم أن علم الآثار الحديث الذي عرفه العالم المتمددين وقرأوا كتب الأمم القديمة أفادهم وعرفهم وساعد في رقي أممهم والمسلمون بقوا مكتوفي اليدين أمام الأمم فالأمة يسمعون ويعقلون والمسلمون لا يريدون أن يسمعوا أو يعقلوا ويقولون قد استغينا بالقرآن ويقول الله لهم في القرآن . كلا . ان قارئ القرآن بلا علم بالمعنى ولا عمل بالعلم كهيئة الجار يحمل أسفارا بئس مثل القوم ؟ فهل يجبكم أيها المسلمون أن تعرفوا القرآن كله وتنكروا قوله - أفلم يسيرا في الأرض - فهل السيرا في الأرض ونظركم عواقب الأمم من كتبها وآثارها والاحتراست مما وقعوا فيه والأخذ بالأحسن من أفعالهم مخالف للقرآن وهو الذي حض عليه بنفس هذه الآية ويوجب التاركين له ؟ فهل النظر في الأرض وتعلل أحوال أهل الأرض والنظر في السموات . كل ذلك

لا يجهل مع ان القرآن بأمر به . فقال صاحبي هذا عجب ثم عجب كفى كفى \* إن من البيان لسحرا \*  
 فاذكري لي المثل الأول من أمثال الهنود حتى أعرف كيف كانوا يعظون فقلت عندهم قصة تسمى ﴿ قصة  
 العابد المقتون ﴾ وملخصها أن عابدا يسمى ( كندو ) على شاطئ نهر جاماتى اشتهر بالعبادة في غابة كثيرة  
 الأشجار تخلف أرباب السماء ( الملائكة ) أن يشاركهم في العظمة عند الله ويسكن معهم السماء فأوهزوا الى  
 واحدة من الحور العين وهى ( براموتشا ) أن تظهر جلاله فنزلت الى الأرض وفي طاعتها الربيع والنسيم فلما  
 رآها العابد بهره جالها وبقيت معه ليالى وأياما تعد بالمئات فاستيقظ قبل الفجر ليلة فقال انى لم أصل الليلة  
 والفجر قرب فسخرت منه وقالت أنت مئى منذ مئات الليالى فدهش وقد كان يظنها ليلة واحدة فعرف أن  
 المرأة خدعته وفرح الملائكة الذين حسدوه بذلك

فلما سمع صاحبي هذه القصة قال كيف يقرأ هذا المسلمون وكله كفر صراح مثل المعبودات الثانوية ومثل  
 الأرباب الهندية . ولا جرم أن ذلك يفيد ﴿ أسرين اثنين \* الأول ﴾ ان الآلهة الصغيرة معبودة ﴿ وثانيا ﴾  
 ان اتصافهم بالالوهية فيه تعدد للآلهة والأمير ظاهر البطلان . وأيضا الآلهة كما اتصفت بحسد العابد اتصفت  
 بالاحتيال في الافساد فهؤلاء شياطين لا آلهة . فقلت له قد قدمت في هذا التفسير مرارا أن العلماء منهم  
 موحدون واستباحوا التعدد على حسب زمانهم وهذا عندنا كفر وأما كونهم آلهة فهذا مجاز يراد به الملائكة  
 وأما كونهم يحسدون ويخادعون ويفتنون العابدين فخفا هذه صفات الشياطين ولعلم هذه الشعوب بأنها صفات  
 الشياطين قبولها على أنها ضرب أمثال وكان هذا مباحا عندهم . ولا جرم أن هذا الحسد موجود بين الناس  
 وما ضربوا الأمثال بالملائكة إلا ليفهم ذلك الناس لا غير فقراءتها ومعرفة مغزاها شئ والاعتقاد والكفر شئ  
 آخر . ولا جرم أن هذه الأمثال ليست الأمثال التى ضربها الله لهم . كلا . بل هى أمثال تبعت أخلاق القوم  
 وأنزلت آلهتهم الصغيرة فجعلتهم في مصافهم فلذلك صار الحرب والخداع في عموم النوع البشرى علما تقليدا للآلهة  
 التى ضربوا بها الأمثال وهذه طرق أبطلها القرآن فهذه أمثالهم لا أمثال الله وكل دين نزل من السماء خلطه  
 الناس بأهوائهم كما سأوضحه قريبا في هذا المقام ، ثم قلت وفي هذه القصة مصداق القرآن ، ألا ترى رعاك  
 الله أن القرآن ذكر أن هذا الدين تفتنه أديان . قال بلى . قلت أفلا ترى أن هذا من أقدم الأديان وقد  
 ذكر الزهد في الدنيا والعبادة بالليل واضلال الشهوات للناس وخداع الهوى لهم وذلك كله شرحة القرآن شرحا  
 وافيا . إذن كان الناس من قديم يصابون بالليل وتتجافى جنوبهم عن المضاجع وكانوا يقولون إن تارك  
 الدنيا يقرب من الملائكة ويحب في السماء ، إذن هذه القصة مصداق لدين الاسلام فأنه يقول - قل ما كنت  
 بدعا من الرسل - ويقول - كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم - إذن القصة أفهمتنا أن  
 هذا القرآن لم ينزل فيه ما ليس من طبع البيانات التى تناسب أهل الأرض وان ضلوا في التعبير فقد كان قبلنا  
 أم يصابون ويتركون الشهوات . إذن هذه أمور عامة لخاصة وهذا من أجل البراهين على صدق النبوة

فلما سمع ذلك صاحبي قال حسن فها القصة الثانية : فقلت كما أن القصة الأولى مثلت فتنة العابدين بالنساء  
 الجليات . ولا جرم أن الدنيا كلها فتنة تمثل بالمرأة . هكذا القصة الثانية الآتية جعلوها مظهرة مضار لعب الترد  
 ( الطاولة ) ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية ﴿ نال  
 ودامان الهندية ﴾ وهى من فصول كتاب ﴿ مهابهاراته ﴾ الشهير أحد أسفار الهنود المقتسة عند الهنود وقد  
 وضعه قبل الميلاد بعشرين قرنا . وذلك أن الناسك ( فياسا ) الذى عاش آلاف السنين على الأرض في  
 زعمهم نظم ديوانه ﴿ مهابهاراته ﴾ وهو ٣٣.٠٠٠ بيتا وهو من أندر المؤلفات في فصاحته وقصصه ونوادره  
 وانباء الحروب والمعارك اشترك فيها الآلهة مع الناس وهو مثل ( الايادى ) لوميروس وهذا الكتاب ( ١٩ ) فصلا  
 وفي الفصل الثالث منه رواية ﴿ نال ودامان ﴾ وهى ترى الى تقييح لعب القمار وهى ( ٥٠٠ ) بيت وذلك أنه

كان وراء نهر الكنج في بلاد الهند مملكة (نيساواه) ومملكة (فيدونه) وملك الأولى يدعى (نال) والثانية يدعى (فيم) وابنته جميلة فتاة اسمها (دامان) اشتهرت بالجمال حتى خطبها الآلهة في السماء وعلم بها ملك (نيساواه) وعرف جالها فخالج قلب (نال) حبها ولما مر به سرب من الأوز اصطاد منه واحدة فقالت له ان أطلقني اذهب الى (دامان) الجميلة لتتزوج بها ففرح نال وبات صريع غرامها فذهبت الأوزة الى فيدونه ورأتها (دامان) الجميلة فقبضت عليها فقالت لها أنا جئت لأعرض عليك زواج (نال) فاطليه فباتت دامان موهلة ومرضت وأخبرت أباه بذلك فدعا (نال) فتزوجها . وكان لنال أخ اسمه (بوسكار) فأوحى اليه أن يلعب مع أخيه الزهر وإله الشر يساعده فاعب مع أخيه خسر (نال) كل مملكته ثم زوجته فاستولى بوسكار على الملك وطرده هو وزوجته لأنها أبت أن تكون مع (بوسكار) فسارا في البرية يأكلان العشب ثم لقيا ركبا أوصلهما الى (مملكة فيدونه) فعاش مع صهره هناك ثم أعطاه صهره جندا فتوجه به الى مملكته فسلم أخوه له بلا حرب وتولى الملك ثانيا وأصدر أمره بعدم لعب الزهر (الطاولة) على مال وإنما يكون ذلك للتسلية فلما سمع صاحبي ذلك قال فاذا ذكر لي القصة الثالثة التي ذكرها أهل (بابل) ونقلها بنو اسرائيل في رواياتهم فقلت تلك القصة على طراز روايات الهند ﴿ وماخصها ﴾ أن الملائكة في زمن ادريس عليه السلام لما رأوا ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا هؤلاء خبيثاء فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين لأنزلهما الى الأرض فأركب فيهما الشهوة وأنا أقول لكم انهما لن يصبرا عن الشهوات فاختارا (هاروت وماروت) فزلا وصارا قاضيين يحكمان بالعدل وعند المساء يصعدان الى السماء وحضرت لهما امرأة فارسية يقال لها زهرة تشكو زوجها فاعجبا بها وطلبا منها شيئا فقالت لا حتى تشربا الخمر لأنها خيرتهما بين الخمر وعبادة الصنم فرضيا بالخمر لأنه أهون فوقعا في الرنا ولما رآهما رجل قتلاه خوف الفضيحة فلم يقدر أن يعود الى السماء وعذبهما الله الى يوم القيامة في (بابل)

هذه الرواية مثل سابقتها لاسيا الأولى . فانظر كيف كانت هذه الروايات كلها ترجع الى أن الملائكة أو الآلهة في عرفهم هي التي تفتن بالنساء ويحصل وفائع للملائكة أوللا آلهة كوقائع الملوك الأرضية مع الرعية ونسائهم الجليات

هذه ﴿ ثلاثة أمثال ﴾ من أمثال الأمم التي أشار لها الله وهي في خواها كالقرآن من حيث تحريم الخمر والانصراف الى اللعب وان اختلطت بأهواء القوم من حيث العقائد الزائفة كما سأوضحه قريبا وإما ذكرتها هنا لمناسبة قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - فالمد كورهننا يدلنا على نوع الأمثال وسرّها وكلها راجعات الى تقويم الأخلاق واصلاح النفوس البشرية وان كانت محرفة فان الانسان اذا سمع أن العابد في القصة الأولى فتنته حوراء مرسله له من الجنة ثم ندم بعد معاشرتها مئات الأيام وهو في حال الاستفراق في جالها ثم ندم بعد ذلك . واذا علم أن لعب (الترد) قد أزال ملك ملك من ملوك الهند ولم يرجع له ذلك إلا بعد العناء . واذا علم أن نفس الملائكة الطاهرين قد فتنهم الدنيا فانه إذ ذاك يعتبر ويحترس . هذه من نوع الأمثال التي كان يضربها الناس اتباعا لما جاء في دياناتهم وان أزاع عقائدهم وكانوا بها يصلحون أنفسهم . أما عندنا فهذا ممنوع منا باتا . ذلك لأن ديننا يسد طريق الفساد . ذلك أن هذه وان كانت أمثالا قد يظنها الجهلة انها حقائق وبتأدي الزمان تصير عقائد للعموم فيقولون إن الملائكة يعصون الله وهو كافر أو أن هناك في السماء آلهة وهذا كفر فسد الله هذا الباب معنا للشر والجهل في العقائد . ولما كانت الأمثال لا يعقلها جميع الناس قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) اشارة الى أن أكثر الناس جهال لا يعقلون أن هذا ضرب أمثال وحقيقته ممتعة والذي يعرف المقصود منها انما هم العلماء ودين الاسلام للعلماء وللجهلاء . فاذا رأيت بعض المفسرين نقل أمثال هذا في تفسيره فاعلم انه اتبع في ذلك الحديث

الشريف ﴿حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج﴾ ولما كان الناس يحملون هذا على الحقيقة لاعلى المجاز أخذوا يذمون تلك الروايات ونسبوا للفسرين التخريف في القرآن وماهم بمخترفين إلا اذا اعتقدوا صحة هذه الروايات على لفظها فأما المغزى فهو للتهذيب والعجب ثم اعجب لهذه الروايات الثلاث كيف دلتنا على آراء الأمم الهندية والمصرية والبابلية وأن آراءها متشابهة . فهذا تعرف سير تلك الأمم وأمثالها وتفهم معنى قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تدبرا - وانما تبرهم لأنهم حرفوا في نفس الأمثال . ومن عجب أن يوجب الله أهل مكة وأمثالهم فيقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مزار السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا - يوجب الله أمة الدعوة ناعيا عليهم عدم اعتبارهم بتلك القرية التي أهلكت وهي بطريقهم هكذا ينهى الله على المسلمين الحاليين ما يرون من الأمم التي خربت بذنوب أهلها وتقصر بهم كأهل الأندلس من المسلمين وكأهل أمريكا الأصليين وكما يرون من الذل في مصر والشام وبعض بلاد العرب فهؤلاء مكبلون في الذل أفلا يعتبرون فيحترسوا من التقصير ؟ فاذا قال قائل نحن مؤمنون فنقول له - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون -

ومما يؤسف له أن الأمم الغربية اتخذت الروايات الأدبية بابا لرقبها كما فعل الأمثال إذ ألف أحدهم في القرن التاسع عشر ﴿رواية وردة﴾ التي تعرف آداب قدماء المصريين وحرمتهم قبل ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح فكانت هذه الرواية سبب النهوض الأدبي في (ألمانيا) والمسلمون لا يذكرون في الأمم ولا الدول ولا الممالك ولا يثيرون العزائم والهمم ولا يفكرون في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - أليست هذه هي أيام الله تعالى وهي ما صنعه بالأمم أمة بعد أمة . اللهم إن القرآن نزل لرقى الأمم . واذا رأينا الله يذكر لقمان عليه السلام ويسمى سورة باسمه ويقول - واقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله - فليس معنى هذا أن الحكمة خاصة بلقمان فلا نقرأ إلا حكمته . كلا . فان الله يقول - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ولم يخص القول بقول علماء الاسلام ولا لقمان . وقال في آية أخرى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فالحكمة ليست خاصة بلقمان بل هي نور من الله نستضيء به من أي حكيم فالمسلم يقرأ كل حكمة وكل علم . هذا تمام المقال في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ . انتهى صباح الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨

﴿الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون -﴾

لقد خيل الى هذا الانسان وهيكله المنصوب وقد أشرقت النجوم ليلا والشمس نهارا على الأرض وأضاءتها وازدهرت بالمزارع والأنهار والحيوان وانتظمت الأحوال وعمرت الأرض وأشرقت بنورها فبرز هذا الكتاب ليقرأه المفكرون ويدرسه المستبصرون . هذا الهيكل أمره عجب . نرا . قد جعل منار الحكمة والعلم والفضائل والذائل . فانظر ماذا ترى

(١) ترى طعاما يزدرده فيهضمه فيكون الدم فينتظم الجسم انتظاما

(٢) وما بقي من هذا الطعام بعد الذي حوّل الى دم يصير فضلة غليظة أورقيقة فينزل على الأرض فيكون سادا للزراعة وتحيا به أرضنا فتبارك الله الذي لم يضيع من الوجود شيئا فالذي بقي ولا منفعة له في أجسامنا بعد الدم رجع الى الأرض حتى يحوّل فيها الى طعام آخر نهضمه مرة أخرى فما أشبه هذا الطعام الذي لم يصلح دما في أجسامنا ونزل سادا بالتعليم بقي في فصله سنة أخرى حتى يعقل دروسه ثم يرتقى الى أعلى في الدراسة العلمية ثم إن هذه الفضلة منزلتها أسفل فلذلك خرجت من السبيلين أسفل هذا الهيكل المنصوب

(٣) أما الدم الذي استخرج من هذا الطعام المهضوم فانه يدور دورته في الجسم كما تراه مرسوما موضعا في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

هو يدور في الجسم كما يدور الماء سواء بسواء فهو يخرج من البحر بخارا ثم يكون سحابا ثم مطرا فأنهارا ثم يجري الى البحر مرة أخرى وذلك ليحدث في البحر على طول الأزمان والآماد وآلاف السنين قارة أخرى ينشأ في قاع البحر ستة فسة حتى تظهر تلك القارة بعد مئات آلاف السنين . هذه حال الماء فهو يدور ليحدث قارة على أقل تقدير اذا ترك مهمل . وهذه القارة لا تظهر إلا بعد الآماد الطوال لا في الحال ولكن هذه الأنهار في حال دورتها كدورة الدم في الجسم لها آثار أخرى حالا فهي تسقي الزرع وتدر الضرع ويكون الانسان والحيوان وأنواع النبات ويكون ذلك أتم اذا جعلت للنهر سدود وحبوس فهناك ترى العمران أتم والنظام أكمل كما نرى في نيل مصر وغيره من الأنهار التي نظمها نوع الانسان

(٤) فلننظر إذن في دم الانسان ماذا فعل ؟ رأينا يدور كما يدور الماء في الجوق والأرض وفي أثناء دورانه في الجسم يغذي الأعضاء المختلفة كما يفعل مثل ذلك الماء في الأرض ثم نرى الدم من جهة أخرى قد حصلت منه فضلة وتلك الفضلة أعدت لاجاد هيكل آخر كهذا الهيكل الانساني ومثله أكثر الحيوان في ذلك . إن الانسان يكون من دمه تلك الفضلة المنوية ليكون منها انسان آخر كأكثر الحيوان كما رأينا الأنهار تخلف منها في البحر طبقات ستكون قارة على مدى الزمان تشبه القارة التي يجري فيها الماء أو تخلفها بعد حين اذا استدار الزمان وتغيرت الأحوال

(٥) لم تكن الذكورة والانوثة في الانسان والحيوان شرطا لبقاء النوع . كلا . إن بقاء النوع قديكون بالانقسام أو بغيره وقد تكون الولادة بلا أب كما تقدم في (المحار) في البحار وذلك مشروح في أول (سورة صريم) بمناسبة ذكرها وذكر عيسى . لعمر الله لم يكن الذكران والاناث شرطا في الذرية . كلا ، فهذه مسألة المسيح التي قصت لنا باب (المحار) فرأينا الأتي تلد الآلاف بلا ذكر وهكذا تلك الحشرة التي رأيتها بعيني تضر بالأشجار وقد ذكرت في أول (سورة الأنفال) موضحة أيما إيضاح فهذه قد تقوم الأتي فيها مقام الذكر فلا تحتاج اليه وتبيض آلاف البيض الذي لا يرى إلا بالمنظار العظيم فانقسام الانسان وأكثر الحيوان الى ذكر وأتي ليس ضروريا للتناسل ولكن هي الحكمة العظمى والآية الكبرى في التكوين قصت الارتقاء فكان الذكران وكانت الاناث

(٦) هنالك نجلى لنا هذا الانسان بمنظر بهيج فظهرت الذكورة والانوثة على مسرح الوجود وهنا نجلى العمل الإلهي والابداع والجمال فكان العشق والنقش والتصوير والشعر والموسيقى وتفريد الطير وعلوم القضاء في سائر الأمم بين النساء والرجال وأحكام العقد والطلاق والنفقات وقصائد الشعر وروايات الحب والغرام وكثير وعزة وقيس ولبنى وتوبة ولبلى . ثم كان هناك الزهاد والرهبان والمجاهدة لكبح جراح هذه الشهوة خففت فذكت العقول وحفظت العلوم وظهرت العباد وهنالك علوم أيضا وعلوم فهذه الشهوة بأرسالها كانت علوم في الفقه والحب ونحوهما وبحبسها كانت علوم التصوف والعبادة وهكذا

لا يكاد الانسان يشعر بقوة الشباب حتى يشعر كل من الصنفين الذكور والاناث بالحاجة للآخر فاذا يحصل تبتجج النفوس وتشرق الوجوه وتخط الملايس وتنفق تجارتها وتعمر الأسواق ويكثر الشارون والبائعون وتنصب الزينات ويعتني الذكران والنساء بأجسامهما وينسقون ملابسهما ويفقهون دروسهما وينظمون الأشعار ويؤلفون الروايات ويتصفون بالفضائل وتقام المراسم وما أصل هذا كله إلا أمر واحد هو الذرية أصل هذا الحب وهذا الغرام وهذا الجمال وهذا النقش وهذا التصوير وهذا الغناء وهذه الموسيقى وهذا الشعر . كل ذلك لأصل واحد هو التناسل

فاجب لتناسل جاء بغير أب ولا حب في (المحار) قد أصبح في نحو الانسان مبدأ لكل زينة وجمال وشعر وتصوير . له ألقت كتب الفقه في النفقات ونصبت المحاكم وبنيت السجون للذين من الرجال الذين لا ينفقون

وقام القضاء في البيانات من مسيحيين ووثنيين ويهود ومسلمين وقد ألفوا كتباً لذلك

عجب لهذا الانسان ولهذا الوجود . نرى له نفساً داخلاً وخارجاً لاصلاح الدم ثم هو نفسه يكون في أثناء ذلك مبدأ الكلام . النفس انما جعل لاصلاح الدم ولكن الحكمة عظيمة جداً فقد جعلت له حكمة أخرى وهي الكلام وفهم العلوم هكذا هنا التناسل أمره سهل لا يحتاج لذكور ولكن بخلق الذكور والاناث ظهرت علوم وصناعات وقضاة وحج وغرام وشرائع وديانات . جلّ الله وجلّ العلم . أصل تفرعت منه فروع شتى كما تفرعت المادة الى كواكب وشموس وأقمار وهي عناصر محدودة معلومة

(٧) بعد ذلك تعالى الانسان وتعالى وأخذ يبحث في العالم العلوي ونظر في أمر الملائكة وأخذ يتخيل الملائكة والأرباب وأنزلهم جميعاً الى حظيرة الانسانية ؟ فإذا قال . قال انهم جميعاً يأكلون ويشربون ويتزوجون ويعشقون ويحاربون ويهلكون الأعداء

الانسان يقيس كل شيء على نفسه فلما رأى أنه هو أحب وعشقى وحارب قال ان الآلهة تحب وتعشق وتحارب هذا هو السبب في ضرب الأمثال في الروايات الهندية السابقة والبابلية . إن الانسان قديماً لم يعقل الإله إلا كما يعقل نفسه . إن العشق الذي بين الذكور والاناث الذي خلق لأجل التناسل قد جعل وسيلة لاتساع دائرة الوجدان والعقل ولارتقاء الانسان عن هذا المستوى الحيواني ولذلك قال العلماء ﴿ الحب ثلاث درجات دنيا وهو الحب المعتاد ووسطى وهو حب العلوم وحب أعلى وهو حب الله تعالى ﴾ إذن الذكورة والانوثة في الحيوان التي ليست ضرورية للتناسل قد جعلت سبباً لارتقاء الانسان درجات بعضها فوق بعض في العلم وفي حب الله (٨) قلنا ان الانسان الأول لم يعقل الله إلا على مقدار عقله وعواطفه حبا وعشقا وحراباً واستعباداً

ولذلك لا نجد أمة من الأمم السالفة إلا والحرب من طباع دينها . الآلهة عندهم محاربون آكلون شاربون متزوجون عاشقون والدون فيقولون الأب والابن ولكن جاء الاسلام فقال . كلا . ثم كلا

أيها الانسانية قفي قفي يا محمد قل لهم - الله أحد - فلا كثرة في الألوهية - الله الصمد - فلا جوف له فإذا لادم له وبناء عليه لا يلد كما قال - لم يلد ولم يولد - فلا زوجة ولا حب ولا عشق ولا غرام . إياكم أن تقيسوه عليكم . فأما الحرب فانه لا يحارب - ولم يكن له - أي وليس له - كفوا أحد - فهذه السورة ضاعت الروايات المتقدمة وغيرها وتجلت الرحمة واستعد الانسان حديثاً الى التعاون تدريجاً . وهناك يظهر انسان جديد لا يجد ذلك الإله العاشق المحارب الذي يلد ويشارك البشر فيلد عيسى كما يلد ملوك اليابان ونحوهم ولا يحارب بل هو رحن رحيم . فإذا لم يكن الإله محارباً فمن الذي يقلده الانسان . إن الناس قديماً أغرموا بالحرب لأن أرباب الديانات القديمة وصفوا أربابهم بالحاربة والقرآن أمر بالحرب حتى تضع أوزارها ومتى وضعت أوزارها يكف المسلم عن الحرب وهناك لا يجد ذلك الإله المحارب بل الإله الرحن الرحيم الموصوف بالقدس والسلام . اختفت تلك الروايات الحربية الغرامية وستحل محلها الروايات التي تحدث عواطف الرحمة وانتشال الضعفاء وارتقاء الشعوب . إن القرآن جاء في مقدمة أمم ستكون أرقى من هذه الأمم يجدون لهم رباً لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج ولا يلد ولا يغالبه أحد بل هو الغالب واذن يكف الناس عن الحرب والضرب لأنهم سيكونون أمة واحدة وأسرة واحدة يربى بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض وهذا قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - على السنة الأنبياء فزين للقوم الشيطان أممهم فأتوا بأمثال غير أمثال أنبيائهم وأنزلوا الدين على حسب عقولهم فتبرئهم تنبيهاً \* والدليل على ذلك تلك القرية التي أمطرت مطر السوء وهم يمرّون عليها ولا يعتبرون بها كأنهم لم يروها واذارأوك يا محمد استهزؤا بك لأن ما جئت به لا يلائم ما تلقفوه عن آبائهم فاعتبروا الحق ضلالاً وتمادوا في غوايتهم وجروا عليها . إن هؤلاء لم يعبدوا إلا أهواءهم . ان أكثر هؤلاء عطاولا أسعاهم وأبطلوا عقولهم بل ما هم إلا كالأنعام بل الأنعام خير منهم . انظر الى الظلال كيف نمّتها وكيف تقبضها وكيف

كانت آثارا للشمس المشرقة المنظمة المسير التي جعلناها دليلا على الظل فأينما أضاءت بنورها تركت آثارا من الظلال تابعة لها مدا وانقباضا وطولا وقصرا بحيث يتبع حساب الظل حساب سير الشمس صباحا ومساء ثم اننا نسلخ النهار من الليل فيكون الظلام وذلك ان أضواء الشمس تكسو الجو ووجه الأرض بنورها فلما مالت الى الغروب سلخنا ذلك وبقى الظلام على حاله فنام الناس وكان الليل لباسهم ساترا لأجسامهم واستراحوا بنومهم فاذا طلع النهار نشرناهم في الأرض لطلب الرزق الخ

هذا ملخص المعنى من قوله تعالى ها - وكلاضر بنا له الأمثال - الى قوله - وجعل النهار نشورا - ذكرته بمناسبة ضرب أمثال القدماء الذين أنزلوا الديانات على حسب عقولهم وجاء الاسلام مغيرا وجهة نظر الانسانية الى سبيل تؤدى الى المحبة والاخاء واتحاد الأمم والصفاء العام والرحمة التي اتصف بها الخالق وسيتخذها الناس لهم نبراسا فالله واحد ورحيم والناس سيتحدون ويتراحون و - الحمد لله رب العالمين \* الرحمن الرحيم - الذي لا يحارب ولا يعشق - مالك يوم الدين - وحده . إذن فمن ذا يحاربه ؟ فله العبادة وبه الاستعانة والهداية

ومن الأمثال عند القدماء ما جاء من الحكم في نصائح ﴿ بتاح حتب ﴾ من علماء المصريين القدماء فيها « لا يحملنك علمك على التكبر واستقم مع الجاهل والعالم لأن الباب لم يغلق دون الفن ولانال أستاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه » ومنها « ما أعظم العدل الثابت الأركان الذي لم يكدر صفوه منذ أمد قديم »

ومن ذلك ما ظهر من الروايات أيام ارتقاء هؤلاء القدماء منهم في الأسرة الثانية عشرة واتصالهم بالأمم المجاورة لهم مثل لبنان وسوريا والصومال والنوبة وجزيرة كريد . فقد كانت إذ ذاك عندهم هذه القصة (قصة البحري الغريق) ذلك انه ركب سفينة كبيرة فيها (١٥٠) ملأها من نخبة المصريين الذين امتازوا بالشجاعة كالاسود فينبأهم جاذون في الاقتراب من البر إذ اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج من كل جانب ففرقت السفينة وهلك من فيها أما هو فألقته موجة على جزيرة فوجد فيها ما يقتات به وسمع صوتا كصوت الرعد اذا هوثعبان مبين يقترب منه طوله (٣٠) ذراعا وطول لحية ذراعا وجسمه كالذهب وبعد محادثة قص عليه البحري قصته فأكرمه الثعبان وبقى معه مدة مكرما ثم حضرت سفينة جلته الى بلاده ثم إن الجزيرة بعد أن غادرها رجعت لجة بحر . وأعجب من أن هذه القصة أشبه بقصة (السندباد البحري) التي لخصتها لك في أول (سورة يوسف) وكذلك تشبه قصة (حي بن يقظان) التي ذكرتها في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - واذا قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى - ومقابلها من الآيات . وتشبه أيضا رواية (روبنسون كروزو) الانجليزية التي نسجت على منوال رواية (حي بن يقظان) وتشبه ما جاء في كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ من أن ابن ملك مصرى قد ادخر له أبوه حلة فيها صورة فتاة جميلة وجعلها في خزانة وأقفلها ولم يأذن بأن ابنه يراها لصغر سنه ولكن هذا الابن اطلع عليها بواسطة الخازن سرا فوجد صورة الفتاة مرسومة في حلة من الحرير الأخضر جميلة جالا فاقا وانها صورة بنت ملك الجان فأخذ يسمي وسافر مع جند من جند أبيه وساروا في السفن في البحار وهلكوا إلا هو ودخل جزائر كثيرة وقاسى أنواع العذاب ثم وجد ابنة ملك الجان ونال مراده ورجع بها الى أبيه سلما غانما بعد ما قارب الموت

فهذه الروايات والقصص يتبع بعضها بعضا وقد ألقاها الله على قلوب الأمم . فانظر كيف اتصلت القصص من أيام قدماء المصريين وتشابهت الأمثال عند قدماء المصريين وعند الأمم الاسلامية والانجليزية . إذن الله مع كل الأمم ومع كل أحد - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - فهو لم يدع أمة إلا ألهمها ووعظها على السنة أنبيائها وعلمائها ولم يهلك أمة إلا بعد ما أبان لها سبيل الرشاد

ومن الأمثال المضروبة للأمم ما جاء عن الملك (جورجى) عام سنة (٢١٠٠) ق م في مدينة (بابل) الذي

هزم أهل (عيلام) سنة (٢١٠٠) ق م في تلك المملكة ومالك البلاد وقد عثر المؤرخون في زماننا على خمس وخسين رسالة من رسائل عمله وأهم ما عثروا عليه القوانين التي سنّها في زمانه وقد جمعها من قوانين أسلافه وسطرها على لوح من الحجر ورسم صورته فوقها وكأنه يتسلمها من الشمس التي كانوا يتقربون إليها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم . واعلم أن الكشف الحديث كله مصداق لهذه الآية فآلة ضرب الأمثال لكل أمة من الأمم - وما كنا عن الخلق غافلين - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راجعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ألا ترى أنه علم أن الفأرمضطهد من الناس فلقوه بالسواد ليشابه سواد الليل حتى لا يقع فريسة لأعدائه من الآدميين وغيرهم . وهو الذي لما أعطى الزناير لونا براقا أعطاهم سلاحا تدافع به عن نفسها ما يقاها من الطيور فلذلك صارت آمنة . وهو الذي أعطى السمك الذي في قاع البحار هيئة جيلة عبقرية بهجة أشبه بما في قاع البحار من الحشائش والأشجار البهجة والأزهار البهية ليختفي عن قاصديه بالأذى . أنظر هذه المجانب في أول (سورة المؤمنون) عند آية - وما كنا عن الخلق غافلين - هذه هي العناية الإلهية بالحيوانات فهكذا عنايته بالإنسان فهو سبحانه عدل وعدله شامل لم يترك أمة بدون مرشدين - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وهذا معنى اسمه الهادي ومعنى - إن ربي على صراط مستقيم - وبهذا تفهم آية - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - فإن الإنسان ربما يخطر له أن الهداية خاصة بأمة فيقول في نفسه إن تلك الأمم لا هداية عندها فيظن سوء المعاملة فبذكر الله ومعرفة نظامه تطمئن النفس وتعلم أن العدل جار مجراه في كل أمة من الأمم وكل جيل من الأجيال وحيوان ونبات - فتبارك الله أحسن الخالقين -

﴿ اللطيفة الرابعة عشرة في قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - ﴾  
 لعلك عرفت أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مرّ بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني . ولعلك فهمت ما ذكرناه عن الحسن أن الآية واردة في كل متبع هواه . وقل ابن عباس في معنى الآية « أ رأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبدته ما حاله عندي » ويقال أيضا « الهوى إله معبود » أفلا ترى أن أكثر الناس يعبدون هواهم . أفلا ترى أن الناس مغمورون في هذا العالم الموزون المنظم الذي صنع بحكمة وهم في أنفسهم إلى الآن لم يصلوا إلى تلك الحكمة في أنفسهم بل هم للهوى عابدون أما صنع العالم من حكمة فأنهم يرون الأشجار والأوراق والأزهار والكواكب والنجوم والأقمار وأجسام الإنسان والحيوان كلها مركبات بحكمة . أفلا يرون هذا كله ثم هم عن أنفسهم غافلون . نعم نظم الإنسان ماحوله وما أحاط به اتبع في أكثره العقل والحكمة وهم عن أنفسهم في غفلة جاهلون . انظر كيف وزن سير الشمس وحسبه بعلم الفلك والجداول الحسابية واتخذ له من المعادن ما يمثل له سيرها وبعض الناس صنع ساعة تبين سير الكواكب جميعها والساعات والدقائق والثواني والسنين . كل ذلك حسن . وقد كال الناس الأحمال ووزنوا الأثقال وقاسوا الأطوال وضبطوا حساب ذلك كله بل أنهم هم فوق ذلك قاسوا علو ماء الأنهار ونقصها وحسبوا الضغط الجوي والرياح وسرعتها والأمطار ومقدارها على وجه الأرض ومقدار ماؤها بالوزن طول السنة أو الأشهر وقوتها سرعة القطرات الجارية على وجه الأرض وعرفوا مقدار الحرارة في القطرات والكهرباء والنور والماء ووزنوا ذلك كله بما لا يفلت منه تغير ولا قطمير ولا كثير ولا قليل فالوزن عم كل شيء عند الناس مما قلّ وجلّ وعظم وصغر فلم يذر الحرارة والنور للطفهما ولا الفحم والحجر لثقلهما ولا الشمس والقمر لعظمهما بل تراهم ضبطوا أبعاد كل كوكب عرفوه وحجمه ووزنه والعناصر التي تركب منها بما رأوا بالمناظير المعظمة من ضروب أنوارها وفنون أشعتها التي تمائل الأشعة الناشئة من المعادن التي على الأرض والعناصر المعروفة بهذه الأشعة الواردة إلى الأرض مع ضوء الشمس والكواكب أمكنهم معرفة العناصر وردّها كل شعاع إلى عنصره وبذلك عرفوا أن عناصر الأرض من عناصر الشمس بل أنهم أدركوا أن عناصرها في الأرض كشفوه في

عناصر الشمس قبل أن يكشفوه في الأرض ثم وجدوه . كل ذلك عرفه الانسان وعلمه وضبطه ولكنه مع هذا سلكه جهول في أمر نفسه فهو مضيق لقواها وملكاتهما مطير لذلك في الآفاق ظانا انه لا وزن لأقواله ولا آرائه ولا نظراته ولا لوثباته ولا لنظراته كلا ومن فلق الحب والنوى لا - يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - . فإذا كنت أيها الانسان قدوزنت الضوء وحسبته ووزنت الحرارة الجوى وحرارة جسمك بدرجات فعرفت الصحة والمرض بها وعرفت كل طائر يطير وحيوان يسير وكوكب يجرى ورسمت ذلك في جداولك ؟ فهل تظن أن نفسك التي هي أرق وأعلى من كل مائى وما تسمع مهملة الحساب ليس لها كتاب . وإذا كنت ترى أن لكل شئ ميزانا فلنفسك ميزان في داخل جسمك كما للكهرباء والضوء والحرارة وللماء ميزان يزنها وأنت لا تشعر وهذا الميزان بين جوانحك تظهر لك ثمراته ولا تعرف إلا علاماته . فكل كلمة تقولها ونظرة تنظرها وفكرة لك خاطرة ترفع نفسك أو تخفضها والتجارب تعلمك والتهديب يريك . ألم تر أنك إذا أمسكت عن الكلام فيما لا يعينيك أياما وغادرت ما تعاده من ذلك أمدا طويلا وجدت النفوس اليك مائلة والعقول نحوك متجهة لأن ميزان عقلك ارتقى درجات فأحست نفوسهم بما لديك وشعرت بما ارتقيت وما ذلك إلا أنك أعرضت عن كل مالا فائدة منه ولم تطع هواك وترك القبول الذى فيه الافتخار والحديث عن نفسك خففت في النفس آثارها وأبقيت فيها أنوارها فجذبت النفوس اليها وألزمها العطف عليها فحنت اليها وهي ساكنة وعطفت عليها وهي ساكنة وأصبحت نفسك أشبه ببرج الحمام حفظت فيه آراء كادت تطير فجذبت سواها من أمثالها وهي تسير كما قدمناء في هذا التفسير . ولا يعلمك صدق هذا القول إلا التجارب فاحفظ لنفسك آراءها واكتم فيها أخبارها بضعة أيام ولا تظاهر بما لديك من المفاخر تجذب النفوس حنت اليك والقلوب عطفت عليك . فأما إذا مزقت حجابها وهتكت ستارها وأزحت خمارها فان كل امرئ يقول ما لها فتصبح العوبة في يد الجاهير

هذا مثل ضربته لك في اتباع الهوى وعبادته وكيف يصبح الناس عبيده إذا أطاعوه . وإذا كانوا عبيدا للهوى فانهم اليه يذلون . فأما من ملك هواه فقد علمت ماذا من العز جناء . أفلمست ترى أن هذا يفهمنا قوله تعالى في أول السورة - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - وقوله - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

أفلمست ترى أن الذى أطلق العنان للسانه أو لبصره أو لجناحه فتكلم بلا استبصار ونظر لغير اختبار وتفكر فيما ليس له اعتبار قد عبد هواه وأى فرق في العبادة بين هذا وبين من صنع التمثال فاتخذ معبودا فالأول سلم حواسه وعقله لهواه والثانى أبرز من هواه صورة وسلم لها قياده في العبادة فسمينا الأول فاسقا وسمينا الثانى كافرا وهما في شرعة الجهل سيان صنوان لا يفترقان غاية الأمر ان الأول ضل في الفروع والثانى ضل في الاصول ولكن الضلال عجمهما والجهل لزمهما . كل ذلك لأن أعمال النفس اليوم موزونة كما وزنت الامور المحيطة بها وتناجى الزنة ترسم على جيئنها وتظهر في أحوالها وأخلاقها وآدابها ومعاشرتها - ومن لم يجعل الله له نورا فلا نور -

﴿ الانسان اليوم أكثره في جهالة كما قال تعالى - إن الانسان لظالم كفا - ﴾

إذا أردت أن تعرف ما عليه الانسان اليوم في الكرة الأرضية وتفهم حقيقة الناس في الأمم الشرقية والغربية فاقرا كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ الذى ألفته وأرسلته الى مؤتمر الأجناس فى انكلترا وجعل فى جلة المقررات الرسمية وهذا الكتاب قدم لها فى سنة ١٩١١ قبل الحرب العظمى بنحو (٣) سنين وأبنت فيه أن الدول كلها يغالب بعضها بعضا وقد ضاعت قواها العقلية كما أضاعت الأنهار ماءها فى البحر الملح لا يلوى ماؤها على المزارع والرياض والبساتين إلا قليلا وأكثرها ينصب فى البحر بلا فائدة هكذا عقول الناس تذهب هباء

منشورا في الهباء مع الهواء وجهل الناس انهم أعضاء جسم واحد وانهم لو اتحدوا لاستخرجوا ما في الطبيعة من علم وما في الأرض من حكمة وما في البحار من عجائب ولكم خاتبون خاتنون لبعضهم فهم يدبرون المكاييد لبعضهم فتضيع القوى والملكات فيما لا فائدة فيه وهم بذلك ضائعون تائهون صمكم بكم عمى فهم لا يفهمون انما مثل القوى الانسانية والعقول البشرية اليوم كمثل البخار وكمثل الكهرباء . كان الناس قديما يرونهما ولا يلتفتون اليهما فعلقوا اليوم فاندتهما وانتفعوا بهما . فأما العقل الانساني اليوم فانه مهجور متروك منبوذ مجهول يضيعه الناس في الحيل السياسية والأخلاق الأسدية والحروب الدولية ولوانهم اجتمعوا خاربوا به الطبيعة وكانت تلك الحيل لاستخراج كنوز الأرض لأصبح الناس في نعمة وهم سعداء . ذلك هو تفسير قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وأمثالها من الآيات . فهذه هي عبادة الهوى وكيف يكون الهوى إلهها معبودا ويظهر أن أهل الأرض مخلوقون ليرتقوا في العالم الذي بعده لأن أهواءهم اليوم غالبية والعقول سيكون لها السلطان شيئا فشيئا كما نرى الشيوخ أقرب الى التعقل من الشبان لغلبة الهوى على الآخرين . انتهى

﴿ اللطيفة الخامسة عشرة في قوله تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - ﴾  
هذه اللطيفة مفهومة من سوابقها . انتهى الكلام على المقصد الأول من (سورة الفرقان)

### ( المقصد الثاني )

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا \* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا \* لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِي كَثِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا \* وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا \* وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا \* الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا \* تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُبِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

### التفسير اللفظي

قال تعالى (ألم تر إلى ربك) ألم تنظر إلى صناعه (كيف مد الظل) بسطه نعم الأرض من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فلا هو ظلمة الليل ولا هو وقت اشراق الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) دائما لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فان الأشياء تستبين بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه اليها) أخذنا ذلك الظل الممدود إلى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا جزأ جزأ بسبب ضوء الشمس الذي ينسخه (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام كاللباس فان كلا منهما ساتر لما أحاط به (والنوم سباتا) راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم وأصل السبت القطع ويطلق على الموت لأنه يشبه قطع الحياة ومنه المسبوت لميت وقال تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل - (وجعل النهار نشورا) وهو في مقابلة الموت المذكور في أحد المعنيين السابقين فكأنه سبحانه يقول جعلنا سباتكم أي موتكم بالنوم في الليل وجعلنا نشوركم أي انبعاثكم من النوم الذي يشبه الموت بالنهار ففيه ينشر الخلق للعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب \* قال لقمان لابنه « كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشأ » فالنوم واليقظة نموذج للوت والنشور (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) البشرجع مخفف بشرا بالضم جمع بشور بمعنى مبشر أي مبشرات بأقدام المطر \* وقرئ - نشرا - أي ناشرات للسحاب جمع نشور وهو إماء على وزن فصل مخففا واما على وزن سحب جمع سحب (وأنزله من السماء ماء طهورا) أي بلبغا في طهارته وهو في اللغة إما اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به والوقود لما توقد به النار واما صفة كما ذكرناه هنا واما مصدر بمعنى التطهر تقول تطهرت طهورا حسنا \* وقال عليه الصلاة والسلام « لا صلاة إلا بطهور » بفتح الطاء أي بطهارة . وأما قول ثعاب « انه ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره » وهو مذهب الشافعي فذلك زيادة بيان للطهارة وليس هذا معنى الطهور لأنه لازم وصيغة المبالغة من اللازم لازمه فطهور لا يفيد التطهر لأن اللازم لا يفيد معنى المتعدي (لنحيي به بلدة ميتا) أي لنحيي بالمطر بلدا أو مكانا لانبثاق فيه فنجعله مزدانا بالشجر والنبات والأزهار والأثمار وذلك للأرض أشبه بالحياة للإنسان والحيوان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وإناسا كثيرا) أي ونسقي الماء أنعاما وهي البهائم وأناهي مما خلقنا وسقي وأسقي لغتان \* قال الشاعر

سقى قومي بنى نجد وأسقى \* نميرا والقبائل من هلال

والاناسي جمع أنسي كالكراسي جمع كرسى أوجع انسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت الياء في الياء . يقول الله أنزلنا الماء فأحيينا به الأرض للنبات وخلقنا الأنعام لتأكل النبات وتشرب الماء وخلقناكم لتشربوا الماء وتأكلوا النبات والأنعام وهذا المعنى يفيد ترتيب الذكر فقدم الأرض ثم الأنعام ثم أخرا الإنسان لاحتياجه إلى ما تقدمه (ولقد صرفناه بينهم) أي صرفنا المطرين بين الناس مرة ببلدة ومرة بأخرى وجعله ثلجا أو بردا ومطرا أو غزونا في باطن الجبال ينزل شيئا فشيئا ليمد الأنهار على طول السنة وجاريا في نهر ونازلا في بحر وبخارا مرتفعا من البحر الملح وغيره وسحابا تصرفه الرياح وإذا صار ثلجا كبر حجمه وإذا كبر الحجم كان سببا لتكسير الأحجار القائمة فوقه فيكون من ذلك العيون النابتات ويفتح الماء لنفسه طريقا إلى الخارج ويكون في مجاري تحت الأرض اما في غورها البعيد كالسيل الباطني الذي يخرج من جبال القمر وراء خط الاستواء ويمر في مجاري تحت الأرض المصرية جاريا إلى البحر الأبيض وهذا النيل

صالح للشرب لصفاء مائه وأما في غورها القريب كالماء المعدني الذي يستخرجه الناس لسقي أرضهم بالسواقي والسواقي والآلات الرافعة فإن ذلك الماء مخلوط بمعادن قد اتصف بأوصافها كالكبريت والملح والفضة والنوشادر وما أشبه ذلك والناس يسقون منه زرعهم ويستشفون به ونحو ذلك . أما الذي في الغور البعيد فهو بعيد المنال جدا يحتاج الى عمق يصل الى (١٠٠) متر أو (١٥٠) أو نحو ذلك وماؤه يرتفع أكثر من القسم الثاني لأنه ينزل من مكان أعلى وراء خط الاستواء في مكان ينزل منه النيل الظاهر الذي لا يصح شرب مائه إلا بتصفيته وفي بعض الأيام يجب عليه لقتل ما فيه من المواد الضارة . فهذا كله داخل في قوله تعالى - وأقد صرفناه بينهم - فهو جامد يشبه الحجر وسائل يشبه الزيت وسائر المائعات وجسم بخاري يشبه الهواء وهو غاد رائح في الجوّ وفي النهر وفي الغدران وفي أجسام الحيوانات والنبات والانسان ومنفصل عنها ساثر في الجوّ طائر للسحاب وهكذا دواليك وهو مع ذلك في البحار صقيل يظهر فيه كل كوكب من شمس وقر والناس يتطهرون ويشربون وهم غافلون عن جلاله فيتركون قلوبهم حگریة وهم يتطهرون كل يوم من المياه الحسنة الأشكال البهجة الزينة والمنظر المعطية للأجسام حياة وطهارة . يقول الله ولقد صرفنا المطر بين الناس على أنحاء شتى فلا يمر ساعة ولا ليل ولا نهار إلا كان لنا فيه آثار فنزله على قوم ونحجبه عن آخرين بحيث يتبع أحوال الجوّ والشمس التي تجرى بحسب ما يرى في الحسّ ويكون هناك صيف وشتاء وربيع وخريف وفي كل ذلك أطوار شتى للمطر والشتاء عند قوم صيف عند آخرين وهكذا الربيع والخريف في نصف الكرة الشمالي والجنوبي فنحن صرفنا المطر بينهم كما صرفنا الليل والنهار فالشمس جارية من عند قوم ذاهبة لآخرين . هكذا المطر والسحاب - صنع الله الذي أتقن كل شيء - . فعلنا كل ذلك التصريف (ليذكروا) ليتذكروا ويتفكروا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أو صرفناه بينهم ليعتبروا أو يعرفوا حقّ النعمة فيشكروا فأبى أكثرهم إلا كفر النعمة وبحجودها وقلة الاكتراتها (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) نبيّا ينذر أهلها فتخف عليك أعياء النبوة ولكن بعثناك الى اقربى كلها وجئناك قتل النذارة لتستوجب بصرك ما أعدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومدايحتهم (وجاهدكم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا (وهو الذي صرح البحرين) فلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يمتازان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قاطع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة أو مرّ ملح زعاق لا يصلح لقطع العطش بالشرب منه (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) وتنافرا بليقا أو سترامنوعا فلا ينفى أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء بشرا) جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الأشكال والهيئات بسهولة أو من النطفة (جعلنا نسبنا وصهرا) أى جعله ذا نسب وصهر والنسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه وقد حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعهما قوله تعالى - حرمت عليكم أمهاتكم - الآية فارجع اليها في سورة النساء أو قسمه ﴿قسمين﴾ ذوى نسب وهم الذكور ينسبون اليه وذوات صهر أى انا ما يصاهر بهن كقوله تعالى - فجعل من الزوجين الذكر والأنثى - (وكان ربك قديرا) إذ خلق من مادة واحدة بشرا عجيب الصنع بديع الخلقة (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) يعنى الأصنام وكل ما عبده فليست تنفعهم ان عبدوها ولا تضرهم ان تركوها (وكان الكافر على ربه ظهيرا) مظاهرا ومعينا على معصية ربه فهو يعاون الشيطان على معصية الرحمن (وما أرسلناك إلا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة المأخوذ من قوله - مبشرا ونذيرا - (من أجر إلا من شاء) إلا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعات وهذا من أحسن الأساليب التي جاءت في علم البديع كقول الشاعر ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

يصف الشاعر الممدوحين بأنهم لاعيب فيهم إلا عيباً واحداً وهو أن سيوفهم مفاولة من مقارعة الأبطال  
هكذا يقول لأسألكم عليه أجراً لا شياً واحداً وهو أنكم تنقربون إلى الله فهذا هو أجرى وإذا كان هذا هو  
أجره فهو دليل على غاية الاخلاص والصدق في الدعوى وذلك دليل على أن السعادة القصوى أن يكون العمل  
محبوباً لذاته لا لغاية أخرى فكأنه جلال . وإذا كان الجلال مطلوباً لذاته فهو خير مطلوب فالنبوة لتكميل  
الخلق فأجرها لا يكون عرضاً دنيوياً بل سعادة النبوة في نفس النبوة أي في نتائجها . والأنبياء بالنسبة للناس  
كالآباء بالنسبة للأبناء فالأب لا يطلب من تعليم ابنه إلا رقى ابنه وسعادته هكذا لا يطلب الملائكة من الناس ولا  
الأنبياء من الأمم ولا الحكماء ولا العلماء المخلصون إلا هداية الناس ويرون في نفوسهم لذة لا تضارعها لذة ولا  
يفرحون بمال ولا بعقار . ومن هذا الحديث الشريف ﴿ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حور  
النعم ﴾ وهذا كلام إذا سمعه صفار أهل العلم ظنوا أن المقصود ثواب الآخرة وحده وما دروا أن قائل ذلك  
يستلذ بإيمان رجل أكثر مما يستلذ بحمر النعم فلا تنتظر يا محمد إلى ما عندهم من مال يعطوك أجراً ولا تخف من  
شرهم فلاهم رازقوك ولاهم مؤذك مادمت قائماً بهدايتهم فنحن نعطيك ما يكفيك ونكفيك شر من يؤذك  
ونفعل ذلك مع كل من هو على طريقك سائر وهذا معنى قوله (وتوكل على الحي الذي لا يموت) فأما الأحياء  
الذين يموتون فانهم إذا ماتوا ضاع من توكلت عليه منهم (وسبح) نزّهه عن صفات النقصان (بمحمده)  
مثلياً عليه بأوصاف الكمال طالبا مزيد الانعام بالشكر على سوابقها ومن صفات النقصان التي ينزه عنها أن  
يكل إلى غيره من توكل عليه (وكفى به بذنوب عباده خيراً) أي كفى الله خيراً بذنوب عباده فهو خير  
بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش)  
قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق موضعاً يحرض الله بهذا عباده على التوكل عليه إذا قاموا بما وجب عليهم من  
الدقة في العمل والثبات في القيام على الوجه الأحسن فإذا فعلوا ذلك فليتوكلوا على الله في نتائجه وإفراحوا بما  
يجي به القدر لأنه هو الحسن كما أن خلق السموات والأرض حسن . خلق السموات والأرض في ستة أيام  
والاستواء على العرش عبارة عن النظام البديع وإدارة شؤون الملك الموضح في سورة ﴿يونس وهود﴾ فمن تخلق  
بأخلاق الله على قدر طاقته البشرية في الأعمال الأرضية من الأفراد والأمم فهو حري أن يتوكل على الله والله كافيه  
لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً وأتقن صنعا وقوله (الرجن) فاعل استوى وقوله (فأسأل به خبيراً) أي  
فأسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض في ستة أيام واستواء الرجن على العرش وعن الرجن علماً يخبرك  
بحقيقته لأن خلق السموات والأرض في ستة أيام معناه أمر غير ما يفهمه العامة لأن اليوم يطلق على ألف سنة أو خمسين  
ألف سنة أو أكثر من ذلك . والاستواء على العرش ليس معناه الجلوس عليه فذلك مستحيل بل هو يفهم مما  
ذكرناه هناك في سورة ﴿يونس وهود﴾ فليس كل امرئ يعرف ذلك فليبحث الناس في العلم وليجتئوا في  
البحث ولا يقفوا عند ظاهر اللفظ فالضلال في الوقوف فمن كان جاهلاً فليقف عند ظاهر اللفظ ويترك البحث في  
معناه ومن كان ذكياً فعليه بالبحث والدراسة بسؤال العلماء فإن العلماء إذا قرؤوا مثل هذا فهموا غير ما يفهمه  
العامة . وأيضاً كان القوم لا يعرفون الرجن فإن هذا الاسم المشتق من الرحة الذي هو أبلغ من الرحيم لم  
يكونوا يعتادونه بل يعرفون الرحيم والراحم والرحوم . ولما كانت هذه الأمور الثلاثة تحتاج إلى العلماء بالعلوم  
المختلفة كعلم الارتماطيق حتى يعرف لم يختص عدد السنة بالذكر مع أن العوالم خلقت في آلاف آلاف آلاف  
آلاف الآلاف فلم اختار عدد (٦) وكالعلوم جميعها من فلسفة وطبيعة حتى يعلم كيف يكون الاستواء بطريق  
الاجال وكلم اللغة العربية والاطلاع الواسع فيها حتى يعرف الرجن . ولما كان الأمران الأولان قد تقدم  
بجانبهما في ﴿يونس وهود﴾ وغيرهما من هذا التفسير . وسيزيد الأول منهما بحثاً وتنقيحاً في لطائف هذا  
المقصد إن شاء الله . لم يبق إلا الثالث الذي ذكره الله تعالى بقوله (ولذا قيل لهم اسجدوا للرجن) انخفضوا

له (قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن فنسجد له بل نعرف الراحم والرحيم وأما الرحمن فليس يطلق عقدنا على الله . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم أو سؤال عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم (أنسجد لما تأمرنا) أى أنسجد للذى تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به (وزادهم) قوله - اسجدوا للرحمن - (نفورا) تباعدا عن الإيمان ولما كان الرحمن مشتقا من الرحمة وهو أبلغ من الرحيم أردف ما تقدم بهجة رحته ونور جلاله وسعة ملكه ليعرف معنى الرحمن فقال (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً) البروج فى اللغة القصور العالية أو القصور فيها الحرس وهى هنا اما البروج الاثنا عشر وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت . وأما السجود السكبار الذى عدها المتقدمون نحو ألف وعددها المتأخرون أكثر من مائتى ألف ألف . وانما سميت البروج المتقدمة بهذا الاسم لأنها للسكواكب السيارة كالمنازل لسكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهورها (وجعل فيها سراجا وقرا منيرا) أى شمسا متوقدة وقرا مضيا (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه) يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه عند مضيه والخلفة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف فيها كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلفه وقوله (لمن أراد أن يذكر) متملق بقوله - جعل - أى لمن أراد أن يتعظ باختلافهما ويتذكر آلاء الله فيهما ويتفكر فى صنعه (أو أراد شكورا) أى شكر نعمة ربه عليه فيهما . انتهى التفسير اللفظى للمقصد الثانى وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

(١) فى قوله - ألم ترى ربك كيف مد الظل -

(٢) وفى قوله - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - الى قوله - وكان ربك قديرا -

(٣) وفى قوله - الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام -

(٤) وفى قوله - تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً - الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ألم ترى ربك كيف مد الظل - ﴾

تقدم بحث الظلال مطولا مستوفى فى السور المتقدمة قبل سورة الكهف فلننظرها نظرا آخر فقول انظر أيها الذكى نظرة أوسع مما كتبناه وتأمل فى هذه الدنيا . انك لاتجد فيها إلا نورا على نور كما تقدم فى (سورة النور) إذ جاء فيها - الله نور السموات والأرض - ثم ضرب المثل هناك فأتت اذا تأملت لاتجد فى هذه الدنيا ظلالا وظلاما إلا قليلا جدا . ألا ترى أن الكواكب العظيمة المشرقة التى بلغت مئات الملايين كلها مضيئة بأنفسها لا ظل لها بل هى مشرقة ليلا ونهارا لا انتهاء لنورها . واذا أردت أن تعرف جميع الشمس فانظر شمسنا هل تظلم ليلا أو نهارا . لا ظلام لا ظلام . فاذا كانت شمسنا على صغر حجمها بالنسبة للشمس الأخرى لا تطفأ فما بالك بالشمس الكيرات التى شمسنا بالنسبة لها صغيرة فثبت أن الكون نور فى نور ولا ظلمة فيه اللهم إلا ظلا قليلا وما هو ؟ هو ظل الأرض التى نسكنها . واعلم أن الأجرام على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أجرام مضيئة وأجرام معتمة وأجرام شفاقة . فالأجرام المضيئة هى هذه الشمس فالعالم كله نور كما قلنا والأجرام المظلمة المعتمة هى الأرض التى نحن عليها والقمر الذى يجرى حولها وماشابه هذين الجرمين من كل سيار يجرى حول الشمس وقد أصبح متجمدا كتجمد الأرض سواء أكان فيه سكان كما فى أرضنا أم خلا من السكان كما فى قرنا الذى يقال انه قد خرب بعد أن كان يصلح للسكى ويقال بطريق القياس ان حول الشمس الأخرى سيارات كأرضنا وأقمارها وكلها فى الحكم كما فى سياراتنا فلنرجع الى أرضنا وفرنا فانا نجد أن الشمس متى أشرقت على وجه الأرض أضأت وكان هذا نهارا ويكون الجانب الآخر ليلا ولا معنى لليل إلا أن الشمس حجبت عن وجه من الأرض فأصبح مظلم . هذا معنى الليل . ومعنى النهار أن تتجه الأرض الى الشمس بالوجه الآخر فالليل ما هو إلا ظل الأرض والنهار ما هو إلا ضوء الشمس وهكذا للقمر ليل ونهار كذلك ومن ظله يكون كسوف الشمس

لأنه يحجب ضوءها عنا فيقال كسفت الشمس . ولامعنى لحسوف القمر إلا وقوعه في ظل الأرض المخروطي ويكون ذلك في أنصاف الشهور لوقوع الأرض وقت الاستقبال بينهما . فأما الكسوف فانه يكون في أواخر الشهور لوقوع القمر بين الأرض والشمس . اذا فهمت هذا عرفت قوله تعالى - ألم تر الى ربك - أى الى صناعه وعجائبه واتقان فعله - كيف مد الظل - وراء الأرض من الناحية الأخرى المخالفة للناحية المقابلة للشمس . ومعلوم أن الدنيا كلها نور في نور لأن هذه الكواكب كلها نور مشرقات . واذا كانت هناك سيارات للشمس الأخرى فهي في جانب الشمس ضئيلة لا تذكر ولا تؤثر ظلالها فالدنيا كلها نور لأن - الله نور السموات والأرض -

يقول الله تعجب أيها العبد من صنع ربك كيف ابتدع أجراما قليلة جدا كالأرض وجعلها معتمة بسبب برودة ظواهرها وبهذه العتمة صار لها ظل من ورائها ولولا ذلك ما كان في هذا العالم ظلال يستريح الناس فيها ولاهم وقت مناسب للنوم فيه . ولو كانت الأرض شفاقة كالهواء وكالزجاج وكالماس وأشباهاها لم يكن لها ظل فانه هو الذى اخترع الأجسام المظلمة رحمة منه ليكون لها ظل فيكون الليل والنهار وفي النهار تختلف الظلال اختلافا كثيرا بسير الشمس فانه لما خلق الشمس مثلا جعل الهواء وجعل الجسم الأثيرى الذى فوق الهواء شفافين وجعل الأرض معتمة فالشفاف واسطة لوصول الضوء والمعتم يمنع فيكون ظلام الليل والظلال الأخرى النهارية . ثم ان الأرض لو كانت ساكنة وكان وجهها المحاذى للشمس ثابتا لا يتحرك لم يكن ليل ونهار ولم تكن هناك رحمة بالناس والحيوان تامة لذلك أعقبه بقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - فان ضوء الشمس بحسب الظاهر يتنقل فيكون نور الشمس ناسخا لظلمة الأرض بحيث يكوّر الله كل واحد على الآخر . فقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - حكمة أخرى غير حكمة الظل فالظل نعمة وتغيره نعمة أخرى والمراد بالظل على هذا المعنى ما يعم الظلام الدامس وقوله - ثم قبضناه اليها قبضا يسيرا - متم لما قبله لأنه ينسخ الشمس الظل يكون التدريج فيه وهو معنى - قبضناه اليها قبضا يسيرا - انتهت اللطيفة الأولى

﴿ المطيعة الثانية في قوله تعالى - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ﴾

اعلم أن هذه الآية وتركيبها من أعجب العجب فان لفظ - طهورا - هنا كقوله تعالى في (سورة الحجر) - وأرسلنا الرياح لواقح - كلاهما وضع رمزا لعلوم واسعة ولكن أكثر الناس عنها معرضون ﴿وبيانه﴾ أن قوله - وأرسلنا الرياح - انما نزلت في مقام الامتثال بارسال الرياح وانزال الماء من السماء لتحيا به الأرض بعد موتها . فقوله - لواقح - جاء كفتح لعلم لقاح النبات . واذا كنت اطلعت على ما كتبناه في كتبنا أو ما جاء في (سورة الحجر) في التفسير هناك . أقول اذا اطلعت عليه هناك رأيت عجبا عجبا في بدائع صنع الله تعالى من اللقاح ولولا هذه الكلمة لم يكن لذكر ذلك في التفسير معنى وعلم اللقاح أهم ما في علم النبات لأن عدد الأوراق في الزهرات التى فيها أعضاء الذكور وأعضاء الاناث عليها مدار تقسيم هذا العلم . هكذا هنا فان الله امتن على العباد بانزال الماء من السماء وذكر هذه اللفظة وهى - طهورا - مع أن المقام مقام النعمة بسقى الأرض به واخراج النبات وسقى الحيوان والانسان . فأما الطهارة فليس المقام لها فإذن يقال إن الماء أنزله الله لحياة الأرض والنبات والحيوان والانسان ولنظافة الانسان وثوبه ومكانه . فالماء لحياتنا ولنظافتنا . هذا ملخص ما يفهم من الآية . فانه عز وجل له علينا المنّة إذ جعل الماء حياة لنا ولزرعنا وحيواننا وطهارة لنا ولا جرم أن طهارة الظاهر تتبع طهارة الباطن فلاخير في ظاهر لا يتبعه الباطن . إن الله عز وجل جعل الماء شفافا تسطع فيه الكواكب والشمس والقمر فلورأيته فى الليالى المظلمة لألفت الكواكب فيه مرسومة فالماء يحينا وينظفنا واذا نظرنا اليه وجدنا جوهره يسم العالم الذى تقابله فهو مرآة للعوالم المقابلة له . الماء يكون بخارا ويكون سحبا ويكون ضبابا وثلجا وبردا كما تقدم . يقول الله - ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فاني أكثر الناس

إلا كفورا - ؟ كم الناس ؟ كفروا النعمة لأن الماء لو انهم فهموه وقفهوه لكان فيه للناس غنية ولكان كافيا لهم ولكنهم كفروا النعمة . نظروا الى الماء من حيث انه حياتهم وان كانوا متدينين نظروا اليه من حيث انه به نفاقة أجسامهم ولكن أكثر الناس كافرون بحقائقه فانحطت نفوسهم الى الدرك الأسفل . أفلم ير الناس الى اشراق الكواكب فيه وانها مرسومة . أليس هذا نبراسا لهم عسى أن يتذكروا أن أنفس الناس يجب أن تكون مشرقة: ترسم فيها العلوم كما ارتسمت الكواكب في الماء . الروح أطف من الماء والماء وسع الكواكب ؟ فلماذا لا يفهم الناس من هذا أن تشرق نفوسهم بالعلوم والحكمة وبالأخلاق وبالفقه كما أشرق هذا الماء بالكواكب وظهرت فيه ورسمت في خلاله . هذا كتاب كتبه الله بيده في الطبيعة وقال - ولقد صرفناه بينهم - وقال في القرآن - ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل - ولكنه شدد هنا فقال - فأني أكثر الناس إلا كفورا - . هنا يقول الله - صرفناه - وفي القرآن يقال الله - صرفنا - وفي الماء يقول - فأني أكثر الناس إلا كفورا - فكأن الماء كتاب وكأن الذي لا يفهمه ولا يعمل بما فيه كفور - . فهذا الماء صاف شفاف كما قدمنا بحسب طبعه وهو يسع الكواكب المقابلة له كما قدمنا . هكذا فلتكن قلوب الناس خالية من المعاصي والمطامع فتشرق عليها العلوم . ومن أظلمت نفسه بالظلم والذنوب لم يشرق فيها العلم كما لا تظهر صور النجوم في الماء الكدر . وأيضا ان النظر في أمر الماء يدل على بقاء الأرواح فاذا كان الصفاء والكدر في الماء يختلفان من حيث قبول انطباع الصور وعدم قبولها كما يحصل في أرواحنا هكذا يكون تصريف الماء حرارة وبرودة إذ يكون سائلا وبخارا وثلجا فاذا كان داخلا في أجسام الناس والحيوان والنبات فانه يكون سببا في الحياة كما ان الأرواح في الأجسام كذلك واذا خرج من الأجسام بالبخار صار بخارا كما تخرج الأرواح بالموت الى عالم آخر وكما أن البخار يرجع فيصير سحبا فينزل مطرا على اليابسة فيدخل الأجسام ثانيا هكذا أرواحنا خروجها من أجسامنا لا يمنع بقاءها ورجوعها ثانيا الى عالم الحياة . فاذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فني بل انما هو صار بخارا والبخار لم يفن بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا فالله تعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن بل الماء من آدم الى اليوم والى أن تفتي الدنيا هو هو لم يتغير فالله الآن هو الماء الى يوم تفتي الأرض هو الماء الذي كان منذ مئات الألوف من السنين وهو المطر وهو البخار وهو الأنهر وهو الذي يرجع الى البحر الملح وهو الذي يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم تفتي الأرض فليس تحت الشمس من جديد فالله الذي شر به أجدادنا هو الماء الذي نشربه أو نظيره . ولكن ذلك لم يفن فلما أن يكون هذا منه واما أن يكون ذلك قد رجع الى البحر وهو فيه الى الآن وسيرجع بخارا يوما ما . هذا ملخص المعنى . فاذا كانت هذه حال الماء الذي هو مركب من أكسوجين وأودروجين فما بالك بأرواحنا التي لا تركيب فيها . إن الحكماء قرروا أن الجسم كلما كان أكثر تركيبا كان أسرع انحلالا وكلما قل تركيبه عسر انحلاله وطال أمد وجوده . ألا ترى الأشجار فانها أسرع انحلالا من الأحجار لأن الأحجار أقل تركيبا من الأشجار فالله أولى لأنه أقل تركيبا إذ هو مركب من الأكسوجين والادروجين ولا انحلال لهما إلا في أيام خراب الأرض وتبديلها أو بتحليله في المعامل الكيميائية وهذا لأن الماء قليل التركيب بخلاف النبات والحيوان والانسان فالروح التي لا تركيب فيها لا فناء لها . فاذن يكون في تصريف الماء عبرة لنا وهي بقاء أرواحنا بعد الموت والصفاء في نفوسنا المرموز له بصفاء الماء وهذا من أهم أغراض الرسالة فالرسالة انما جعلها الله تهذيب الأرواح وتذكيرها بميعادها ورجوعها الى عالم الأجسام مرة أخرى وهو يوم القيامة ولذلك ذكر بعد ذلك قوله تعالى - ولوشئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - وذلك لتذكير الناس بما يصرف الله في القرآن وبما يصرف في الماء وفي غيرهما لتصفو نفوسهم ويعاوكبهم في الحكمة والعلم . هذه هي المناسبة الداعية لتذكر الرسالة مع الماء وأيضا الرسالة والعلم حياة للنفوس والماء حياة للأجسام

## زيادة كشف وإيضاح

﴿ اتقان الصنعة من موجبات دوامها إما بأن تبقى هي أو بأن يتجدد أمثالها ﴾  
 اعلم أن اقتران ذكر الماء والتصرف فيه بقوله تعالى - ولوشئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - داع للبحث والتفكير والموازنة بين القرآن وبين الماء وكذلك الانسان . فها هو ذا بعد أن ذكر ذلك بين كيف يتصرف في الماء بقوله - صرح البحرين - الخ وكيف يتصرف في الانسان فقال - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ . فمهما قرآن وماء وانسان تصرف فيها كلما . ولقد رأيت كيف تصرف في الماء فيما كتبناه هنا . وأزيد عليه بأن أشير الى ما تقدم في (سورة الأنعام) من التصرف فيه بالاشراق والنور . ذلك ان هذا الماء المذكور في هذه الآية يكون مشرقا مضيئا جيلا سواء أكان في الأقطار الاستوائية أم في القطبية . ألا تعجب معي كيف ذوب الله فيه مادة الفوسفور كما تقدم في الأنعام . ذوبها من الحيوانات التي تموت في البحر من حيواناته . فلما أذاب الفوسفور اتقد نورا وظهر على هيئة شهب وذوات أذنان وقوس قزح وظهر وبهر وجل وكانت له أشكال باهرة مختلطة مزدوجة يراها المسافرون في البحر . ألا تعجب معي كيف كان ذلك أيضا في القطبين ؟ ماذا فعل الله هناك . الجو هناك بارد والبرد جعل الماء ثلجا . فانظر ماذا ترى . ترى الثلج اذا أشرق عليه نور الشمس أوضوء الصباح هناك يلعب ويكون من لمعانه أنوار وبهجة لا تقبل في قلبها عما في بحار خط الاستواء . هذه هي الصنعة المتقنة . تفنن وتفان واتقان واتقان وأنوار وأنوار . لم يحجب ذلك حر مفرط ولا برد شديد . ففي كليهما لم يعدم وسيلة يهربها العقول ويحسن بها الأشكال في الماء فضلا عما تقدم من أنواع الصور والأحوال . هذا هو الماء وهذه تصرفاته المذكورة في الآية فانظر في أمر القرآن تراه قد اشتمل على حكم ومواعظ وأخبار وأحكام وأمثال ووعد ووعيد وأنواع من البديع وتفان في القول وحسن التعبير فدام على مدى الزمان دام هذا الوجود لحسن اتقانه . ودام هذا القرآن لحسن اتقانه فهذه الدنيا وهذا الوجود كان دوامها لحسن الاتقان في الصنعة كما ترى في الماء وهكذا القرآن واعلم أن الكتب يكون دوامها على حسب حسن التفنن والاتقان فيها فعلى مقدار تفننها واتقانها تدوم كما دام الماء ونظام الوجود لحسن التفنن وعلى تمنن واصفیه بحسنه \* يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

بقي علينا أن ننظر في أمر الانسان ونرى نظامه فيه ذلك التفنن كما رأيت في نظام الماء . الماء يكون ممزوجا بالنبات مختلطا بجسم الحيوان يدور في دورة كل منهما وهو بحار وماء وثلج الى آخر ما تقدم وهو شئ واحد هكذا هذا الانسان ترى له روحا واحدة ومن عجب انها هكذا

|       |                |                      |                 |
|-------|----------------|----------------------|-----------------|
| مخيلة | في مقدم الدماغ | متكلمة               | باللسان أيضا    |
| مفكرة | في أوسطه       | ماضغة                | بالأسنان        |
| ذاكرة | في مؤخره       | هاضمة                | بالمعدة         |
| حافظة | في مؤخره       | مجرية الدم           | بالشرايين       |
| كاتبة | باليد          | مصفية الدم           | بالرئة          |
| ناظرة | بالعين         | موزعة الدم           | بالقلب          |
| سامعة | بالأذن         | طابخة الدم           | بالكبد ونحوه    |
| باطشة | باليد أيضا     | حافظة القلب وما حوله | بالضامع         |
| ماشية | بالرجل         | حافظة الماء          | بالكلية         |
| ذاقة  | باللسان        | مخرجة الفضلات        | بالسبيلين وهكذا |



ناقص واما كامل فالزائد مثل عدد ١٢ وهو عدد يزيد مجموع مضاربيه عنه . فمضاريب ١٢ هي ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - والمجموع ١٦ وهي أكثر من (١٢) والعدد الناقص هو ناقصت مجموع مضاربيه عنه وذلك مثل عدد (٨) لأن مضاربيه (١-٢-٤) وهذه عددها (٧) وهي أنقص من (٨) والعدد الكامل هو ما يساوي جميع مضاربيه وذلك مثل العدد (٦) فإن مضاربيه هي ١ و ٢ و ٣ التي مجموعها (٦) وكذلك عدد (٢٨) فهو عدد كامل لأن مجموع مضاربيه وهي (١ و ٢ و ٤ و ٧ و ١٤) هو عدد (٢٨) وهكذا قد توصل العلماء بقاعدة المتوالية الزوجية وهي المتوالية الهندسية التي أسسها (٢) وحدها الأول ٢ مع تكرار حدها الثاني وهو (٤) أن يستخرجوا الأعداد الكاملة التي هي قليلة العدد بحيث تكون في الأحاد العشرة عددا واحدا وفي العشرات كلها عددا واحدا وفي المئات كلها عددا واحدا وفي عشرة الآلاف الأولى عددا واحدا ومن عشرة الآلاف الى مائة الألف لا شيء منه فيها . وهكذا رأى العلماء أن العدد الكامل نادر جدا وهاك جدول

|                      |
|----------------------|
| ٦                    |
| ٢٨                   |
| ٤٩٦                  |
| ٨١٢٨                 |
| ١٣٠٨١٦               |
| ٢٠٩٦١٢٨              |
| ٣٣٥٥٠٣٣٦             |
| ٥٣٦٨٥٤٥٢٨            |
| ٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦           |
| ١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨         |
| ٢١٩٩٠٢٢٢٠٦٩٧٦        |
| ٣٥١٨٤٣٦٧٨٩٤٥٢٨       |
| ٥٦٢٩٤٩٩٣٦٦٤٤٠٩٦      |
| ٩٠٠٧١٩٩١٨٧٦٣٢١٢٨     |
| ١٤٤١١٥١٨٧٨٠٧٤٢٠٤٨٦   |
| ٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨  |
| ٣٦٨٩٣٤٨٨١٤٣١٢٤١٣٥٩٣٦ |

فترى في هذا الجدول انه من (١) الى (١٠) لا يوجد إلا عدد كامل واحد وكذلك من (١٠) الى (١٠٠) ومن (١٠٠) الى (١٠٠٠) ومن (١٠٠٠) الى (١٠٠٠٠) ومع هذه القلة لا يصح اطراد القاعدة فلا نقول انه من (١٠٠٠٠) الى (١٠٠٠٠٠) تقريبا أو من هذا الى واحد مليون يوجد عدد كامل لما ظهر من هذا الجدول انه من (١٠٠٠٠) الى (٨٠٠٠٠٠٠٠٠) ونحوها لا يوجد إلا عدد كامل واحد ولذلك قال أحد علماء الرياضة كما قال أستاذنا المرحوم علي باشا مبارك وهو صادق في المقال ﴿ إن في ندرة الأعداد الكاملة ليعلم لندرة وجود الكمال ﴾ انتهى المقصود من العدد الكامل في علم الارتمطيق

أفلاترى أيها الذكي أن عدد (٦) في القرآن وفي التوراة في خلق السموات والأرض يراد به التنبيه على أول عدد كامل والعدد الكامل كما علمت عزيز الوجود . كيف لا وه أنت ذا لم تر في الأعداد من (١) الى مليونين عددا كاملا إلا خمسة أعداد وليس في الأعداد من (١) الى (٣٣) مليوناً ونصف

مليون إلا هذا العدد وستة أعداد معه كما رأيت . ولا شك أن سبعة في ٣٣ مليوناً ونصف مليون تعتبر نادرة جدا جدا . فبه الله به على انه لما خلقه في ستة أيام راعى أكل الوجود وأتمه بحيث انه اختار من أنواع الوجود ما هو أكمل ولا ريب أن صور الموجودات لانهاية لها فاذا خلقها الله على هذا النمط فهو أحسن وأجل الأنماط والاشارة لذلك بلفظة (٦) التي هي عدد كامل فهو يشير الى الكمال المطلق في الوجود المعبر عنه بقول الحكماء ﴿ ليس في الامكان أبدع مما كان ﴾ فاذا اختار في التعبير أكل الأعداد وأولها في الكمال فلا بد أن يكون اختار في خلقه أكل الأوضاع وأولها وأحسنها في الكمال وهذا هو معنى قوله تعالى - الذي أحسن كل شيء خلقه -

فقال صاحبي حسن ما تقول ولكن خبرني رعاك الله أليس يكتفي فيه بالآيات الواردة في حسن الخلق وجماله

ومالنا ولهذا الرمز . قلت له على رسلك أيها الاستاذ اعلم أن هذا حسن في العدد وحسن العدد مطلوب لحسن المحسوسات ، قال فهل جاء هذا في القرآن . قلت قال الله تعالى - والشفع والوتر - فأقسم الله بالشفع والوتر وهما جميع علم الارتعاطي الذي هو أساس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وفلك وموسيقى فهي كلها مبنية على علم الارتعاطي وهذا العلم راجع للزوج والفرد وهما المذكوران في الآية والله أقسم بهما ولا معنى للقسم إلا شرف المقسم به والمقسم به هو العدد وشرفه يقتضى البحث عنه من حيث دلالة على الابداع والاتقان كالسكواكب التي أقسم بها والشفق والشمس والقمر والنجوم فهكذا أقسم بالأعداد جميعها فإذا ظن المسلم أن الله لا يعتبر العدد فقد أخطأ من زعم ذلك وعليه يكون اختيار ستة أيام لهذه الحكمة العجيبة ولولم يكن فيه سوى الحظ على مزاوله هذا العلم الذي هو أسس العلوم الرياضية لكفى . وإذا رأينا علماءنا رضى الله عنهم ألفوا الكتب الضخمة والأبواب الواسعة في تكفين الميت وغسله والصلاة عليه وفي الحيض والاستحاضة وفي الطلاق وأمثالها ولذلك آيات في القرآن محدودات ؟ أفلا ينبغي أن يؤلف في علم الأعداد الذي أقسم الله به ما يضارع تلك الكتب . عجبا وألف عجب لأمة الاسلام ، أيجوز أيتها الأمة العريقة المجد الشريفة المنزع أن ينزل الكتاب علينا فتحفظون البعض وتنسون البعض

أيجوز يا أمة محمد الذي هو خاتم الأنبياء أن تقفوا بالنوع الانساني وقفة تزرى بشرفكم . خبروني في أى آية أقسم الله بالحيض والنفس . خبروني في أى سورة من القرآن أقسم الله بالدين وبالطلاق . خبروني في أى آية أقسم الله بالبيع وبالهبه وبالميراث وأنتم قد قتم بما يطلبه الدين في هذه العلوم وأرضيتم الله وخلقه فما بالكم تعرضون عما أقسم به الله فقال - والفجر \* وليال عشر \* والشفع والوتر - وقال - والشمس وضحاها \* والقمر اذا تلاها - وقال - والليل اذا يغشى \* والنهار اذا تجلى - وهكذا . هذه هي الأشياء العظيمة التي أقسم الله بها ؟ هل أقسم بها لتصدقوه . كلا . والله انما أقسم بها ليحشكم على فهمها وادراكها والتأليف فيها كثر من التأليف في الأحكام الشرعية . علم الله أن أمة الاسلام ستكون عالة على الأمم فانزل في القرآن هذه الأقسام وحرص أهل العلم على استخراجها واطهارها للأمة ليقرأها اللاحقون كما قرأ الأحكام الشرعية السابقون وسيكون في هذه الأمة من يدرس العلوم كلها كما درست الشريعة سابقا ، سيكون في هذه الأمة من يقرأ - والشفع والوتر - ويقرأ علم العدد الزوجي والفردى ويعرف نظام الله في الأعداد التي هي سر الوجود عجبا وألف عجب يقول (فيثاغورس) الفيلسوف ﴿ إن العدد أول الموجودات ﴾ ويقول الفلاسفة بعده ﴿ إن الحساب في الطبيعة دال على حاسب والحاسب هو الله ﴾ فكأن الفلاسفة عرفوا الله من طريق علم العدد ولذلك جعلوا الواحد دلالة على الله عز وجل

### ﴿ حكاية ﴾

لما وفد الشعبي على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان سأله مسائل منها ؟ كيف يتصور الانسان نعما في الآخرة لا ينفد ؟ وكيف يكون نعيم يؤخذ منه ولا ينقص ؟ فهل لهذا مثال في الدنيا فقال نعم السراج يؤخذ منه ألف سراج فلا ينقص . فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبطلون ولا يتعطلون هل لهذا نظير في الدنيا فقال نعم الجنين في بطن أمه لو انه بال أو تغوط لقتلها . قال ، الله واحد ليس قبله شيء فهل هذا معقول ؟ فقال نعم العدد أوله واحد وليس قبل الواحد شيء اهـ

### ﴿ رؤيا منامية ﴾

اعلم اني أيام أن تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) ووظفت مدرسا بالمدارس الأميرية كان اتجاه نفسي لما أنا فيه الآن وكان ذلك غالبا على فأخذت أفكر في هذا الوجود وبينما أنا نائم ليلة اذا جاعة أشبه بقوم من بلاد الغرب يقرؤون في قصة أبي زيد الهلالي فوقفت بجانبهم فقال أحدهم ؟ هل أنت تعرف هذه القصة فقلت

نم أعرفها ونظرت اليه نظر الذي لا يهتم . فقال عدد (١) اذا زدنا عليه ٣ و ٢ و ٢ الى ما لانهاية له والجميع نسميه واحدا ؟ فهل هذا مقول . فقلت العدد الذي لانهاية له ليس له اسم خاص فان مائة وألفا لها أسماء خاصة وأما الذي لانهاية له فاسمه عدد لا غير فنسميه واحدا إذ لا تعدد يظهر فيه ، فالتفت الى من حوله وقال ( هو يفهم ) فهجيت في المنام كيف يعبر بهذا التعبير مع اني أجبت اجابة ثالثة ، ولما استيقظت قابلت أستاذي المرحوم الشيخ حسنا الطويل وأخبرته بها ولم يكن لي إلمام بهذه المسألة ولا أمثالها ، فقال لي رحمه الله إن هذا الجواب تقريبي لأن الجواب على هذه المسألة مذكور في الكتب وهو أن الأعداد كلها مركبة من الواحد فلولا الواحد لم تكن ، ومضت عشرات السنين ودخلت في تأليف هذا التفسير فرجع الخاطر لي ثانيا وكان رجوعه قبل تفسير - في ستة أيام - المذكورة في الآية وكنت أعجب لماذا جاء في هذا الخاطر ولماذا أراي مفكرا في الزوج والفرد ، ولماذا أفكر في أن الأعداد الفردية إما أن تكون أولية مثل ٣ و ٥ و ٧ و ١١ و ١٣ و ١٧ وأما أن تكون من أعداد فردية تضرب في بعضها مثل عدد (٩) من (٣ في ٣) وليس لعدد (٢) دخل فيها وهكذا (٢١) من (٧ في ٣) وكذلك (٢٥) من (٥ في ٥) و (٢٧) من (٣ في ٩) وعدد (٣٥) من ضرب (٥ في ٧) ونجد أن عدد (٥) اذا ضرب في (٣) وفي ٥ و ٧ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ وهكذا أي ان عدد (٥) اذا ضرب في عدد فردى بالتتابع مثل السؤال الذي أتى على فانه ينتج ١٥ و ٢٥ و ٣٥ و ٤٥ وهكذا فكل عدد فردى يضرب في ٥ ينتج ٥ متبوعه بعدد العشرات وهكذا ، ولماذا أرى أنه يحدث في نفسي أن عدد (٢) بضربه في كل عدد يعده زوجي أو فردى ينتج عددا زوجيا أي ان الأعداد الزوجية كلها تنتج من ضرب (٢ في ٢) و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ الذي هو عبارة عن ٤ و ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٤ الخ

فلما وصلت الى قوله تعالى - في ستة أيام - عرفت أن هذا الخاطر يقصد منه البحث في علم الأرتماطيق واستخراج الأعداد الكاملة لافادة الكمال الإلهي وللتنبية على أن علم العدد له مزية شريفة ، كيف لا والله يقول بعدها أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . أقسم الله بالفجر والليالي العشر والشفع وبالوتر ثم قال أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . فلماذا ذكر هذا الاستفهام التقريري في هذا المقام . يقول الله أتري أيها المخاطب أن هذا فيه قسم اصحاب العقل . لم يذكر الله هذا القول إلا في هذا المقام . لم يقل الله ذلك إلا هنا مؤكدا ومينا فضل المقسم به ولا فضل فيه إلا ما فيه من جلال وجمال وحكمة وعلم فليس العدد والله معبودا وانما هو مما يفهم ويعقل ، وانظر كيف يقول أليس - في ذلك قسم لذي حجر - أي عقل ليوفظ العقول الاسلامية لترقية العقول بعلم الحساب وأصوله . إن أفلاطون أبان في جمهوريته أن رؤساء الجيش ورؤساء الأمة يجب أن يكونوا بارعين في العلوم الرياضية لأنها علوم ترقى العقول البشرية وتجعل العقل علويا لأن الأعداد عارية عن العالم المادى فهي الى عالم الأرواح أقرب ولذلك كرر الكلام على الأعداد والرياضيات بحيث تدرس سنين وسنين لرجال الجيش ورجال الحكومة ، والى هذا نبه الله هنا فقال - لذي حجر - . ينهنا الى التعقل والفهم بدرس هذه العلوم . ثم أتى هنا بلفظ - ستة أيام - ليحير العقول وانما يحيرها لتبحث واذا بحثت علمت ذكر الأيام الستة ليقول الناس لم خص الستة ، ولم جعل العدد ستة . فإذا عرف الناس أن الستة هي أول الأعداد الكاملة ووجدوا الجدول كله تحت الستة أدركوا أن الأعداد منها ما هو كامل وهو نادر ومنها ما هو ناقص أو زائد وما كثير عرفوا أن هناك علوما خفية ووجدوا في العلوم أسرار لانهاية لعددتها وهناك يعرفون العديدين المتحايين الذين تألف كل منهما من مضارب الآخر مثل عدد (٢٢٠) و (٢٨٤) فان (٢٢٠) يساوي جميع مضارب الآخر وهي (١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٦ و ١٠ و ١١ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٥٥ و ٦٠ و ٦٦ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧٢ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩) ولايجاد الاعداد المتحابة رسموا قواعد بها استخراجها كما استخرجوا الاعداد الكاملة بقواعد . واعلم أن قول القائل ان عدد (١) اذا زيد عليه ٢ و ٢ و ٢ الى

بالانتهاء له ثم يقال له عدد واحد الخ والاجابة عليه بأنه واحد كما أجبت هذا الجواب حق في علم ما وراء الطبيعة لأنهم قالوا إن الواحد مساو للوجود ، فكل ما يصح أن يقال عليه موجود يصح أن يقال له واحد حتى ان الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد يقال لها كثرة واحدة فعلم الالهي ينظر في الواحد وأقسامه والكثرة ولو احقها كما ينظر في الوجود وأقسامه ولو احقه . وقد قسموا الموجود الى المقولات العشرة ، وأيضا الى القوة والفعل والتقديم والمحدث والتام والناقص والعلة والمعلول ، وقسموا الواحد الى واحد بالجنس وواحد بالنوع وواحد بالعرض وواحد بالمشاركة في النسبة وواحد بالعدد الى آخره . وعلى ذلك تكون الاجابة التي أجبت بها أن العدد الذي لانهاية له يقال له واحد صحيحة في علم ما وراء الطبيعة لأن كل موجود كثيرا أو قليلا يطلق عليه اسم الواحد فالواحد مع الموجود أينما كان . وأيضا ان اضافة (٢) مكررة الى واحد تنتج أعدادا كلها فردية الى ما لا يتناهي فهما كان العدد فهو واحد وأيضا هو فردي . انتهى ما أردته في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

وأما اللطيفة الرابعة فهي مفهومة مما تقدم من سابق التفسير . وههنا ﴿ جوهرتان \* الأولى ﴾ في قوله تعالى - وهو الذي مرج البحرين - الخ ﴿ والثانية ﴾ في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - الخ ﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - ﴾

اعلم أن الله عز وجل قد ذكر البحر في مواضع كثيرة في القرآن ، فتراه في (سورة الرحمن) يقول - مرج البحرين يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان \* فبأى آلاء ربكما تكذبان - وتراه يقول في (سورة النحل) - وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - ويقول في سورة أخرى - هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجري بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاههم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم - الخ . فبالت شعري ما هذا الوصف والتذكير وكثرة التكرار . يقول الله - ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام - ويقول ان البحر يخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، ويقول بأى نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان . فالبحار آيات واللؤلؤ والمرجان آيات وسير السفن فيه آيات ولما علم الله عز وجل قبل أن يخلق الناس على الأرض أن النوع الانساني لاسيما المسلمين منهم سيضمحلهم الغرور ويعمهم داء الجهالة والبلاهة البتراء أنزل القرآن وقال فيه في (سورة يس) - يا حشرة على العباد - . يقول الله على طريقة الاسلوب العربي - يا حشرة على العباد - كما يقول الانسان يا حشرة على فلان قد فاتته القرصة واعتزته النكبة وحق به الويل والثبور ، فهو هنا يقول إن هذا النوع الانساني حوى أن يتعسر عليه لما أصابه من الجهل فهم اذا سمعوا المذكورين لهم بالعلم من الرسل استهزؤا بهم ، ثم أتبع ذلك بذكر (١) هلاك الأمم (٢) واحياء الأرض بعد موتها بالنبات (٣) واخراج الحب منها (٤) وظهور الجنات من النخيل والأعناب فيها (٥) وتفجير العيون فيها (٦) وانسلاخ الليل من النهار (٧) وجري الشمس (٨) والقمر (٩) وانه خلق لهم السفن في البحار ثم ختم ذلك كله بقوله - وما تأتئهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين - وانما ذكرت لك هذا مع أنه في (سورة يس) لأذكرك بأن هذا الانسان جدير بالحسرة عايم حقيق بالشفقة لأنه جهول وكيف لا يكون جهولا وهو لا يسمع النصيح اذا أتى له من رسول ولا يعقل ما يراه من عجائب الدنيا حتى قال الله عز وجل في هذا الانسان انه مهما عرضت عليه آيات المنعم عليه بالقرية فانه بعرض عنها ولا جرم أن المسلم يصدق عليه ذلك فانه يفتري بأنه مؤمن بالله ويقول كفا في ذلك وهو يقرأ صباحا ومساء في القرآن والقرآن نبي عليه الاعراض عن نفس الآيات . إن المسلم تسنح له سوانح البر وسوانح البحر فيعرض عنها ويقول أنا مؤمن بالله فإلى وللبحار ومالى

وللجبال ومالى وللأنهار وهذا دأب كثير من الفقهاء فى الاسلام وكثير من الصوفية وكل هذا غرور وهؤلاء جميعا قد شملهم الغرور لأنهم أعرضوا عن الآيات التى أتتهم ؟ فهلبقى للمسلمين بعد ما بيناه فى هذا التفسير وغيره غنى فى الجهالة . كلا . ثم كلا . هذا جلال الله وهذه عجائبه تجلت فى هذا التفسير وفى أمثاله من كتب يؤلفها العلماء فى عصرنا . فانظروا واعجبوا . هذا (اللورد أفبرى) مؤلف كتاب « جلال الطبيعة » يصف عجائب البحر فيه من صفحة ٢٣٣ الى صفحة ٢٤٨ باحثا عن جلاله وعجائب الله فيه . فيا عجباً كل المذهب . قوم من أوروا يعرفون بعقولهم وحدها جلال البحار ويفرحون بجمال ربهم ويهيمون بآياته ونحن لنا عقول ولنا دين يذمتنا الله بالأعراض عن آياته فيه ثم هم يسبقوننا لمعرفة ربنا . أفليس هذا مما تجزع له القلوب وتشق له المرائر وترتعد الفرائص ولا أقول إلا ما أمر الله به فى المصائب - إنا لله وإنا إليه راجعون - ثم أرجع فأقول ، لقد آن زمان ارتقاء المسلمين وانتشاهم من الجهالة وارتقاءهم الى العلياء . اللهم اليك المشتكى اللهم أنت البر الرحيم فاخرج هذه الأمة المسكينة من الدل الى العز ومن الجهل الى العلم وأنا واثق ومؤمل إجابة الدعاء فقد أجيب دعاء زكريا إذ طلب ولدا يخلفه فى بنى اسرائيل ليقوم بأمرهم لأن الدعاء اذا كان لأجل المنفعة العامة استجيب . وهام أولاء المصلحون فى بلاد الاسلام يدعونك أن ترفع الأصراعن الأمة الاسلامية وأن تشوقهم للعالم ، فهؤلاء يوقنون باستجابة دعائهم وأنا من هؤلاء الموقنين لاسيما أن أمتنا أكبر جدا من أمة بنى اسرائيل . إذن فلا ذكر البحار وعجائبها من كلام (اللورد أفبرى) وأبدأ بقول الشاعر الذى خاطب البحر

إن فى صدرك الرحيب رجلا \* جعوا البأس والنهى فى الصدور  
أخستهم مدافع مرعدات \* فأصموا عن داعيات النفير  
وهم اليوم بعد طعن وضرب \* فى قرار غير المقام القير  
لك ما شئت من نضار ودر \* لم يك البحر بالعديم الفقير

### ﴿ الحيوانات فى البحار ﴾

(١) منها (الخطبوط) وهو يعيش فى ماء (نيوفوندىلاند) ويبلغ على صغر بدنه (٦٠) قدما من طرف الى طرف

(٢) وهناك نوع من الحيتان المسالة يبلغ طول الواحد منها (٧٠) قدما

(٣) ومن آياته وعجائبه (الكاشولات) فهذا حوت يطوف فى أنحاء المحيط طولا وعرضا قد اتصف بشدة الرحمة على من ساله وبالغضب والبطش بمن عاداه وشاكسه وقاومه وأنيابه محدودات يسطوبها على الحيوانات البحرية فيلتقمها ، ومتى مس بخدش صغير من ركاب سفينة اندفع اليها وعاونه على ذلك أهله وعشيرته وما أكثرهم وما أقواهم حتى ان هؤلاء يوما ما هاجوا مركبا أمريكية خطموها وأغرقوها فى البحر جزاء ما كانوا يفعلون

(٤) وأقوى من هذا وذاك وأضخم جثة وأعظم بطشا (الزوركال) ويبلغ طوله (١٢٠) قدما ، يقول وربما كان هذا مبالغة ، ولقد علم باليقين أن أكبر فصائل الحيتان جثة وأطولها فصيلة (سيبالد) والحوت منها لا يبلغ إلا (٨٠) قدما أو (٩٠) قدما

(٥) ذكر (سكورسي) ان قريص البحر يغطى من سطحه أميالا والميل المكعب من البحر لا يحوى أقل من (٢٣٨٨٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) أى (٢٣٨٨٨) ألف ألف مليون . ويقول إن هذه المخلوقات لاتغوص فى البحر كثيرا ولكنها تغطى مسافات من السطح لا يحصيها الحصر ولا يحيط بها الحساب

وهذه الحيوانات الصغيرة تجعل ماء البحر ملوّنًا بألوان عجيبة يشاهدها النوتية والسالكون في طرق البحار (٦) الحشرات وبعض ذوات الشدى التى تعيش فى الماء لا تبعد عن البرّ إلا قليلا . ومن هذه (عجول البحر)

(٧) الحيتان العظيمة المسكخة للأمواج تسكن الأعماق بطبعها . ومن أعجب العجائب أن طائرا بحريا يسمى (الصخاب) قوى الجثة عظيم الصوت كأنه صوت الحمار يبلغ طول جناحيه الممدودين معا (١٥) قدما وقد يبقى ساعات متواليات طائرا لا يقع وقد ينام محلقا فى الهواء . فهذا الطائر فى ضخامته يشبه الحيتان فى قاع البحار من حيث الضخامة كأن هناك مناسبة بينهما

(٨) ما أعجب منظر البحر لركاب السفن إذ يرصدون فى ظلمات الليالى مناظر النجوم فيرون عجبا وجالا باهرا يأخذ بالألباب فاذا رجعوا الى النظر فيما حولهم رأوا حول المركب عجائب وبدائع الأشكال والألوان فى الحيوانات البديعة البهجة المتفننة الأشكال البديعة المناظر

(٩) إن جبال البرّ قاصر على سطح الأرض فان العجائب النباتية والحيوانية ليست تكون إلا على سطح الأرض . أما عجائب البحر فهى (ثلاثة أقسام) قسم منها فى ظواهر الماء وقسم منها فى قرار البحر وقسم ثالث بينهما . إذن جميع أقسام المياه فى البحر مملوءة بالعجائب . أما الطبقة العليا من البحار فأمرها معلوم فيما تقدّم هنا وفى مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذى تقدّم فى (سورة آل عمران) وغيرها . فأما الطبقة الوسطى فان فيها السمك المعروف بالسمك الهلامي (المدوزا) باللغة الانجليزية (والحسك) وهى دويبات صغيرة كالذّر . أما الطبقة السفلى فقد كشف العلماء كثيرا من أنواع المخاوقات فيها فقد وجدوا سمكا يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة (القامة مقياس طوله ستة أقدام) وهذه يسمونها القرارية أو الدركية وهذه لا يصلها النور لأن ضوء الشمس معدوم على عمق ٢٠٠ قامة وبعد ذلك يكون الظلام الحالك وهناك لا يكون للحيوان عيون ألبتة . ومن عجب ما ذكره (سروليم تومسون) عن نوع من السرطان له عيون اذا عاش قرب سطح الماء فاذا عمق مسكنه وصار ما بين (١٠٠) و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عينه . وهكذا ما يعيش منه على بعد (٥٠٠) الى (٧٠٠) قامة

(١٠) إن بعض الحيوانات البحرية لالون له بل هى شفافة وبعضها براق لماع فى غاية العجب فسفورى الجسم وقد يكون له أعضاء ساطعة ذات شعاع يكاد يذهب بالأبصار . وترى السمك الذى يعيش فى الأعماق فضى اللون جيلا بهيا غالبا وبعضها أحمر وبعضها أسود ومتى حركت أعضائها اللامعة صارت بهية اللون جدا وهذا السمك قد جعل الله له هذه الأعضاء النورية تحت سلطانه فان شاء أضاء بها ماحوله من الماء وان شاء أطفأ النور ، فكما أن الله خلق شمسا وكواكب بهما استضاء أهل الأرض هكذا خلق سبحانه لهذه الحيوانات السالكات فى الظلمات هذه الأعضاء المشرقة تنصرف بها على حسب مطالبتها فى المعاش ، فان رأى الحيوان فرسته استعمل النور المعدّ لكشفها ، واذا أحسّ بعدو مفاجئ أطفأ ذلك المصباح . ومن عجب أن هذا النور كما يستعمله السمك لاقتناص فرسته يستعمله أيضا لكرهه عدوّه المفاجئ له على البعد عنه إذ هذا النور متى سطع وظهر لأعين الحيوان المهاجم بهر بصره فيكاد سنا نوره يذهب بتلك الأبصار فيفرّ المهاجم حالا . أقول فهذا النور عند هذا السمك فعل مافعله رائحة الظربان فى حيوان البرّ إذ يجعل الرائحة التى يطلقها على عدوّه سببا فى ازعاجه وكبعض الحشرات التى لا تنج من صائدتها الذى أمسكها إلا اذا أنزلت عليه سائلا فى جسمها كريح الرائحة فبذلك تعيش ولا تخاف من عدو يفاجئها فسبحان الخلاق العليم

(١١) وهل أتاك نبأ السمك المعروف بعفريت البحر ، ذلك الذى له زعانف شائكات ورؤس ضخمة يسكن قرب شواطئ البحار وله ثلاثة خيوط ألوانها تضرب الى الحمرة يطلقها فى الأمواج ويجعلها كأنها حبات

للمصيد تقوم له مقام نسج العنكبوت وشبكات الصياد فان العنكبوت نسيجها يصطاد الفباب وأنواع الحشرات وقد جعلت بيوتها مناسبة لذلك . أما هذا فليس له سبيل الى صيد السمك الصغير إلا بأن يطلق تلك الخيوط الحر قصبها تلك السمكات عشبا بحريا وماهى فى الحقيقة إلا حبات قد أرسلها ذلك الشيطان العفريت وقد اختبأ هو فى الرمال أوفى وسط حشيشة البحر فتأتى تلك السمكات المسكينات لتأكلها فينقض عليها فيفتريها هذا اذا كانت قريبة من سطح الماء ، فأما اذا كانت فى قاع البحار حيث الظلام حالك فلا ضوء هناك ولا شعاع فمن أحب العجب أن تصير هذه الحبات براقة لماعة لتظهر فى الظلام وتفتري تلك السمكات الصغيرة

أقول أيها المسلمون . أليس هذا قول ربنا فى القرآن - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقوله - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وكفى بنا حاسبين - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وهكذا آيات كثيرة . أيها المسلمون كفى كفى ، ظهرفى هذا التفسير أن أم الاسلام المتأخرة لم يدرس أكثر علمائهم هذا القرآن ولو درسوه لكانوا أعلم الأمم بهذه العلوم . أيها المسلمون أنا فى عجب من أن يكون هذا القرآن ديننا وهذا الجهل صفتنا ، إن هذا لإثم كبير وعار عظيم اللهم إني أدت ما أقدرتني عليها وأنت اللهم المعلم . اللهم أنت المنتقم ممن عرف من المسلمين وسكت ولم ينزع هذه الآراء فى أقطار الاسلام ويعلم المسلمين بما يراه ملائمة لأهل زمانه والله هو الولي، الجيد

(١٢) إن النباتات البحرية لا تعيش على أعماق من (١٠٠) قامة كما هو آخر ما يعلم الناس اليوم ، وقر المحيط الاطلانطي وهو بحر الظلمات ما بين (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة ما هو إلا طبقات مؤلفة من مادة بيضاء طبشيرية وأعظمها أصداف مهشمة مكسرة وتحت هذه الأعماق تكون المواد صلبة صافية تمل الى لون الحمر وقد تلون فيها مواد بركانية ، وقد قالوا ان كرتنا يسقط عليها فى العام الواحد مائة ألف ألف شهاب

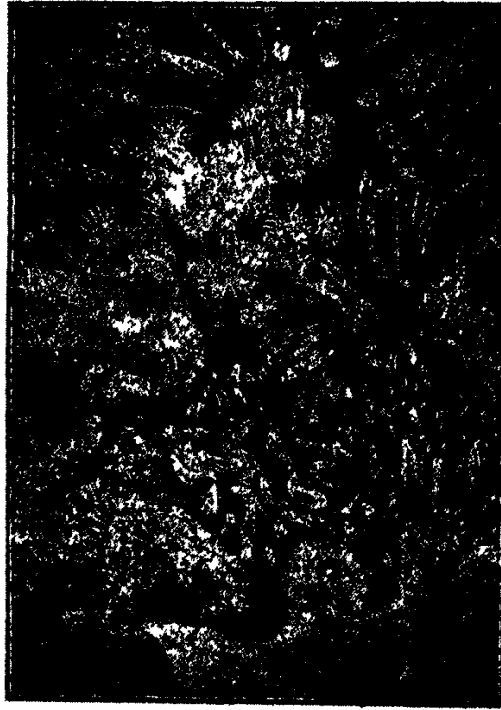
(١٣) إن أقصى أعماق البحار يشه أعلى الجبال وقد سبروا البحر فبلغوا (٣٩٠٠٠) تسعا وثلاثين ألف قسم ولم يصلوا لعمقه وأعمق مكان فى الاطلانطي (٣٨٧٥) قامة وذلك فى شمالى جزائر (فرجينيا) وبلغ عمقه (٥٢٧٠) قامة فى مكان آخر ، وليس هذا هو منتهى ما يمكن الوصول اليه . فهذا ما وصل اليه الناس وسيعلم الناس بعدنا ما لم نعلم من عمق البحار

#### ( الجزائر المرجانية )

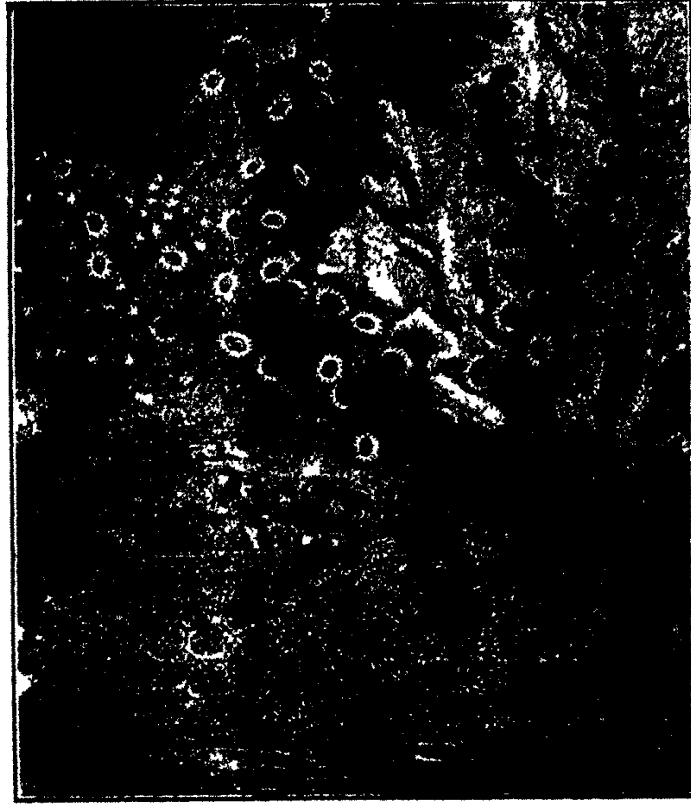
الجزائر ( ثلاثة أنواع ) جزائر هي قسم من البر ويفصلها مقدار من الماء قليل العمق كجزيرة سيلان وجزائر بركانية وجزائر مرجانية وهذه الأخيرة عددها كثير جدا وأكثرها فى المحيط الهندي والهادى الباسفيكى فهناك ترى جزائر كثيرة مستديرة الشكل وقد تكون بشكل الخاتم أو الحلقة ، وكثيرا ما يكون فى وسط الجزيرة حوض ضحل ضارب مائلا الى الصفرة والخضرة معا وهذا مخالف للماء المياه المحيطة به فانها سوداء لغرط عمقها . ولهذه الجزائر سواحل رملية بيضاء غالبا وغالبا ما ترى مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والجزائر المرجانية المعروفة باسم (بلكايف) و (ملاديف) أى بحيرة الجزائر أى (١٠٠٠ و ١٠٠٠٠) جزيرة و ١٠٠٠ جزيرة (انظر أشكال المرجان وهي ( قسبان ) قسم شجرى وهي (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤) و (شكل ٣٥)



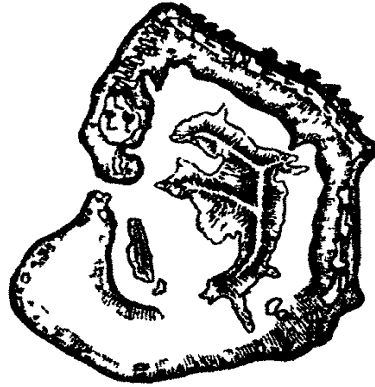
( شكل ٣٣ - رسم المرجان بهيئة شجر )



( شكل ٣٤ - منه صورة أخرى للرجان )



( شكل ٣٥ - صورة غير المتقدمة للرجان أيضا ظهرت فيها شعور حيوانات ضاحكة مستبشرة كأشجار النبات )  
 وقسم هيئة الجزائر وهي إما بركانية حلقية مثل (شكل ٣٦)



( شكل ٣٦ - رسم جزيرة حلقية من المرجان داخلها بحيرة عمقها قليل جدا )  
 وأما جزء من جزيرة بركانية مثل (شكل ٣٧)



( شكل ٣٧ )

### واما جزيرة تامة بركانية مثل (شكل ٣٨)



( شكل ٣٨ - رسم جزيرة المرجان المسماة « جزيرة الرمل الأبيض » وترى فوقها شجر الشكلاته وهذه في غرب أمريكا الجنوبية في غرب كالو )  
 هذه الصور الثلاث من كتاب « علوم الجميع » تأليف العلامة ( روبرت براون ) وهو باللغة الانجليزية  
 ﴿ تذكرة ﴾

يزعم بنو آدم انهم أكثر آثارا وأدظم أعمالا ؟ هل صنعوا جزيرة واحدة عاش فيها الحيوان والنبات وانتفع بها الناس . فهذا المرجان بنى جزائر تعد بالآلاف ومئات الآلاف عاش فيها الحيوان والنبات والأشجار واستكن في بيوتاتها أنواع الحيوانات فعاشت قرية العين سعيدة بعيدة عن مهالك البحر المحيط . فأى عمل للانسان يضارع عمل هذا الحيوان الصغير - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوما جهولا - فكيف للفضول من عمل أعظم من عمل الفاضلين ، فكيف يفتخر هذا الانسان بترعة يحفرها أو نفق في الأرض أو هرم فوقها أو قصر مشيد - إن ربك هو الخلاق العليم - انتهى يوم الأربعاء ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨

### ﴿ البحر المالح ﴾

اعلم أن الحكمة في كون ماء البحر ملحا انه بهذه الملوحة يحفظ ما فيه من جثث الحيوانات المائية من ظهور الفساد فلولا المالح لأتت الماء وفسد الجو ولم تصالح الأرض للسكنى فالملوحة في البحر حكمها حكم الملوحة في ماء العين ، فلولا ملوحة ماء العين لأتت الحديقة ، فهذا المالح يحفظ العين ويمنع نتن ماء البحر ، وعسى أن أوفى الكلام حقه في (سورة النحل) عند قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - ولكن أقول هنا من لطف الله عز وجل ورحته انه جعل البحر ملحا للحكمة التي ذكرناها ، ثم هو تطفأ فأرسل شعاع الشمس الى ماء البحر فخرج البخار تاركا المالح في البحر صاعدا في الجو متراكما سحابا فيه ماء صالح للشرب ، فبارك الله الخى القيوم ، جعل الماء ملحا عند الحاجة الى المالح . ولما احتاج الانسان والحيوان والنبات الى ماء عذب خلصه بحرارة الشمس فحصل الانتفاع به . فهذا هو البحر المالح وهذا هو العذب . ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الأرض ويجرى ينابيع تحتها منها العذب ومنها الماء المعدنى ولا يختلط أحدهما بالآخر . وإذا جلست بجانب البحر المالح وحفرت قليلا في بعض المواضع ألفت هناك ماء حلو . أليس هذا عجبا ؟ حاولت سطح البحر مرّة فوقه حلو في البخار الطائر منه في الجو والسحاب والأنهار ، فالحلو يحيط بالمالح من سائر الجهات

فلاماء البحر المالح يختلط بماء تحت القاع المانع الطبيعي ولا بما فوقه في الجوف لأنه هرب منه وترك له ملحه وترى الأنهار كالنيل والفرات ودجلة تصب في البحار كالبحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي ونحوها ومع ذلك لا يطنى البحر المالح عليها فيجعل مائها ملحا ولا الأنهار الصابة في البحر تجعله حلوا . فهذه مجامع الحواس التي دبرها الله لحفظ البحرين المتجاورين فلا ينفى أحدهما على الآخر بتلك الحركة الدائمة المحكمة ، تبارك الله رب العالمين ومن هذا القليل أن المجارى المعدنية تحت الأرض لا يختلط أحدها بالآخر وقد تقدم هذا في (سورة الأنعام) مشروحا . وأعجب من هذا أيضا أن الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح الهابطة فلا يختلط أحدها بالآخر ، وكذلك يحمل الهواء أنواع الروائح كلها ، وأيضا نجد ذرات اللقاح التي تخرج من الأزهار وتسير في الجوف من أعضاء الذكور الى الابات تتخذ مجارى لا يختلط أحدها بالآخر الى أن تقع على الأزهار التي هي من جنسها وقد تشاهد تلك الثرات طائرات كالسحاب من عشرات الأنواع وهي متميزة لا تختلط احداها بالآخرى . وهذا قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - مرج البحرين يلتقيان • بينهما برزخ لا يبغيان -

وأعجب من هذا كله أن الشمس تحمل صور جميع المخلوقات وترسلها في كل مكان ونحن لانراها وانما الذي يحس بها هي آلة التصوير (الفوتوغرافية) فحتى سلطت هندستها على قوم جالسين التقطت تلك الصور وسلمتها الى لوحة التصوير وراها في الخزانة المظلمة . فهذا دليل على أن صور جميع المخلوقات على الأرض سائحة في الجوف الهوائي لا يختلط أحدها بالآخر فصور بنى آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طائرات طول النهار لا اختلاط فيها . كل ذلك يذكرنا به قوله تعالى هنا - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - انتهى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - وهو الذي خالق من الماء بشر - الخ مع قوله قبلها في الماء أيضا - ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا - وقوله بعد ذلك - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ﴾

في يوم الخميس الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ أى في مساء ذلك اليوم خرجت للرياضة كما قال توبة في محبوبته ليلي

وأخرج من بين البيوت لعلى • أحدث عنك النفس بالليل خاليا

فتوجهت الى شاطئ النيل الشرقى كهاتفي ووقفت قبيل غروب الشمس فوق قنطرة عند النيل أمام مصر القديمة اذا الجوف في حال لم أعهد لها ومنظر لم أشاهده من قبل ، نور أحر يرتقالي يكاد يقترب من الأرض وأمر عجب فرفعت طرفي اذا السماء مغطاة بسحاب يمتد من الغرب الى الشرق أشبه بسلاسل الجبال المتوازيات فعددتها نحو عشرين جبلا سحاييا والشمس قد آذنت بالغروب وتلك الجبال مشرقة اللون حمراء وقد امتدت في أقطار السماء كلها وكلما كانت أقرب الى الشمس كانت أبهج لونا وأزهى حمرة مشوبة بصفرة برتقالية وكلما تباعدت الى الجنوب أو الشمال رأيتها مسودة كأنها تنب حظها لبعدها عن الشمس . أما تلك المقربة منها فما أجمل طلعتها وما أبهرها وأحسنها . جبال وأى جبال . وبهجة وأى بهجة . تراها فتخال بينها أودية زرقاء اللون كرياض كستها الطبيعة أزهار البنفسج . وما أشبه ذلك المنظر البهيج الذي يكاد يضيء إلا بمنظر الجنود مصطفات لملك عظيم الشأن وقد أخذ يودعهم ليتفقد مملكتهم وهم صفوف وراءها صفوف بهتفون له بالاجلال والاعظام أو كسناه ازدهت بالجمال وأشرقت بالحسن وقدهرغ لجمالها المبهجون بها - من كل حذب ينساون - وهم بمنظرها فرحون

الله أكبر . منظر هذا العالم جميل غفل عنه مفار العقول . جهل الناس هذا الجمال في الأرض وفي السماء

ذلك أن كل حيوان قد حبل بينه وبين هذا الجبال بما أودع فيه من عمل لحياته وسمى لذريته ثم هم عن الأرض راحلون ؟ فأتى هؤلاء أن ينتهجوا بالجبال الذي يشاهم وهم لا يعلمون . منظر السماء في ذلك التاريخ كان بهيجا وجيلا والناس غادون وراحلون وهم لا ينظرون فكأن الجمهور همى أمام أجمل الفاتنات صم عند سماع أجمل الأصوات . ذلك ان الناس أكثرهم عن الجبال محجوبون وعن الجباب معرضون . تحدثنا الشمس والقمر والنجم والفلك والماء في السحاب والبحار . يقلن كلهن بلغة فصيحة ويعقلها أولوا الآلاب إن في قلب الليل والنهار والصبح والمساء روايات تمثل لكم وأتم لا تنظرون . شمس تشرق فتكسو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع مختلفات الألوان فهي على الهواء زرقاء وعلى الزرع خضراء وعلى الزهر صفراء وأوجراء وهكذا

أما البحار في (خط الاستواء) وما قرب منه حدث ولا حرج . ترى الأمواج ترمى بالدرر اللامعات والماس الجبل والزبرجد الأخضر وللأزورد وقوس قزح وهيئات متنوعة من لجن ونضار ومن هيئات المصاييح المشرقة في أكناف السماء . كل ذلك لما فيها من الفوسفور البديع المنبت في تلك الأرجاء (انظره في سورة الأنعام) وهكذا نرى ما هو أعجب عند القطبين من جبال جاريات من الثلج بديعات عائمت فوق سطح الماء تمثل القصص الخيالية والأعمال السحرية وتصطبم تلك الجبال وتتدخل اجزاؤها وهناك تكون أنواع من أفانين الصور وبدائع الألوان مما لا يكاد يتصوره الخيال (انظره في أول سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ) وهذه كلها صور للماء في حاله سائلا وجامدا ثلجيا . الماء خلق لسقي النبات والانسان حتى يعيشا ولكن الحكمة الواسعة لاحد لا بداعها ولا نهاية لصنعها . ماء ينزل للسقي وللحياة يستعمل هو نفسه زينة ونورا . فهو في ليلة ١٥ نوفمبر جنود تحيي ملكة النهار الذاهبة الى مملكة الليل فكأن الجيوش معدة لطرد الأعداء وقتلهم هي أيضا تحيي الملوك اذا قدسوا أو ودعوا . ذلك لسعة هذا الوجود وللتفنن في التصوير والابداع والجبال . الليل والنهار يشرقان معا . هذا بالماس المرصع في القبة الزرقاء . وهذا بالنضار السكاسي وجه الغبراء . نجوم مشرقات بهجات جيلات متلألآت ليلا تقول للنفوس المستعدة في الأرض هلموا الى وقالوا أتل عليكم نبأ الحكمة والعلم والجبال . تقول - هاؤم اقرؤا كتابيه - فيرونها صفوفا تتلوها صفوف وصفوفا تتلوها صنوف قد ازيئت للناظرين وحيرت المفكرين حتى اذا أفل الظلام وأقبل موكب الصباح أخذت تغير المعالم وتبدل المشارق والمغارب وتهزم جيوش البيض سود الجيوش وكلما ازداد موكب النهار اقبالا ازدادت جفاف الليل إدمارا وأخذت تلك الفاتنات البهيات المطالع الناعسات الطرف المشرقات في السباحي تتوارى بالحجاب تودع العاشقين وتعددهم أن سأعود لتروا جالي ولا تزال مواكب الصباح ترد تباعا حتى اذا أقبل الجمع وتكامل أشرقت الغزاة اشراقا يهراجيع . هناك يتم سلطان النهار ويدبر تمام الادبار سلطان الليل وتتجه الأنظار الى مناظر الجبال والبحار والأنهار والحقول والرياض ويستبدلون بها بالنجوم الزاهرات في الدجئات . وهنا يتجلى النهار في ثوب قشيب ويغمر غمق الطفل صار شابا ضحى كهلا ظهرا شيخا عصرا ثم يودع الحياة عند الغروب . وهناك تسفر غايات الليل ويرفعن القناع ويبدون سافرات ضاحكات بهجات مشرقات ويقلن لعشاقهن بالأمس عوجوا الينا وأقبلوا علينا

هذه هي الرواية التي يمثلها الليل والنهار وهما لا يفتان يمثلان رواية وراء رواية والمناظر مختلفات وليس يعقل اختلافها من الناس إلا قليل . ولما غفل الناس عن ذلك الجبال ألهموا أن يصنعوا هم لأنفسهم أعراسا وولائم وأعيادا فيها فرحون وفي أيامها ينتهجون فهم كصناع في قصر ملك معه وزراءه وخوادم دولته وهم يشاهبون كل حين مبتهجون بمنظره فرحون بقربه وفي القصر عبيد منكودون لا يرون الملك إلا في عرسته سائرا أو في موكبه متجليا وفيه حيوانات ودواجن لا تعقل هذه الكرامة ولا تأبه لهذا الجبال . هذه

نظرات النفوس الحكيمة في بدائع السموات والأرض . فادارجعت الى أنفسها وتأملت أجسامها رأت في هذا الجسم المركب من أمشاج وأخلاق مظلمة أرضية مايفوق ما في الكواكب من جمال وما في الشمس من جلال وما في البحار من لآلئ وما في الجبال من نصار . ماذا يرون ؟ يرون جنودا بحاربون وجيوشا من أعدائها مجندلات وممالك عظيمة كلها في داخل هذا الهيكل الجنائي . فكما أن العقول الضعيفة غفلت عن التمثيل الذي تمثله المشرقات والشمس في العوالم الأرضية والسماوية هكذا نراها غبية جامدة أمام البهجة والعلم والجمال المودع في أجسامها . وكما يرى الحكيم منظر السماء فيعقل البهجة والجمال هكذا ينظر في أمر جسمه فيرى عجبا عجبا يذهله بل ينسبه منظر المشرقات في الدياجي البهجات المناظر . فيألت شعري من ذا الذي كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن في جسمي أنا آلافا في آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحادة القوى تصطف صفوفها وتحارب جيوشا تعد جنودها بالآلاف والآلاف وتجند لها في ساحات الوغى من (الحيوانات النرية وهي المكروبات) وهي أنواع مختلفة وتلبس جنودى أنا لكل حال لبوسها . فيألت شعري من ذا الذي يقول هذا ولا ينسبه الناس الى الجهالة والجنون . وهل كان أحد في الأرض يعتقد أن الورم في الجرح ماهو إلا هذه الجيوش المتكاثرة اجتمعت لتهلك الجيوش الداخلة في جسمي لتحدث في مرضا . أليس هذا من العجب أن جسمي يكون فيه هذه الجيوش المسلحة الواقعة بالمرصاد لكل فأنك به ثم هي تهلكه وتنتصر عليه بل انها تأكل الأعداء أكلًا وتصلح ما أفسدوا من جسمي ؟ هل كان للعقل في هذا مجال ؟ اللهم لا . لا مجال لعقولنا في هذا لولا تعليمك لنا في هذه السنين ثم ما هذه الدول والممالك والجنود المجندة ؟ أهذه كلها لجسمي وحده أليس هذا تخلق هذه الجيوش والممالك ؟ أحياتي أنا تكون تلك الدول والممالك والحيل والحروب والجوع والجيوش . اللهم حارت عقولنا في وضعك وأصبحنا لاندرى أمفردنا جمع أم جمعنا مفرد ثم كيف يكون جسمي مع أن علمي به قليل جدا يكاد يبلغ سعة السموات والأرض في التدبير والكثرة . ممالك جسمي لا حصر لها وممالك الوجود لا حصر لها فتساوى الكبير والصغير في العظمة والجرأة . ثم أقول يا من تجليت بجلايب الكبرياء وترديت بأردية الجلال ونثرت أرواحنا في هذه التربة ودفنت نفوسنا في هذه الأجسام الترابية وأحطتها بكل لطف ورحمة قد حنت أرواحنا اليك وشاقتها بواسم الاصباح وبواهر الامساء ؟ فغنى تكشف لنا عن جلالك لقد لمحنا من خلال الحجب المسدلة علينا لوامع من نورك فعلمنا انك رجتنا بالحجاب وأنعمت علينا ببصيص من نورك ولواننا كوشفنا به تمام الكشف لطاحت أرواحنا وصرنا الى العدم مادمننا لم تكمل فينا المواهب العالية التي بها نستطيع ادراك ذلك الجلال ولكننا تشرق في نفوسنا الذكرى بعد الذكرى والشوق يتبعه الشوق ثم بعد هذا كله ما أنا إذن . أنا أقول بأعلى صوتي أنا أجهل نفسي جهلا تاما وأنتظر من الذي أبدعني أن يزجني في عوالم تكشف القناع لي عن نفسي وعن هذا العالم . نعم من ذا الذي كان يخطر له أو يهيجس في نفسه أن كل حيوان وكل نبات ترجع الى ما يسمونه خلية فاخلية منها منشأ جميع الأحياء . إذن الوحدة ظاهرة في هذا الوجود منها تركب كله كما ان الأعداد تركبت من الواحد . إذن هذا توحيد عملي والديانات توحيد قولي واعتقادي . وان آيت يا صاح إلا الافصاح فهالك مقالا لدكتور مصري في ﴿ طيب العائلة ﴾ تحت العنوان الآتي وهاهوذا

### ﴿ سر من أسرار نظام الحياة ﴾

انك لتجد يد الله وقدرته البليغة رامية كل شئ في الوجود جل أودق وتراهما متجليتين على الأخص في الحياة ونظامها وتطوراتها منذ الخليقة . هذا النظام وما به من غريب ومدعش هو ما أقصد الى تبيان جانب منه بهذه الكلمات القليلة لأن المقام لايسع التوسع على الرغم من خطر الموضوع خطرا هو فوق ما تتصوره العقول . إن ظهور الحياة على الأرض كان لغزا من الألغاز الغامضة التي تغبت في حلها الأجيال وعظماء البشر

من حكماء وعلماء ولكن شغف الانسان بالتطلع والاستقراء خلفاى الوجود وأسرار الطبيعة جعله لا يمل ولا يكل من السعى حتى ظفر بكثير مما تصبوه نفسه وخصوصا فيما كان له مساس بكيفية ظهور الحياة على الأرض فقد ظل يفكر ويستعين بعقله ومداركه ثم تدرج في بحثه واستقصائه الى أن ظفر بنتائج باهرة سارة قربته كثيرا من الحقيقة التي نشدها منذ القدم وإذا تقرب منها اتخذها عماده في تقرير العلم الراهن وتوسع فيها الى الدرجات الباهرة التي وقف عند حدها في أيامنا الأخيرة وتتلخص هذه الحقيقة فيما يلي

ظهرت الحياة على الأرض لدى الخليفة بالبسيط وانتهت بالمركب . ابتدأت بخلية واحدة وانتهت بملايين الخلايا مندمجة في شبح واحد . ابتدأت بالشئ الذي لا يقوى على الإدراك والعقل وانتهت بالإنسان الذي هو أكل مخلوق . وأعتقد أن الله الذي جلت قدرته وتعالى حكمته عند ما شاءت مشيئته ابداع هذا الوجود أراد لكامل هذا الوجود أن يظهر فيه من يدرك ويدرك صنعه ويدرك قوته فأبدع الفكر وأودعه الانسان الذي انما كانت الغاية من اظهاره أن يكون أقوى أداة مفكرة في العالم . فالحياة ابتدأت بصنع الله للخلية وانتهت بصنع الله للفكر وبه اتصل المخلوق بالمخلوق . نظم الله الخلية ودبرها على نسق تدريجي وبسط لها بقوته أسباب التدرج والرقى والتوارث والتسلسل والتفرع والتسوق والتجنس وأعد لها صور مختلفة وأشكال وأوضاع ووطاقف وغايات متعددة مختلفة فمنها النبات وعليه قوام حياة الكائنات الأخرى . ومنها الميكروبات والأسماك والطيور والحشرات والحيوان والانسان وكان من المدهش انها كلها ترجع في أصل الخليفة الى وحدة متحدة دالة على وحدة اليد القوية القادرة التي أبدعتها ألا وهي الخلية ، تلك الخلية التي ظهرت بمؤثرات وتفاعلات كيميائية وطبيعية جعلتها تتحرك وتعيش وتتضاعف وتتفرع وتتوارث وترقى على مرور الأجيال والأزمان وتتجنس وتنوع وتستقر في النهاية على ما هي عليه الآن جاهلين على كل حال ماذا تدخه لها المقادير في مستقبل الدهور والحدثان . هنا نرى من المفيد أن يعلم الناس أن كل كائن حي يبتدىء عند خلقه بأن يكون خلية اشارة من الطبيعة الى أن ذلك الكائن الحى مهما تضاعف في تراكيبه وأعضائه يرجع في نشأته الى تلك الخلية الواحدة (أو بعارة أخرى) اشارة الى الوحدة التي نشاهدها مهيمنة على هذا الوجود ، كذلك من المفيد أن يعلموا أن كل بيضة تتطور في نموها تطورا غريبا مدهشا حيث تظهر فيها لدى نموها كل التطورات والتغيرات التي طرأت على نوعها منذ الخليفة الى الآن . وبحق تعتبر هذه البيضة أنها خلاصة تاريخية للتطورات التي تطورها نوع وليدها بمرور كل هذه العصور التي قضاها منتفلا في تطوراتها من حالات الى حالات . وعلى كل حال فان الانسان لم يك في الواقع في مجموعه إلا خلايا لا تعد ولا تحصى مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا متينا متضامنة تضامنا قويا في الصحة والمرض على السواء وهي كلها وليدة الخلية الأولى ، فشكل حي في الوجود نباتا أو حيوانا أو ميكروبا يتركب من خلية أو أكثر . ومن الأسرار المثيرة للعجب أن من المخلوقات المشاهدة حتى الآن كائنات حية لا تتركب إلا من خلية واحدة (انظر شكل ٣٩)



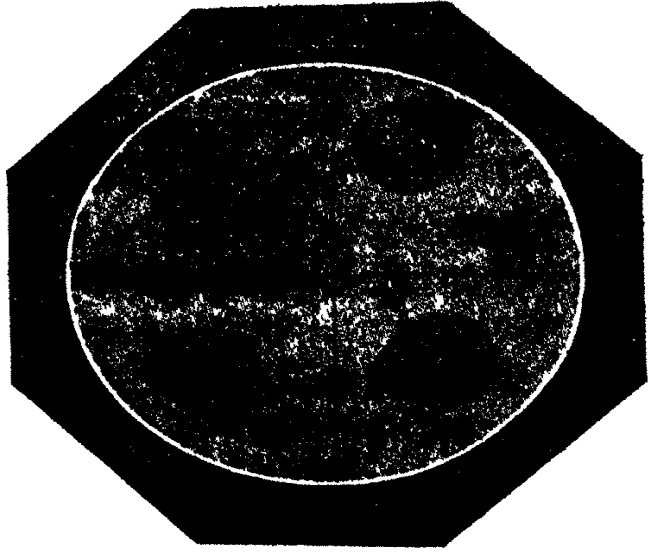
( شكل ٣٩ - صور للاميبا مأخوذة عن فلم سينما توغرافي للاميبا وهي تتحرك ، أخذت بسرعة ٣٠ صورة في الثانية ، والصور السبع التي ترى هنا منتخبة من حركة الاميبا في ثانية واحدة )

وقد تنقسم الى قسمين ويسيران خليتين ولكنهما لا يتصلان بل يعيشان ككائنين حين منفردين ،  
وتوصل العلم الى معرفة مئات من هذه الأجناس (بروتوزوا) ذات الخلية الواحدة تعيش في المستنقعات والبرك  
والبحار وهي أبسط كائن حي تعرف حتى الآن ، وإذا دقت النظر في محتوياتها لا نجدها أكثر من غلاف داخله  
مادة غشائية لزجة تسمى (بالبروتوبلاسم) فإذا صادفت هذه الخلية ذرة من نبات تراها تندفع اليها وتحيط بها  
بمهلة فلا تستمر الفرة إلا وترى نفسها داخله في ذلك الغلاف ومحاطة بأكملها بهذه المادة اللزجة مع قليل من  
الماء فتضم بواسطة كيميائية قسرية وتصبح جزءاً من ذلك البروتوبلاسم وهذا كل ما فيها من وظيفة الهضم ،  
وغريب أنك تجد خلايا لا تعيش إلا في سوائل الجسم (الدم والنف) تعيش عيشة مستقلة كما تعيش الكائنات  
ذات الخلية الواحدة المسماة (بروتوزوا) في قاع المستنقعات والبحار كما قدمنا ، وانك لو أخرجتها من تلك  
السوائل ونظرت اليها (بالمكروسكوب) ومنجت معها قليلاً من الفرات الملونة لرأيتها بعينيك تصنع ماصعته  
الكائنات المذكورة في أساليب غذائها وهضمها على السواء . هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة التي تعيش  
في سوائل الجسم هي التي نطلق عليها اسم الكرات البيضاء وهي كانت معروفة قبل عصر باسطور ، أما في عصر  
باسطور فقد ظهر بفضل فكره الواسع وعبقريته الممتازة مدهش له العالم طراً ، ذلك أن قد ظهر لنا عالم خفي  
كنا نجهله هو عالم الميكروبات وبرهن لنا على أن هذا العالم الخفي علة جميع الحيات المعدية وأن عوارض هذه  
الحيات لم تكن إلا نتيجة تسمم الجسم متى تسلطت هذه الميكروبات من الخارج الى داخل الجسم ، ثم أتى لنا  
بعده ليستروبرهن على أن ققيح الجروح نتيجة تسلط هذه الميكروبات على الجروح ، وأن هذا الققيح هو  
الحلال الخليات الناتج عن فتك هذه الميكروبات بها ( انظر شكل ٤٠ في الصفحة التالية )

ثم أتى بعدهما ( كوين هابم ) وبرهن على أن في كل موضع ملتهب من الجسم سواء كان نتيجة ميكروبات  
أو صلصة فإن الورم الذي يطرأ عليه يكون عبارة عن تراكم الكرات البيضاء بكميات كثيرة تخترق الأوعية  
الشعرية وتتصل الى ذلك الموضع الملتهب ومنه ينشأ الورم ، ثم أتى بعدهم ( ميتشنيكوف ) وأرانا بأعيننا أن  
الغاية من تراكم الكرات البيضاء وخروجها من الأوعية الشعرية وذهابها الى الموضع الملتهب هو الدفاع عن  
الخلايا ومقاتلة الميكروبات الطارئة الضارة بها والتغلب عليها بأكملها وهضمها وأكل سمومها وأكل الخلايا التي  
فسدت بسبب فتك الميكروبات بها . كل ذلك رأيناه بأعيننا وتأكدنا من عمل هذه الكرات البيضاء  
الضرورية للحياة ولذلك سميت بالخلايا الأكلة أي ( الفاجوسيت )

هذه المدهشات علمت واكتشفت أسرارها وأسرار وظائفها وهي مع ذلك خلية واحدة للجسم الانساني ،  
فكم لله في باقي صنعه من أسرار لا زال امرها غائباً مجهولاً من الانسان

( أخذت هذه الكرات البيضاء وهي تزود الميكروبان )



( شكل ٤٠ )

تتغذى الكرات البيضاء بكمرب الانتراكس

- (١) تتغذى الكرات البيضاء بكمرب المغنيزيا
- (ب) تتغذى الكرات البيضاء بكمرب السربوبوكوك
- (ج) تتغذى الكرات البيضاء بكمرب اطي الراجة
- (د) تتغذى الكرات البيضاء بكمرب الكروبياسيل

﴿ بهجة الجوهرة في هذه الآية - وهو الذي خالق من الماء بشرا - الخ وأن المصل رجع في الركوع والسجود من الحق الى الخلق ، والفيلسوف رجع من الخلق الى الحق ﴾  
تباركت يا الله ، جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما في آية (الحجرات) وجعلتهم - نسبا وصبرا - كما هنا فترى قبائل ودولا في القارات الأرضية شرقا وغربا ، وترى أسرات وجاعات بينهم علاقات واشتراك يسكنون قرية واحدة ، ثم ترى جسم الانسان وحده فيه أنواع الحواس وهي خمس قد قسمت عليها العوالم التي تتركها قلائع المناظر وهي عشر وللأذن المسموعات وهكذا . وفيه أيضا أعضاء مختلفة لكل عضو منفعة خاصة باختلاف منافع الحواس . كل هذا يذكره المصلون في صلواتهم وأكثرهم ساهون ، فيقول الراكع ﴿ خضع لك سمى و بصرى وعنى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين ﴾ ويقول الساجد ﴿ سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ﴾

فها هو ذا الراكع يذكر جماعات الحواس المتضامات من السمع والبصر ومثله الساجد ثم كل منهما يذكر جماعات الأعضاء المتضامات من العظام والعصب والمخ . فياسبحان الله . جماعات في الأمم كجماعات المدن كجماعات الحواس في الجسم كجماعات أعضاء الجسم داخلا وخارجا وكما راجعت لنظام وحدة كلية . فالأهم تكون أهل الأرض جميعا والأسرات تكون البائدة الواحدة والحواس والأعضاء تكون الجسم الواحد ؟ وم تكون هؤلاء كلهم ؟ تكوّنوا من الماء المذكور في هذه الآية والقاعدة في الجميع واحدة . فهل لك أن أسمعك الآن ما هو بعد مدى وأقرب هدى . انظر كيف كانت نفس أجسامنا مركبات من خلايا وهذه الخلايا جماعات بينها اشتراك كاشتراك الدول وأهل القرية والأسرة والحواس والأعضاء في الجسم الواحد . فهناك ما جاء في بعض المجلات العلمية

### ﴿ حياة الخلية ﴾

كان الفضل في اكتشاف الخلية أو وحدة تركيب الأنسجة في جسم كل كائن حي لا اختراع النظارات المكبرة وأذهان العلماء المشتغلين بها مثل (شوان) و (شليدن) و (فيرشو) وقد أوجد هذا الاكتشاف ما يسمى بنظرية الخلية وهي تلخص في أن كل كائن حي بدأ حياته نخلية مفردة لأن قسما من الخلايا المفردة لم يقنع بحالته الوضيعة وصارت كل خلية تبني لنفسها جسما كبيرا بانقسام الخلايا التي تتناسل منها واستمرت هذه الكائنات الكثيرة الخلايا في تقدمها حتى استطاعت لكثرة ما فيها من الخلايا أن تقسمها أقساما وتجعل لكل قسم عمله الخاص ومن هنا نشأت الأعضاء والأجهزة المختلفة التي نراها في جسم الحيوان أوفى تركيب النبات

### ﴿ الوجود التضامني ﴾

ولما اجتمعت الخلايا وكوّنت جسما واحدا ووزعت الأعمال المختلفة على كل طائفة منها صارت حياة الكائن المشتمل هي عبارة عن مجموع قواها الحيوية ومع ذلك فلكل خلية حياتها الخاصة . ويقول العالم السرلانكستر ﴿ يمكن أن نعتبر الحيوانات والنباتات العديدة التي بنيت أجسامها من خلايا كثيرة كائنات حية مركبة وأن خلايا كل جسم حي مثل السكان في مدينة لكل جماعة عملها ولكل فرد كفايته . وأن الغاية من أعمال هذه الجماعات وتضامنها هو تحقيق غرضها المشترك وهو الحياة للحيوان أو النبات التي توجد فيه ﴾

### ﴿ أساس الحياة ﴾

ويعد الهوبولي أو المادة الأولى (البروتوبلاسم) أساس الحياة الطبيعية وهي المادة التي تحيا بها أجسامنا والتي ترتكز عليها حياة الخلية فان أول شيء يتكوّن في أي حيوان هو الهوبولي ثم الخلية والخلية تتولد منها خلايا وهكذا الى أن تتكوّن جميع أعضاء الجسم ويتم بناء هذا الكائن الحي

### ﴿ من أين تولد الخلية ﴾

لاتولد الخلايا الحية إلا من خلايا حية سبقتها في الوجود وباتصال الذكور بالاناث . وقد حاول كثير من العلماء اثبات التولد الذاتي أو تكوّن الكائن الحي بنفسه فأخفقوا في إيجاد أقل الكائنات في التركيب انتهى هذا ثم انظر ما ذكره (السيرأوليفرلودج) هناك ما ورد في نفس المجلة بنصه

### ﴿ الجسم والروح ﴾

يقول (السيرأوليفرلودج) رئيس المجمع العلمي البريطاني ﴿ انه من أغرب الامور أن تكون أجسامنا قادرة على تكوين أناس مماثلاً كونه من مواد الغذاء فان نفس هذه المواد الغذائية كان من الممكن أن تصير دجاجاً أو كلاباً ولم يفعل ما قامت به من المعجزات المدهشة إلا ما فيها من العوامل الحيوية ذات المزايا الخاصة التي حتمت أن يصير هذا انساناً ولم يجعله قرداً مثلاً بل جعلته انساناً بشكل خاص يتقيد فيه بعدة عوامل وراثية أو خلفها ترجع الى آبيه أو أمه أو أسلافه . أما الأجسام فتبلى وترجع التراب الى التراب كما قالت الكتب المقدسة . أما

تلك العوامل التي قامت بالمجزة فانها تبقى في كائن لطيف لم يدرك العلم حقيقته ولكنه لا يستطيع أن ينكر وجوده وأثره وهو الروح ﴿ انتهى

هذا كلام (السرأوليفرلودج) ولعمري ما هذا إلا معنى تسبيح المصلي في سجوده وركوعه وثنائه على ربه . يسبح المصلي في الركوع والسجود أى ينزه ربه عن الحوادث والأجسام ثم يذكر نعمة السمع والبصر وأعضاء الجسم وهذا معنى ﴿ سبحان الله وبحمده ﴾ فهنا تنزيه عن الحوادث مع خلقها منه والحمد عليها منا نحن فالسرأوليفرلودج يقول إن هذه الروح هي التي دبرت هذا الجسم وخصته بكونه انسانا مثلا فأرجع الأجسام والحواس الى الروح والروح ليس يقدر العلم على معرفتها ولا على انكارها فهي إذن - من أمر ربى - فالعالم ﴿ قسمان ﴾ عالم الخلق وعالم الأمر والأول هو المذكور من أعضاء الجسم والثاني هو الروح والله خالقه وهو منزّه عن الحوادث وعن ملابسة الأجسام . فالسر (أوليفرلودج) سار بكلامه من الخلق الى الحق بعقله هو لا بدنيه أى ان الفلاسفة ينتهون بعد مشاهدة المادّة الى خالقها . إن هذا هو الذى جرى عند أعظم حكماء هذه الكرة الأرضية . واعلم رعاك الله أن فلاسفة اليونان ابتدؤا نظريهم على هذا النمط فقام (تاليس) قبل الميلاد بخمسمائة سنة فقال ﴿ إن هذا العالم أصله الماء ومنه اشتق ما هو أثقل منه وهو الأرض وما هو أخف منه وهو الهواء ﴾ ثم قام (أنكسيانيس) بعده فقال ﴿ كلا بل الأصل هو الهواء ﴾ وفعل به ما فعل (تاليس) بالماء ثم قام بعدهما (ديموقراطيس) فقال ﴿ ويحكما كيف حصرتما العالم في عنصر واحد . كلا . بل الأصل هو الجزء الذى لا يتجزأ فاذا قام من قبلى واستغنى عن صانع للعالم بعنصر فأنا استغنى عنه بهذه الأجزاء التى لا تتجزأ إذن العالم هو هكذا من الأزل الى الأبد ﴾

هنالك حاراليونانيون وظهر فيهم (السوفسطائية) الذين ينكرون الحقائق وقام بعدهم (فيثاغورس) وهو يونانى فنظر فرأى هذا العالم فيه نظام وابداع وحساب وحكمة فقال ﴿ كلا إن أصل العالم أرقى من المادّة فليكن هو العدد لأن كل شئ له نظام معدود ﴾ ثم قام الفيلسوف (أبندوقليدس) فقال ﴿ إن هناك محبة وعداوة فالأولى تجمع والثانية تفرق وما العالم إلا جمع وتفرق ﴾ فقام بعده فى القرن الرابع قبل الميلاد (أنكساغورس) وقال ﴿ كلا هذا لا يكفينى إن هذا العالم له عقل صممه فهذا العقل فصل مع المادّة ماصنعه الذى يدير الساعة فهو أولا نظمها فدارت ثم تركها فهي تجري أبدا وأمدا لأن هذا النظام لا يكون بلا عقل ﴾ ثم قام بعده سقراط فقال ﴿ هذا رأى أبتر . إن الآلة لا تصنع من نفسها فلا بد لها من مدير يديرها ويلاحظها أبدا . إذن الذى صنع هذا العالم هو الذى يعلمه وهو معه دائما يديره ويحكم صنعه ولا يتركه والا لفسد ثم جاء أفلاطون وقرّر هذه النظرية بشكل أتم وأبهى وأبهر . ثم قام (أرسطاطاليس) فأيد الذين قبله والى هنا انتهى علم جميع الأمم شرقا وغربا

إذا عرفت هذا أيها الذكى فاعلم انك قد ظفرت بكنز لم يحزره سواك . ومتى عرفت هذا وحفظته وعقلته فاعرض على هذا الجدول عقول أبناء أمتك الذين تعيش معهم فستسمع أحدهم يقول انى لا أصدق إلا بالمحسوسات فاعلم أن هذا المسكين لم يزل طفلا أشبه بما قاله (تاليس) أو (ديموقراطيس) وإذا سمعته يقول لمن أصلى وهل الله محتاج الى صلاتى فاعلم أن هذا لا يصدق بأن الله محيط بالكائنات فهو أشبه أنكساغورس فقل لأبناء الشرق إن العلامة (ابنسر) الفيلسوف الانجليزى ومثله (سنتلانه التليانى) يقولان بأعلى صوتهما وعلى مسمع من أوروبا قاطبة اننا لم نصل فى هذا العالم (أى فيما هو المقصود من الفلسفة وهى هذه المباحث) الى (سقراط) و(أفلاطون) . كلا . ويقولان ان جميع فلاسفة أوروبا لم يزدوا على ما ذكر فيما كتبناه هنا وغاية الأمر ان أحدهم يختار قول (تاليس) مثلا أو قول (ديموقراطيس) والفلسفة فى طفوليتها فيعلنه ثم يقوم آخرو ويختار مذهب (سقراط) فيعلنه . إذن من درس هذه القرائد التى ذكرتها هنا فقد حفظ أتمها المذاهب

التي اليها ترجع جميع أقوال علماء أوروبا في العصر الحاضر وأقوال المقلدين لهم من المتعلمين نصف تعليم في بلاد الشرق فهو لاء وهو لاء مقلدون ولكن المسلم في صلاته قد جمع خلاصة المذاهب وأتبع أعلاها فقال ﴿ سبحان ربّي العظيم ﴾ وذكر الأعضاء والحواس وما تحتها من الخلايا التي دخلت ضمنها فهي كلها مجموعات مشتركة في حياة الفرد كله الذي جعلته الروح التي صارت أقرب إلى ربها المنزه عن المادّة . وهذا آخر ما انتهت إليه الفلسفة وذلك بسقراط وأفلاطون إلى آخره . فالفلاسفة ساروا من الخلق إلى الحق والمصلّى المسلم سار من الحق إلى الخلق في الركوع والسجود وهذا في الفائحة والشهد إذ يحمد الله ويقول إن التّحيات له ثم هو بعد ذلك يطلب منه الهداية والاستعانة الخ ويطلب منه الصلاة والسلام على النفوس العالية والصالحين . وإذا قال المصلّى في سجوده تبارك الله أحسن الخالقين بعد ذكر أعضاء جسمه وحواسه فذلك مقابل لما في الآية هنا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فهذا الفعل وتلك البركة كما اجتمعت فيها الشمس التي لا يعرف عددها فصارت عالما منتظما هكذا بها انتظمت أعضاء الانسان والخلايا التي لا يعرف عددها وهنّ مشتركات في نظام الجسم الانساني وحياته فكما أن الانسان حيوان صغير هكذا العالم كله حيوان كبير وهذا كله يشير له قول المصلّى في سجوده ﴿ سجد وجهي للخالق ﴾ وهذا العالم الصغير يجتدي حتى يرجع إلى ربه فيصير روحا طاهرة وهذا سرّ قوله تعالى - واسجدوا وقرب -

هذا معنى كون الاسلام دين الفطرة ومعنى قوله تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - فاليه انتهى مباحث الفلاسفة وهناك وقف نظرهم وصار جميع الباحثين يأخذ كل منهم من سلسلة المباحث ما يوافق عقله بقدر طاقته وسيأتي إيضاح هذا المقام في (سورة النحل) في آخرها إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس (٧) فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا -

إلى قوله - أو أراد شكورا - ﴾

تباركت يا الله وتعاليت أبدعت نجوما وشموسا وتلايلات في سمائك وانتشرت في أقطارها جيلات منيرات مشرقات . أبدعتها بالحكمة وزينتها بالجمال وقلت لها املئي أقطار السموات وأفيضی نورا على المخلوقات لتبهج بك القلوب ولتعشقك العقول ولتفرح بك النفوس . أيتها النجوم وأيتها الشمس أنتن بهجة عبادي مقسمات الزمن معطيات الضياء منميات الزرع مكثرات الضرع أنتن بأمرى هجريات الرياح الحاملات السحاب بضوئكن وحرارتكن نما النبات وانتعش الحيوان وبكن غنت القمارى على أعوادها والفواخت في دوحاتها وراحت الحشرات للغنيات وغدت تجمع العسل وتلقح النبات كل صباح وكل مساء . وبنظام سيركن انتظم لعبادى علم الحساب بأنواعه فعرفوا السنين والشهور والدهور وبيهجتكن انطلقت ألسنة الشعراء وتغننوا في وصفكن بأفانين القول وبدائع الحكم وروائع الفنون . ففیکن يقول الشاعر

كأن سبيلا في مطالع أفقه • مفارق لآل لم يجد بعده إلها  
كأن بنى نفس ونعسا مطافل • بوجرة قد أضلن في مهممة خسفا  
كأن سهاها عاشق بين عود • فآونة يسدو وآونة يخنى  
كأن قد احمى النسر والنسر واقع • قصصن فلم تسم الخواقي له ضعفا

سقتها الذراع الضيغمية جهدها • فما أغفلت من بطنها قيدا صبع  
بها ركز الريح السماك وقطعت • عرى الفرغ في مبكى الثريا بأدمع  
ويستبطأ المريج وهو كأنه • إلى الفور نار القابس المتسرع  
وتبسم الأشراف لجرا كأنها • ثلاث حمامات سدكن بموضع

وتعرض ذات العرش باسطة لها \* الى الغرب في قفورها يد أقطع  
(من سقط الزند للعري)

وكم تفزل فيك عبادى الشعراء ، فأنت نبراس الخيال لشعراء عبادى كما انك نبراس العقول والحكم  
المستودعات فى قوى الحكماء والفلاسفة الفكرية إذ يحسبون سيرك ويعقلون بعض سرّك وهم بك فرحون  
إذن أنت مسرح القوتين الخيالية والفكرية ومناط العالمين عالم شعر الشعراء وعالم حكمة الحكماء . ولقد جعلتك  
زينة للناظرين وأغنت بمرآك الصادرين والواردين ، ومنحتك الجلال بهجة للعالمين ، زينتك أعلى زينة  
وأبهج حلية وأعلى منار ولم يقتصر التفنن فى محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدى ذلك الى  
غيرهم من سائر الخلق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التى ألفوها ودواجنهم التى ربوها ليقرّبوك من متاولهم  
حتى كأنك بين ظهرانيهم مألوقة لهم

(١) فهام أولاد عبادى الآريون سكان الهند صوّروا عجايبك بصور حيوانات يعرفونها وذلك فى كرتهم  
المصوّرة قبل المسيح بتسعة قرون فجعلوك بهجة ووزين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجى ضخم الجثة  
وامرأة مغطاة بوشاح

(٢) وهام أولاد عبادى العرب سموا بعضك باسم بنات نعش الصغرى والفرقدى والجدى وبنات نعش  
الكبرى والقائد والعناق والجون والسها والهلبة والجوض والظباء الخ

(٣) وهام أولاد الصينيون قد سموا أكثر من ثلثائة اسم ذكروا فيها أسماء كثير من عظماهم  
(٤) ولقد تمادى العرب عبادى فى الخيال وأخذوا يقولون أنك الراعى وكتب الراعى والشاة والأغنام  
والضباع والكف الخضيب وسمام الناقة والخباء والعز والجديان وممسك الاعنة والحية والدلو والحل والثور  
والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والمقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وسموا هذه  
الاثني عشر بروجاً

(٥) وهام أولاد عبادى أهل (سكندنيا) قد سموك بالكلب والمركبة وبالمغزل  
(٦) وكذلك عبادى فى الأقطار الشمالية (الاسكىمو) سموك (صائد القط) والقط حيوان بحرى عندهم  
فهام أولاد عبادى اتفقوا فى مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيتها النجوم بما لديهم من الصور  
المألوقة الحية وغير الحية ليستزلوك من سمائك الى المعانى القريبة من متناولهم استنباساً بك وفرحاً بمرآك وأنسا  
بمشاهدتك . أيتها النجوم ويأيتها الشمس أنتن جال وأى جبال . أنتن أنس وأى أنس . أنتن مشيرات  
المشق والغرام . أنتن المنعشات لحب العلوم . أنتن المضمرات نار الشوق للقائى ومشيرات نيران الحب لجالى  
أنتن عنوان جالى وكالى . أنتن حلية صوالى . أنتن العرائس المصطفيات لأحبائى من عبادى وما العرائس  
الزينات المجلاوات فى الأرض إلا نموذج لزينتك وجالككن حتى اذا فرحوا بأقل الجالين طمعوا فى أكملها  
بهاء وأبهاهما حسناً ولألاء

(٧) ولقد تعلم عبادى الذين يطربون الناس بالنغمات دواوين الغناء والألحان من نظام سيرك وهكذا  
الشعراء فهو أولاد وهؤلاء استمتوا الحساب ونظامه من حسابك فأصبحوا لا يفرقون بين حساب الأبيات الشعرية  
والأوزان الغنائية والحركات الفلكية (انظر هذا فى سورة يوسف عند قوله تعالى - وقطعن أيديهن - وفى  
مواضع أخرى من هذا التفسير مثل ما تقدم فى سورة الرعد عند قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار -)  
أيتها النجوم . أيتها الشمس . أيتها الأقمار . أنت اللاتى هام بك القدماء والمحدثون من مخلوقاتى حتى  
دخلت فى العبادات وصوّرت على صناديق بعض الأموات وأنزلتك فى القرآن فقلت - تبارك الذى جعل فى  
السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً - انتهى صباح يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨

هذه المقالة جاشت في صدرى في هذا التاريخ . ولقد تقدمت في هذا التفسير أن قدماء المصريين أغرموا بحمال الكواكب وهاموا بها هياما شديدا وأولعوا بها وأحبروا الله حباجا وجعلوها رمزا لكماله وصلة بينهم وبينه ونحن معاشر المسلمين أمرنا بالتزلف فيها لتدعونا للشوق الى مبدعها الحكيم وخالقها العظيم ولكن قدماء المصريين جعلوها معبودهم وهذا المعبود يوصلهم لربهم لأن الرب أجل من أن يذكر على اللسان بل الذى يذكر انما هم مخلوقاته ولذلك تنوعت الآلهة وكثرت الأصنام احتراماً لمقام الالهية . أما الاسلام فقد قوض هذه الأركان وهدم الأوثان وقال أيها الناس اعبدوا ربكم فليس تعظيمه بالاشراك ولا تقديسه واحترامه بعبادة الأوثان بل هو المعبود قولاً وفعلًا والمذكور سرا وعلا . ولقد ترى في تفسير (سورة يونس) صورة منطقة البروج وحولها الكواكب المعروفة عند قدماء المصريين قد كشفوها مرسومة على صندوق أحد العظماء فالكواكب معظمات عندهم في حياتهم وبعد موتهم . ومن ذلك ما ذكرته لك هناك من أن الهرم الذى تراه مرسوماً هناك مشروحا مذكورا سببه قد بنى بمحذاء كوكب الشعرى المعبود المعظم عند القوم وقد كانوا يجعلون صورة الهرم مع الميت تيمنا بكوكب الشعرى الذى بنى الهرم بمحذائه . وإذا مات الميت وجهوا وجهه الى جهة الهرم المرموق بنظر ذلك الكوكب . هذا ما عثر الباحثون والكاشفون عليه في خبايا الأرض وأحافيرها وطواميرها ونواويسها بالبلاد المصرية في داخل الأجداث . ولقد عثروا على غرام الأحياء بالكواكب في البلاد المصرية فوجدوا حبا متمكنا في القلوب بحيث امتزج بالسم والعمل بالدين (انظر ما تقدم في سورة يونس) فأنك ترى في أولها هناك حساب الهرم وأنه بنى على سير الشمس وعلى مقتضى دائرتها السنوية وأن محيط الهرم منسوب لمحيط مدار الأرض حول الشمس وارتفاع الهرم منسوب لبعد الأرض عن الشمس حتى إذا هدم الهرم أمكن أن تعرف مقاييسا من نفس مدار الشمس . وترى هناك مقاييس مصر كالذراع البلدى ومكاييلها كالأردب وموازينها كالرطل كلها مستخرجات من مساحة الهرم المبني على مدار الشمس وعلى بعدها عن الأرض فارجع اليه إن شئت تجد العجب العجيب . وههنا أريدك تبياناً جليلاً بما قرأته في كتاب مترجم حديثاً ترجمه أحد القائمين بالمتحف المصرى فآثرت نقل ما يناسب المقام منه لتعجب من جلال الله الذى أشرق على الكواكب الراقصات في جوار السماء فأرقت أهل الأرض وهاموا بالجمال والبهاء وجعلوه عبادة لله وإن كان هذا لا يوافق ديننا لأنه أشرف الأديان ولأن الله يقول لنبينا - لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينافى عنك في الأمر وأدع الى ربك انك لعل هدى مستقيم - فهناك ما نقلته من ذلك الكتاب تحت عنوان ﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾ ترويحاً للنفس وتنويعاً للدروس وتشويقاً للعلوم والحكمة وفهماً لقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينه الكواكب - وقوله تعالى - وزيناها للنظرين - وههنا

## ﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾

﴿ عند قدماء المصريين ﴾

قال مونسترييه « كان قدماء المصريين يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيّلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أى كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية » وقال لوسيان « كانت حركات الرقص عند قدماء المصريين تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج لهب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود وترفع الغصون فهو أبدع ما يكون »

قد دلت الآثار المصرية التى يرجع تاريخها الى (٥٠٠٠) سنة على أن المصريين هم أقدم الشعوب مدنية وأوسعهم حضارة وقد توسعوا في المدنية وفنونها حتى أقننوا فن الرقص وأحكموا قواعده . وبما هو جدير

بالذكر انهم لم يتخذوا الرقص للخلاعة والملاهي كآزاه الآن بل كان عند خدمة للشعائر الدينية ونموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلاً للألغام الموسيقية . وكانوا يقصدون من الرقص جملة فوائده دينية وديوية . أما الدينية فهو ما كانوا يتقربون به حول الهياكل والمعابد فقد قال كستيل بلاذ ﴿ إن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أذاهم الى انشاء الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهاراً لسرورهم وأفراحهم وقياماً بشكر النعم وتمثيلاً للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهري من دياناتهم ولم يكن ذلك قاصراً على المؤمنين منهم بل الطبيعيون أنفسهم وهم الذين يعتقدون أن الالهية منحصرة في نظام الطبيعة . كانوا يرون أن مجموعة الأناشيد وأنواع الرقص ممثلة لاتحاد الكمالات في ذلك النظام وكفيلة باحترام الطبيعة ومجدها ﴾ ومن العجيب أن قدماء المصريين بلغ احترامهم الرقص عندهم لدرجة أن اعتقدوا أنه من ضمن التعاليم المنزلقة فقد قال ديودور الصقلي المؤرخ اليوناني المولود في القرن الأول ق م ان أسوريس (وهو المعبود العظيم) كان يحترم توت (هرمس) ويحمله نظير مأسرعه وبثه في الهيئة الاجتماعية من علوم الفلك والموسيقى والرقص والألعاب الرياضية وغيرها من الفنون التي بلغت عندهم درجة الكمال وسبقوا بها الأمم في مدارج الرفعة وسعادة الحياة ﴿ قال مونسترية في كتابه الذي وضعه سنة ١٦٨٣ وسماه ﴿ الرقص القديم والحديث ﴾ مانحه

« إن الرقص عند قدماء المصريين كان يمثل الحركات السماوية على نموذج الألحان الموسيقية وكانوا يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيّلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أي كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسوية » ولم نعر في النصوص المصرية القديمة على تفصيلات هذا الرقص الديني القديم حول الهياكل غاية ما قاله لوسيان المولود في القرن الثاني للمسيح في بلدة ساموزات التابعة لسوريا القديمة « ان مجموعة الكواكب ودائرة النجوم والسيارات هي محور لهذا الرقص الفلكي » والرسوم المنقوشة في المعابد والهياكل لم تدل على أي بيان لهذا الرقص الفلكي وقد كان له قوانين محترمة كغيره من الفنون . أما (أفلاطون) فقد وصفه وصفا مبهماً حيث نقل عن قدماء المصريين انه كان من واجب الشبيبة المصرية أن لا تمرن إلا على الرسوم والألحان البالغة حد الكمال لذلك كانوا يختارون نماذج مخصوصة للرقص ويحدثونها ويضعونها في الهياكل والمعابد وكان محذورا على النقاشين والرسمين الذين يحضرون هذه المشاهد أن ينقلوا شيئاً عنها أو يمثلوها في الخارج حذراً بانما يقتضى نصوص قوانين البلاد وقد قدسوا كل أنواع الرقص والأغاني

قال (مينار) في كتابه الذي سماه ﴿ تاريخ الشعوب الشرقية ﴾ إن المصريين القدماء كانوا أكثر الأمم تديناً وكانت أكبر اجتماعاتهم الدينية محافل طرب لميلاد إلههم وعودته أو مجامع حزن وبكاء لموته وكانت هذه الاحتفالات تشتمل على أنواع من الأناشيد المقدسة وأشكال من الرقص الديني

ونقل أيضاً لوسيان أن الرقص والغناء كانا مقدسين عند قدماء المصريين ومن لوازم الاحتفالات الدينية وذكر (هيردوت) أن المصريين هم أول الشعوب الذين وضعوا الاحتفالات الدينية ومنهم أخذ اليونان جميع عاداتهم وتقاليدهم . وكان عند المصريين أعياد كثيرة في كل سنة لأنهم كانوا يجعلون لكل معبود عيداً خاصاً به . وكانوا عند ما يذهبون الى مدينة (بوسط) للاحتفال بعيد المعبودة (ديان) يركبون السفن في النيل والنساء يلعبن فيها بالساجات والرجال يضربون بالناي مدة السفر ويغنون ويصفقون وكلما رست السفينة على شاطئ يجتدون حفلة راقصة . وقد وصف (ايبيه) الروائي الروماني المولود في القرن الثاني لليلاد حفلة عيد من أعياد المعبودة (اسيس) فقال « كان النساء في ذلك اليوم يلبسن الثياب البيضاء ويضعن على رؤسهن أكاليل الزهور تلوح على وجوههن علامات البهجة والسرور ويفرشن الطرق التي يمر منها المحفل المقدس بأنواع الورد والرياحين وينشدن نغمات لذيذة ويضربن بالناي ويلبهن كوكبة من أعظم المصريين لابسين الملابس

البيضاء القيمة ويترنمون بالأناشيد المقتسة ثم يأتي بعدهم جماعات من الرجال والنساء من كل الطبقات المتأهلة للأسرار الإلهية لابسين حلا باهرة من السكتان الأبيض وكان النساء يضعن على رؤسهن المعطرة المنسوجات الشفافة وكانت رؤس الرجال محلوقة ويضربون على الأعواد التي يتخذونها من النحاس والفضة والذهب بتوقيعات مطربة منعشة . وكانت الأئمة كلهما تشترك في عيد الجبل (أييس) لإحياء مراسمه وتعظيما له واجلالا لمقامه . ومن عجيب ما اتفق أن (كميز) ملك الهجم رجع منهزما من حربه مع إحدى الممالك فدخل مصر في عودته فصادف دخوله يوم احتفال المصريين بعيد ظهور الجبل (أييس) وهم لابسون انظر الحلال وقائمون بمظاهر الأفراح لهذا العيد وكان كميز قد دخل مصر قبل هذه المرة فلم ير من المصريين مثل هذا الاحتفال فظن أنهم يشمتون فيه وأن هذه الولائم والمحافل أقاموها فرجا بخذلانه وتشفيا في انهزامه في الحرب فاستنصر رؤساء مدينة (منفيس) وسألهم لماذا يقيم المصريون الآن معالم الأفراح والزينات عند ما فقدت جنودى في ساحة القتال ورجعت بالفشل ولم أر ذلك منهم يوم دخلت (منفيس) أول مرة منتصرا فأجابوه ان هذا اليوم صادف ظهور الجبل (أييس) معبودهم فأقاموا له الأفراح ومظاهر الأعياد فلم يصدقهم وأصر على اعتقاده أن ذلك شناعة به وأعلن غضبه على المصريين وأذاقهم أنواع النكال والعذاب

قال (دى كاهوذاك) في كتابه الذى وضعه سنة ١٧٥٤ وسماه « الرقص القديم والحديث » ما نصه « إن الرقص عند قدماء المصريين كان أمرا جوهريا في الدين وقد تفتنوا فيه حتى اخترعوا رقصا خاصا لعيد معبودهم الجبل (أييس) وذلك انهم كانوا اذا مات الجبل أخذوا يبحثون عن جبل غيره مستوف للشرط والتعليمات الخاصة له حتى اذا وجدوه فرح به الكهنة وخصصوا لخدمته جهورا من السيدات مدة أربعين يوما ثم يضعونه في قارب ويذهبون به الى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجاهير عظيمة من طبقات الشعب ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلفات الأنغام وبدائع الألحان ثم يجتمعون للاحتفال بأنواع الرقص المدهشة . وكان اذا مات (الجبل) أييس هذا ألقاه الكهنة في النيل ثم أخرجوه منه وحملوه ودفنوه بكل الاجلال والاکرام ورقصوا الرقص الجنائزى على شواطئ النيل وفي المقابر والطرق وعم الأسف والحزن الشعب أجعه ومتى ظهر لهم جبل آخر تبدلت الأتراح أفراحا وانتقلت المآتم مواسم وأقاموا الأعياد والولائم وأنواع الرقص مدة سبعة أيام . ثم توسعوا في حفلات الرقص حتى اتخذوها شعرا الجنائزهم فقد عثر في آثارهم على رسم راقصات لابسات ثيابا صفراء ومنهن ثلاث واقفات يضربن الطبول وثلاث أخريات الميث . ويوجد في مقابر (طبيه) منظر جميل يمثل حفلة مأتم الأمير (حورحجب) وفيها امرأتان تقفان لليت أوانى معدنية مملوءة زهورا وعطرا وثلاث نسوة أخرى رقصن ويضربن آلات موسيقية

ويوجد أيضا رسم لرميو يمثل النساء راقصات ضاربات على الطبول حدادا على الميت بينا الرجال بأيديهم عصي من الخيزران يضربونها في الهواء جهة الميتين واليسار ليطردوا الأرواح النجسة في زعمهم . واشتهر الرقص عندهم أيضا في الحروب وقلة الأثيوبيون وقد وصفه (لوسيان) فقال « كان الأثيوبيون اذا أرادوا الحرب يرقصون أولا في ميدان القتال ولا يصوبون رماحهم الى الأعداء قبل أن يرقصوا ويظهروا حركات حساسية يهتدون بها الأعداء . ثم ازدادوا توسعا في الموضوع فاخترعوا الرقص الحديث الذى عرف بالرقص العائلى الذى أخذته عنهم جميع الشعوب القديمة والحديثة » وقال ديودور الصقلى « انه لما ذهب اسوريس الى اثيوبيا كان يصحبه تسع بنات يعرفن كل الفنون وأنواع الغناء والرقص وهن اللاتي نشرن هناك هذه الفنون الجلية

« حفة الرقص »

قال (بارون) في كتاب الرقص « إن الآثار المصرية القديمة تمثل أنواع الرقص العائلى . ولاحظ أخيرا روسيليني سنة ١٨٣٤ أن حركات الراقصات المصريات في الزمن القديم أكثر شبها بحركات الرقص في عصره

وكان الرقص عندهم على ﴿ نوعين ﴾ النوع الأول ﴿ يكون بحركات التقديم والذراعين ﴾ والنوع الثاني ﴿ بحركات كل أعضاء الجسم ﴾ قال لوسيان ﴿ إن الرقص عند قدماء المصريين كانت حركاته تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج لبيب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود ﴾ وترى الفصول فهو أبداع ما يكون ﴿ ويوجد بالمتحف المصري تحت غرة ٢٣٣٣ بالدور الأسفل حجرا كتشيف في أحد قبور الأسرة الخامسة يمثل حفلة راقصة وفي أسفله ترى امرأتين تصفقان وأمامهما الراقصات يتمايلن على ايقاع التصفيق وفي أعلاه ترى رجلا يضرب آلة شبيهة بالعود وآخرين ينفخان في البراق المثقب (الناي) وبجانبهم المغنون المطربون وقد وضع أحدهم يده على وجنته ليتمكن من ضبط صوته ورفع آخرون أيديهم ليحسنوا الايقاع ويرشدوا الموقفين كما هي العادة المتبعة اليوم . وكانت الموسيقى تتبع دائما الرقص وأهم آلات الطرب عندهم الطبلبة والقثارة والرابعة والعود والصنج والناي والأجرسة وغيرها ومحفوظ منها نموذج بفرقة من الدور الأعلى بالمتحف المصري

وكانت أبواب الراقصات تصل الى أقدامهن مع اتساع الأبدان وهي من الشفاف الذي تظهر منه هيئة الأعضاء وحركاتها . قال (لافاج) في كتابه الذي وضعه سنة ١٨٤٤ وسماه ﴿ الرقص القديم والحديث ﴾ « ان الرقص عند قدماء المصريين كان على ﴿ نوعين ﴾ النوع الأول ﴿ مجرد حركات بسيطة ﴾ والنوع الثاني ﴿ تمارين رياضية يتمايل الجسم فيها الى كل جانب بينما تخطو القدمان بسرعة بعض خطوات قليلة مع مد اليدين وتحريكهما يمنة ويسرة ومن هذا أخذ المتأخرون الرقص الحديث وتفننوا فيه في كل زمان ومكان قد رأينا في قبر (تي) رسما يمثل امرأة ترقص على الطراز الحديث ونفذها الأيمن معتمد على أطراف قدميها وذراعاها فوق رأسها وكانت حفلات الرقص تجعل عادة ختاما للولائم والأفراح والرسوم الموجودة في المتحف المصري ومقابر (سقارة) و (بنى حسن) و (طيبة) تبرهن على أن الرقص قديم جدا وأنه باق على حاله لم يتغير منه شيء منذ (٥٠٠٠) سنة وأنه كان معتبرا عندهم علما وفننا له قواعد أساسية لا تتغير ولا تزال معالمة محفوظة الى اليوم عند جميع الشعوب الشرقية والغربية انتهى

وانما نقلت لك هذا أيها الذكي لتتظرفي أمر هذه النجوم وكيف هام بجمالها النوع الانساني كله وكيف هام الناس برهم وتشوقوا اليه بما رأوا في مصنوعاته من الجمال . ولا تظن أن أم الاسلام غفلت عن هذه المباحث الدقيقة فانظر كتاب السماع في الإحياء للغزالي وكيف أباح السماع اذا لم يثر الشهوة البهيمية بشروط خمسة فاقراها هناك وانظر في كتاب الاشارات لابن سينا فقد قال ان العبادة مع الفكر موصلة لله وقال أيضا إن الصوت اللطيف بشروط خاصة موصل الى الله عز وجل . وأنا لست الآن في مقام الأخذ بقول من هذه الأقوال ولكنني أريد بذلك أن الأم كلها اسلامية وغير اسلامية نظرت في الجمال المنظور والجمال المسموع فالمنظور من الجمال والمسموع من النغمات كلاهما بهياج النفوس الى معالي الامور . وتجد الامام الغزالي في الاحياء يفصل المفاني عند القوم ويبين ما يوصل الى الحكمة وما يكون قاطعا للنفوس عن الوصول . فانظر كيف شغف قدماء المصريين بالكواكب في الموازين ونحوها وفي لهوهم وفرحهم وما تتمهم . وهكذا الأم جميعها قديمها وحديثها تلعب (الغرد) وما الترد إلا مثال للنظام السماوي فالجبران اللذان يرميها اللاعبون كل واحد منهما له ستة أوجه عدد الجهات الست وفي كل وجهين متقابلين (٧) نقط فان كان في أحدهما (١) كان مقابله (٦) وان كان (٢) كان مقابله (٥) وان كان (٣) كان مقابله (٤) وهكذا فهذان الجبران يمثلان عالم الأفلاك الدائري مداره والنقط السبع تمثل الكواكب السبعة المعروفة عندهم التي تأتي بالسعد والنحس في عرفهم وما يصيب اللاعبين من خير وشر كالذي يصيب الحى من خير وشر بسبب استعمال ما تأتي به هذه الكواكب من سعد ونحس فالحي واللاعب كلاهما يأتيه ما كان مجهولا عنده وذلك بطريق المصادفة والمدار على حسن

استنار ما جاء له وبضدها تميز الأشياء . فهذه دلائل على أن هذا الانسان كان مقرماً بالكواكب فرحاً بها متجهاً للعالم العلوى . ومن عجب انى رأيت اليوم رأياً للعالم المخترع الكبير الأمريكى المسمى (اديسون) فى أصل الحياة يقول انها أنت لنا من عوالم أخرى مجهولة لنا فنرجع بهذا الى ما كان عليه القدماء إذ كانوا مقرمين بالكواكب والعوالم العلوية وأن منها السعد ومنها النحس ولكن اديسون لا يبين ذلك العالم الذى أنت منه الحياة وإنما يقول هو علم غير العالم الأرضى مستدلاً بأن الأرض كانت كرة غازية فلما ظهرت فيها الحويصلات الحيوية فى البذر والبيض والحيوان والانسان احتلتها تلك الحياة ونظمت شؤونها وهى وان كانت طارئة على الأرض تميز بين بيضة السجاجة واستعدادها وبيضة المرأة وتعطى كلا منهما حياة تناسبه وزاد على ذلك أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الانسان تحتوى على ملايين النرات التى أعطيت قوة التعقل والتفكر والتدبر والعمل وهى طواقف كطوائف الناس فكل له عمل وهذا هو السبب فى اننا نرى الجرح اذا سال دمه يلتئم وهذا الالتئام ناشئ بأعمال متقنة مبنية على علم بل يقول انها تعقل أكثر من الانسان . ويقول أيضاً هو لمحدثه كجاء فى جرائدنا المصرية يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ أنه لما أغلق أحد العمال عليه باب السيارة انطبق على أصبعه فطار منها الظفر فها هوذا أخذ يندمل ومن أين هذا الاندمال ؟ انما تصنعه تلك الخلايا اللدنى تعد بالملايين فى أصبعى وهى تعقل ما تفعل ومنها المدبرات أمراً والعاملات والصانعات . أقول وكأنه نطق بقوله تعالى - ان كل نفس لما عليها حافظ - وبقوله - فالدبرات أمراً - وبقوله تعالى - بأيدي سفره \* كرام بررة - وبقوله تعالى - وما منا إلا له مقام معلوم - وبقوله تعالى - وان عليكم لحافظين \* كراما كاتبين \* يعلمون ما تفعلون - وهكذا من آيات أخرى . ويقول (اديسون) المخترع المشهور المذكور أيضاً \* ان هذه الخلايا المتحدة ما هى إلا عمالك متحدة منظمة فإدام العمل بينها قائماً على السداد بقيت واذا حصل اضطراب غادرتها تلك الحياة التى جاءت لها من عوالم أخرى وكأنه نطق بقوله تعالى - وفى السماء رزقكم وما توعدون - وما قاله لمحدثه أيضاً ان أباه أخذ منه تقودا وسافر الى أوروبا وشاهد ما أراد من البلاد ورجع مسروراً وكانت سنه فوق الثمانين ولما بلغت سنه فوق (٩٣) سنة قال يابنى انى اريد أن أموت فقال له ولماذا قال لأن كل ما كنت أريد الاطلاع عليه وعمله فى هذه الأرض قدتم فلامعنى لبقائى وأنا متوجه الى أختك لأموت عندها فاولت منه فلم أقدر فتوجه لها وهو صحيح الجسم قوى متين ومات بعد ثلاثة أيام . قال وإنما مات لأنه أحس بأن تلك الخلايا فى الجسم رأت انه لاملامة بينها فسئمت البقاء على الاجتماع فأنذرتة بلا حروف ولا صوت ففارق الحياة . أقول وما قرأته فى كتاب (الأسفار) للشيرازى أن سبب الموت الطبيعى أن الروح لا تزال تزداد حرارة والجسم يزداد برودة بتقدم السن حتى لا يقدر الجسم على حفظ الروح لشدة حرارة حبها للعالم العلوى فتنتقل منه وهذا رأى أيضاً خاص بصاحبه كما ان رأى (اديسن) المذكور (مخترع الفنوغراف وغيره) خاص به - وفوق كل ذى علم عليم -

وانت خير ايها الذكى انه لم يقل هذا على انه يقين عنده بل يقوله من باب الفرض لا غير ونحن نعتبره كذلك . ومن عجب ان يكون هذا الفرض هو الذى ألقاه بطريقى اليقين عنده وفى نظره الشيخ الديباغ الذى نقلت عنه كثيراً فى (سورة الكهف) وغيرها إذ يقول هو ويقول الشيخ الخواص \* ان الجادات جميعها تعقل \* وهذا الفرض الذى فرضه (أديسن) والقول الذى قاله الشيخ الخواص والديباغ ذكرته هنا ترويحاً لاتعلم ودعاً الى ذكرها مسألة الكواكب وأن القدماء فرحوا بها وعشقوا ربهم بالتفكر فيها وخطوها بحجهم وهزلهم بل قالوا انها سبب سعدهم ونحسهم فقلنا ان بعض أهل عصرنا يرجع الحياة فى الأرض الى تلك العوالم هذا والقرآن لم يدع فرصة تمر إلا ذكر السموات والأرض وأمر بالتفكر فيهما وهذا معناه أن المسلم عليه ان يكون أحرص على جلال هذه العوالم من الأمم السابقة لأننا خير أمة أخرجت للناس وهل خير الأمم يجهلون

معلمه من هم أقل منهم من جعلك الله وكلامه . لما أنا فأقول سيكون بعدنا أم إسلامية يكونون أرق من الأم السابقة واللاحقة وهذا التفسير بحمد الله من مقدمات تلك النهضة البهيمية والحمد لله رب العالمين . انتهى مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

### ﴿ بهجة السموات ﴾

( كيف تعرف صور النجوم السماوية )

اعلم أن علم الفلك قد خطا فيه الأولون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دارالعلوم) في أواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة ماتلقينا قلته من كتاب المرحوم استاذنا حسن حسنى بك فلاذكريه فيه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذى عرف بعد ذلك أكثر مما يدلك أن العلم اليوم سريع الخطو حتى ان الأجرام السماوية التى عرفت للآن أبعد ما يصل نوره لنا فى مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جدا فهو فوق العقل البشرى . وقد عتوا نجوم المجرة (٢٠) مليونا وهى الآن تعد بمئات الملايين فهناك ما فى الكتاب المذكور

﴿ وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة ﴾

(٢٥) الاحصائيات . الكرات والخرط السماوية

الفلكيون بمعرفة الطرق التى بها تعيين الأوضاع المضبوطة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشؤا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطالعها المستقيم وبميلها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من نقطة ما مثل (ق) نعتبرها القطب الشمالى مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هى دائرة المعدل ثم ترسم جلة دوائر أخرى موازية لها وتكون هى الموازيات التى ترسمها النجوم تبعاً للحركة اليومية ثم ترسم جلة دوائر عظيمة تدل على دوائر الميل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جلة نقط تعيين كل واحدة منها بالمطلع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية المينة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خرط سماوية بطرق المساقط

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية - لأجل مساعدة الذاكرة فى دراسة النجوم قسموها من القدم الى مجموعات متميزة تسمى (الصور السماوية) وهى صور كائنات حية وغير حية تصورها رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مشابهة لمسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثور فان لها وضعاً مثلثياً يشابه نوعاً للجزء العظمى من رأس هذا الحيوان وكذا العقرب والاكيل والحية والتنين . ولييان نجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (ا) و(ب) و(ج) و(د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث انه بالمرور من صورة الى أخرى تكون هذه الحروف مينة لنجوم تختلف عن بعضها فى الضوء

(٢٧) عدد الصور . قد عدت (بطليموس) ٤٨ صورة منها ٢١ فى الشمال و١٥ فى الجنوب و١٢ فى الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل التى يظهر أن الشمس تقطعها فى سيرها السنوى ويشتمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٩١) للصور الشمالية و(٣١٨) للصور الجنوبية و(٣٢٠) للصور المنطقية . والاثنتا عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس فى مدة سنة وأسمائها هى (حمل) نور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ميزان . عقرب . قوس أورامى . جدى . دلو . حوت) وهى مجموعة فى قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان • ودعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى • نزع اللو بركة الحيتان

والاحدى والعشرون صورة الشمالية هي (الدب الأصفر أو بنات نعش الصغرى • الدب الأكبر أو بنات نعش الكبرى • التنين أو الثعبان • الملتهب • العوا • الاكليل الشمالى • هر كول أو الجاني على ركبته • النسر الواقع أو السلحفاة • السجاجة • ذات الكرسي • برشاوش • ماسك العنان • الحواء • الحية • السهم النسر الطائر • الدلفين • الفرس الأعظم • الفرس الأصغر • المرأة المسلسلة • المثلث الشمالى أو الدلتا) والخمس عشرة صورة الجنوبية هي (قيطس • الجبار • نهر الأردن • الأرنب • الكلب الأصغر • الكلب الأكبر • السفينة • الشجاع • الكاس أو الباطية • الغراب • المحراب أو المجرمة • سنطورس • الذئب • الاكليل الجنوبي • الحوت الجنوبي)

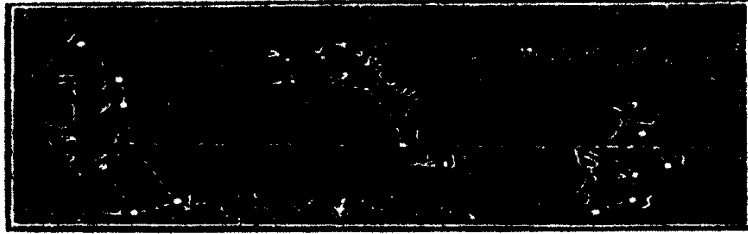
(٢٨) والنجوم التي تتكون منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار فأضواها تسمى من القدر الأول ثم ما يليها في الضوء يسمى من القدر الثاني وهكذا والقدر السادس يشتمل على النجوم التي هي آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب اعتبارى لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلا يمكن أن تكون هي أول نجوم القدر الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين في هذا الاعتبار ، ولكن المتأخرين حافظوا على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشمالى على ٩ نجوم من القدر الأول و ٣٤ من القدر الثاني و ٩٦ من الثالث و ٢١٤ من الرابع و ٥٥٠ من الخامس و ١٤٣٩ من السادس • والمجموع هو ٢٣٤٢ وأما نصف الكرة الجنوبي فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأول و ٦٨ من الثاني و ١٩٢ من الثالث و ٤٢٨ من الرابع و ١١٠٠ من الخامس و ٢٨٧٨ من السادس • وأشهر الخريط لا تعطى اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأول وهي مرتبة على حسب ضوئها

| أسماء                    | أسماء               | أسماء               |
|--------------------------|---------------------|---------------------|
| (١٥) الطائر              | (٨) الشعرى الشامية  | (١) الشعرى اليمانية |
| (١٦) السماك الأعزل (نير) | (٩) كتف الجبار      | (٢) سهيل اليمين     |
| (السنبلة)                | (١٠) آخر النهر      | (٣) (١) من سنطورس   |
| (١٧) فم الحوت            | (١١) الدبران        | (٤) السماك الراح    |
| (١٨) ب من الدجاجة        | (١٢) ب من ستورس     | (٥) رجل الجبار      |
| (١٩) رأس التوأم المؤخر   | (١٣) (١) من الدجاجة | (٦) العيوق          |
| (٢٠) قلب الأسد           | (١٤) قلب العقرب     | (٧) الواقع          |

(٢٩) عدد النجوم المنظورة - يظهر أن عدد النجوم التي ترى بالعين عظيم جدا . ولقد حصر الموسيو (أرجيلاندر) ٣٢٥٦ نجمة ترى بالعين وتمتد على القبة السماوية بين القطب الشمالى و ٥ من ٣٦ من الميل الجنوبي وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ١٠ السطح الكلى للكرة وبهذه النسبة يكون للعشرين الآخر (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلى للنجوم التي ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة • وبعض الراصدين ذوى البصائر الحادة أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى ان العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو يزيد من ذلك • واذا استعملت النظارات يزيد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠٠٠٠ ر ٤٠٠٠) نجمة تقريبا في جميع السماء من ابتداء القدر الأول لغاية القدر الخامس عشر

(٣٠) وصف السماء - اسهل طريقة لمعرفة الصور السماوية هي مقارنة السماء بالخريطة السماوية المنشأة على

حسب القواعد . واذا لم توجد خط وأريد ذلك فبمساعدة بعض نقط تعتبر مبدأ يمكن إيجاد المجموعات البصية الأصلية وفي قطرنا (مصر) نجعل المبدأ صورة الدب الأكبر  
 الدب الأكبر (شكل ٤١) - اذا وجه الانسان نظره جهة الشمال فانه يرى صورة الدب الأكبر وتحتوى على سبع نجوم أصلية وجميعها من القدر الثاني ماعدا النجمة (د) فهي من القدر الثالث والنجوم (هـ) و (و) و (ز) تكون ذنب الدب الأكبر (انظر شكل ٤١)



( شكل ٤١ - الدب الأكبر )

(النجمة القطبية) - اذا مد الخط (ب ا) من جهة (ا) ببعد يساوى (ا ر) فانه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الثاني أو الثالث وهى النجمة القطبية التى تستعمل فى إيجاد جميع الصور المهمة المنظورة فى سماء مصر وهذه النجمة لا تبعد عن القطب إلا بقدر درجة ونصف وبواسطة النجمة القطبية يسهل معرفة الأربع نقط الأصلية فانه بالنظر اليها يكون الشمال أمام الناظر والجنوب خلفه والشرق عن يمينه والغرب عن يساره ، والنجمة القطبية هى ثالث نجمة من ذنب صورة مشابهة للدب الأكبر إلا أنها أصغر منها وموضوعة بعكسها وتسمى الدب الأصغر (ذات الكرسي) - اذا وصل بين نقطة (د) من الدب الأكبر والنجمة القطبية بمستقيم ومد من جهة النجمة القطبية بكمية تساويه توجد ذات الكرسي وهى تشتمل على جلة نجوم من القدر الثالث وهذه الصورة هى فى مقابلة الدب الأكبر دائماً بالنسبة للنجمة القطبية

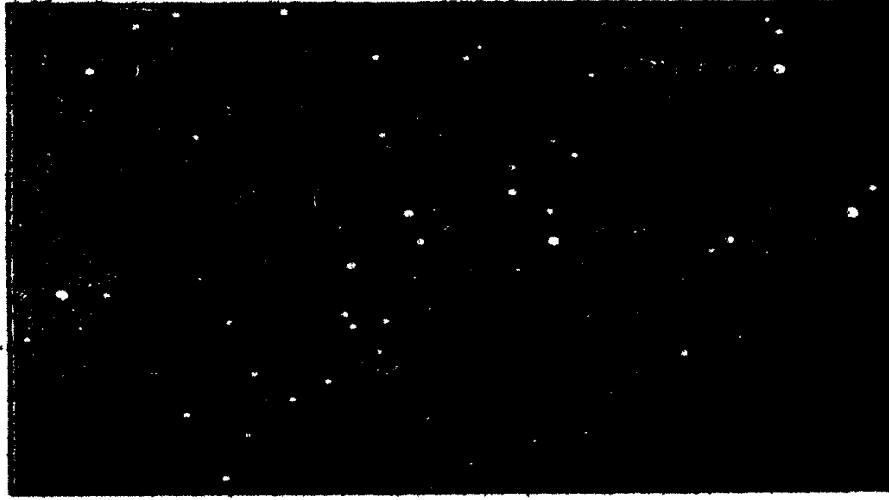
(الفرس الأعظم) - المرأة المسلسلة - (شكل ٤٢) - اذا مد الخط الذى عين النجمة القطبية من جهتها فانه يقابل صورة الفرس الأعظم وبإضافة النجمة (ا) من المرأة المسلسلة اليه يتكوّن ما يسمى مربع الفرس الأعظم وزوايا هذا المربع تشغلها نجوم من القدر الأول فاذا وصل بين (ا) من الفرس الأعظم و (ا) من المرأة المسلسلة توجد النجمتان (ب) و (ج) من المرأة المسلسلة اللتان تأخذان فى الاقتراب من النجمة القطبية (برشاوش) - اذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة يمرّ بالنجمة (ا) من برشاوش ، ومربع الفرس الأعظم والخط (ب ج) من المرأة المسلسلة والنجمة (ا) من برشاوش تكون جلة شكلها يشابه الدب الأكبر إلا انه ذو امتداد أعظم منه

(الفول) - النجمة (ا) من برشاوش توجد أيضاً على امتداد الخط (ا ج) من مستطيل الدب الأكبر واذا مد هذا الاتجاه الأخير قليلا من جهة (ا) يقابل (ب) من برشاوش وتسمى الفول وهى نجمة شهيرة جدا يتغير ضوءها تغيرا عظيما ، والفول هى أضوأ نجمة من رأس الفول موضوعة فى يد برشاوش ( انظر شكل ٤٢ فى الصفحة التالية)



( شكل ٤٢ )

(السفلة) - (السماء الأعزل) - (شكل ٤٣) نحو الجهة المقابلة لنصف الكرة وتقريبا على امتداد قطر مستطيل القلب الأكبر توجد صورة السفلة وتحتوى على نجمة من القدر الأول تسمى السماء الأعزل (انظر شكل ٤٣)



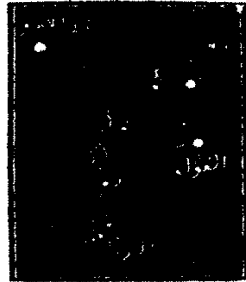
( شكل ٤٣ )

(الأسد) - (قلب الأسد) - اذا مد الخط (ا ب) من القلب الأكبر في الجهة المضادة للنجمة القطبية فانه يمر بصورة الأسد، والنجمة (ا) من هذه الصورة هي من القدر الأول وتسمى قلب الأسد (الجوزاء) - رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر (شكل ٤٤) - القطر الثاني (ب د) من مستطيل القلب الأكبر ممتدا من جهة (ب) يقابل جهة نجوم شبيهة منها (ا) و (ب) ورأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر من صورة الجوزاء (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية)



( شكل ٤٤ )

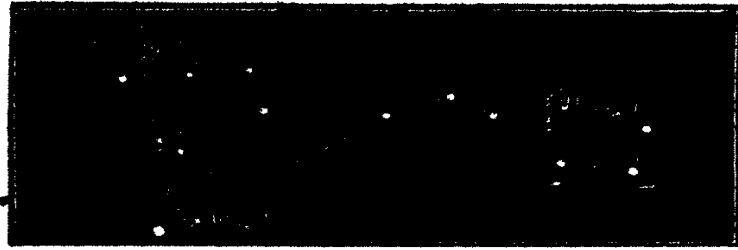
(الكلب الأصفر) - (الشعري الشامية) - النجمة (ا) وهي الشعري الشامية من الكلب الأصفر توجد على امتداد الخط الواصل بين النجمة القطبية ورأس التوام المقدم من جهة هذه الأخيرة وإذا مد الخط (د ب) من جهة الشعري الشامية فإنه يقابل النجمة (ا) أو الشعري الجمانية من الكلب الأعظم وهي أضواء نجوم السماء (ذوالعنان) - (العويق) - (شكل ٤٤) إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة من جهة (ا) من برشاوش توجد نجمة من القدر الأول وهي (ا) من ذى العنان أو العويق (الثور) - (الدبران) - (شكل ٤٥) إذا مد الانجاء (د ا) من الذب الأكبر من جهة ذى العنان فإنه يمر بصورة الثور ويمرّ بالقرب من الدبران أو عين الثور وهي نجمة من القدر الأول وفي صورة الثور توجد الثريا وأرجل التوامين (انظر شكل ٤٥)



( شكل ٤٥ )

(الجبار) - (الكلب الأعظم) - (الشعري الجمانية) إذا مد الخط الواصل بين النجمة القطبية والعويق من جهة العويق فإنه يقابل الجبار وهو أجمل صورة في السماء (شكل ٤٤) ويحتوي على سبع نجوم أصلية أربع منها موضوعة على شكل شبه منحرف وفي مركزه توجد الثلاث الأخر التي هي أقل ضوء من الأربع وتوجد هذه النجوم الثلاث على خط مستقيم وتكون ما يسمى منطقة الجبار أو العصا ورأسان من رؤس شبه المنحرف هما نجمتان من القدر الأول (ا) أو كنف الجبار و (ب) أو رجل وإذا مد خط العصا يقابل الشعري الجمانية من الكلب الأعظم التي علمت بتخطيط آخر

(العواء) - (الساك الرابع) - (شكل ٤٦) - إذا مد ذنب الذب الأكبر فإنه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الأول منسوبة إلى صورة العواء هي الساك الرابع وهي أضواء نجوم السماء بعد الشعري الجمانية (انظر



( شكل ٤٦ )

(النسر الواقع) - (الواقع) - الخط الواصل بين السماك الأعزل من السنبلة والسماك الرابع من العواء يمر بصورة النسر الواقع بالقرب من نجمة من القدر الأول هي (ا) من النسر الواقع وتسمى الواقع (السجاجة) - بجانب النسر الواقع توجد صورة السجاجة المركبة من خمس نجوم مكونة صليبا والنجمة (ا) من هذه الصورة من القدر الأول

(الاعتدال الربيعي) - على امتداد المستقيم المارّ بنقطة (د) من الدب الأكبر و (ا) من الدب الأصغر و (ا) من المرأة المسلسلة توجد نقطة الاعتدال الربيعي على دائرة المعدل . والدبران وقلب العقرب وقلب الأسد وفم الحوت من الحوت الشمالى تقسم السماء الى أربعة أجزاء متساوية وهذه النجوم الأربع الملقبة بالنجوم الملوكية كانت هي أربع حراس سماء الجحيم بنحو (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد وكان الدبران فى الاعتدال الربيعي هو حارس الشرق ، وقلب العقرب فى الاعتدال الخريفي وهو حارس الغرب ، وقلب الأسد قريب من المنقلب الصيفي وفم الحوت على بعد صغير من المنقلب الشتوى ولكن هذه النقط تغيرت اليوم . انتهى

هذا هو الذى كنا قرأناه منذ نحو أربعين سنة وكان هذا نهاية العلم فى ذلك العصر ، فلأذكر لك هنا أيها الذكى غاية ما وصل اليه علم الفلك فى زماننا هذا حتى اذا فارقنا هذه الدنيا كان مجمل ما عند الناس فى زماننا من علم الفلك حاصلًا أمام المسلمين كي يجدوا باعنا من نفوسهم وداعيا من عقولهم يدعوهم الى مشاركة الأمم فى بحثها والمشاركة الى تحصيل علومها ثم الزيادة بما يؤتيهم الله من فضله لأن كتابنا يأمرنا بالبحث والنظر ولأن المحروم من هذه المباحث وأمثالها محروم من السعادة ومن الحكمة ومن النعيم السرمدى الذى يحس به المفكرون العالمون فى هذا العالم قبل انصرام آجالهم وفوات أعمارهم فهم مع الناس فى أهوال هذه الحياة وقلوبهم فى نفس تلك الحال فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للفقيرين فى الدنيا والآخرة والناس حولهم يجهلون وهم بما فى نفوسهم فرحون . هذا وإن مدة الأربعين سنة التى مرت بين أيام تعلنا وبين تأليف هذا التفسير اليوم قد خطا فيها العلم بالفلك خطوات تعد بالقرون بل بالآلاف السنين فكيف اذا مرت أربعون أخرى ؟ كيف يكون علم الفلك إذ ذاك ؟ وكيف يكون المسلمون وكيف تكون حالهم ؟ أيتكلمون عالة على الأمم ؟ أم يكون فيهم حكماء وعلماء بكل علم ومنها الفلك وتكون المراصد فى نفس بلادهم . سيقروا هذا من بعدنا وسيقرؤه أناس بعد مرور أربعين سنة وسيقولون ليطلب المؤلف ليفرج فى برزخه فما نحن أولاء قد علمنا أكثر مما علمت الأمم حولنا وما نحن أولاء شاركنا الأمم فى علومها وضررنا فى علومها بسهم وأخذنا قسطا من الحكمة والعلم ولم نعد مغرورين كأولئك الذين كانوا عن العلم معرضين وبالحكمة جاهلين والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

وهاك ماجاء فى ( مجلة المقتطف ) فى شهر يوليو سنة ١٩٢٨

## ﴿ ما وراء المجرة ﴾

( العوالم الجزرية وعظمة الكون . أحدث المباحث الفلكية )

علم الفلك أو علم الهيئة من أسعى العلوم وأعلقها بالنفس ، وإذا أريد التدقيق فيه فهو من أعوص العلوم لأنه مبنى على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وهو كذلك أول علم استقرى الانسان شيأ من قواعده وأدق علم وصلت اليه معارف البشر وأسمى علم يتفرغ له كبار العلماء ، وفيما يلي تبذة من أحدث المباحث الفلكية في موضوع يفتن كل لب وهوسعة هذا الكون وعظمة مبدعه ، فقد أثبت علماء الفلك حديثا أن في الفضاء أكوانا عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسى سعة وعظمة حتى اذا صغرت أرضنا وصار حجمها حجم الجوهر الفرد بلغ حجم الكون الذى يرى بالتلسكوب حجم الأرض ، وبلغ حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (اينشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها في الفضاء ، فما أصغر أرضنا إزاء هذا الكون العظيم ، وما أحقر أمورنا ومنازعاتنا إزاء القوى التى تديره وتحركه

أدرك القدماء أن فى القبة الفلكية أجراما غير الشمس والقمر والنجوم لأن الذين راقبوا السماء منهم فى ليال صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التى ندعوها بالسدم الآن . وقد أشار اليها أبو الحسن الصوفى أكبر علماء الفلك عند العرب فقال انه رأى سديم المرأة المسلسلة وسماه (لطخة سحابة) وأشار اليه والى غيره مما يماثله بكلمة اللطخة أو السحابة ، على أن هذه الأجرام بقيت أسراراً مغلقة على الفهم البشرى حتى كشف التلسكوب فأزاح اللثام عن حقيقتها ، فلما استنبط (غليلبو) تلسكوبه الكاسر وجهه الى أنحاء المجرة التى تظهر فيها السدم أو اللطخ السحابية فثبت له انها فى الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبعدها فتعذر رؤيتها نجما نجما . وفى آخر القرن السابع عشر استنبط (السر اسحق نيوتن) التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقانه ، فلما انقضت مائة وخمسون سنة على استنباطه صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد (رس) أحدها فى البحث عن حقيقة السدم فوجد أن السديم الذى فى كوكبة السلاقيين يظهر لى رؤيته بتلسكوب قوى مجموعة من الكواكب منتظمة فى شكل حلزوني ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والاقطاع لدرس أشكالها وبنائها من أكبر أعمال الفلكيين شأنا وأعلقها بألبابهم وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها ، وما كاد العلماء يكشفون هذا القمر منها حتى أخذوا يتكهنون فى حقيقتها وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى . هل هى مجاميع من النجوم تظهر لطخا سحابة لبعدها وانها اذا نظر اليها بتلسكوب قوى حللها الى أجزائها ؟ أم هى غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها . أم هى غاز ملتهب منتشر فى الفضاء ؟

فى الجولب عن هذه الأسئلة أثبت (السروليم هجنس) ان من السدم ما هو مجموع نجوم ترى نجوما . لبعدها الشاسع ، ومنها ما هو فى الحقيقة لطخ سحابة من الغاز الملهب لأن خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من الجود درجة أخذ يبعث عندها بمقادير القوة التى يتميز بها عن غيره من الغازات . ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيره من السدم المنتشرة فى الفضاء ، فاذا بلغت الغازات التى تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الجود أطلقت تلك الأشعة التى لاتسعها الجواهر إلا حين انحلالها ، وقد أثبت علماء الحل الطيفي أن فى هذه السدم عناصر الهيدروجين والهليوم وأحيانا النتروجين والكربون وأن فيها عنصرا لم يجدوا له مثيلا فى عناصر الأرض فأطلقوا عليه اسم (نيوليوم) أى السديمى . وليست كل السدم على درجة من الحرارة تحملها على ارسال أشعتها الى الفضاء فبعضها مضىء بالنور المنعكس عنه الصادر من الكواكب المجاورة له فى الفضاء ، وبعضها بارد يمتص نور الكواكب الذى يصل اليه فتراه لطخا مظلمة فى صدر الكون . ومن هذا النوع سديم

مظلم في جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية (كيس القمح) وقد وقع الاستاذ (برنر) الأميركي حياته على درس هذا النوع من السدم فذكر (١٨٠) سديما منها تبين من الطبع الصغيرة الواضحة الحسود الى الغيوم السديمية التي تشاهد قرب كوكبة الخواء ، فالأجرام السماوية التي تعرف بالسدم تقسم الى (قسمين • أولها) غيوم من الغاز الملتهب (والثاني) السدم اللولبية وما إليها وهي في الغالب مجاميع من النجوم تظهر لها بعدا . وكان الرأي أولا أن هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بسمنا من كل الجهات ولكن لما أتقت آلات الرصد والتصوير والحل الطيفي ثبت للعلماء أنها لا تقاس بنظامنا الشمسي لسعتها بل كل منها كون مستقل كالجرة التي تحيط بنا ، وثبت أيضا أن في الفضاء ألوانا من السدم اللولبية كل منها سعة سعة مجرتنا ، ولا يعقل أن تكون ضمنها لذلك قيل إن كلا منها كون مستقل بنفسه خارج مجرتنا وأطلق عليها علماء الفلك من الأميركيين اسم (الأكوان الجزرية) ولما كانت لفظة (كون) تطلق عادة على كل ما أبدعه مبدع السموات والأرض فاستعملها في الانكليزية والعربية يخرج بذهن القراء عن منطوقها الأصلي ولكن اصطلح عليها علماء الافرنج بجاريهاهم في ذلك ، فالسدم من هذه الجهة تقسم الى (قسمين) أيضا (الأول) السدم التي داخل مجرتنا (والثاني) السدم التي خارجها

لا يخفى أن مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشمل على كل الكواكب التي ترى بالعين المجردة وألوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين أخرى لا ترى إلا بالآلة الفوتوغرافية فانها بعدها لا تترك أثرا في اللوح الفوتوغرافي الحساس إلا بعد ما يتعرض لنورها الضئيل القادم من أطراف الفضاء ساعات متوالية . والثابت من رصد الجرة بكل وسائل الرصد المعروفة أنها قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وسمكه (٢٠) ألف سنة نورية وأن نظامنا الشمسي في وسطها تقريبا وفي هذا القرص نحو ٣٠ ألف مليون نجمة منتشرة في فضاءه على أبعاد كبيرة ، ولما كانت هذه النجوم لا يبعد أحدها عن الآخر بعدا واحدا فإن بعضها يرى مجتمعا كتلا كتلا في أنحاء مختلفة وهذه بعدها تظهر كاللطح السحابة كما ترى في كوكبتى الراعى وهرقل ، وفي الجرة أيضا سدم غازية بعضها منير وبعضها مظلم على ما مر

نعود الآن الى السدم التي خارج الجرة وهي تلك الغيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج الجرة كانتشار الجزائر في بحر مترامى الأطراف ، وأشهر العلماء الذين عنوا بدراسة هذه السدم هو الاستاذ (هبل) من علماء مرصد (جبل ولسن) الأميركي فقد أشار له في رسالة حديثة له نشرها في (مجلة الاستروفيزكس) (علم الفلك الطبيعي) الى نتيجة بحثه في أربعة سدم منها فقال إن منها سديما غير منتظمة الشكل أى ليس لها شكل قياسي خاص وأشهرها ما يعرف بغيوم مجلان ترى من نصف الكرة الجنوبي ويحسبها رائيها جزءا من درب التبان ولكنها في الواقع بعيدة عنه بعدا شاسعا ولكن السدم التي لها شكل خاص أكثر من السدم غير المنتظمة الشكل وأكثرها اما اهليلجى الشكل أولولبيه ، ونور السدم الاهليلجية الذي حلل بالسبكتروسكوب ثبت أنها تماثل مجرتنا الى حد بعيد مما لا يترك مجالاً للشك في أنها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعذر تصوير هذه النجوم واحدة واحدة لبعدها الشاسع ، والمحتمل أن نجومها في طور التكوّن من الغاز الحامى الى حد الاضاءة وأن الغاز الذي لا يدخل في تكوينها يفساها كبرقع الحساء ، وبعض السدم في دور الانتقال من الشكل الاهليلجى الى الشكل اللولبي والبعض الآخر لولبي لا غش فيه تظهر فيه الأذرع المعكوفة التي تظهر عادة في السدم اللولبية كما ترى في الصفحة المقابلة في سديم السلاقي . وقد قيست أبعاد هذه السدم فثبت أن السديم الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة بعد عنا نحو ٩٠٠ ألف سنة نورية وأن السديم اللولبي الذي في كوكبة المثلث يبعد البعد نفسه تقريبا ، ويظن أن ألوانا من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا أضعاف ذلك ، وقد وجد الاستاذان (هبل) و (شيل) أن في جهة كوكبتى شعر برنيكى والسنبلة سديما لا يقل بعدها عن مائة مليون من سنى الثور

وقد استعمل السبكتروسكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر أن سديم المرأة المسلسلة سائر نحو مجرتنا بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية ، ولكن أكثر السدم اللولبية تباعد عنا بسرعة (٦٠٠) كيلومترا في الساعة . والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتعذر بسطها هنا لصعوبتها ولكن يؤخذ من تطبيقها أن جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا ألفي مليون ضعف وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة مع أن أرضنا تدور على نفسها مرة كل ٢٤ ساعة . مهما أمعنا ببصرنا وآلاتنا في الفضاء فإنا لا نؤمل أن نصل إلى نهايته لا في الزمان ولا في المكان وهذه الملايين التي تشع في الفضاء تدهش العقل وتحير القلب ، على أننا نشعر بطمأنينة حين ننظر إلى ما كشفه العلماء عنها فنقول مع بسكال ﴿ اننا صغار ، بل من أصغر الكائنات وأضعفها ولكننا نعرف أننا صغار وفي ذلك سرّ عظمتنا ﴾ انتهى يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

### ( تذكرة )

قد اطلع بعض العلماء على الصور السماوية الست المتقدمة وهي الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي وأمثالها فقال أنك قد كتبت هذه المقالة من كتاب أستاذك بدار العلوم منذ (٤٠) سنة . فقلت نعم . فقال إذن أنت تكتب لنفسك وكأنك نسيت أنك تكتب في تفسير القرآن والتفسير لمجموع الأمة لا للعلماء . فقلت كيف ذلك . فقال اني لم أفهم حرفا واحدا من هذه المقالة المنقولة وخبرك أن تسير على طريقك فتكتب بهيئة تلخيص ، فهذا وحده يفهم أكثر الناس ، أما هذا فلن يفهمه إلا قليل . فقلت له انني قد لاحظت في هذا انه مسائل علمية والعلوم لا بد من المحافظة على أوضاعها ، ثم ان الأمر سهل جدا . فقال وكيف ذلك . قلت له ألم تطلع في (سورة النور) على رسم القارات مع حيواناتها . قال بلى . قلت فهل فهمته . قال نعم وهو جليل . قلت فههنا كذلك ، فهذه الصور الست التي رأيته ما هي إلا أما كن من السماء فيها صور النجوم قد رسمت ليطلع عليها الناس ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يقف الانسان ليلا في الخلاء وفي الصحارى القفار أو الحقول فيرى نفس هذه الصور بعينها بل هي أسهل من القارات الأرضية المتقدمة في (سورة النور) لأن القارة لا يراها الانسان كلها مرة واحدة بعينه في الطبيعة بخلاف هذه الصور فانك تراها جيلة واضحة . فقال زدني زدني . فقلت أنا ولدت في بلاد الشرقية من البلاد المصرية وعشت في أول حياتي مع الفلاحين وكنت أسمعهم يقولون يا فلان انظر (وتد النجم) أي النجمة القطبية . ان وتد النجم لا يتحرك والنجوم كلها تتحرك حوله وكنت أسمعهم يقولون (بنات نعش) يريدون بذلك الدب الأكبر المرسوم في الصور الست المتقدمة يريدون بذلك أن النجوم المرموز لها بحرف (ا ب ج د) هي هيئة النعش والنجوم المرموز لها بحروف (ه و ز) هي هيئة بناته يبيكين وراء النعش ، فالمجموعة المسماة بنات نعش هي نفسها الدب الأكبر فالنجوم الأربعة هي الدب والثلاث التي سميها بنات هي ذنبه ، فتأمل الشكل وقل لي هل فهمت ؟ قال نعم فهمت ولكني لا أعرفه في نفس الطبيعة . فقلت قف ليلا في العراء كما قلت لك في ليلة حالكة السواد وارفح بصرك إلى الجهة الشمالية وتأمل فانك تجد الدب الأكبر المرسوم هنا أمامك في السماء مرتفعا فوق الأفق نحو ٣٠ درجة سماوية . فقال وما معنى هذا . قلت معناه انه يبعد عن الأفق ثلث المسافة التي بينه وبين كبد السماء ، ذلك لأن المسافة ما بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي يجعلونها (١٨٠) جزأكل جزء درجة ، ومن الأفق إلى كبد السماء في سمت الرأس (٩٠) درجة ، فاذن هذه الصورة في (٣٠) درجة أي ثلث المسافة بين الأفق وسمت الرأس . قال فهمت الآن ثم ماذا فقلت فهذا الدب ذو النجوم السبعة لا يغيب أبدا فهو يدور كل أربع وعشرين ساعة دورة حول نجمة القطب التي تراها عندك في الدب الأصغر أي الذي هو بعكس الدب الأكبر في نفس الصورة المتقدمة . قال أنا الآن فهمت وسأنظرها الليلة في السماء ، ثم جاء في اليوم الثاني وقال لقد نظرت في السماء فوقع نظري على

هذه الصورة ففهمتها حالا بدون نصب بل وجدت الفلاحين يقولون لي هذا وقد النجوم وأخبارها اليه اذا هو نفس النجمة القطبية التي في الدب الأصفر ورأيت الدب الأكبر يدور حولها وهي لا تتحرك . فقلت هذا هو السبب الذي جعلني أرسم هذه النجوم هنا ، ذلك لعلني أن مبادئ هذه الصور معروفة عند الفلاحين وأهل القرى ، ومتى كان القطب معروفا سهلت معرفة بقية الصور لمن أراد . ألا ترى أن ذات الكرسي تبعد عن النجمة القطبية بمسافة تساوي المسافة التي بين النجمة القطبية وبين الدب الأكبر . قال بلى وربى وأنا شأعتها في السماء كذلك فكما أن الدب الأكبر على شمال نجمة القطب هكذا ذات الكرسي على يمينه في هذا الوضع والمسافة متساوية والنظر للسماء ليلا يعرف هذا بنظره بدون آلة ولا معلم ثم قال أما أنا الآن فقد فهمت هذه الثلاثة في نفسي وفي التفسير وفي نفس السماء . فقلت له إن بعض العلماء في عصرنا يقولون إن هذه النجمة القطبية تبعد عنا ( ٥٠ ) ألف سنة نورية وذلك أيام تعلمنا فلا أدري أهذه المسافة عظمت وزادت بزيادة الكشف في عصرنا أم لا ؟ فالنظر في هذه الصور نظري في عظمة الله عز وجل وهذا هو المقصود من هذا كله لأنه اذا كان القرآن لا يفهم سره إلا بعد فهم لفظه فهكذا هذه النجوم لانعرف عجائبها إلا بعد معرفة مواقعها وأسماؤها . فقال صدقت والله . فقلت له إذن أنت عرفت ثلاث صور من الصور السماوية في السماء . قال نعم عرفتها . فقلت الأمر في البقية سهل لأن هذه جعلت مبدأ منه يمكن معرفة الباقي ، ألا ترى أن الشكل الذي بعد الشكل الأول من الأشكال الست وهو ( شكل ٤٢ ) قد عرفنا فيه الفرس الأعظم وهو أربع نجوم كهية الأربعة التي في الدب الأكبر ووراءها ثلاث متصلات بها تشبه الثلاث التي في الدب الأكبر ، إذن هذه السبع كالـدب الأكبر وقد عرفناه بأمر سهل بسيط وهو أن الخط الذي امتد من الدب الأكبر إلى ذات الكرسي زدناه مداً فوصل إلى الفرس الأعظم والذي معه هو المرأة المسلسلة وبرشاوش ، فهنا تبين لنا صور الدب الأكبر والأصفر والنجمة القطبية وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة ونجمة الفول . فهذه صور عرفناها الآن واضحة في نفس السماء وفي ( شكل ٤١ و ٤٢ ) أفلا يكفيك هذا الايضاح ؟ قال كفايتي ولكن لا يفهمه غيري إلا اذا نظر نفس السماء وصبر على الفهم . فقلت وهل الفهم إلا بالصبر ، وهل السماء ليس لها حواس ، إن الله متكبر ومتعال وهو الذي جعل السماء سقفا محفوظا ومن حفظ هذا السقف أن لا يعقله إلا الذي تأهل له ، هذه سعادة وملك عظيم وهل الملك العظيم يسأل مجانا والله يقول - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون - فالاعراض عن الآيات السماوية يمنع فهمها والاقبال عليها مفتاح فهمها والله عز وجل رجب بخلقه ولكنه حكيم والحكيم لا يسأل إلا المستحق . فقال الحمد لله قد فهمت هذا المقال حق فهمه . فقلت الحمد لله ففهمنا العالمين ثم جاء صاحب بعدها بأيام فقال لقد شغلتنى هذه الصور وقد فقهتها جيدا وأريد اليوم أن تبين كيف نعرف الجوزاء والأسد والسنبلة المشروحات في الرسم . أريد منك بيانا مختصرا بحيث أحفظه نهرا وأطبقه ليلا ومتى عرفت ذلك هان على معرفة البقية . فقلت احفظ هذه الحروف الأربعة

د ج  
من مربع الدب الأكبر الذي أمامك قال حفظتها . قلت الأمر سهل فابتدئ بالقطر

(د ب) من جهة (ب) وسر في خط مستقيم فانك تقابل الجوزاء . فقال نعم . قلت

والجوزاء واضحة في الرسم أمامك فانظرها ففيها نجوم واضحة رسمت شكلا وهي (٦) منها رأس التوأم المقام ورأس التوأم اللؤخر . قال نعم . قلت ثم مد الخط (ا ب) من جهة (ب) أي من جهة تقابل جهة القطب وسر في السماء ببصرك فانك تقابل صورة الأسد وهي أمامك في الرسم وفيها كوكب قلب الأسد وترى فيها ما يشبه المثلث وما يشبه خطا مستقيما أسفله منحنيما أعلاه وبينهما خط وهمي . قال نعم قد فهمت ذلك . قلت فم يبق إلا أن تتوهم امتداد القطر (ا ج) من جهة (ج) أي من الجهة المقابلة لنصف الكرة تقريبا فانك تقابل السنبلة فانظرها هنا في الشكل ثم انظرها ليلا في السماء ففيها مستطيل من أعلاها بقرب الأسد ومحت

مثلث بجانبه شكل شبه منحرف يحيط به ست نجومات . فهذه الأشكال الثلاثة هي السنبلة . إذن الجوزاء والأسد والسنبلة التي هي ثلاث بروج من اثني عشر برجاً قد عرفناها بامتداد القطر (د ب) وبامتداد الخط (اب) وبامتداد القطر (ا ج) وهي كلها أمامك في هذا الشكل وبهذا عرفت إحدى عشرة صورة من الصور السماوية وهي النيب الأكبر واللب الأصفر والنجمة القطبية فيه وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة وبرشاوش والفول والجوزاء والأسد والسنبلة ومن الجوزاء نجمان أيضاً فنكون عرفنا (١٣) صورة . وإذا لاحظنا أن الحمل والثور المرسومين في الصور الأخرى هما يتقدمان الجوزاء ظهر لنا اتنا عرفنا مواضع الحمل والثور والجوزاء والأسد والسنبلة . ولاشك أن السرطان بعد الجوزاء إذن نكون عرفنا (٦) بروج أه

### ﴿ بهجة العلم ﴾

سيأتي ان شاء الله تعالى في (سورة ياسين) عند قوله تعالى - وآية لم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون - عجائب تدهش العقول فوق ما ذكرناه فان بعض العلماء يتوقع أنهم سيرون نجوماً تبعد عنا (١٠٠) ألف مليون سنة ، ويقولون انهم شاهدوا نورا وصل الى الأرض دلم على أن هناك شمساً أضواؤها لاحتارة فيها بخلاف شمسنا ونارنا فحرارتها متعددة بضوئها كما ان قوانا الفضائية متعددة بأنوار عقولنا تشغلها عن كمال صفاتها كما ان الحرارة المصاحبة لأضواء الكواكب لولاها لكانت أضواء تلك الكواكب أضعافاً مضاعفة ، وقالوا أيضاً ان هناك شمساً لو وضع منها مقدار حجم الحمصة على بعد ألف ميل من جسم انسان شوته وأحرقت . فهذه العجائب المدهشة في زماننا سيرتقي بها أناس ويسعدون بأدراكها ويعجبون والعجب أول منازل المعرفة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ ايضاح مسألة النور والحرارة ﴾

عجبت لأمر هذه العوالم التي نعيش فيها . أرى الموت والحياة معا في الماء وفي الهواء وفي الحرارة . أقف على شاطئ البحر فأشرب منه فأحيا ولكني أرى للموت قاب قوسين مني اذا أنا دنوت منه ففرقت فالماء موت وحياة هكذا الهواء فهو حياة وموت ، حياة باستنشاقه صافيا ، وموت باستنشاقه بما خالطه من النرات الحيوية القاتلة ، والحرارة بها حياة كل مخلوق وبها اذا اشتدت الموت . ومن العجب أن الانسان يعيش ويموت وهو في أضواء من الكواكب السامية والنيران الأرضية وهو لا يكاد يفرق بين الحرارة والضوء لانهما متلازمان ، نو قد الفهم فنحس بحرارة ولكن لا نرى الضوء إلا بعد اشتدادها ، ونرى ضوء الشمس يأتي إلينا مصحوبا بحرارة فلاندرى أهـا أمران متلازمان الى الأبد ؟ أم هما يفرقان ، ولكن انظر الى العقول الانسانية اليوم واحبب من هذا العقل الانساني الذي يريد أن يعرج بالانسان الى عالم أرقى من عالمنا وذلك العروج لا يكون إلا بنوره ، ذلك النور الذي هو أرقى من الأنوار الحسية وهو الذي سنخلص بمساعدته من هذه العوالم التي جمعت بين الموت والحياة معا في موادها ، لم يفرق الماء والاهواء ولا الحرارة بين الموت والحياة بل تراها جميعها مجهزة للأمرين معتمدين للحالين ولكن العقل بنوره يهدينا الله للخروج من مأزق هذه العوالم المنحطة الى عالم يكون أرقى منها فيه البوام والخلود وهو العالم الذي يتعالى عن المادة ، فهذا العقل العام هو الذي أملى على عالم أمريكي أمورا ينتظر تحقيقها في المستقبل فقال « ومن المستنبطات المنتظر تحقيقها قريبا النور البارد » وأبان أن السلك المعدني اذا أحى بالكهرباء في الصباح الكهر بائي حتى أضاء فان الضوء لا يبلغ فوق (٤) في المائة من القوة الكهر بائية التي يبذلها الناس في هذا الصباح ، وأما الباقي وهو (٩٦) في المائة من تلك القوة الكهر بائية فانه يصير حرارة . ويقول انه اذا تمكن أحد من تحويل الحرارة الى نور أي (نور بارد) فان النور إذ ذاك يكون أرقى من هذا النور المستعمل الآن عشرين ضعفا وذلك بالاكتفاء بأربعة في المائة من الحرارة والباقي وهو (٩٦) في المائة يصير نورا (وعبرة ٢٠ من المختطف ولعلها ٢٤)

هذا ما يقوله ذلك العالم الأمريكي . أقول وبينما هذا العالم يقول ذلك اذا بعلماء الفلك يقولون ﴿ يا أيها الطبيعي ان ما فكرت فيه قد فعله الله قبل خلق الأرض فانه خلق الشمس الباردة فضوؤها لحرارة معه وخلق الشمس الجهنمية ﴾ اللهم ان العلم أرقى ما في هذا الوجود والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - ﴾  
( عجائب التقويم )

اعلم أن الله كرر ذكر الكواكب والبروج والشمس والقمر في القرآن لأمر عظيم جدا . إن الله خلقنا من طين لازب أى لاصق ومن كان من الطين ان لم يحجن بما يرفعه الى العلا فانه لا يفارق الطين . جعل الله أضواء الشمس والكواكب سببا لحياتنا فلولا الحرارة ما سارسحاب ولا ارتفع بخار من البحار فالحرارة رافعة له والرياح الجاريات بالسحاب ما أثارها إلا الحرارة . إذن الحرارة أصل حياتنا وهكذا الضوء فلولا الضوء لم نعرف الطرق ولا الأعمال ولا الأيام والشهور والسنين ، وبالضوء ظهرت خضرة النبات ونما ، ولولا ضوء الشمس والكواكب لم تكن حياة على الأرض ولم يكن نظام لها فالحياة والهداية في المعاش كسير السفن في البحار والقطرات في اليابسة . كل ذلك مبنى على سير الكواكب في السماء فالحرارة بها الحياة والضوء به الهداية وانتظام الحركات به الحساب الذي به تمام النظام . أليس هذا عجيبا ؟ نعيش في الأرض وأصول الحياة من السماء والناس غافلون . ولقد شاهدنا هذه العوالم المنبثة فوق الأرض منتظمة ولم نرايد التي نظمت ، أحسنا بالحرارة وشاهدنا الأضواء ولكن جهلنا تلك النظم التي شاهدناها في الحيوان والنبات . فاذا رأينا الحرارة والضوء من عالم السموات فهكذا لتكن تلك المنظومات نفوسا ليست من عالم الأرض ، فالضوء والحرارة اللذان بهما الحياة من هناك وهما محسوسان فبالأولى والأولى أن تكون النفوس التي صوّرت تلك الصور اللازمة للنمو سماوية وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون -

يا الله ، أنت حكمت علينا بالحبس في هذه الأرض مدة فنحن هنا يارب مسجونون ومن عادة المسجون أن يؤتى له بالرزق داخل السجن ويوعده بأنه عند تمام مدته يخرج الى أهله هكذا نحن الآن في الأرض سجننا وحكمت علينا أن لا تنال مطعمنا وملبسنا إلا بالعمل داخل سجننا ولكنك أرسلت لنا ضوءاً من المشرقات وجعلت نظامنا متوقفا عليها . تقلبنا في الأرض لطلب المعاش وهذا الطلب لا تمام له ولا نظام إلا بحساب سير الكواكب والشمس فللمشرقات فضل الحياة وفضل النظام ، ولقد سخرت منا جماعة يحسبون سير تلك الكواكب لأجل النظام عندنا فالأفراد يهتدون في الطرقات بالأضواء والأمم تعين جماعة لحساب سير تلك الكواكب . كل ذلك فعلته لتضطرنا الى البحث والنظر فنؤلى وجهنا جهة السماء ونسمع الأنبياء والحكماء يقولون ان هناك عالما آخر توجه اليه اذا متنا وما هذا العالم إلا ما هو فوق أرضنا ، فعل الله ذلك ليشوقنا الى عوالم الجنات في السموات ، واذا كانت العوالم العلوية قد سببت حياتنا ونحن مجنونون من التراب لاصقون بالأرض فكيف تكون حالنا اذا توجهنا بأرواحنا من الأرض الى السموات ولم يبق هناك مانع يمنعنا من الرحة مباشرة فهناك يكون ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

هذا ولقد ذكرت حساب السنين القمرية والشمسية في (سورة الكهف) وآخر (آل عمران) وأزيد على ذلك بيانا يشرح الصدر فأقول

إن المصريين كانوا أمة زراعية فكان تقويمها تابعا للشمس ، أما اليهود والأمة العربية الذين لم يكن جل اعتمادهم على الزراعة فانهم قد اكتفوا بالأشهر القمرية . ولما جاء (بوليوس قيصر) الى مصر ووجد تقويمها مرتبكا أمر الفلكي المصري (سوسيجنس) - فوضع تقويما قدر فيه السنة (٣٦٥) يوما وربيع يوم

وجعل الأشهر ١٢ مختلفات بين ثلاثين و ٣١ يوما إلا فبراير فانه (٢٨) ثلاث سنوات و ٢٩ في السنة الرابعة وسارت أوروبا و بلاد الشرق الأدنى على ذلك حتى سنة ١٥٨٢ ذلك أن البابا (غريغورس) الثالث عشر رأى أن حساب (سوسيجنس) جعل السنة أطول من حقيقةها (١١) دقيقة و (١٤) ثانية وعلى ذلك أمر بأن ينقص من كل (٤٠٠) سنة ثلاثة أيام وجرى على هذا التقويم الغربيون ، أما القبط في مصر الذين يتبعون الكنيسة الشرقية فانهم لا يزالون يجعلون عيد الميلاد (٧) يناير والكنائس الغربية تجعله (٢٥) ديسمبر ذلك لأن الغربيين عرفوا الخطأ فأصلحوه . أوليس من العجب أن المكسيكيين القدماء كانوا يعتمدون على الزراعة وتقويمهم يشبه التقويم الحديث وهذا صورته (شكل ٤٧)



( شكل ٤٧ - تقويم أمريكي وجد في مكسيكا )

وانما ذكرت لك هذا هنا لأريك جلال الله الذي ظهر في هذه الأرض ، فانظر هذا الرسم من مكسيكا وانظر ما تقدم في (سورة يونس) من صور البروج المرسومة في (دندره) والأخرى المرسومة على صندوق (حتر) ذلك (أولا) لأروى ظمئ للعالم وظمأك لأني كنت أحب أن أطلع على آثار الأمم القديمة في هذه العالوم (وثانيا) لتعلم معي عناية الله بالأمم واتصالهم جميعا الى عوالم السموات كأنه يقول لهم ارفعوا وجوهكم الى السماء فاقروها الآن لأنكم ستسافرون اليها بعد الموت - وما كنا عن الخلق غافلين - وفي السماء رزقكم وما تعدون - (وثالثا) ليكون هذا التفسير معرضا علميا تعرض فيه بهجة علوم الشرق والغرب فيشوق الناس للعلم والحكمة أو كسوق الصور الذي يلبس كل من الناس ماشاء من الصور العالمية فيه فيرقى عقله وترقى أمته ، فهذا قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا \* وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذا تذكر ومبدأ شكر لأنه لا شكر إلا اذا علم الشاكر بالشكور عليه فأول الشكر العلم بنعمة المشكور وقد علمت معي أيها الذكي كيف قوم الله السنين وعلمها لأهل الأرض قاطبة وشوقهم الى الرقي الى عالم أعلى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . انتهى الكلام على المقصد الثاني من السورة

### ( المقصد الثالث )

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \*  
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

هَذَانِهَا كَانَ غَرَامًا • إِنَّهَا سَاعَتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقَحُوا كَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ  
يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا • وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدْ فِيهِ مُهَانًا • إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ  
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا • وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ نُوبٌ إِلَى اللَّهِ  
مَتَابًا • وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا  
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْهَانًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا  
وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لُفَّةً رَحِيمًا • أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ  
فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا • خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • قُلْ مَا يَعْبَثُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا  
دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا •

بعد ما ذكر الله عز وجل حسن صنعه وجمال ابداعه بالماء المبارك النازل من السماء وايداعه في البحر  
الملح والتهراخلو ، وكيف يكونان متجاورين ولا يطنى أحدهما على الآخر ، وكيف تكون منه الماء والنبات  
والانسان والحيوان وكان منه النبات والبنون ، وكيف أبدع في نظام كواكبه وشمسه وقمره ، وكيف نظم  
طرقها وأبدع منازلها ، بعد ما ذكر ذلك كله أخذ سبحانه يصف عباده الذين هم أهل للقرب من مبدع هذه  
الحجائب ليبين العباد بعد العلماء وليظهر مقام العبادة بعد مقام الحكمة وأن الأولى تابعة للثانية والثانية  
مقدمة على الأولى وليفيد المسلمين أن العلم مقدم على العمل فذكر صفات عباد الرحمن ، انهم في النهار يتصفون  
بوصفين وهما

- (١) انهم يمشون بسكينة ووقار على الأرض
- (٢) ويغضون عن السفهاء فلا يقابلونهم ببيع الكلام ويتاركونهم ، وهم في الليل يحيونه بالعبادة  
ساجدين قائمين في الصلاة
- (٣) ويدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم
- (٤) ويكونون كرماء لامقترين ولا مسرفين
- (٥) ويوحدون الله
- (٦) ولا يقتلون النفس إلا بالحق
- (٧) ولا يزنون
- (٨) وينفرون من مجالس الكذابين ومحاضر الخطائين تنزهًا عن غفلة الأشرار
- (٩) واذا مروا بأهل اللغو والمستغلين به كرموا أنفسهم عن التلوث به أي اذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه
- (١٠) واذا وعظوا بالقرآن أودعوا بجانب الله كانوا مقبلين عليها ونحروا سجدًا وبكيا لانهم يكونون  
صالحين عبيدا لا عراضهم

(١١) ولهم يدعون الله أن يرهم زوجاتهم وأبناءهم مطيعين لله ليكونوا معهم في الجنة  
 (١٢) ويكون من دعائهم أن يقولوا ربنا اجعلنا متبوعين في الدين أئمة يقتدى المتقون بنا في الخير  
 ف هؤلاء المؤمنون المتصفون بهذه الصفات الاثني عشرة (١) يجزون الغرفات وهي العلى في الجنة بسبب  
 صبرهم (٢) ويدعى لهم بالتعبير وهي التحية (٣) ويدعى لهم بالسلمة ، فالتحية للبقاء والسلام للسلامة  
 (٤) ويخلدون فيها . هذا هو جزاؤهم . غرفات عالية وتعبير وأمان ودوام والبشارة بذلك من الملائكة .  
 ولما بين العلم والعمل ختم السورة بأن الله لا يعتد بهذا الانسان ولا يعبأ به لولا عبادته إذ لا شرف له ولا كرامة  
 إلا بالمعرفة والعبادة والأخلاق والا فلا فارق بينه وبين الحيوان ، واذ أنزلت عليكم القرآن فكذبتم وخالفتم  
 وقصرتم في العبادة والعلم فسوف يكون جزاء التكذيب لازما وقد تم ذلك بخذلان كفار مكة في يوم بدر وفي  
 غيره . هذا هو ملخص المقصد الثالث من السورة

### ﴿ ايضاح لبعض الكلمات ﴾

قوله (هونا) هينين أو مشيا هينا وهو مصدر وصف به أى انهم يمشون في سكونة وتواضع (قالوا سلاما)  
 أى تسليما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا وبينكم ولاشرا أوقالوا سلاما من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم  
 (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) لأن العبادة بالليل أجع للفكر وأبعد من الرياء أى يبيتون في الليل  
 بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم ، وقوله (إن عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم للآزمت  
 فهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في العبادة وجلون من العذاب مبتهاون الى الله في صرفه عنهم  
 (انها ساءت مستقرا ومقاما) أى بئست وفاعلها ضمير مبهم يفسره المميز (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم  
 يقتروا) وهذا هو ضد الكرم عند الحكماء (قواما) وسطا وعدلا (حرم الله) أى حرم قتلها (يلق أثاما)  
 أى جزاء الإثم وقوله (يضاعف له العذاب) بدل من يلقي (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يمحو  
 سابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم وهكذا يبدل ملكة المعصية بملكة الطاعة (ومن تاب  
 وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب عن المعاصي بالترك والندم ودخل في الطاعة فإنه يرجع  
 الى الله متابا مرضيا عند الله محو العقاب محصلا للثواب أو مرجعا حسنا وقوله (والذين لا يشهدون الزور)  
 لا يقيمون الشهادة الباطلة أولا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا بالغفوة)  
 أى ما يجب أن يلنى وي طرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه (لم يخروا عليها  
 صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير داعين لها ولا متبصرين بما فيها (الفرقة) أعلى موضع الجنة وهي اسم جنس  
 أريد به الجمع أى الغرفات (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مضى الطاعات ورفض الشهوات  
 وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها نحية وسلاما) أى تحييم الملائكة ويسلمون عليهم ، أو يلقون تبقية دائمة  
 وسلامة من كل آفة (ما يعبؤا بكم ربى) ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته ألا يعتد بكم (لولا دعاؤكم)  
 لولا عبادتكم والعبادة يتقدمها العلم . انتهى تفسير بعض ألفاظ المقصد الثالث من السورة

﴿ جوهرة في جلال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا - ﴾  
 الحمد لله على نعمة الحكمة والعلم والشكر له على جلال النور والفهم ، سبحانه اللهم أعنت على هذا  
 التفسير وأحسن بالالهام والتيسير وجعلت أساويه سهلا يتناول أكثره المتوسطون وبعضه لا يعقله إلا العالمون  
 جعلته شارحا لآياتك مسهلا لفهم كتابك مذكرا لأنعمك ناظما جواهرها في عقده فذكر به اللهم قلوبا  
 واشرح به صدورا ويسر به أمورا واستخرج به رجالا يعقلون آياتك . اللهم انك أنت فسرته هذه الآية في  
 نفس القرآن وذكريت بمعانيها في حكمك البهجات . أنت قلت - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم  
 بشر تنشقرون - وعظمت على ذلك ذكر خلق الأزواج لنسكن اليها الخ وخلق السموات والأرض واختلاف

الأسن والألوان ومنامنا بالليل والنهار وابتغاءنا الرزق وهكذا كون السموات والأرض قائمات بأمرك وقيامنا بعد موتنا وهكذا وذلك في (سورة الروم) وأنت الذي جعلت الليل والنهار آيتين في (سورة الاسراء) والقاتل أيضا - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - الخ وقد أوضحت سبحانه في سورة البقرة هذا جعلت من الآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والسفن في البحر والتجارة والنبات والطر وخلق البات والحيوان وهكذا في آخر (آل عمران)

فيا الله انك لم تدع في كتابك أسلوا إلا أنزلته حتى جعلت الآيات تشمل جميع العلوم العالوية والسفلية ولم تقصر ذلك على انها آيات بل أقسمت بها فأقسمت بالشمس والقمر والليل والنهار واليتون والطور والخليل فكما جعلت كل خلقك آيات أقسمت بجميع خلقك حتى قلت - فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون - ولا جرم أن ما تبصر وما لا تبصر يشمل كل علم وكل صناعة . هذه هي آياتك التي ذكرت بها عبادك وجعلت هذا التفسير ايضا لها وشارحا لها ومينا . واني يا الله أكتب هذا وأمضى الى عالم أردته لي بعد هذه الحياة وأترك هذا التفسير بين يدي المسلمين حجة على من قرأه فهو مسؤول بين يديك مسؤول عن نشر كل ما يعلم من هذا الكتاب ومن كل علم من علوم أوروبا وأمريكا واليابان . اللهم إن ذلك كله آياتك التي أقسمت بها اعظاما لها واجلالا حتى اذا قرأناها عرفنا منها هي التي شرفها الله بالقسم فهي آيات وهي ذات الشرف العظيم بأن الله أقسم بها . اللهم إن المسلمين في القرون الأخيرة قد عموا وصموا عن آياتك واذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعميانا فيقول الغافل من المتعلمين هذه العلوم كفر أو يقول هو كلام النصارى أو يقول هو لامتفعة فيه (انظر ماجاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى - تجعلوه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا -) لتعلم ماذا حل بالاسلام بعد القرون الأولى من الجهل الواضح والذل الفاضح وانتكاس العقول ومخالفة المعقول والمنقول . فالجد لله قد ظهر في هذا التفسير أن ما كان يسمى كفرا هو نفس الشكر وهو نفس القربى الى الله وهو السعادة في الدنيا وهو باب الجنة وهو الروح والريحان وهو مقتدات النظر لوجه الله الكريم وهو مفتاح السعادة ومنهاج السيادة فأصبح الكفر شكرا والذي زعموا انه كلام النصارى وغيرهم هو كلام الله تعالى وهو المشرف بقسمه وهو الذي به النظر لجمال وجهه وهو النافع في الدنيا والآخرة . اللهم اني قد أدت بما على المسلمين . اللهم أخرجهم من ظلمة الجهالة واجعل هذا التفسير سببا في اتحاد جميع العقول من المذاهب المتشاكسة والطوائف المختلفة من شيعة وسنية وزيدية وامامية وشافعية وحنفية وحنبلية . اللهم يامقلب القلوب والأبصار كما قلبت أفئدة المتأخرين من الأمم الاسلامية فأرب العلوم التي أمرت بها في كتابك كفرا لانفع فيها نفروا صما وعميانا اذا سمعوها فاشرح الصدور لفهمها وأزل الغشاوة عن الأعين والحجاب عن القلوب وارفع الوقر عن الآذان وأثر البصائر . اللهم إن المسلمين متقاطعون متباعدون لحصر عقولهم في الفقه وفي الجدل المسمى علم التوحيد . اللهم إن سر دينك هي نظافة الباطن وجمال النفوس بالأخلاق الفاضلة وهكذا استكمال النفوس بالعلوم التي ترى في السموات وفي الأرض فاجعل هذا التفسير من مشارق الأنوار وسواطع البرهان . انتهى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ

### ﴿ فصوص الحكم في هذه الآيات ﴾

ما أجل العلم والحكمة وما أبهى الفهم وأبهجه والنظر في هذه الآيات وتأملها . هذه الآيات كأنها ملخص في السورة كلها والسورة سميت فرقانا وهو الفرق بين الحق والباطل ونتيجة هذه كلها النظر في آيات الله تعالى في السموات والأرض في قوله - لم يجزوا عليها صما وعميانا -

في الآية آداب النفس مع الخلق ومع الخالق كالسكينة في المشي وحسن المخاطبة مع الجاهلين وقيام الليل والدعاء والاقتصاد والتبرى من الشرك ومن الزنا واللغو والكذب . هذه عشر خصال فمن كان متصفا بها استعد

لفيض للعلم والحكمة . ملخص هذه الأوصاف سكون النفس وتوجهها لله . فسرعة المشي تهوش على العقل وتذهب الطيبة وهكذا اللجاج مع السفهاء فترك هذين وترك الاسراف والشره الخ كل ذلك يجعل في النفس اطمئنانا وسكونا والدعاء وقيام الليل تذكير بالله تعالى . ههنا ( ثم نخصال ) ترجع لسكون النفس وهديتها فلاضطراب في الحركات ولا الخطاب ولا الانفاق وهكذا . وخصلتان ترجعان للتذكير بالله القيام بالليل والدعاء وهذه المقدمات العشر للفتح والعلم والعرفان . إن النفس لا يتم لها توجه في الصلاة والدعاء اذا تقسمت الامور عليها . فأما اذا اطمأنت اعتقادا وعملا بالخصال الثمانية فانها يصدق توجهها لله تعالى والصلاة والدعاء معراجا للعلم . ومعنى هذا أن النفس بتعمد التوجه لله يفتح لها باب العلم والعلم هو المقصود من هذه الدنيا ومن وجودنا ومن هذه الخصال المذكورة . فلاجل العلم خلقنا وبه سعادتنا في دنيانا ويوم القيامة بل هو اللذة القصوى التي تتضاءل دونها الجنات الحسية بحورها وقصورها وولدانها . إذن نتيجة الصفات العشر المذكورة ما بعدها وهو أن لا يكون الانسان أعمى أصم عن آيات الله أى أن يفكر في هذا الوجود ( وبعبارة أصرح ) أن يكون حكما عالما أو محبا أو متعلما أى أن تكون له درجة من درجات العلم حبا واسماعا أو كمالا فيه . إذن نتيجة هذه السورة حوز العلوم والحكمة وارتقاء النفس بذلك وهذا غاية الدين والدنيا . وهناك ( خصلتان ) بعدها وهما أن هذا العبد يجب في اكمل أهل منزله من زوجة وولد اكمل المتقين فيكون قدوة لأدله ولأئمه أى يكون نورا للناس وفارقا بين الحق والباطل الذى هو معنى الفرقان . إذن هذه السورة لتخرج قواد يكونون أنوارا مشرقة للناس بمنعوتهم من الضلال . هذا هو نتيجة سورة الفرقان

وههنا عجب عجيب . ذلك ان الناس عادة يقرؤون هذه الآيات ويمرّون على الخصلة السادسة وهي عدم الاشراك بالله وعلى الخصلة الحادية عشرة وهي انهم اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صما وعميانا فينخيل للقرى أنهم يرجعان لمعنى واحد وهذا يكون كالمكرر ولكن هذا التكرار فيه سر قد كشفه الزمان وأظهره ما أحاط بنا من الحدثنان بل ان سر هذا المقام قد ظهر في انحطاط أكثر أمم الاسلام واستبان أيعا تبيان . ولما وصلت الى هذا المقام حضر العلامة الذى اعتاد أن يحاورنى في الامور العلمية في هذا التفسير واطلع على هذا الموضوع فقال مالى أراك تذكر ذكر السر في القرآن كأن مثل هذا لم يعرفه الناس قبلك . يا عجب لك أين السر هنا . ( جلتان ) جاءتا في هذه الآيات جلة تفيد عدم الاشراك بالله وجلة تفيد عدم الغفلة عن آياته عند التذكير بها وبينهما فرق في المعنى . قلت له ولكن لم قدم عدم الاشراك بالله الذى لا يتم إلا اذا لم يعرض الانسان عن آيات ربه وكيف تقدم النتيجة على المقدمة . هنا نظر في آيات وتوحيد لله وثانيهما نتيجة لأولهما فلم قدم عليه ؟ فقال إذن ماتقول في الجواب . قلت إذن أجيبك . اعلم أن الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى في أكثر الأحوال وأعمها اكتفوا من دين الاسلام بأمثال الخصال العشر المتقدمة على قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - ومنها عدم الاشراك بالله . فاذا رأى المسلم انه آمن بالله ولم يشرك فانه قد يتسلى بذلك ويقول كفى كفى . فاذا ختم الى الايمان الأخلاق الفاضلة كالسكينة والتباعد عن الكذب وشهادة الزور والقتل الخ فانه يعد صلحا . هذا هو الذى سار عليه المسلمون في أقطار الاسلام . فأهم أمور الدين التوحيد والأعمال الصالحة ووقف أكثرهم عند هذا الحد وأخذوا يرددون كلتى الايمان والصالح وفرحوا بما عندهم من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن - . فقال وما الذى به يستهزؤن . قلت هي الخصلة الحادية عشرة وهي - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صما وعميانا - . فقال والله إن هذا ليجب أنا لم أسمع من مؤمن بالله يعرض عن آياته أو يكون كالأصم أو كالأعمى وانما ذلك في الكفر . فقلت اذا كان كذلك فتكون هذه الجلة ملغاة لأعمل لها . قال فأين الصمم والعمى عن آيات الله . قلت جمل في أقطار الاسلام وخالط كثيرا من العلماء والجهلاء وقل لهم ماذا تقولون في علم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والانسان

والتشريح وجميع العلوم الكونية فانك لاتسمع منهم إلا ان هذه العلوم فروض كفايات ويستكتون عن ذلك وعند الوعظ والارشاد والخطب على المنابر والتعليم لا يقرؤون هذه الجانِب ولا يشوقون الناس لربهم ولا يفرحونهم به وليس من المعقول أن يحب الانسان صانعا ويدرك حكمته إلا بفهم صنعه . قال إنك تقول هذا القول في قوم ماتوا قبل هذا العصر أما أهل هذا العصر فقد عرفوا كل شيء . قلت له أكثر أهل الدين لا يزالون غافلين فهم اذا سمعوا عجائب التشريح والفلك صموا آذانهم وأغمضوا أعينهم لا بغضا في آيات الله ولا كمن أعراضا عن الآيات لذاتها ظنا منهم انها لا تفيد قربا لله إما لأنها كفر وإما لأنها لا فائدة منها وسبب ذلك الاقتداء بمن علموهم من علماء الدين الذين قباهم . فهذه الجملَة جاءت لترفع الغشاوة عن أعيننا في هذا الزمان وقد ظهر أثرها في هذا التفسير الآن . فلتوجه أيها الذكي نظرا أهل زمانك الى أن هذه الجملَة مذكّرة لنا بجميع العلوم وأن الايمان والتوحيد لا يكفيان لرقى المؤمن وسعادة أمته

تقدّم أن هذه الآيات كأنها ملخص المقصود من السورة والسورة مبتدأة بأن الله تعالى تكاثّر خيره وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في الصفات وانه له ملك السموات والأرض وانه خلق كل شيء وقدره تقديرا بحساب متقن منظم . ولا جرم أن كل شيء أعم من السموات والأرض والعالم المخلوق هو الخير الكثير الذي يفيد معنى . تبارك . ثم انه أعاد هذه الجملَة هنا قبيل هذه الآيات فقال . تبارك الذي جعل في السماء بروجاً والبروج هي الاثنا عشر المعلومة أو هي نفس الكواكب العظام وهي بعض ما خلق الله وقدره تقديرا . ولما شرح بعض خالق الله الذي من خيره الكثير أردفه بذكر عباد الرحمن وصفاتهم وجعل نتيجة الصفات كلها العلم والحكمة والعلم والحكمة يرجعان الى هذا العالم الذي نعيش فيه الذي ذكر في قوله تعالى . الذي جعل في السماء بروجاً . الخ فانظر كيف أعاد الجملَة التي في أوّل السورة هنا ليعقبها بصفات المؤمن الذي يفهم هذا الخير الكثير الذي تضمنه . تبارك الذي نزل الفرقان . فملخص السورة اخراج علماء في الاسلام يقرؤون نظام السموات والأرض ويكونون حكماء هادين لذرياتهم وزوجاتهم وأمتهم . فلولا ذكر التوحيد قبل التذكير بآيات الله وعدم الاعراض عنها ما تيسر لنا فهم هذه المعاني . إن هذه المعاني استخرجت من تأخير وتقديم وكأن هذا كهرباء ومغناطيس بهما أشرق النور وبهر الفرقان . فالله يذكر في أوّل السورة ملكه وخلقه وتقديره للعالم كلها ثم يعيد ذلك بهيئة جيلة في ذكر البروج والكواكب وذلك كله داخل في آيات الله التي اذا أعرض عنها المسلمون أعرضت عنهم الدنيا والآخرة كما هو حاصل الآن في أكثر بلاد الاسلام . فيأطوبى لمن ذكر بآيات ربه . ويأطوبى لمن تذكر وتدبر وقرأ

يا الله إني أجدك . ها أنا ذا قد ذكرت بآياتك بارشادك وإلهامك مع اني أقرّ وأعترف بالضعف والجهز حقا وصدقا . فاجعل اللهم هذا التفسير ذكرى وألمهم الأمم الاسلامية ان ينسجوا على منواله ولا يخروا عن الآيات صما وعميانا

فقال صاحب هذا حسن ولكن يظهر لي أن المقام مقام تصييد للمعاني بحيث تأخذ ما يلائم وتذر الذي لا يلائم قصدك ويكون هناك ترجيح بلامرجح وهذا معيب يجعل القارى في حيرة ويتشكك في قولك ويقول إن القرآن لم تقصد منه هذه المعاني ولو انها كانت مقصودة لكانت على وتيرة واحدة . فقلت ماذا تقصد ؟ قال ان قوله تعالى . تبارك الذي . قد ذكر ( ثلاث مرات ) فذكرت أنت اثنتين منها . أما الثالثة فقوله تعالى خطا بالنبية ﷺ . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا . وهي واقعة في غضون السورة بين الآيتين فهل لهذه حكمة . قلت نعم وأي حكمة أجل منها . فقال وما هي . قلت ان النظر للسموات والأرض الذي جاء ذكره في المقامين الأوّل والثالث هو وعينه المذكور في الخصلة الحادية عشر من خصال عباد الرحمن وهو عينه الذي في قوله تعالى . ويجعل لك قصورا .

الأتري رعاك الله أن الجنة على ﴿ قسمين ﴾ جنة حسية وجنة معنوية وهى العلم والمعرفة والعلم والمعرفة مقمتان للنظر الى وجه الله فانكشف الحقائق غذاء للنفس وسعادتها للحكماء فى الدنيا والآخرة . وإذا كان الحكماء بهذه المثابة فما بالك بالأنبياء والصديقين فهل تظن أن رسول الله ﷺ فى الآخرة يقنعه الحور والولدان ويستغنى عن النظر لوجه الله الذى لا يكون إلا بعد تمام العلم والحكمة كما لا يجالس الملوك والأمراء إلا أهل الجبا والعقول . فإذا كان الله وعده بجنات تجرى من تحتها الأنهار ووعد به بقصور فليس معنى ذلك أنه قاصر على ذلك بل هو رمز الى انكشاف الحقائق ومعرفة العلوم . ومن عكف فى قصره على المحسوسات فهو قاصر جهول (اقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات - الخ) فستجد هناك العبارة المنقولة من كلام السلف الصالح ﴿ أن الجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء أفلاترى سيد الرسل فى أعلى جنة العلماء ﴾ فرجعت هذه الآية الى أخيتها وظهر أن الدنيا لا يرقى فيها الناس إلا بالعلم والآخرة لا يسعدون فيها إلا بالعلم وأن قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صما وعميانا - هى نهاية العلم والحكمة وفيها ملخص علوم هذه الدنيا ومقاصد هذه السورة وانها الخصلة التى بها تكون الجنة والحكمة ويكون صاحبها قطبا تدور عليه رضى الأمة وبه يقتدون وعليه يعولون

### ﴿ بلاغة القرآن ﴾

فانظر الى أمر التقديم والتأخير فى جلتين كيف أثارنا موضوعا يتعلق بحياة أمتنا الاسلامية ويبين عيوبها ومخازيها ويفضح سر تأخرها وينير السبل لتقدمها وارتقاؤها . إن هذا المقام هو الذى ألفت له الامام الغزالى كتاب الإحياء فقد قل فيه ﴿ إن هذا الكتاب قد صنفه لإحياء ما اندرس من علوم الاسلام ﴾ وبين ذلك بأنه ايضاح صفات القلوب والعلوم الأخلاقية والاخلاص ثم المعارف العامة فى السموات والأرض ثم إن هذا التفسير قد جاء لمثل ما جاء له الأحياء . كل ذلك أثاره فى هذا المقام تقديم وتأخير . بمثل هذا تعرف بلاغة القرآن لالبلاغة اللفظية التى يفرح بها صغار العلماء ويقولون نحن نقرأ المفتاح للسكاكى وكتاب سعد الدين الفتازانى وكتاب عبد القاهر الجرجاني وغيرها لنعرف بلاغة القرآن فقول لهم وهل عند هذا تقفون أو تنكصون على الأعقاب . إن الذى تبحثون عنه انما هو أن القرآن معجز ونتيجة ذلك أن يكون المرء به مؤمنا وقدمنا أن خصلة الإيمان وحدها لا ترقى المسلم بل رقيه انما يكون بمعرفة هذه الكائنات فلم يخرج البلغاء فى أمة الاسلام عن كونهم أشبه بالبدوى القح فى البادية وعن أنهم اذا وقفوا على ذلك قد دخلوا فى حوز الموحدين المذكورين فى الخصلة السادسة فى هذه الآيات وهم عن آيات ربهم خرواصا وعميانا ، اللهم ان أمة الاسلام طال عليها الأمد وقست القلوب وكثير منهم فاسقون . لقد اعتري العمى والصمم كثيرا من أهل العلم فى أقطار الاسلام جهالة وغرورا وقد آن انقشاع هذه الغشاوة والحمد لله رب العالمين . كتب هذا المقال بعد عصر يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

﴿ ياقوتة فى معنى قوله تعالى فى هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا - الخ ﴾ بعد أن كتبت ما تقدم أردت أن أبين بعض انواع التذكير التى ذكرنا الله بها معاشر المسلمين ليكون ذلك تسكيلة للجوهرة السابقة وتبصيرا للأذكياء . التذكير إما بالقول أو بالفعل . أما بالقول

(١) فهناك هذا القرآن يدرس صباحا ومساء وصيفا وشتاء ليلا ونهارا يدرسه المسلمون ويقرؤه قراؤهم وفيه سور كثيرة ليس فيها حكم شرعى وانما هى ذكرى الأمم السالفة وذكرى آيات الله فى السموات والأرض وهذه الأخيرة كما تقدم مرارا (٧٥٠) آية كما ان نظيرها فى العدد أيضا تقريبا جاء فى اصلاح الأخلاق

(٢) وهناك العبادات كما تقدم فى (سورة البقرة) فى تفسير آية الكرسي فقد ذكرت هناك أن هناك آيات قد جعلها العباد والصالحون بذورا بذورها للمسلمين ليربوهم تربية يكونون بها صالحين فهؤلاء نراهم اختاروا

الآيات الدالة على أفعال الله العجيبة كآية الكرسي ونحو - الم • الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ وأول سورة الحديد وهكذا • فهذه الآيات هي روضات الجنات تمتع الصالحون بألفاظها فست قلوبهم فذكروا ربهم وهي مسعدة للفكرين والحكماء والصديقين ليدرسوا نظام ربهم ويقتنوا بكواكبه وبشجره ويصاوه وينظمه العجيبة التي ذكر منها في هذه السورة أي سورة الفرقان التي نحن بصدد الكلام عليها

#### (١) نظام الظلال

(٢) ونظام الليل والنهار ، فالأول لباس يستر الناس وفيه النوم للراحة ، والثاني ينشر الناس فيه لطلب المعاش

(٣) ونظام السحب والأمطار والماء الطهور

(٤) ونظام سقي الناس والأنعام وحياء كل حيّ فرق الأرض

(٥) ونظام البحرين العذب والملح

(٦) ونظام الكواكب والبروج ومجانبهما

(٧) ونظام الشمس

(٨) ونظام القمر ، وأن كلا من الليل والنهار يخلف الآخر

هذه مجامع ما ذكر الله به في هذه السورة فضلا عن بقية سور القرآن وختم ذلك بقوله - لمن أراد أن

يذكر أو أراد شكورا - فهذه الجوانب جميعها وأمثالها تكون ذكرا للذاكرين وشكرا للشاكرين

فانظر كيف يقول - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا - بعد أن ذكر هذه الآيات في

نفس السورة وجعلها ذكرا وشكرا للفريقين المذكورين فاذا ذكر الله بالقرآن كله وذكرنا بالآيات التي اختارها

العباد والآيات التي في هذه السورة فان الاعراض عن التفكير في معناها ودراسة علومها لكل قادر من

المسلمين يعتبر كفرا بالنعمة وكأن الانسان أصم أعمى • لقد تكرر الذكر والتذكير في القرآن • ناهيك

ما ترى في سورة - اقتربت الساعة وانشق القمر - فهناك - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر -

وقد كررها مرارا بعد كل حادثة وقصة ، هكذا في آيات كثيرة كقوله - وذكرهم بأيام الله - الخ وقوله

- إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون - وقوله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقوله - أفلم يدبروا

القول الخ - وآيات كثيرة • هذا هو التذكير القولي • أما التذكير الفعلي فهو ما أحاط بالأمر الإسلامية اليوم من

القوى القائمة والأم القوية الظالمة وقتلهم بهم فهذا تذكير لأنواع الانساني فعلى • فاذا نام المسلمون عن هذا

التذكير بنوعيه فلا يولمونه إلا أنفسهم والعقاب الأكبر على كل مفكر عرف أمثال ما كتبناه في هذا التفسير

ثم ترك النشر والتعليم • انتهى تفسير (سورة الفرقان) يوم الاثنين التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م

والحمد لله رب العالمين

#### ﴿ تذكرة ﴾

قد يستعين الناظر للصور السماوية السابقة المذكورة قريبا بمسطرة طولها ثلاثة أمتار يضعها على النجوم

المعروفة لتوصل الى النجوم المجهولة على مقتضى التعليمات المتقدمة • انتهى

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم

ويليه الجزء الثالث عشر • وأوله تفسير سورة الشعراء )

## ( الخطأ والصواب )

غلينا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

| صواب            | خطأ               | سطر | صحيفة | صواب           | خطأ       | سطر | صحيفة |
|-----------------|-------------------|-----|-------|----------------|-----------|-----|-------|
| وقتل منهم كثير  | وقتلوا منهم كثيرا | ٣   | ١٧٥   | باباحة         | باباحة    | ٢   | ١٤    |
|                 | فقتل              |     |       | المتزوجين      | المتزوجين | ٢٠  | ١٤    |
| فلاح به         | فلاح له           | ١٠  | ١٧٥   | متقاربان فلذلك | متقاربان  | ٣   | ١٥    |
| ويقولون         | يقولون            | ٥   | ١٧٦   | عدا في الاجال  |           |     |       |
| السماء وجههم    | السماء والعالم    | ٢٦  | ١٧٦   | وجها واحدا     |           |     |       |
| المحنة          | المحبة            | ٢   | ١٧٧   | وانظر          | والنظر    | ٢٥  | ٢٣    |
| وذكر            | قد جاء            | ٦   | ١٧٧   | الواقية        | الواقية   | ٣٢  | ٣٣    |
| لبنان           | ولبنان            | ١٦  | ١٩٦   | صورتها         | صورتهما   | ١٨  | ٤٠    |
| خلاهما          | فلاهما            | ٢١  | ٢٠١   | ظهر            | ظهر       | ١٤  | ٤٣    |
| واذ             | فاذا              | ١٣  | ٢٠٥   | معدنيا         | معدني     | ٤   | ٦٩    |
| الكر بون        | الاودروجين        | ٣   | ٢٠٧   | الحيوان        | والحيوان  | ٦   | ٧٣    |
| والقرآن         | والانجيل          | ٢١  | ٢٠٧   | الثلاث         | الثلاثة   | ٣٢  | ٧٥    |
| وغير            | رغير              | ٣٣  | ٢٠٧   | أن نزول        | أن يزول   | ١٣  | ٩٢    |
| فان (٢٨٤)       | فان عدد (٢٢٠)     | ٣٢  | ٢١٠   | هود            | يونس      | ٢٢  | ٩٢    |
| وكذلك (٢٢٠)     | وكذلك (٢٨٤)       | ٣٣  | ٢١٠   | محركة          | محركة     | ٣٠  | ٩٤    |
| يساوى مضارب     | يساوى مضارب       |     |       | كتبوه هم       | كتبوه     | ٩   | ٩٧    |
| (٢٨٤)           | (٢٢٠)             |     |       | يرقون          | يترقون    | ١٢  | ٩٧    |
|                 | من المرجان        | ٣   | ٢١٦   | أقر            | أقره      | ١٨  | ١١٠   |
| وأعدتها صوراً   | وأعدتها صور       | ١٢  | ٢٢١   | ينظر           | يتنظر     | ٢٦  | ١٢٢   |
| مختلفة وأشكالاً | مختلفة وأشكال     |     |       | وانقادت        | وانقادت   | ١٩  | ١٢٣   |
| وأوضاعاً        | وأوضاع            |     |       | البر           | البرية    | ٢٧  | ١٢٦   |
| أبندوقليس       | أبندوقليس         | ١٩  | ٢٢٥   | سدوم           | سنوم      | ٥   | ١٣٤   |
| ألفوها          | ألفوها            | ٨   | ٢٢٧   | لا تعمل        | لا تكون   | ٨   | ١٣٦   |
| بل كان عندهم    | بل كان عند        | ١   | ٢٢٩   | ترك            | ترك       | ٣٣  | ١٤٤   |
| ٣٦ درجة         | ٥ من ٣٦           | ٢٧  | ٢٣٤   | واد            | وآد       | ٤   | ١٤٥   |
| العباد (بتشديد) | العباد            | ١٥  | ٢٤٦   | واد            | واد       | ٤   | ١٤٥   |
| (الباء)         |                   |     |       | المائر         | الغابر    | ١٨  | ١٤٦   |
|                 |                   |     |       | فتعرفوا        | فتعرفون   | ٤   | ١٦٩   |
|                 |                   |     |       | المسرات        | العترات   | ٩   | ١٧٣   |

# فهرست

## الجزء الثاني عشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تقسيم سورة النور الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ وكتابة القسم الأول منها بالحروف الكبيرة مشكلة
- ٤ التفسير اللفظي لهذا القسم . حكم الزنا . فصل في حكم القذف وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة
- فصل في قصة الإفك ومحصل القصة
- ٧ ﴿ أربع لطائف في اللطيفة الأولى ﴾ - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - لا تقبل شهادة القاذف أبدا عند شريح . متى حذرت شهادته عند أصحاب الرأي . لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقدوف فيسقط عند قوم الخ
- ٨ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات
- ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكا منكم من أحد أبدا -
- ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - الخيئات للخيئين - الخ
- حكاية العابد والفارة المسوقة الى أن الأشكال تحق الى أشكالها بمناسبة الآية
- ٩ ﴿ القسم الثاني ﴾ أوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الى قوله تعالى - ومرحطة للفتن - مكتوبا بالحرف الكبير مشكلا
- ١٠ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١١ بعض أحكام النكاح من النذب والجواز وهكذا . فصل في المكاتبه ووجوبها ونذرها
- ١٣ فصل في عدم اكراه الإمام على الزنا ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ وبيان أن الاستئذان ثلاث وأنه لثلاثة أمور
- ١٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ وفيها قوله ﷺ « تزوجوا الولود الودود الخ »
- ١٥ عناية أمة الألمان باكثر النسل وتصوير المصورين حال ذوى النرية والذين لا ذرية لهم وتأثير ذلك في الشعب
- ﴿ القسم الثالث ﴾ - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
- ١٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٩ تفسير - ألم تر أن الله يزجي سحابا - والآيات قبلها وبعدها
- ٢٠ فصل في علم الحيوان وذكر ما يتناسل منه بالانقسام وما يتناسل بالبيض وما يتناسل ( بالتبرعم ) وبيان الحيوانات الفقرية وأما خمسة أقسام والحيوانات الخلقية وأما خمسة أيضا والحيوانات القشرية وأنه ليس لها عظام ولادم ولا حلقات والحيوانات الشعاعية . كل ذلك تفسير لقوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على سبطه - الخ

٢١ بيان أن الخنافس وحدها (٨٠٠٠٠) صنف والحشرات المعروفة (٢٠٠٠٠٠) صنف ويتوقعون أن تكون مليوناً

٢٢ ﴿أربع لطائف • اللطيفة الأولى﴾ في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره - الخ وبيان أن قوله تعالى - مثل نوره - راجع لنبينا ﷺ أولسيدنا ابراهيم عليه السلام أولكل انسان الخ ثم تبين الحق من هذه الأقوال وأن هذا التمثيل مثل نظيره العلماء جسم الانسان بسفينة أودار أولوح الخ ثم بيان الوجوه السبعة السابقة

٢٤ عجائب القرآن في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

٢٥ ايضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد وبيان العقل بالقوة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال وضرب مثل لدرجات العقل المذكورة بدرجات الغنى وبدرجات الملك لشاين أحدهما تاجر والآخر ابن ملك وقياس درجات العقل على درجاتهما في الغنى والملك بالقوة وبالفعل وبلاستفادة وهكذا وبيان أن العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا فهي تضيء لأعيننا وهو يضيء على عقولنا الصورة والمادة والمعاني والعقول وأن عقولنا تعقل أنفسها فهي عاقل ومعقول وهذه العقول أنفسها على منوال العقل الفعال فهو الذي طبعت الصور القائمة به في المادة فحدثت الأكوان ، فما نراه نحن الآن من الصور هو الذي كان مرسوماً في ذلك العقل العام فلما رأيناه فيها فرسما به ورسمناه في عقولنا كما كان في ذلك العقل قبل وجود الصور في المادة . قطرة ماء في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وبيان أن العلامة (هنشو) الأمريكي يقول « ان قطرة الماء اذا كبرت حتى صارت أكبر من فلك الأرض حول الشمس فان الاكسوجين والادروجين وهما العنصران اللذان ركب منهما الماء يرجعان الى نقطة ضوئية ترسم خطوطاً نورية وهمية بحيث تدور نقطة ضوء كهربائي سالب حول نقطة ضوء كهربائي موجب ستة آلاف مليون مليون دورة في الثانية وهذه النقط الضوئية باختلافها كما وكيف تختلف العناصر التي ليست شيئاً سوى هذه النقط ومع ذلك هذه القطرة المائية لوجعت الجواهر المائية التي فيها لم تملأ إلا جزأً من (مائة ألف ألف ألف) جزء من النقطة المائية ، فالمسافات بين الجواهر المائية فيها كالمسافات بين الكواكب والشمس الخ وعدد الجواهر الفردة المائية فيها (٥) على يمينها (٢٠) صفراً ، وهنا بيان المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة المباركة من نفس القطرة المائية

٣٠ النور قديماً وحديثاً في أرضنا كالمشاعل ومصابيح الزيت الخ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ - والطير صافات -

﴿الجوهرة الأولى﴾ في تسبيح الطير ، هل الجاد يعقل والأشجار تتعاشق ؟ هكذا يقول بعض الصوفية ولكن عقولنا لم تعرف إلا الثاني أما الأول فلا . ﴿الجوهرة الثانية﴾ في الطيور الرحالة (مترجم عن الانجليزية) وأن الخطاف يصرف زمن الشتاء عند بحيرة (تسادو) في أواسط افريقيا ويربى أولاده في بلاد الانجليز زمن الربيع . وبيان سبب تلك الرحلة . صورتان مرسومتان للخطاف الوارد بعد المهاجرة بيان أسرع المخلوقات الحية وهي حشرة تجرى (١٤) ميلاً في الدقيقة وجناحها يدوران بضع آلاف مرة في الثانية ، وأسرع طيارة لا يدور دولابها الأمامي أكثر من (٢٠٠٠) مرة في الدقيقة

٣٣ مقاييس السرعة مثل أعظم سرعة للانسان الراكض وأعظم سرعة للطيارة ، أسرع طيارة في العالم لاجناح لها ولا مراوح ﴿الفائدة الثانية﴾ جاء في الأنباء البرقية أن طياراً حاول الوصول الى القارة المجهولة في الأقطار القطبية التي تهاجر الطيور اليها ولم يصل لها الانسان ولكنه لم يتمكن

٣٤ ﴿اللطيفة الرابعة﴾ في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - الخ وبيان أقوال علماء الاسلام في

## القرن المتأخرة في معنى هذه الآية

٣٥ نص السؤال المرفوع الى الشيخ ابن المبارك تلميذ الشيخ عبدالعزيز الدباغ في الثلج والبرد والبرق وهكذا من الحوادث الجوية السماة قديما بعلم الآثار العلوية وبيان انه قرأ كتب علماء الاسلام جميعها فلم يجدهم موافقين الموضوع حقه فرجع الى شيخه الدباغ فشرح له الثلج كما في العلم الحديث وهكذا البرد وأوضح المقام حق الايضاح وذكر الصاعقة وأبان أن السماء ليس فيها جبال من برد بل فيها جبال الثلج التي يخلق فيها بعض البرد ، وهذا الذي قاله ذلك الشيخ منذ مائتي سنة قد رسم في صفحة (٣٧) بالطيارة وهذه مجزة قرآنية دللتنا على أن القرآن خير مفسر له العلم الحديث

٣٨ (شكل ٤) صورة هضبة (حوت بلانك) من جبال الالب وما اتصل بها والثلج الدائم المغطى لها

موازنة كلام الشيخ الدباغ المذكور بمذاهب الفرنجة الآن في البرد وكيفية ظهوره

٣٩ (شكل ٥) صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الرون) بجاني فركا

٤٠ (شكل ٦ و ٧) صورتان للبرد الحجري البوري الشفاف الذي سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م

وهما هندسيتان جيلتان سداسيتان مشتملتان على أشكال كثيرة هندسية

٤١ (شكل ٨) و (شكل ٩) أولهما صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من للبرد الصخري الذي سقط في

بلاد فرنسا سنة ١٨١٩ م (وثانيهما) صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتحدات المركز للركبات من

جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف . بهجة العلم في البرد الصخري تفسير آية - ألم تر أن الله يزيح

سحابا - بالرسم (شكل ١٠) صورة السحاب المتجمع (شكل ١١) صورة السحاب المركوم (شكل ١٢)

صورة السحاب الذي يخرج الودق من خلاله ﴿ الجوهرة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وينزل من السماء

من جبال فيها من برد - ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فيها تنجب من هذه الدنيا ونظامها في الماء وبخاره وبرده

وتلجه الخ

٤٤ اتمام الجبال في هذا المقال وذكر كيفية تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا

وانها تاج حول القطب الشمالي ، وذكر الذين حاولوا كشفه مثل (دافيس) ومن بعده الى الدكتور

(هيس) الذي مات ورجع أصحابه وبيان أن الثلج هناك قد يكون جبالا بمقاديرها ومضايقتها الخ أوسهولا

واسعة وانه قد يرتفع مائة متر وأن المختفي في الماء قد يكون ثلاثة أمثال ما فوقه ، وبيان أن حاستي السمع

والبصر هناك تطفان وتظهر هناك هالات وشموس وأقمار كاذبات وشفق شمالي ، وأن الانسان يسمع

سقوط الحجركصوت المدفع وأن صوت الانسان يسمع على مسافة ألف متر وأن الشمس تدور حول الأفق

ولا تقيب ونور القمر يظهر الاشخاص على مسافة كيلومتر وأهل تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس

ويقومون الأعياد ، وبيان رحلات القطب الجنوبي كرحلات ثلاثة فرنسيين وكوك ، وبيان انهم كشفوا

هناك أرضين وانهم وصلوا الى (٧٨) درجة ، ويقولون إن هناك جبالا وبراكين وقارة جنوبية ومناجم

للنعمم الحجري

٤٦ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يزيح سحابا - الخ ولجتماع ٢٥٠

علما أوروبيا من علماء الجمعية الجغرافية وقرارهم بأن هذه الآية منطبقة على نهر النيل وأن الخريطة

التي صنعها بمصر بمهمة مصطفي بك منير مقتسة وانهم وضعوها بحيث تضيء عليها الشمس ، وذكر

مساحة بحيرة (فكتوريا نيانزا) وهكذا الجبال وارتفاعها ونحو ذلك

٤٨ رسم الخريطة المقدسة وهي خريطة النيل

٤٩ مقال عام في هذه الآية - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير - . وبيان أن هذه الآية هي ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ، وذكر أن الهند الجرمانية عندهم الله هو النور أو الشمس والنور عندهم (ديف) ومنها اشتق نحو (١٣) لفظا بمعنى الله وكلها راجعات للنور مثل (ديفاس) في لغة السنسكريت و (ذوبس) عند اليونان وهكذا والسبب في ذلك انه لولا الشمس ما ظهر شئ على الأرض فعشقها الناس وذكروا الله بها أو عبدوها والى النور ترجع عبادة الصابئين وقد اختلط الحق القديم بوحدانية الله في دياناتهم بالباطل وهو عبادة الشمس ونحوها فجاء النبي العربي وقال ، يا أيها الناس الشمس والنور من صنع الله فلا تعبدوا إلا إياه

الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه وأن الأرض راقصة بحركتها اليومية حول الشمس عليها حلها وحلاها في مشهد عرس وحوطها ثريات النجوم مشرقات عليها ، ومن حلاها قوس قزح والثالوج في القطبين وفوق جبالها وهكذا الأزهار في الرياض الخ وتبيان ان دين قدماء المصريين كان التوحيد المطلق وتوت أى الشمس يرجع الى خالق العالم في الحقيقة لانفس الشمس وهم وان عتدوا الآلهة فقد وحدوا فعلا أيام الملك (ميناء) بحيث يكون (اتوم) في مدينة (عين شمس) هو نفسه (فتاح) في مدينة (منفيس) وهكذا لتكون السياسة واحدة كالدين ، وذكر أنشودتين من أناشيد قدماء المصريين مترجتين من كتب الألمان ، وبيان أن حكماء الأمم مع الناس بأجسامهم وهم الآن في جنة العرفان

٥٢ بهجة العلم في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . الجبال (نوعان) جبال ظاهرة وجبال باطنية وقدام المصريين ذكروا الجبالين معا الظاهر والباطن وتمجيد الله أذاهم الى انشاء الأناشيد المتقدمة والى الرقص ، وبيان عشق الله عند الأمم الاسلامية في (كتاب الاشارات) للرئيس ابن سينا ومعنى العشق العفيف

٥٣ بيان السماع الجائز والمحرم ملخصا من الإحياء في كتاب السماع ، وذكر حى بن يقظان تأليف ابن الطفيل

٥٤ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي ازدانت بها أرضنا ومنها (شكل ١٤) صورة مناطق النبات حول الأرض و (شكل ١٥) صورة المناطق الخس وحيواناتها و (شكل ١٦) نبات افريقيا و (شكل ١٧) حيوان افريقيا

٥٨ تفصيل الكلام على المناطق التي فيها اسماء النبات حول الأرض ، وبيان ان الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة

٥٩ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وان هذا الشرح ليس خارجا عن التفسير وقد أكثر المسلمون في الصلاة والزكاة ونحوهما تأليفا ولم يعد ذلك خروجا عن المقصود وهذه العلوم تزيد الناس مالا وعقلا وحبا لله تعالى . وهذه العلوم منفعتها أعم من منفعة الصلاة والزكاة . أقسام الحيوان خمسة من مبدا الفقرية الى النباتية (شكل ١٨) نبات اوربا

٦٢ (شكل ١٩) حيوان اوربا

٦٣ الحيوانات الفقرية التي فيها الأقسام الثلاثة في الآية وهذا القسم فيه (١٢) نوعا من الحيوان ذى اليدين وهو الانسان وذى الأربعة الأيدي وهي القرود والثالث وهو آلات اللحوم والرابع وهو الحيوانات الثديية البحرية الى الحادى عشر وهو الحيوانات القيطسية ، والثاني عشر وهو الحيوانات ذوات الرحين في بلاد (هولانده الجديدة) . الكلام على القسم الثاني من الحيوانات ذوات الفقرات وهي الطيور وهي ستة أنواع كالساجية مثل البجاج والطاووس وكذوات الأرجل الكفية مثل البطو كالشاطئية مثل أبى قردان

وإني مغازل وكالسودية مثل البلب والعندليب وكالتسلقة وكالجراحة . الكلام على القسم الثالث من ذوات الفقرات وهي الزواحف مثل السلاحف وسورل والثعابين . الكلام على القسم الرابع من ذوات الفقرات وهي الضفادع . والقسم الخامس السمك وهنا (شكل ٢٠) نبات آسيا و (شكل ٢١) حيوان آسيا و (شكل ٢٢) نبات أمريكا الشمالية و (شكل ٢٣) حيوان أمريكا الشمالية و (شكل ٢٤) نبات أمريكا الجنوبية و (شكل ٢٥) حيوان أمريكا الجنوبية

٧٢ شكل نبات وحيوان إفريقيا ، وبيان الكلام على أن من الحشرات ما لا جناح له ومنها مستقيم الجناح كالصرصار أو نصفه كالبق أو غشائه كالنحل أو غمديه كخنفس الفول وذو الجناحين كالبرغوث

القسم الرابع الحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف

٧٣ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية . محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين واعتراضهم على الاطالة في أمثال هذه الآيات ورسم خرائط القارات وما فيها من النبات والحيوان والاجابة على ذلك بأن القرآن هو الذي قسم الذي يمشى من الحيوان الى ثلاثة أقسام من المشي على رجلين وأربع وهكذا ففيه فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن المنطق تحليل وتعريف وتقسيم وقياس ولكل من هذه حظ من العلم ولا علم في الدنيا بخارج عن هذه الأربع ، وإذا كان الله يقول انه هو بثّ الدواب في الأرض فلا يمان لها إلا برسم نفس الدواب في كل قارة ، ولأمانع من تصوير تلك الحيوانات وجعلها في الصور المتحركة

٧٥ هذا التفسير وأمثاله يرجع المسلمين الى العصور الأولى وبيان أوصاف الأسد والثعلب والذئب والجل ونحوها

٧٦ بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغازتها وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين . بيان أن احاطة الآيات القرآنية بالحيوان والنبات مجزة أماطت اللثام عن الحقيقة وأخرجت الانسانية كلها من الخيرة إذ يقولون العلم شيء والدين شيء آخر فالسعادة للناس أن يكون دينهم هو عين فطرتهم وهذا هو القرآن وتنبأ المؤلف أن الناس سيكتبون هذه الآيات على أسوار حدائقهم في المستقبل

٧٧ جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى وهو لا يحب التعب والنصب بل يسير على سبيل الآباء طلبا لراحة نفسه والحيوان يسير على مقتضى الغريزة والغريزة لا خطأ فيها ولكن الخطأ في تقليد الانسان وغفلته وقد ذمّه الله على ذلك وسيتبرأ المتبوعون من التابعين . الحيوان من نوع واحد وعاداته متشابهة أما الانسان فعاداته كثيرة الاختلاف فمن متزوج أمه وأخته ومن محرم ذلك ومن أكل لحم الانسان ومن محرم لحم كل حيوان . إن الانسان ضلّ عن فطرته والحيوان لم يضلّ عن غريزته ، لذلك كان تقليد الانسان للانسان جهلا ميّنا يحط الانسان عن مرتبة الحيوان . وبيان أن التقليد هو الذي يمنع منكر الدين الاسلامي أن يكتب ويقرأ هذه الآيات التي توافق كل الأمم لأنها ترجان الفطرة إذن التقليد يحط بالفطرة الانسانية وينزلها الى أسفل سافلين ، وترى الشعراء والفلاسفة في كل جيل وأى أمة محترمون بخلاف آيات الدين الموافقة للفطرة فهناك من يمنعها وهم رجال الأديان الأخرى حوصا على المكاسب الأرض أشبه يراقصة ترقص حول الشمس ، وفيه ذكر نظم أوله

\* الأرض ترقص حول الشمس من فرح \* الخ

٧٨ اللذات وتقسيمها ( ثلاثة أقسام ) عليا ووسطى وسفلى ( العلم . السلطة . شهوة البهائم )

الحيوان مقسم على حواس الانسان وحاجاته فالمسك من حيوان للشم واللبن من حيوان للذوق وهكذا

٨٠ الحيوان كتاب مفتوح فنه الخرز كالآساد والمستعبد كالغنم . هكذا الانسان اذا أهمل صار كالثاني اونسط كان كالأول والقرآن أشار لذلك بذبح البقرة وبالوحى للنحل ، وأيضا قد أسمعت الغملة نبيا وهذا شرف لها لم تنله البقرة ونحوها . حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان

٨٢ يحمد المؤلف ربه على نعمة العلم وانه في كبرسنه اليوم أقرب الى الصحة منه أيام الشباب ، ويقول المؤلف ان جهله بعلم الصحة في شبابه قرّبه من المرض وعلمه بالصحة وعمله اليوم أكسبه بعناية الله الصحة وأن الناس بجعلهم شقوا ومن الجهل العام في الانسان اذاعة القول في الجرائد أن الكبراء وعظماء الأمم قد شربوا في محافلهم العاتمة المرطبات ، ومعلوم أن ذلك لم يكن لداعية العطش فهو غير صحي لم تقدم عليه الأنعام التي هي خير من الانسان في ذلك ، وقد شاعت عادة التدخين والمخدرات وكل ذلك مما دخل في قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم -

٨٣ نداء الى أم الاسلام بذكر خطبة الاستاذ (فيشر) الأمريكي الذي يقول ان الجيل (٢١) سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة لأنهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر الخ والناس اليوم يقصرون أعمارهم بأمثال هذا ، ويتعجب المؤلف من أن هذه الخطبة نشرت عند كتابة موضوع الحيوان هنا الذي ليس مفرطاً في طعامه وشرابه ونحوهما ، ويقول المؤلف ان المسلمين قرؤا آية الخمر وكان شعراؤهم يتباهون بها أمام ملوكهم جهلا . ذكر الدود والجراد والنمل والنحل والحمام والغربان والأساد والفيلة . فالجرادة والذباب والناموسة لا يرين ذريتهن والنمل والنحل يعطف الفرد على المجموع والدجاجة والحمامة لاتعرف نظام المجتمع . والغربان لها حكومة منظمة والبقرة والشاة لا يعرفن إلا أنفسهن وذريتهن . والفيلة والذئاب والقرود تعرف نظام المجموع وسيقول أبنائنا في المستقبل ان الطفل والهرم كاللود والاقوياء يلدون الذرية وتكون لهم جماعات فاليابان والألمان ونحوهم وصلوا الى درجة الغربان والذئاب في علم الاجتماع والناس الآن في الشرق والغرب لم يزدوا عن الغربان . هذه الأمم كلها فعلت فعل الحيوان فأما بعض المسلمين كأبناء العرب في شمال افريقيا وسوريا والعراق فانهم لم يصلوا الى درجة أعلى الحيوان كأهل الصين واليابان وممالك أوروبا . وسيقول فلاسفة المسلمين في المستقبل ﴿ يجب على كل أمة شرقية يجمعها دين أو وطن أولغة أن تحافظ على مجموعها ثم يجب على هذه الأمم كلها في الشرق أن يتحدوا كما اتحدت الممالك المتحدة ليكونوا أرق من الحيوان ومن الأمم الحالية شرقا وغربا . ثم يقولون نحافظ على أخلاق آبائنا ولكن لانقب عندها وأن ماخافه نبينا ﷺ علينا من فتوح البلدان قد تم ووقعنا في ما زق الحياة مع الأمم فيجب علينا الآن أن نسعى في اتحاد الأمم جميعها شرقيا وغربيا لأن الجمعية كلها كانت أكبر كانت منافعها أوفر ﴾ وهذه المسائل نطقت بها الاشتراكية والبلشفية ولكن هذه المحاولات الى الآن لم تد وقراءة علوم الحيوان وغيره مثل ما هنا تعين على هذه الفكرة وهكذا الوحى الذي أمر بذكر الله أكثر من ذكر الآباء في الحج وأمر بان يؤذن بلال وهو غير عربي في الكعبة وهناك يعمون تعليم كل ذكر وكل أنثى وينظمون المجموع الانساني كما تقدم ويشير لذلك حديث الصدقة إذ لا يجد المتصدق من يأخذ صدقته ذلك لأن الأمم كلها عاملة وكل فرد نافع للمجموع فيكون مجزة

٨٧ ذكر انتشار الاسلام في بلاد (البرازيل) بأمر يكا وقول المستر (ولز) ﴿ كل دين لا يسير مع المدنية لا ينفع والاسلام هو الدين الحق الخ ﴾ فانتشار الاسلام في الشرق والغرب الآن ومعه أمثال هذا التفسير ربما

يساعد على اتحاد أمم الشرق والغرب ويتم إذ ذاك حديث الصدقة وعدم اخذها الانوار على ﴿ قسمين ﴾ نور ظاهر وهو نور الشمس والاقارب والكواكب ونور باطن وهو قوى النفس وما فيها من الصور والانسان لجملة يحقر الأمرين معا الشمس والكواكب وقواه الباطنة لأنه لم يتعب في





جاء في كتاب أصول القوانين أن المدار على اسعاد المجموع وكذلك مسألة الخضر وموسى فقتل الغلام لاصلاح الأسرة كلها ، فالمصيبة الخاصة للاصلاح العام لاضرر فيها بل قتل الكفار يوم بدر لمنفعة أعم وهو اسلام أبنائهم وهم أم كثيرة

١١٥ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - ومأواهم النار ولئلا يصير - وتفسير الآيات اللفظي

١١٦ ﴿ أربع لطائف \* اللطيفة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - واخبار النبي ﷺ لعدى أن الامن يم البلاد حتى ان الطعنة لتأتى من الحيرة وتطوف بالسكبة فلاتخاف وهذا مجزة ، ثم اللطيفة ﴿ الثانية ﴾ في قتل عثمان وفي أن الاسلام دين علم وعمل

١١٧ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها . فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم . ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم . معنى الجهاد وانه ليس خاصا بضرب العدو بالسلاح بل هو يشمل كل ما يقوى الأمة من زراعة وتجارة وصناعة بجميع الصناعات فروض كفايات جهاد

١٢٠ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ - يأيتها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى - لعلكم تعقلون - وتفسيرها اللفظي

١٢٢ ﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - الى آخر السورة وتفسيرها اللفظي خاتمة وفيها ملخص السورة

١٢٣ ١٢٤ الجلال والنور في سورة النور وفيها ذكر تناسب السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في ذكر خلق

الانسان وانه من نقطة فضضة الخ في سورة الحج وفي سورة المؤمنون ، فأما في سورة النور فقد جاء ما يحفظ حواسه ، ففي الأوليين جعل هيكل الانسان مستمدا من الأرض والهواء والماء والضياء أى من كل ما حوله ولذلك قيل - فتبارك الله أحسن الخالقين - الذى جعل له منافذ تطل على العوالم المحيطة به فيستفيد الانسان بها ، ومن عجب أن اللسان يعبر عن كل ما احسن به بحواسه الخمس من هذه العوالم وأيضا حاسة البصر تشاهد صور كل ما عرفته الحواس الأخرى من الملموسات والمشمومات الخ وتعرف نعمة الحواس بموازنة الانسان بالدود الذى فقد أكثرها ، وأكثر الذنوب ذنوب اللسان ويعين عليه طموح العين لمحاسن النساء . إذن اللسان خلق لمنفعة هامة فوضعه في غير موضعه ظلم . خاطب الله عباده بهذه الحواس والجوارح فهو يقول الناس ﴿ فريقان ﴾ أصفياء وأغبياء ، فالأغبياء ينظرون جلالى في النجوم والثمار والأزهار فلا يعقلون إلا ما يشتهونه كالحيوان ، ومتى سئمت لهم سائحة نحو العلا سلطت عليهم زبانية الشهوات تضربهم بمقامع من حديد فتردهم الى أسفل شهواتهم وألسنتهم عاكفة على الأذى لقومهم كأصحاب الإفك . إن تكليفى لكم بالتسبيح والتحميد لتذكروا نعمى المحيطة بكم فليس الجلال فى الانسان وغير الانسان لمجرد التناسل . ألم تفكروا فى فتوركم بعد فراغكم من تلك اللذة . تنادىكم الشمس والقمر والنجوم والأنهار والطير المفردات أن هلموا الى العلا . ان لم تصونوا اللسان عن تضييعه لأوقانكم والفرج عن الفاحشة والعين عن المحرم فكيف ترون انى نور السموات والأرض ؟ انكم تحجبون عنه . الحيوان لا يسرف فى لذة الوقاع فبالكم تسرفون

١٢٧ آراء الانسان المخزونة فى عقله أجنحة يطير بها الى العلا . السمع والبصر والفؤاد اتم عنها مسؤولون . هذه الجمل ملخص سورة النور

١٢٨ ﴿سورة الفرقان﴾ هي « ثلاث مقاصد » المقصد الأول « من أول السورة الى قوله - بل هم أضل - سبيلا - قد كتب مشكلا بالحرف الكبير

١٣٠ التفسير اللفظي

١٣٣ تفسير لفظي - لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني - الى قوله - وأصحاب الرّس -

١٣٤ تفسير لفظي لقوله تعالى - وقرونا بين ذلك كثيرا - الى آخر هذا المقصد . وهنا (١٥) لطيفة

١٣٥ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - نذيرا - كلما اختل النظام كان الملك أسرع انحلالا ، وكلما كان العدل أتم كان الملك أدوم ، وبيان الهدية التي يقال ان أرسطاطاليس أهدها الى تلميذه الاسكندر وهي دائرة ذات ثمان كلمات وكل منها تصلح مبدء ونهاية اشارة الى أن الأمة متضامنة وفي هذه الكلمات علم السياسة كلها

١٣٧ اعتراض على المؤلف بأنه لايفتر عن ذكر الحيوان والكواكب في كل مناسبة ؟ فنحن في صفات الله فلماذا نتعدها ؟ وجوابه اننا لانعرف دوام الملك بعقولنا إلا بالموارنة فلما دام ملك الله ولم يهدم كملك بني آدم عرفنا أن ذلك من التقدير في قوله تعالى - فقدره تقديرا -

١٣٨ بيان الدائرة الكبرى العائمة . بخاريعلو فيكون مطر بتحريك الشمس له أولا وللهواء ثانيا وهي تلح على الحب المبدور فينمو ويتبادل الحيوان والنبات التنفس فياخبره الحيوان بالزفير ينفع النبات والعكس وغذاء الحيوان متوقف على السباد الذي منه ما يكون من فضلات الحيوان ، والانسان متوقف على النبات والحيوان والجيع على ضوء الشمس والهواء . هذا نظام عام . فأما الخاص فكجائب النحل والنمل وقد كتب منه كثير في هذا التفسير ، ومن نظام جسم الانسان تعاون الدائرة التنفسية مع الدائرة الدموية وهكذا بقية الدوائر الثمان المتقدمة في سورة المؤمنون . فهذه دوائر متعاونات تعد بالعشرات أوسع من دائرة (أرسطاطاليس) التي هي في سياسة الأمة وحدها وهذه في نظام العالم العام فتعجب وافرح بالحكمة . وهنا ذكر اللطيفة الثانية وفيها ذكر حكم (توت) وهو (هرمس) وأعداد المتواليات العديدة عند قدماء المصريين وذكر الياقوتات الثلاث في ترتيب الآية . وبيان أن الانسان جنين في الأرض (٣٠٠) ألف سنة وهو اليوم طفل والحقائق تظهر الآن وانتشار الاسلام في افريقيا وترقيتهم ونشره في الصين ليرجعوا له بعد احتقار الأصنام التي شرعوا في تحقيرها الآن بالعلم وبيان أن مسلمي الصين الآن علمهم قليل

١٤٣ ملخص هذا المقال أن الأمم كلها أطفال وأن رحمة الله تشمل الأمم كالأفراد وأن دين الاسلام مهد لهم ليهتدوا به ، وإن التقديم والتأخير حصلا في قوله - نزل الفرقان - وقوله - الذي له ملك السموات والأرض - فانزال القرآن بجملة فعلية وملك السموات والأرض بجملة اسمية والأولى للحدث والثانية للدوام . قدم الله ذكر نزول القرآن بجملة تقتضي الحدث وأخذ ذكر ملك السموات والأرض وهذه هي حال المسلمين الآن لم يعرفوا إلا ألفاظ القرآن كالصبي يرضع لبن أمه ولم يفقهوا ملك السموات والأرض مع أن هذا الملك ترتيبه الوجودي قبل نزول القرآن وهودائم فالمتأخرون من المسلمين كالأطفال الرضع وسيمزجون العلم بملك السموات والأرض بالقرآن ليكونوا رجالا كما يفعل الشاب بعد زمن الصبا ، وبيان أن مافعله مصطفى كمال باشا من عدم مزج العلم بالدين (طفرة) لا تؤمن عواقبها كما حصل بعد كتابة هذا الموضوع للأمير أمان الله خان الذي قلده مصطفى كمال باشا في تلك المجازفة وهذا كالأدوية المسهلة تنفع مؤقتا ولكنها تترك في الجسم داء ، وذكر أقوال الأطباء مثل (غراينشتاين) الألماني القائل ﴿ إن

الضعف ناتج من استعمال الأدوية ولو كان المستعمل لها طبييا ماهرا ﴿ ومثل الدكتور (كيسر) القائل ﴿ إن السواء والطبيب كلاهما شر من المرض في أغلب الأحوال ﴾ وهنا (٨٠) عالما قرروا أن الاقتصار على الطبيعة كالهواء والغذاء الجيد خير من الأدوية ، فهذا تمثيل لأمر السياسة فعزلها عن الدين أشبه بهذه الأدوية ولا فرق بين جسم الأمة وجسم الانسان والطبيب السياسى والطبيب لجسم الانسان . وبيان أن هذا التفسير روح بثها الله في الاسلام لترجيح الملوك والمصلحين من العناء وان كانت آثاره يتأخر زمان ظهورها ولكنها تدوم

١٤٦ وبيان أن ذلك نظير شيخ طريقة كان مجاورا لى فى طولون ، وكان يظهر بعض الكرامات الصناعية

فيها به المريدون فى الصعيد بمصر وهذه حال لاتفيد لأنها وقتية كالأدوية التى ذمها الأطباء

﴿ الياقوتة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - . نظرة المؤلف للعنكبوت اتخذت

لها بيوتا وضربت خيامها فى آلاف الأفدنة بجوار (بلدة المرج) قرب القاهرة وانها نساجة غازلة صائدة

مفترسة للذباب وهى أشبه بالأم الصانعة التى تفتك بالأمم الزارعة لأنها أرقى منها وقد عرف هذه الفكرة

السلطان سليم فانه لما فتح مصر أخذ جميع صناعاتها فبقيت البلد زراعية ليتمكن استعبادها ، وهنا بيان ما فى

جسم العنكبوت من المصنعين مصنع الغزل ومصنع السم لجلب المنفعة ودفع المضرة ، ومثلها فى ذلك

النحل لها ﴿ مصنعان ﴾ مصنع لصناعة العسل ومصنع لاحداث السم ، فاذن جميع ما فى الأرض من

مصانع الذخيرة ماهى إلا تكرار لمصانع فى الحيوانات كهذين المصنعين فى العنكبوت والنحل ، وهكذا

مصانع الغزل والنسج والسكر تكرار لذلك فى العنكبوت والنحل ، وبيان أن العنكبوت ليست من

الحشرات كالذباب والنحل فى عدد أرجلها فهى ذات ٨ أرجل والحشرات (٦) أرجل ، ومثل العنكبوت

العقرب فى عدد الأرجل وكذلك أبوشب وأكثر الحشرات غير سامة وأقلها كالنحل والزنبور سام

بخلاف العناكب والعقارب وأبوشب . هذه حكم المصانع من مغازل ومناسج وذخيرة للاهلاك ملأت

بيوتنا وحقولنا فى الأماكن التى تركها الانمان لتكون عبء لعقلاء الأمم المفكرة (شكل ٢٧) فيه

رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا (شكل ٢٨) رسم ابرة النحل مكبرة جدا (شكل ٢٩)

رسم العنكبوت وله إرتان فى طرف رأسه يلسع بهما وتحتة إبرة مكبرة والى يمينها الفدة التى تفرز السم

(الحكمة العملية) وهى ان الأمم الصانعة تستعبد الأمم غير الصانعة لأن الأولى تخلقت ببعض أخلاق الله ،

١٤٨ انظر الى الألمان الذين صنعوا حريرا من خشب القطن وخشب التوت وهو أرخص من حرير البودة وإذا

دام هذا تنقرض البودة . فى الهند يزرع نبات نيلة الصباغة فى مليون فدان فاستخرج الألمان مادة

الصباغة من الفحم فبارت تلك الأطنان . إذن هذا الانسان خلق فى الأرض ليصنع كل شئ بنفسه

فلا يتكل على حيوان ولا نبات وهذه حال أشرف للانسانية العامة ويكون الانسان أقرب الى ربه

١٤٩ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما الذباب نصمة لأنه يحيل

الطوبى الى جسمه ولكن هو نفسه ينقل العدوى لأمراض كثيرة ، لذلك خلق له العنكبوت يسلط

عليه . إن الام الوفرة الرزق ذليلة والأمم التى تعبت فى التحصيل عزيزة الجانب . فالأولى كالذباب الذى

يجد الرزق فى كل مكان والثانية كالعنكبوت الذى يحتاج الى شبكات يصطاد بها . هذا كله من معنى

- وخلق كل شئ فقدره تقديرا - . لذلك كله ضرب الله الأمثال وأنزلها فى القرآن إذ علم أن المسلمين

سينامون أمدا طويلا فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - ( بكسر اللام ) ثم

إن هذا التقدير ليس خاصا بما فوق الأرض بل يشمل ما فى البحر من السمك ومن الحيوان صاحب السفينة

فهيها سمك كهر باني (شكل ٣٠) و (٣١) يكون بالبرازيل وفيها ويقتل السمك بالكهرباء المتولدة من صفائح منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمسطر المستدة الأضلاع . فهذه جعلت لصيده في البحر كشبكة العنكبوت في البر وهكذا (شكل ٣٢) صورة - حيوان (التوتيلوس) أو صاحب السفينة بهجة العلوم المسطورة في لوح الطيف وهي (ثلاثة فصول)

١٥٥ (الفصل الأول) في خطاب الله للأمم ، وفيه بيان أن منازل بني آدم تكون ظواهرها حيطانا متينة ولكن الحيوان منه ما جعل كذلك كما صاحب السفينة وأمثاله من كل ما جعلت له صدقات تحيط بجسمه ومنه ما لا صلبة في جسمه لا داخلا ولا خارجا كالخشرات ، ومنه ما جعلت صلابته في الداخل لا في الخارج كالإنسان وذوات الأربع والطيور أي جميع الحيوانات الفقرية فهي تخالف بناء منازلنا ، صلبها داخل ولطيفها خارج كجلد الإنسان والحيوان بالنسبة للعظام

١٥٦ (الفصل الثاني) في خطاب الله للمسلمين بنفس هذه الحيوانات ، يقول هذه سنتي وهذه أفعالي فسنتي ابراز جميع الصناعات كما أريتم في جسم النحل والعنكبوت والسمك وصاحب السفينة (الفصل الثالث) في خطاب الله للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكان ، وفيه بيان أن الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وأخبروا بالغيب فرضا لا بدل ذلك على رفعة قدرهم فان التنويم المغناطيسي قد حدث بذلك صدقات تارة وكذبا أخرى ، وهل زاد الصادق من هؤلاء الشيوخ عن الهدد إذ أخبر سليمان بما لا يعلم ، فهل الهدد بهذا الاخبار صار أفضل من سليمان ؟ وهل خرق بعض العادات من غير الأنبياء إن صح - أيها المسلمون يزيد عما صنعت العنكبوت من المراكب الهوائية التي طارت بها في الجوّ ، فهل اتخذت الحيوانات البرية العنكبوت أئمة لها لما فعلت ذلك ؟ أم اتخذت حيوانات البحر السمك الطيار أئمة لها بسبب الطيران غير المعتاد عندها . أيها المسلمون والله ما دمتم جهالا فاني أرسل اليكم هؤلاء الجهال ليمسوا دماءكم هم والمستعمرون من الأمم القوية جزاء ما كنتم تجهلون ألساء مثلا القوم الجاهلون

١٥٧ ذكر ما قاله الشيخ الديبغ من أن من فتح الله عليه بسبب العبادة ونصب نفسه لقيادة الناس وجعل ذلك بابا للرزق فهو خاسر ، وبيان قول الفيلسوف (سبنسر) ان الناس قرؤا قبل أن يكتبوا فعلمنا أن نبتدي بالكلام قبل الكتابة مشاكلة لتاريخ ذلك والله خلق العالم قبل خلق الإنسان . فليدرس المسلمون الحيوان والنبات وظواهر العلوم قبل درس تشريح الإنسان . إن النبات والحيوان مخلوقان قبل الإنسان فليدرس قبل دراسة جسمه ليكون ذلك أسهل لهم جسم الإنسان فهذا صراط الله ونحن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهذا المعرف يرجع الى المنكر

١٥٨ بيان أن الطوفان والجراد والقمل والضفادع المذكورات في القرآن انها آيات مفصلات من الأمثال التي ضربها الله للناس وما يعقلها إلا العالمون . إذن هذه آيات مفصلات وآيات القرآن آيات مفصلات ولا تفصيل لآيات هذه الخشرات والحيوانات والطوفان إلا بعلم يشمل نوع الإنسان . وليس يعقل تلك الآيات إلا علماء بنص القرآن . فالعلم الجاهل يحقر الضفدعة والقملة والجرادة والدم ويقول هذه أشياء معروفة أنا أعرفها ولا يحتاج الى علم ولا فهم ولكن الله يقول كلا ثم كلا لا يعقلها إلا العلماء اختصوا بها والجاهل يعلم كل شيء والعالم يتوقف حتى يعلم . فالطوفان يهلك البلدان اذا لم يحترس الناس من غوائل الأنهار كالنيل ولم ينو القنطرة والجسور . وترى بلاد اليمن زراعية كان بها سد العرم قدما فانتفخوا به واليوم لا علم في البلاد كالتدي كان في الجاهلية أيام عمالك سبأ فأفقرت الجنتان . وهل يرجع المجد

للقوم إلا بالتبحر في علوم الهندسة وأ. هـ كالأثم حولنا اليوم ؟ وهل يعرف المسلمون ماعرفه الناس في أيامنا من أن البراغيث تستعمل الفيران كما تستعمل نحن الخيل فتركب متنها وتهجم على الناس فتقع على الأجسام حاملات جراثيم مرض البرقان والنزيف ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون وأن نفس الفيران مدصرات لما نخزنه وأن الاحتراس منها ومن البراغيث يستحيل أن يكون إلا بعد العلم بذلك الخطر ومن لم يعلم لم يعمل . هذا معنى كونها آيات مفصلات . نعم البرغوث ليس مذكورا في الآية ولا الفيران ولكن البرغوث من الحشرات كالقمل فالذكور في القرآن يراد به فتح باب البحث إذن هذه آيات مفصلات وليس يفصلها إلا العلم بها والمسلمون أكثرهم اليوم جاهلون بها . إذن على المسلمين جميعا أن يدرسوا هذه العلوم من باب فرض الكفاية وهي طاعة واجبة . وهذا زمان ظهور سر بعض اسرار القرآن . كل ذلك من قوله تعالى - وقدره تقديرا - لأن هذا من التقدير والنظام وهو لا يعرف إلا بالعلم

١٦١ ومن هذه الآيات المفصلات (الناموس) الذي يسبب مرض (الدينج) الذي يسمى بمصر (أبالركب) ويسمى (حى البلح) فلهذا المرض جراثيم لم يمكن رؤيتها لدقتها وتنتشر بالناموس والناموس يتغذى من دم الانسان ، وهنا كيفية أعراضها وكيفية منع انتشارها وطرق الوقاية منها في بلاغ الحكومة المصرية إذ أمرت أن يعدم الناموس وأن تغطي الأسرة وأن لا تترك الماء راكدا لأن الناموس يعيش فيه وليعزل المريض عن الأصحاء . كل هذا ذكرته لبيان قول الله تعالى في سورة أخرى في هذه الحيوانات وأمثالها انها آيات مفصلات فهذا نوع من تنصليها بالعلم والمسلمون اذا لم يعلموا هذا فالله لهم بالمرصاد في الدنيا بالذل وفي الآخرة بجحيم

١٦٤ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - وبيان أن هذه (سبع صفات) لا بد منها للالوهية وبيت القصيد منها قوله - ولا نشورا - لأن الإله الذي يخلق الخلق ثم لا يعيده قد فعل فعلا عبثا فالإله كامل والكامل لا يفعل العبث بخلق أرواح في الأرض ثم اهلاكا بلا فائدة تترتب عليها . وانظر إلى عدد (١٩) الذي مر في اللطيفة السابقة فقد جعله قدماء المصريين رمزا للبعث

١٦٥ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - وقالوا مال هذا الرسول - الخ - الناس لا يعظمون إلا من كثر ماله وحشمه والترف عندهم علامة الشرف فكيف يأكل الرسول الطعام الخ وهذه الفكرة الجاهلية هي هي نفسها اليوم تملك قلوب كثير من أمم الاسلام إذ يقولون لو كان ديننا حقا ما دخل الفرنجة بلادنا

١٦٦ اللطيفة الخامسة - ولكن متعنتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - يقول المعبودون جوابا على سؤال الله لهم عن العابدين ان هؤلاء تنعموا فاتبعوا أهواءهم فهلكوا ، وعليه يكون الأنبياء المذكورون في الآيات لو أنهم لم يعيشوا في الأسواق وكانت لهم كنوز يأكلون منها لكانوا منعمين والمنعم ضال غالبا . إذن التمتع ليس نتيجة النبوة بل نتيجة الضلال ، فالأنبياء إذن ليس من شرط نبوتهم الغنى . إن الملائكة والأرواح العالية لا تكلم إلا نفوسا ترفعت عن المادّة ، فأما الشهوانية فقد احتال الناس في زماننا على محادثة منها أرواح بالمادّة وبالفضجال وغيرها مما هو مشروح في كتابي ﴿ الأرواح ﴾ وأكثر الأرواح التي يكلمها الناس بالصناعات المتقدمة أرواح كاذبة ساقطة تصدق وتكذب

﴿ اللطيفة السادسة والسابعة ﴾ النعمة معها نقمة والمضار فيها منافع . ان في أجسامنا الحيوانات البيضاء تساعد الجراء في الدم ومحارب الذرات لتفتك بأجسامنا وفي أثناء القتال نحصل الحرارة فنسميها حي والتلقيح المعتاد يراد به ادخال حيوانات مهلكة تمرث الكرات البيضاء على الحرب فتكون ذريتها معدة لاهلاك حيوان كل طاعون أو مرض مهلك في الجسم . هذا كله سرّ قوله تعالى - وجعلنا بعضكم

لبعض فتنة - ومن هذا منافع الأعداء ومنه قول الشاعر \* عدائي لهم فضل على ومنه \*  
 ١٦٩ ﴿ اللطيفة الثامنة ﴾ - وقد منا الى ماعملوا من عمل - الخ نيات الانسان وآراؤه اذا تركت مبعثرة كانت  
 أشبه بذرات الضوء في طبقات الجو لا ظهور لها ولكنها تجتمع على وجه الأرض فيظهر ضوءها هكذا  
 الأفكار إن لم تجمع في نقطة في العقل ذهبت شعاعا بلا فائدة  
 جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا - الخ سؤال طالب من دار العلوم يقول كيف  
 تتصور وجود الله وعقولنا لا نعقل كيف كان هذا الوجود ، ثم كيف يعذبنا وهو المقتدر لكل شئ فأجابه  
 المؤلف على السؤال الأول

(١) بأن المثلث والمربع وقضايا الحسابوغ-يره ثابتة في نفسها كالأعداد مثلا ، فهذه القضايا الثابتة  
 بنفسها تقرب لنا وجود الله بدون خالق وأيضامانا ولهذا أرضنا صغيرة فهي صغيرة بالنسبة للعوالم كلها بحيث  
 اذا كانت الأرض جوهرافردا كانت العوالم على نسبتها ألف مليون أرض فكيف نطمع أن نعقل خالق العالم  
 (٢) وأيضا نحن لانعرف العدم ، فالميت أجزاءه باقية بعده وكانت موجودة قبله بل المادة قيل اليوم  
 انها تتعدم وترجع الى أثر ولكن الأثر موجود . إذن لاعدم والوجود هو الأصل . إذن وجود الله  
 أصل لا يحتاج الى تعليل وليس فيه غرابة أى فلانقول من خلق الله ، والاجابة على مسألة القدر وهي  
 الثانية بأن ندرس أجسامنا والعوالم كلها لنعرف الرجة ، فلننظر طبقات العين مثلا وقد أعدت لتنظر  
 الأنوار الآتية الينا بعد سيرها (١٠٠) ألف ألف سنة ، فالرجة لاحد لها قد مكنت العين من رؤية  
 أجرام بعيدة جدا ، ومن الرجة اذلال العناصر للانسان بحيث أمكنه بالكهرباء أن يوسع درجات الحرارة  
 بحيث صارت (١٤) ألف درجة فوق الصفر و(٤٤٩) درجة تحت الصفر بسبب الفرن الكهربائي  
 فتصرف في المادة وحول الهواء (الاوزوت الذي فيه) مع الاودروجين الى نوسادر وهذا دخل في سداد  
 الزرع وفي الأعمال الحريية ، فنحن في يد الله يصرفنا تصرفنا للعناصر بالحرارة وهذا جعل لرقينا  
 فكل ألم انما هو لمنفعتنا ، وأيضا السنة أمرت بترك الكلام في القضاء والقدر . ومن أراد الكلام  
 فليفكر في أن لكل امرئ جنة ونارا في نفسه فالخوف من التعبير بالتأخر عن نظرائه وهكذا لحوق  
 العار بنحو الفسوق . كل هذا يعذب به الانسان ولا يفيد ان يقول هو قضاء وقدر ، فالتناس يحسون  
 بالآلام الضمير وقد انطبق عليهم قوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة \* ولو ألقى معاذيره -  
 وهكذا نرى المجتدين منشرحي الصدور بنجاحهم في النهاية . فلكل امرئ عذاب ونعيم لاحقان به في  
 الحياة الدنيا ولكن هذا يصير مجسما بعد الموت . ومن ذلك الخياط (شوارد) الانجليزى الذى قتل  
 زوجته ثم قدم نفسه للحكمة فقتلوه وذلك لشدة ضغط ضميره عليه . إذن لم يكتف ضميره بالقضاء  
 والقدر . إذن العذاب يكون في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامة وذلك ظاهر في جميع قصص القرآن وفي  
 حديث قليب بدر ومناداة النبي ﷺ للقتلى في القليب . ثم بيان أن عذاب الخزى هو أشد أنواع العذاب  
 ١٧٥ بيان ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح وضرب مثل لذلك أولا . ذلك اننا في الأرض اتخذنا  
 من الجبال حجارة فبنيناها ووضعنا معها ما يناسبها . واتخذنا ما في باطن الجبال وقرار البحار من الأحجار  
 الكريمة والجواهر جعلناها زينة للحسان ونحوهن ونرى رجال السياسة بناء الامم يكتفون من الشعوب  
 بظواهر التآلف ومثلهم رجال الدين . أما الحكماء فيقولون . كلا . فالعقول الصافية العالمة هي المقصودة  
 في عوالم الجنة وهي أشبه بالجواهر تتحل بها الحسان والله لا يصطفى عنده إلا هؤلاء المخلصين فهم كالجواهر  
 أما الباقون فهم كحجر البناء وحجر البناء لا يصلح للزينة لعدم المناسبة وهذا معنى الحديث « انا أحكم

بالظهور والله يتولى السرار ، وهذا هو المثل الذي ضربناه . ويقول الاستاذ (سمانويل) الذي نظم ذكره في التفسير وهو من علماء الأرواح ﴿ إن الذين قرؤا العلوم وأمتزجت بنفوسهم وأحبوها هم الذين ترتفع منازلهم بعد الموت ، أما العلوم التي حفظت بدون تغلفها في النفس فلا ترقى الروح بعد الموت فاعلم بهذه الدنيا ونظامها على هذا الشرط يجعل النفس مع الأرواح العالية ﴾ ويقول المؤلف ﴿ إن آراء هذا العالم الروحاني تشابه آراء الفزالي في كتاب الإحياء ﴾ ثم نبين أن آيات القرآن تساعد على ذلك ، ألم تر أنه يقول تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الخ فلماذا جعل رزقنا من السماء بالمطر مثلاً وأخبرنا به وجعل لنا عيوناً بخلاف حشرة (الأرض) التي لا تحتاج إلى ماء المطر وهي هباء ، ماذا إلا يذكرنا بأن ندرس هذا الوجود ، وأيضاً هو أوقف حياة الفرد على حياة المجموع لتتعارف وتحد ونستخرج منافع الأرض معا . وبيان أن أخلاق الإنسان وأعماله يراها المفتشون من الملائكة مسطرة على سماحه وجسده كله ويقذف في النار بعد الموت أوفى الجنة أوفى مدة إلى أن تظهر خبياته ثم يرسل إلى جنة أو نار وهذا كله يوافق الآيات القرآنية . الكلام على المقال الذي ألقته لذلك الطالب بعد ذلك في وجود الله فيما لما سبق ، وأن هذه العوالم ترجع إلى ذرات ضوئية كهربائية وما هي إلا حركات ناشئة من عالم لا ندركه والعالم الذي لا ندركه وراءه موجود حقيقي هو الأصل عرفناه بوجود نفوسنا التي لانراها وإذا كان الوجود المجاري أو الظاهري الذي سميناه مادة رأينا لا ينعدم إذ المادة ترجع إلى الأثير الخفيف فكيف إذن يكون الموجود الحقيقي الذي هو الأصل . إذن الوجود هو الأصل لا العدم وعلى هذا لا يرد السؤال بقولنا من الذي خلق الله الذي ينشأ على أن الأصل هو العدم . وبيان عجز المؤلف وعجز العلماء قبله عن ادراك حقيقة عالم الأثير كما عجزوا عن ادراك ذات الله والاكتفاء بضرب مثل لله في خلقنا وذلك بعالم الخيال عندنا فنسب ضعف خيالنا إلى عظمة هذا العالم المشاهد كنسبة ضعف نفوسنا إلى عظمة خالق العالم وخيالنا لابقاء له إلا بنفوسنا وإذا غفلنا عنه لحظة عدم هذا الخيال هكذا هذا العالم لو أغفله الله لحظة عدم فلا وجود له ، وهذا يفهمنا - لا تأخذه سنة ولا نوم - ويفهمنا - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - وعليه حاجة في خالق العالم إلى مادة سابقة ولا مثال ولا في عدمه إلى شيء غير الإرادة وبه نفهم معنى - كن فيكون - وهذا أصل عجيب فتح أبواباً كانت مغلقة على أكثر نوع الإنسان والعلم الحديث هو الذي سهل فهمه لأنه أرانا أن المادة حركات لا غير فهي معدومة ، ثم بيان أن هذا المقال سيتم في آخر سورة النمل وهناك نذكر موازنات بين علماء اليونان وتفصيل العلوم المعروفة في القرون الوسطى التي استمدت منها علوم الأمم الحاضرة

١٨٢

﴿ اللطيفة التاسعة ﴾ في قوله تعالى - ويوم تشقق السماء بالغمام - وبيان الكشف الحديث أن ستين ألف كوكب ظهرت الآن وانها في حال التكوين كأنها غمام وأن الشمس وأمثالها سترجع إلى تلك الحال بعد خراب هذا العالم

﴿ اللطيفة العاشرة ﴾ - ويوم يعض الظالم على يديه - وفيها ذكر أنواع الصداقة وانها ﴿ أربعة أقسام ﴾ تأتي سريعاً وتذهب سريعاً أو بالعكس الخ . ضعف السياسة في الأمم الإسلامية اليوم . وبيان أن الأمم الأوروبية قد نغت في صناعة السلاح وصناعة الخيل والميكرو حتى انهم يرسلون للأمير ولقائد الجيش في أم الاسلام رسولين وكل منهما يحرك صاحبه إلى مناوأة الآخر وهناك تكون لهم هم الفائدة المرجوة وهذا يناسب الآية - ويوم يعض الظالم على يديه - الخ

١٨٤

﴿ اللطيفة الحادية عشرة ﴾ - وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً - وبيان أن

الإنسان جهلوا الحكمة في أن أول سورة نزلت جاء فيها الأمر بالقراءة ووصف الله بأنه كريم خلقة  
الإنسان وأكرم لأنه علمه بالقلم فرضوا بالاغتراف من نعمة الكرم ولكنهم لم يرضوا بقبول نعمة الأكرم  
التي هي نعمة العلم فحاق العذاب بنا في الدنيا قبل الآخرة

١٨٦ القرآن وتقصير المسلمين ، وكيف نسوا سرّ تقديم كون - الحمد لله - على كونه - رب العالمين - كما قدم  
- اقرأ باسم ربك - الخ على ذكر الصلاة . إذن العلم أفضل من العبادة ولكن المسلمون اكتفوا بالعبادة  
ونسوا العلم . إذن هناك اتفاق بين الفاتحة وبين سورة العلق

١٨٧ القرآن كالبحر الملح ، أخذنا منه علم الفقه الذي يشبه السمك في البحر وتركنا الجواهر والمرجان فأخذتها  
أم غيرنا وهي علوم هذه الكائنات

(الطليقة الثانية عشرة) - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ وفيها أن النبات رأسه أسفل  
والإنسان بعكسه والحيوان وسط بينهما ، فالإنسان نبات مقلوب ، وعلى قدر انفصال الرأس من الأرض  
يكون حظها من العقل فادراك النبات أضعف وبليه الحيوان فالإنسان . إذن النفوس المنحطة تحشر  
على وجوهها لعدم تعقلها - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل - الخ فعلى مقدار الجد في العلم والعمل وارتقاء  
الفرائض تكون السعادة والكمال

١٨٨ جوهرة في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ وشرح معنى المثل وأمثال (كيلة ودمنة) وقصص  
(ألف ليلة وليلة) وأمثال اليهود وأهل بابل والهند وقدماء المصريين وهكذا وأن الأمثال إنما ألهمها الله  
لعباده لأن فهم المعاني منها أبقى لها عند النفوس الإنسانية لأنها لا تعظم إلا ما تعبت في تحصيله كما لم ترغب  
في جبال النجوم وبهجة الأشجار كرجبتها في المساء والجواهر لأنها عزيزة عندها لتباعد عنها وغلو  
نمناها ، هكذا الأمثال فهي تحتاج إلى أعمال الفكر . ونظير ذلك ما شاهدته المؤلف في دار الآثار العربية  
من سجادة غالية الثمن واثاء من عقيق أثمانيهما مرتفعة جدا وهكذا قيص ابن هرون الرشيد . فهذه  
كلها لتدبرتها جذبت قلوب الناس لمشاهدتها ولو كانت مبدولة لتركوها

١٩١ وههنا أن أذكر قصة العابد المفتون وهي الرواية الهندية . ذلك أن العابد (كنسو) حسده ملائكة  
السماء (في زعمهم) فأرسلوا له (رامنوتشا) وهي حورية من الجنة فأضلته بجملها وأنسته العبادة أياما  
كثيرة ففرح بذلك حساده من الملائكة ولما استيقظ لنفسه عرف المكيدة . فهذا مثل لعقبة الإنسان  
عند تلك الأمم . وتليها قصة (نال ودامان) الهندية من كتاب (مهابهارته) كتاب هندي . وذلك أن  
(نال) ملك مملكة (نيشواو) الهندية أخبرته (أوزة) لما اصطادها بجمل الفتاة الفتانة (دامان) ففتن بها  
وأخبرت الأوزة لما أطلقها (دامان) بحب (نال) فهامت (دامان) به فأخبرت أباه (فيهم) ملك مملكة  
(فيلسونه) وأنهى الأمر بزواجه لها . ثم إن إله الشر (في زعمهم) أوحى إلى (بوسكار) الذي هو أخو  
(نال) أن يلعبه الميسر وهو بشره يساعده عليه ففسر (نال) كل مملكته وعاش هو وزوجته في الذل  
والفقير ثم رجع معها إلى مملكة أبيها وأخذ جيشا وقصد أخاه فسلم له بلا حرب ولا ضرب فأصدر (نال)  
أمرا بتحرير لعب الهند على مال لأنه مضيع للال . وبلى ذلك قصة هاروت وماروت التي ضربتها الأمم  
السافكة مثلا لضلال الإنسان بالشهوات فيسقط من عزه إلى أسفل سافلين . وبيان أن تلك الخرافات  
المنقولة عن بني إسرائيل جاء في حديث (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) جوازها باعتبار أنها  
ضرب أمثال لا حقائق ولكن حقائقها لا قيمة لها وديننا لا يبيع إنشاء روايات ، على هذا النمط لأن الأمثال  
لا يخلطها إلا الملائكة بها والقرآن نزل لأمة أمية فهو للجاهل والعالم فذلك منع العلماء مثل هذا لأنه يؤهم

أنه حقيقة . وهذه الروايات نقلها المفسرون باعتبار أنها أمثال وإلا لم يجز فالاغتراف عليهم في ذلك لاجل له بعد ورود الحديث المتقدم . ولقد اعتنى أهل أوروبا بالروايات ورواها بها أهمهم كرواية (وردة) عن قدماء المصريين باللغة الألمانية فقد رقت الشعب والله مدح الحكمة من أي قائل كان . الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون . طعامه يكون دما وبقيته فضلة غليظة وهذه ترجع فتصير زراعا فلما . فهذه كتليد سقط في سنته فأعيد ثانيا وهكذا . وهذا السم يمتد الجسم ويكون منه ولد لحفظ النوع كما يفعل النهر من سقى الأرض وإيجاد أرض جديدة في البحر . الذكورة والانوثة ليست شرطا في النسل فان المحار لا يحتاج الى ذلك . إذن الذكورة والانوثة سلم جعلت لارتقاء العقول بالعلوم والأخلاق والصبر والنسك وما أشبه ذلك (وبعبارة أخرى) انها تمرين على الفضائل وعلى حب الله والملا الأعلى لأن الحب (ثلاث درجات) حب الذكر والأنثى وحب العلم وحب الله وكل حب مقدمة لما بعده . والناس لما عشقوا وكرهوا وتقاتلوا أنزلوا الله في منزلهم فاخترعوا آلهة يحاربون ويعشقون وجعلوا الله على حسب عقولهم فجاء القرآن وقال . كلا . الله لا كفؤ له حتى يحاربه ولا ولد له ولا زوجة

١٩٦ ومن أمثال القدماء نصائح (بتاح حتب) وقصة (البحرى الغريق) عند المصريين الذى ركب سفينة وكسرت وغرقت السفينة فلجأ الى جزيرة وقابلته حية وأكرمته ورجع الى بلده . ومثلها السندباد البحرى وقصة حى بن يقظان ورو بنسون كروزو وألف ليلة وليلة وقوانين (جوراني) سنة ٢١٠٠ ق م (اللطيفة الرابعة عشرة) - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - الخ . الناس قد حسبوا السنين والشهور والأفلاك والكواكب والكهرباء والبخار والماء وكالوا كل مكيل ووزنوا كل موزون حتى الكهرباء والضوء وكل شئ ولكنهم الى الآن جهلوا أمر نفوسهم فلوانهم حفظوا قواها ووزنوها لنفعتهم كما انتفعوا بحفظ الضوء ووزنه والكهرباء وهكذا

١٩٨ الانسان اليوم أكثره في جهالة (انظر هذا في كتابي أين الانسان)  
١٩٩ (المقصد الثاني) - ألم ترالى ربك - الى - وأرأاد شكورا - قد كتب بالحرف الكبير مشكلا  
٢٠٠ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً -

٢٠٣ هنا (أربع لطائف) اللطيفة الأولى) - ألم ترالى ربك كيف مدّ الظل - وتقسيم الأجسام الى معتمة وشفاقة ومضيئة كالأرض والهواء والشمس ومعنى الظلام والظل مما سببهما وأن الظل والظلام في العالم يقلان جدا وأن السكسوف والخسوف بسبب الظل القمرى والأرضى

٢٠٤ (اللطيفة الثانية) - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ويان أن الماء تظهر فيه الأجرام الفلكية وليس يفنى اذا امتصه النبات أو شربه الحيوان بل هو باق ويرجع ثانيا وهكذا والنفوس الانسانية أولى بالطهارة والصفاء حتى تقبل رسوم العقول للطاقات وأحقّ بالبقاء لشدة لطافتها وصفائها . ثم ان الماء كثير التصرف فهو في الأقطار الاستوائية تظهر فيه شهب وذوات أذنان وأقواس قزح وفي القطبين تظهر فيه عجائب وألوان وبدائع تقدم ذكرها وهكذا القرآن قد صرفه الله تصريف الماء من تفلن في الحكم والمواعظ والأخبار الخ . هكذا الانسان فهو يتخيل ويفكر ويحفظ وينظر ويسمع ويمضغ ويهضم ويطحس السم وهكذا وكل عمل من هذه بعضو خاص . فالنفس واحدة ولكن بالتصرف فيها كثرت أعمالها . هذه هي النفس وهذا هو القرآن وهذا هو الماء المذكورات في هذه الآيات .

٢٠٧ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ وبان

الحكمة في اختيار عدد (٦) مع ان العالم خلق في ملايين السنين فأى عدد ينطبق عليه . وبيان أن العدد (ثمان) زوج وفرد والأفراد إما أولية واما مركبة من ضرب أعداد فردية مثل (٥) ومثل (١٥) والأزواج كلها من ضرب عدد (٢) في كل عدد بعده مثل (٣) و (٤) و (٥) و (٦) وهكذا ثم العدد إما زائد واما ناقص واما كامل فالزائد مثل (١٢) لأن مضاربه تزيد عليه والناقص مثل (٨) لأن مضاربه تنقص عنه والكامل مثل (٦) ومثل (٢٨) لأن مضاربهما تساويهما . وبيان الجدول الذى استخرجه العلماء وفيه ظهر ان (٣٣٣) مليوناً ليس فيها إلا سبعة أعداد فقط كواكمل والبقية إما زائدة أو ناقصة ، فاذن عدد (٦) اختير للإشارة الى أن العالم وضع على أكمل نظام لأن الكمال قليل في العدد

٢٠٩ أقسم الله بالعدد وهو الشفع والوتر وبالشمس والقمر الخ ولم نره أقسم بغسل الميت وتكفينه ولا بالحوض والبيوع والذى أقسم به الله شريف . إذن فلماذا لا يبحث المسلمون عنه وينصرفون الى غيره وهذا عجب فقد ألفوا في غسل الميت وتكفينه وأوسعوا . أما هذا فلا حكاية الشعبي لما أوفده عبد الملك بن مروان الى ملك الروم وسؤال الملك له عن نعيم الجنة كيف لا ينفد وعن الله كيف لا يكون قبله شئ وهكذا

رؤيا منامية للمؤلف إذ رأى أقواماً يسألونه في عدد (١) زيد عليه (٢) ثم (٢) وهكذا وهو لا يزال واحداً واجابة المؤلف في النوم بأن العدد الذى لانهاية له ليس له اسم فهو عدد واحد بخلاف غيره كالمائة والألف وبيان أن الشيخ حسن الطويل قال ان هذا الجواب تقريبى ثم تبيان أن علم ما وراء الطبيعة يفيد أن هذا الجواب في المنام صحيح لأن الوحدة مساوقة للوجود فكل موجود كثيراً أو قليلاً يقال له واحد . وبيان أن المؤلف قبيل تفسير هذه الآية كانت تخطر له خواطر في الأعداد الأولية والفردية والزوجية وانه لما وصل الى تفسيرها عرف أن المقصود هو المبحث العددي في قوله - ستة أيام -

٢١١ ﴿ الجوهرة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ . وبيان قول الله تعالى - يا حسرة على العباد - وذلك لاعراضهم عن آياته واستهزائهم بها مثل ما هنا من آيات البحار كالمرجان واللؤلؤ وهكذا

٢١٢ تعجب المؤلف من أمة الاسلام كيف يقوم (اللورد أفبرى) الانجليزى فيصف جبال الله في هذه الطبيعة والمسلمون نائمون فأين حب الله إذن ؟ وذكر الشعر الذى في كتاب اللورد المذكور خطاباً للبحر مثل \* إن في صدرك الرحيب رجالاً \* الحيوانات في البحار مثل الكاشولات ومثل الرور كال

ويبلغ طول هذا (١٢٠) قدماً وذكر قريص البحر الذى يغطى اميالا من سطح البحر الحشرات وبعض ذوات الثدي ثم الحيتان العظيمة . وطائر صوته كصوت الجار . وبيان أن جبال البرّ قاصر على السطح . أما جبال البحر فهو في سطح الماء وفي وسطه وفي القاع وهناك سمك يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة وضوء الشمس لا يصل لأبعد من (٢٠٠) قامة

٢١٤ ومن السرطان ما يعيش قرب سطح الماء فتكون له عيون فاذا عاش في عمق (١٠٠) قامة الى (٧٠٠) قامة فقد العيون . وكلما كان السمك أبعد عمقا كان أجل لونه وذلك اللون والنور يكون تحت سلطانه فاذا رأى فريسة أضاء بنوره ليراهها أو عدواً مفاجئاً أطفأ نوره وقديراً قد مصباحه ليرسل الضوء الى عدوه فيكاد سنا نوره يذهب ببصره فيفر منه فهو يفعل فعل الظربان باطلاق رائحته على عدوه . وعفريت البحر له خيوط تضرب الى الحرة يستعملها حبال للصيد فتقوم مقام نسيج العنكبوت في البرّ فما عليه

إلا أن يطلقها في الماء فتفتقر بها السمكات المسكينات فتتلفها حشائش فتقترب منها فيقتنص تلك الغفريت عليها فيقتنصها ، هذا إذا كان الغفريت قريبا من السطح ، فلما في الانحساق كان تلك الغفريت تكون لماعة وبهذه الصفة تفتقر السمكات

النباتات البحرية لا تعيش على أعماق من مائة قامة وقعر المحيط الاطلاقى يصل من (٤٠٠) إلى (٢٠٠٠) قامة وهو مؤلف من مادة طباشيرية وأصغرها أصداق مهشمة وتحتها الصلصال والطين المائل الى الحرة ثم البركانية . كرتنا يسقط عليها كل عام مائة ألف ألف شهاب . أقصى عمق البحار يشابه أعلى الجبال والبحر عمقه (٣٩٠٠) قامة ولم يصلوا للعمق الحقيقي وبعض البحار وصل عمقها (٥٢٧٠) قامة الجزائر (ثلاثة أقسام) قسم يفصله عن البر قليل من الماء بجزيرة سيلان ، وقسم هو جزائر بركانية وقسم هو جزائر مرجانية ، وهذه الأخيرة كثيرة جدا وأكثرها في المحيط الباسفيكي والهندي وهي تكون إما مستديرة بشكل الخاتم أو الحلقة وقد يكون في وسطها حوض ضارب مائو الى الصفرة والخضرة معا بخلاف الماء المحيط به فهو مائل الى السواد لفرط العمق . والسواحل رملية بيضاء غالبا وعليها نخيل (الشكولاته) وهناك جزائر (١٠٠٠٠٠) جزيرة وجزائر ألف جزيرة

٢١٥ رسم المرجان بهية شجر ورسمه بصورة أخرى شكلا ٣٣ و ٣٤

٢١٦ ثم شكل ٣٥ فيه ثغور بسامة وما هي إلا تلك الحيوانات المرجانية . ثم (شكل ٣٦) وهو رسم جزيرة بركانية حلقيه . ورسم ٣٧ جزء من جزيرة بركانية . ورسم (٣٨) جزيرة مرجانية

٢١٧ يزعم بنو آدم انهم أحسن عملا من كل حيوان وقاتهم ان المرجان يصنع جزائر تعد بالآلاف سكن فيها الحيوان وعاش فيها النبات وهم لم يقدروا . البحر المالح وحكمة ما فيه من ذلك الملح التي لولاها لأنان مائو بما فيه من الرم وجثث الحيوانات المائية . ولقد جعل الله من هذا الماء المالح ماء عذبا استخرجه شعاع الشمس فعلا في الجفوف وحلا ثم نزل فصار أنهارا وجرى تحت الأرض ينابيع بعضها يكون تحت الماء الملح ويفصله طبقة من القاع . وهكذا تجد ما يشبه ذلك وهو أن الهواء تكون فيه أصوات الناس والحيوان والنبات ولا اختلاط لها كما لا اختلاط للروائح الساريات في الهواء ولا لصور الأشباح الساريات في الجوف بمعونة ضوء الشمس . وليس يلتقطها إلا آلة التصوير بعدسيتها فترسم على اللوحة وراها في خزائنها المظلمة عند المصور الشمسي فهذا كله يشبه قوله تعالى - وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا -

٢١٨ لطيفة في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - وقوله - ولقد صرفناه بينهم - وقوله - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والكلام على منظر رآه المؤلف من نور الشمس المشرق على سحاب عمت من الغرب الى الشرق وقت الغروب كأنه جبال بينها يشبه الأودية الزرقاء (١٥) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ والناس لا يحفلون بهذا المنظر . هكذا الحيوان فكأن تلك المناظر جنود ممتلئة لك عظيم الشأن وقد حيل بين الناس وبين أمثال هذا الجبال وما مناظر الليل والنهار إلا صور متحركة تمثل الجبال بأنواع من الحركات والجمهور همى عن هذه المناظر الجميلة فلذلك عوضهم الله عن هذا الجبال التي حرموا من منظره وهو أملهم بالأعياد والمواسم التي يفرحون بها قريبا من عقولهم . أما أولوا الألباب فنأظر هذه الدنيا هي الأعياد المائعة لهم قريبا من ربههم ومعرفتهم بجمال صنعه . يرون الشمس تسكو الأرض جلبابا ذهيبا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب يبرقع الخضراء والبرقاء وصفراء أوجراء وهذا في الزهر . ونرى أمواج البحر في خط الاستواء تنبعث منها هيئة قوس قزح والبرق اللامعات والمثلج والزرجد الأخضر واللازورد فلذا غربت الشمس تبثت تلك الحسنات في جوف

السماء بإسماة الثغور ويسدل الستار على الأرض وما عليها من جبل وزرع وبحر وتجه العيون الى تلك المناظر البهجة والنجوم الساحرة الطرف البديعة والنقوش الغريبة والعرائس السافرات الضاحكات المستبشرات . فهذه روايات يمثلها الليل والنهار وأكثر الناس عنها محجوبون لهذا عوَّضهم الله بأعيادهم كما قدمنا وبالصور المتحركة التي اخترعها الناس في عصرنا لقصور عقولهم

٢٢٠ هذه صور السماء التي يراها الحكماء فاذا رجعوا الى أنفسهم وجدوها أبدع من تلك المناظر السماوية والأرضية فاذا رأوا ابداع النقوش الأرضية والمناظر السحرية السماوية فانهم يرون ما هو ابداع في أجسامهم من أنواع الحواس التي قسمت هذه المناظر المذكورات عليها ليلا ونهارا ومن الأعضاء المختلفة في ظاهر الجسم وباطنه . ومن تلك الخلايا المتكاثرة التي كانت خلية واحدة فانقسمت اثنتين فأربعا الخ وهكذا حتى صارت جماعات متجاورات مقسمات الى أقسام كل قسم له عمل خاص وبهذه الأعمال المختلفة يتم نظام مجموع الجسم الانساني ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ اننى أنا قد وجدت في جسمى أمما من الأحياء تعد بالآلاف المؤلفة وكلها مدحجات بالسلاح وهي الكرات البيضاء التي تحارب الجنود الهاجة على جسمى لتهلكه ثم ان جنودى أنا تنقض على تلك الهاجة فتهلكها وتزداد بذلك قوة ومتى حصل في جسمى جرح بدخول الأجانب أسرع جنودى فتراكمت فيه لاهلاكهم فيكون هناك الورم فهذا الورم ما هو إلا القلعة الحصينة التي تحصنت فيها جنودى فأكلت الأعداء وجنداتهم كما أكلت تلك الخلايا الفاسدة التي أفسدت تلك الجنود المحاربة . أفليست هذه المناظر عجيبة ليس يعقلها الانسان لولا أنها أصبحت منظورة رأى العين . أفليست تلك الروايات المشخصات في جسمى أعجب من الروايات المشخصات بالليل والنهار بواسطة غروب الشمس وشروقها والليل والنهار . هكذا جسمك وأجسام جميع الناس والحيوان

٢٢١ منظر الخلية في ثانية واحدة اذ تطورت سبع مناظر (شكل ٣٩)

٢٢٢ وهذه الخلية التي تعيش في البرك مشابهة للخلية التي تعيش في دمنا وكلاهما لها حياة مستقلة . لجميع جنود أجسامنا مستقلة أفرادها استقلال هذه الخلية في البرك وهي أب كل كائن حتى وقد وجدوها أنواعا شتى وهذه الخلية أو (البروتوبلاسم) متى صادفت ذرّة من النبات أكلتها وهضمتها فلا فرق بينها وبين الحيوان المعروف أكلها وهضمها وحركة وهكذا . ثم إن الكرات البيضاء المشابهة لهذه العائشة في أجسامنا كانت معروفة قبل أيام (باستور) فلما ظهر هو كشف لنا (عالم المكروب) وما هو إلا كرات مثل هذه تكون أسباب الحمى والجدرى وغيرها ومنها ينشأ الورم الخ (شكل ٤٠) صورة ظهرت فيها الكرات البيضاء في أجسامنا وهي تتغذى بمكروب (الدفترى) ومكروب (الستر بتوكوك) ومكروب الحمى الراجعة ومكروب (الكولي باسيل) ومكروب (الانتراكس)

٢٢٣ جوهره في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - وأن المصلى في ركوعه وسجوده إذ يقول ﴿ خشع لك سمى وبصرى ﴾ واذا يقول ﴿ سجد وجهى للذى خلقه وصوّره ﴾ انتقل من الحق الى الخلق إذ يسبح أولا ثم يفصل أعضاءه المشتملة على هذه الجماعات من الحويصلات والجماعات من الجنود الحاميات لها . فأما الفيلسوف فانه ينتقل من الخلق الى الحق

٢٢٤ يذكر الراى جماعات الحواس وهكذا الساجد ثم جماعات الأعضاء المتضامنة ويمائل الأولين جماعات الحكام فى الأم وتمثل الأخرى جماعات الأم المحكومة . الكلام على حياة الخلية الواحدة وعلى الوجود التضامنى وعلى أساس الحياة ؟ من أين تولد الخلية . الجسم والروح من كلام السير (أوليفر لودج) وأن كل روح أوتيت قوة إلهية بها كان جسمها انسانا أو قردا الى آخره وهذا عجب

٢٢٥ ان ماذكره اللورد (أوليفر لودج) من حيث تصرف الروح في الجسم وانها لم تصرف فيه إلا بحكمة فلم تضع صورة حيوان موضع صورة الانسان مثلاً سير من الخلق الى الحق والمصل في سجوده وركوعه إذ يذكر نعمة السمع والبصر بعد التسبيح يرجع من الحق الى الخلق وما فعله اللورد (أفبري) هو ما فعله حكماء اليونان فان (تاليس) اليوناني و (أنكسيمانيس) و (ديموقراطيس) والسوفسطائية (وفيثاغورس) و (أبيلوقلس) و (أنكساغورس) و (سقراط) و (أفلاطون) و (أرسطو) ساروا في مباحثهم هكذا أصل العالم (الماء . الهواء . الجزء الذي لا يتجزأ . ليس هناك حقيقة ولا علم . أصل العالم العدد . أصل العالم المحبة والعداوة . للعالم إله ولكنه حركة وتركه . للعالم إله وهو القائم بصغره وكبيره وهو منظمه) فهذه آراؤهم على الترتيب من أدنى الى أعلى والرأى الأخير اشترك فيه الثلاثة المتأخرون ، وهذه الآراء لم يخرج عن واحد منها ملحد ولا موحد في أوروبا والشرق الآن والمصل في الفاتحة والتشهد سار على عكس سير الفلاسفة

٢٢٨ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وشعر المعري \* كأن سهيلاً الخ \* وشعره أيضاً \* سقتها الرياح الخ \* خطاب الله للنجوم الجيلات وتسمية الأم لها بأسماء تناسب عقولهم مثل أهل الهند والصين والعرب وأهل اسكندريتا والاسكيو ، والكلام على غرام قلماء المصريين بجمال النجوم حتى جعلوا الهرم بناء على مقتضى كوكب الشعرى ، وانهم لتعظيمهم لله ظنوا أن الرقص حول الهياكل كسير الكواكب حول الشمس وأن رقصهم لم يكن للخلاعة واللاهو بل كان تدبينا وهم يكتمونونه عن غيرهم وفيه احتفالهم بعيد العبودة (ديان) بمدينة بويست ، ومقال بطريق الاستطراد في الرقص عندهم في أفراحهم وأعيادهم ، وأن الترد عند لاعبيه جاء على مقتضى الكواكب السبعة المعروفة عند الأمم قديماً وهي الرموز لها بالنقط السبعة في الوجهين المتقابلين لمجرى الترد المسمين بالزهر

٢٣٢ آراء (أديسن) في جسم الانسان وانه مركب من خلايا تعقل وتدبر أكثر من الانسان وأن الحياة أتت من عالم غير عالمنا وأن والده ستم الحياة لا لمرض ثم مات بعد ثلاثة أيام

٢٣٣ (بهجة السموات) كيف تعرف صور النجوم السماوية . وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة . الاحصائيات . الكرات السماوية . كيف تصنع الكرات والخرط السماوية بحيث تجعل نجمة القطب مبدأ وترسم دائرة المعدل والدوائر الموازية لها ثم دوائر تدل على دوائر الميل . عد بطليموس (٤٨) صورة ٢١ في الشمال و (١٥) في الجنوب و (١٢) في الوسط

الكلام على النجوم المنظورة وعدد ما يرى بالعين وانه (٤١٠٠) وقد وصل العدد الى (٩٠٠٠) نجمة وبالنظارات نيف و (٢٠) مليون نجمة . وبيان أن أضواء النجوم (٢٠) نجمة . وبيان أقدارها الست بالعين والخمسة عشر بالنظارات (شكل ٤١) اللب الأكبر واللب الأصغر وذات الكرسي

٢٣٦ (شكل ٤٢) مربع الفرس الأعظم . المرأة المسلسلة . برشاوش الغول (شكل ٤٣) الشعرى الشامية القلب . الشجاع . السماك الأعزل . السماك الراجح . العواء . أم الشعور . قلب الأسد . رأس التوأم الخ (شكل ٤٤) (الحمل . الثور . الجوزاء . الجبار . رجل الجبار . العاصا) وهكذا (شكل ٤٥) الكلب الأصفر الخ

٢٣٨ (شكل ٤٦) السماك الراجح . العواء . الاكليل الشمالي . هذا هو الذي تعلمناه قبل (٤٠) سنة ولكن علم الفلك في هذه المدة زاد أضعافاً كثيرة جداً فلذلك نذكر ما جاء في عصرنا وهو ما وراء المجرة . العوالم

الجزرية ، وذكر أن أرضنا اذا كانت جوهرًا فردا يكون العالم ألف مليون أرض . إن من السدم ما يبعد عنا مائة مليون من سني النور وهناك سدم تعد بالآلاف . ومن السدم ما يستغرق في سيره (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة

(تذكرة) في تسهيل معرفة الأشكال السابقة . وبيان أن بنات نعش معروفة عند العامة . ومنها يعرف القطب وما يعبده من الصور

٢٤٣ (بهجة العلم . ايضاح مسألة النور) وأن الناس اليوم يريدون تحويل الحرارة الى النور وأن الله فعل ذلك في شموسه التي كشفت حديثا

٢٤٤ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وبيان أن أصول الحياة من الشمس والناس غافلون . وذكر أن المصريين أمة زراعية خصبوا سائر الشمس واليهود والعرب اكتفوا بالأشهر القمرية لعدم اعتمادهم على الزرع . والكلام على يوليوس قيصر لما عدل بأمره الفلكي (سويجنس) وهذا التعديل المصري قد أصلحه بعد ذلك البابا (غريغورس) إذ رأى أن (سويجنس) جعلها أطول من حقيقتها (١١) يوما ودقائق فعدل وجرى عليه قوم وخالفه القطب بمصر ذكر تقويم المكسيكيين

٢٤٥ (المقصد الثالث) - وعباد الرحمن - قد كتب مشكلا الى آخر السورة وتفسيره اللفظي

٢٤٦ جوهرة في جبال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ ومناجاة المؤلف لله وتعبه من أنه أقسم بمخلوقاته من شمس وقر الخ والقسم تشريف لحث العباد على معرفة المقسم به فعموا وصموا وقد اختص المسلمون وتشعبت مذاهبهم وفرحوا بقليل من العلم وجهلوا نعمه

٢٤٨ فصوص الحكم في هذه الآيات

٢٤٩ في هذه الآيات (ثمان خصال) ترجع لسكون النفس وهدوئها (وخصلتان) ترجعان للتذكير بالله فهذه مقتضات عشرة للعلم والعرفان . إن هنا سرا قد ظهر في هذا الزمان وهو تقديم آية عدم الاشراك بالله على آية - واذا ذكروا بآيات ربهم - الخ مع ان الظاهر كان يقتضي العكس وذلك أن المسلم اذا لم يشرك بالله وفعل الصالحات يظن انه أرضى ربه فقال الله له لا يا عبدى أنا لا أرضى عنك اذا سمعت آياتي وكنت عنها أصم وآيات الله هي العلوم كلها فجرد اليمان لا يغني عن ذلك وهذا شأن المسلمين الآن يغترهم التوحيد ويقولون كفانا وما يكفي بل لا بد من العلوم . ملخص السورة كلها هذه الآيات هنا . وملخص هذه السورة اظهار علماء في بلاد الاسلام يقرؤون العلوم كلها

٢٥١ الجنة (قسمان) أعلى وأدنى . فالجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء وهذا تقدم في سورة البقرة عن الامام الغزالي (بلاغة القرآن) . (ياقوتة) في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ وبيان أن في القرآن (٧٥٠) آية للتذكير بآيات الله في السموات والأرض ومثلها عددا في علم الأخلاق ولكن آيات العبادة أقل

٢٥٢ بيان أن الآيات التي اختارها الصالحون للقراءة كآية الكرسي وما أشبهها روضات الجنات فهي سعادة لفظية للصالحين وهي سعادة للمفكرين ومنها هنا (ثمان خصال) نظام الظلال ونظام الليل والنهار ونظام المسحب والأمطار والماء الطهور ثم نظام الشمس ونظام القمر الخ . هذا تذكير لفظي وهناك تذكير فعلي بانزال المندرات لهم على يد الحوادث الزمنية والله الأمر من قبل ومن بعد والحمد لله رب العالمين

## صحیح البخاری

قد اتفق علماء أهل السنة في مشارق الارض ومنازلها على أن كتاب صحيح الامام البخاري أصح كتب الحديث الشريف ولما كانت نسخه المتعددة الطباعات نفدت وأصبحت نادرة الوجود قد استغفرنا الله سبحانه وتعالى وطبعناه طبعة متقنة بشكل لم يسبق له مثيل على ورق جيد وحرف جليّ واضح مضبوط بالشكل الكامل لسهولة القراءة فيه

وقد صحح بنابة الاعتناء بمعرفة لجنة من العلماء معتمدين على النسخة « اليونانية » التي اقتناها المغفور له « السلطان عبد الحميد خان » وأجمع على صحتها أكابر علماء الأزهر الشريف . وقسمناها الى تسعة أجزاء لسهولة التلاوة فيه فجدير بكل مسلم اقتناء هذا الأثر النبوي الشريف

---

ويطلب من مكتبتنا ومن جميع المكاتب الشهيرة